أبواب الكتاب

صفحة

٣ مقدمة الكتاب

١٠٦ باب ذكر مايعترى الإنسان بعد الخصاء وكيف كان قبل الخصاء

١٧٧ ذكر ماجاء فى خصاء الدوابّ

٢٢٠ باب ممّا قدمنا ذكره ، وبينه وبين ماذكرنا بعض الفرق

٢٢٢ باب ماذكر صاحب الديك من ذمّ الكلاب وتعداد أصناف معايبها

٢٦٧ باب ذكر من هجى بأكل لحوم الكلاب ولحوم الناس

Khalid M. Ishaq

ADVOCATE

[illegible] Street Garden East [illegible]

Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ

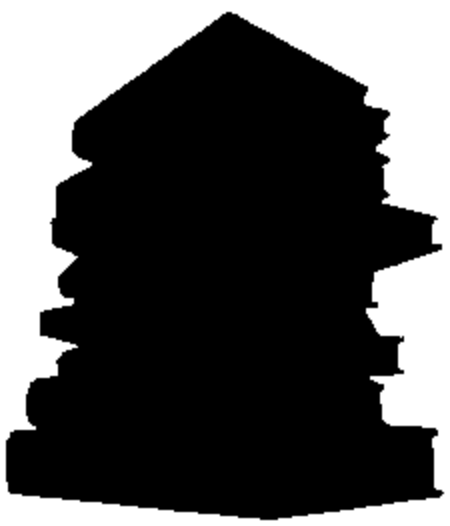

Marfat.com

Marfat.com

كاتب كے سلام لكھنا

أدب

مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

نشر وتوزيع

مكتبة الخانجي بالقاهرة

الكتاب الأول

الحيوان

Khalid M. Ishaq
Advocate
Bar Room
Bar Room
KHALID M. ISHAQ

إن هذا الكتاب جائزة الأولى ...

الجزء الأول

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

مكتبة إسلامية جونا مارکیٹ کراچی

Marfat.com

132358

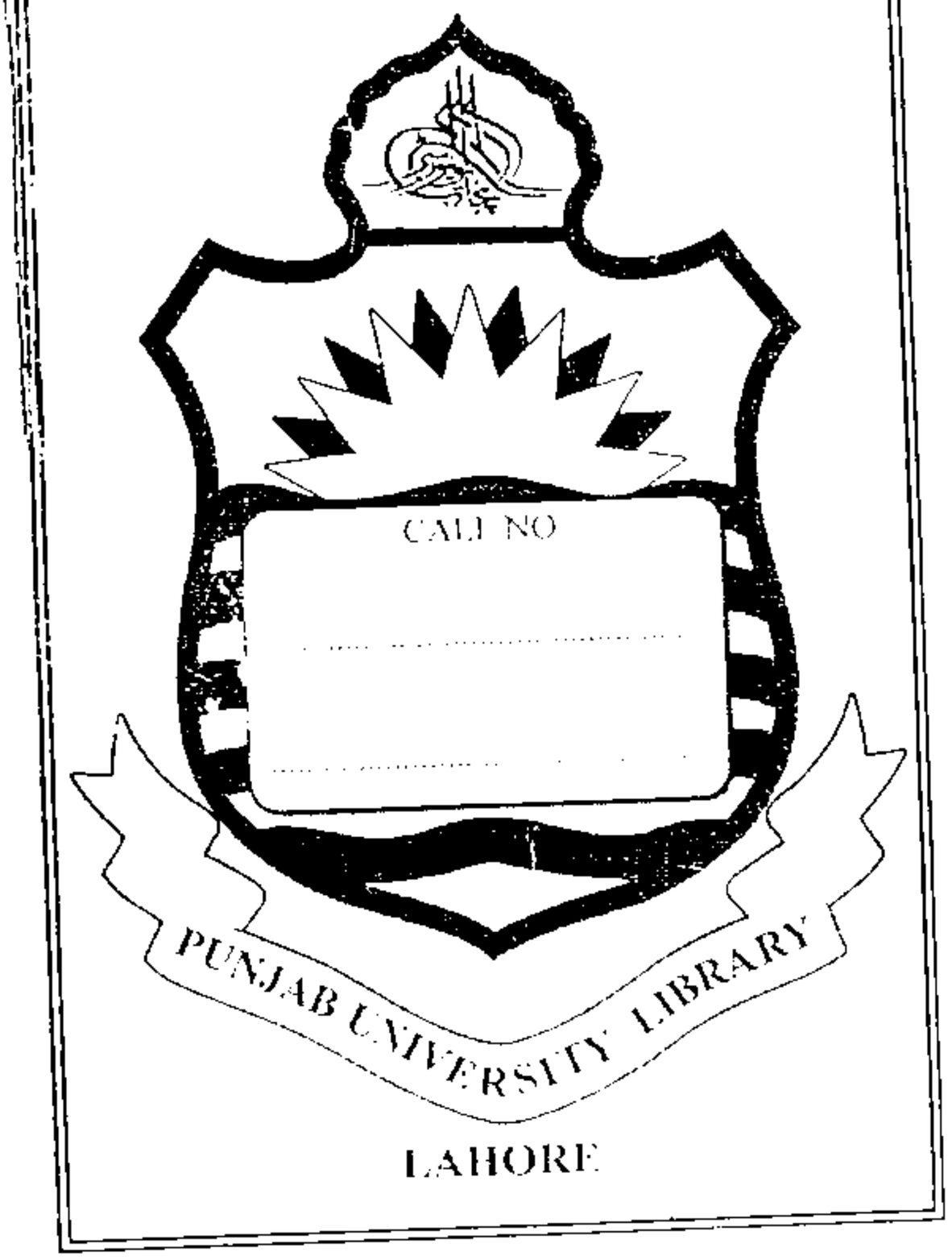

ذخیرۂ پروفیسر محمد اقبال مجددی
جو 2014ء میں پنجاب یونیورسٹی لائبریری کو
ہدیہ کیا گیا۔

Marfat.com

تقديم مكتبة الجاحظ

عمر الله باليَقين قلبَك ، وأفاضَ عليك مِنَ الخير ، وعقَد بيننا وبينك سبباً من الرِّضا ، وحبَّب إلينا كما حبّب إليك الحقَّ ، وأمتعَ عينَك وقلبَك . بما سيطالعك من عَجَب الجاحظ . وما افتنّ فيه وأبدع ؛ وأضفى عليك البشاشة وأسبغَ ظلَّ العافية[1] .

١ – بيان الجاحظ

وبعد فالجاحظ إمامٌ فذٌّ من أئمة البيان فى العربيَّة . وليس من الإسراف والمغالاة أن نعـدَّه زعيمَ البيانِ العربىّ . نطلق القولَ فى ذلك إطلاقا .

هو زعيمٌ للبيان العربىّ فى قوَّته وأسره ، وفى دقَّته وصحَّته . وحلاوته وجماله وفنِّه .

كان الجاحظ زعيماً للبيان العربىّ . وهو كذلك أحد زعماء الأمة العربيَّة . التى كانت فى الصدر المتقدّم من مكتبات المدنيّة . فيما أسدت للإنسانية والفكر العربىّ واللّسان العربىّ من خير . وما بسطته على ظلال المدنيات المتهافتة من نور .

٢ عصر الجاحظ

كان الجاحظ فى العصر الذهبى للأمة العربية [illegible]

والعلوم والآداب والفنون [illegible]

[1] [illegible]

Marfat.com

ذاك أقصى تقدير وصلت إليه كتب الجاحظ ، الذى يقول فيه المسعودىّ[1] : « ولا يعلم أحدٌ من الرواة وأهلِ العلم أكثر كتباً منه » . على أنّ أدْنى ماتنزلُ إليه فى التقدير ، أن تكونَ مائةً ونيّفاً وسبعين كتاباً . قال ابن حجر فى لسان الميزان[2] : « وسرد ابنُ النَّديم كتبه ، وهى مائة ونيِّف وسبعون كتابا » .

وياقوت فى معجم الأدباء[3] قد ذكر فهرست كتبه ورسائله ، فأثبت منها مائةً وثمانية وعشرين مصنفاً .

وليس بنا أن نحقق مبلغَ عددِ هذه الكتب ؛ ولكنَّ ما نريد أن نقول ، أنَّ الجاحظ فى الرّعيلِ الأول من مؤلفى عصرِه وكتّابه .

والآن نَسْأل : أين ذهبت هذه الكتبُ جميعاً ؛ وفى أىّ مطْرح طوّح بها الزَّمان ! ! لقد ضرب الدَّهرُ على كثيرها ، فعادت فى مثل صنعة الساحر ، لمعتْ حيناً ثم انكفأت .

أفنقول : إلّا أعاصيرَ الخلافِ المذهبىِّ عَصَفَتْ بها ، فلم ضاعتْ آثارُ غيرِه من أهل السنّة والجماعة ؟ !

الحقُّ أنّ الخمودَ الذهنىَّ وهبوط الهمم ، كان لهما معظم الأثر فى ضياع هذه النفائس وفقدِها ؛ والحقُّ أنَّ الفَوضى السياسيَّةَ التى مُنيت بها الأممُ الإسلاميةُ فى مَسائها الأول ، والتى كانت قائمةً — فى أكثر ما تقوم — على التدمير والتخريب والانتقام — جعلت تهدم فى هذا الصَّرح الفكرى ، حتى أتت على كثير من قواعده . ولم تبق إلا وشلاً من محيط ! !

المصرية) . والنص فيها : «أما مصنفاته فثمانية وستون مصنفا ، ووقفت على أكثرها فى مشهد الإمام أبى حنيفة » .

(١) فى مروج الذهب ٤ : ١٣٥ .

(٢) لسان الميزان (٤ : ٣٥٧) .

(٣) معجم الأدباء (٦ : ٧٥ — ٧٨) مرجليوث .

Marfat.com

ومهما أحزننا فقدُ كثيرٍ من آثار الجاحظ ، فإنَّ ممّا يجلب إلينا العزاء ، أن تبقَ الأيّامُ منها قدراً لايستهان به ولا بنفاسته ، قد سار بعضُه بين الأدباء فكان له فضلٌ كبير فى تقويم ألسنتهم ، وتأدُّبهم ، وحمتْ بعضَه الآخرَ خزائن متناثرةٌ فى أرجاءِ المعمورة ؛ سأعمل جهدى على إخراج مايمكن منها ، بعون الله ، مامُدَّ لى فى الحياة .

٥ – ابن النديم والجاحظ

والعجَب أن الناظر فى فهرس ابن النديم لايكاد يرى فيه شيئاً عن الجاحظ ، إلا عرَضاً واستطراداً . مع أن ابنَ النّديم كان من أساطين الوراقة ، وأبرعَ مختصٍّ بفن الكتب والمكتبات .

لقد عجبت ، ووجدت شيخ العروبة وفقيدها « أحمد زكى باشا » قد سبقنى بهذا فى أثناء تحقيقه لكتاب التاج ، وكشف السرَّ عن ذلك ، بما أقام من دليل قاطع ، أن النسخة المطبوعة من الفهرس مبتورة ناقصة[1] . وقد أسلفتُ قريباً[2] نصًّا من لسان الميزان ، يؤيد ماذهب إليه شيخ العروبة .

٦ – منحى الجاحظ فى التأليف

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

فى أثناء الكلام . فجمع بذلك قلوبَ القارئين إليه ، واستولى منهم بذلك على شتَّى ميولهم إلى مايكتب ، فصبَوْا إليه وأغرموا به غراما !

وطرق الجاحظُ فى كتابته أبواباً عجيبة ، وتقرَّب إلى العامّة[1] وحَرَص أشدّ الحرْص على استرضائهم . ولم ينسَ فى ذلك أن يستميل إعجاب الخاصة فى المعارف العالية ، والسياسات الرفيعة .

٧ — قيمة كتب الجاحظ

قال أبو حيّان[2] : « ومن عجيب الحديث فى كتبه ، ماحدَّثنا به علىُّ ابن عيسى النحوىُّ الشيخ الصالح ، قال : سمعتُ ابن الأخشاد شيخَنا أبا بكر يقول : ذكر أبو عثمان فى أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ، ليكون ذلك كالفهرست . ومرّ بى فى جملتها : الفرق بين النبى والمتنبى ، وكتاب دلائل النبوة ، وقد ذكرهما هكذا على التفرقة . وأعاد ذكر الفرق فى الجزء الرابع [illegible] وعاد إليه فأحببتُ أن أرى الكتابين ، ولم أقدرْ على واحد منهما . وهو كتاب دلائل النبوة ، وربما لُقِّب بالفَرْق خطأ . فهمَّنى ذلك وساءنى ، فى سوء ظفرى به . فلمَّا شخَصت من مصرَ ودخلتُ مكَّة —

---

(١) قال الجاحظ فى البيان ١ : ١٣٧ : « وإذا سمعتمونى أذكر العوام فإنى لست أعنى الفلاحين والحشوة ، والصناع والباعة . ولست أعنى الأكراد فى الجبال ، وسكان جزائر فى البحار ، ولست أعنى من الأمم مثل البربر والطيلسان ، ومثل موقان وجيلان ، ومثل الزنج وأشباه الزنج . وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب وفارس ، والهند ، والروم ، والبقوون همج وأشباه الهمج .
وإن العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التى عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ، ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا » . فهذا مايعنى الجاحظ بهذه الكلمة .

(٢) انظر معجم الأدباء (٦ : ٧٢ — ٧٣) مرجليوث .

(٣) الحيوان (٤ : ٣٧٨) س ٩ .

Marfat.com

— حرسها الله تعالى — حاجًّا، أقمت منادياً بعرفاتٍ ينادى — والناسُ حضورٌ من الآفاقِ على اختلاف بُلدانهم وتنازُح أوطانهم ، وتباينُ قبائلهم وأجناسهم ، من المشرق إلى المغرب ، ومن مهبِّ الشّمال إلى مهبِّ الجنوب ، وهو المنظر الذى لايشابهُ منظر — : رحم الله من دلَّنا على كتاب الفرق بين النبى والمتنبى لأبى عثمان الجاحظ ، على أى وجه كان !

قال : فطاف المنادى فى ترابيع عرفات وعاد بالخيبة وقال : حجّت الناس منًى ولم يعرفوا هذا الكتاب ، ولا اعترفوا به !

قال ابن الأخشاد : وإنما أردت بهذا أن أُبْلغ نفسى عذرَها .

قال ياقوت : وحسبك بها فضيلةً لأبى عثمانَ . أن يكون مثل ابن الأخشاد — وهو من هُو ، فى معرفة عُلوم الحكمة . وهو رأسٌ عظيم من رءوس المعتزِلة — يُستهام بكتب الجاحظ حتى ينادى عليها بعرفات وبيت الحرام . وهذا الكتاب موجودٌ فى أيدى النَّاس اليوم لاتكاد تخلو خزانة منه . ولقد رأيت أنا منه نحو مائةِ نسخة أو أكثر [illegible]

والمسعودىُّ ، وهوممن يُعدُّ فىخصوم الجاحظ ، يقول فىمروج الذهب[1] فى نعت كتب الجاحظ : وكتب الجاحظ مع الخرافة مشهورة عند عامة الأذهان . وتتكشف واضح البرهان ، لأنه نظمها أحسن نظم . ونصفها أحسن رصْف . وكساها من كلامه أجزلَ لفظ . وكان لا يخلو فصل فى كتاب من نادرة تُضحك ، أو أعجوبة تُذهل ، أو حكاية يستفاد [illegible]

---

(١) مروج الذهب (٤ : ٤٨) .

(٢) [illegible]

Marfat.com

مالو اقتصر عليه مقتصرٌ لاكتفى به ، وكتاب الحيوان ، وكتاب الطفيليين والبخلاء . وسائر كتبه فى نهاية الكمال ، مالم يقصد منها إلى نصب ، ولا (صوابها أو) إلى دفع حقّ » .

وهذا حديث آخر . تعرف به مكانة كتب الجاحظ ، وما أدركت من شأو وغاية :

قال أبو القاسم السيرافى[1] : « حضرْنا مجلسَ الأستاذ أبى الفضل ابن العَميد ، فجرى ذكرُ الجاحظ ، فغضَّ منه بعضُ الحاضرين ، وأزرى به ، وسكت الوزيرُ عنه . فلمَّا خرج الرّجلُ قلت له : سكتَّ أيُّها الأستاذُ عن هذا الرَّجل فى قوله . مع عادتك فى الردِّ على أمثاله ! فقال : لم أجدْ فى مقابلته أبلغَ من تَركه على جَهله . ولو واقفتُه وبيَّنْتُ له ، لنظر فى كتبه وصار بذلك (إنساناً) ياأبا القاسم . فكتُب الجاحظِ تعلِّم العقلَ أوّلاً ، والأدبَ ثانياً ! ! ولم أستصلحه لذلك » .

والخليفة المأمون العباسى . كان من قُرَّاء الجاحظ ، ومن المقدِّرين لعلمه وفضْله فى كتبه .

قال الجاحظ ــ وهو يسرد طائفة من بلاغات المأمون[2] : « ولما قرأ المأمونُ كتبى فى الإمامة ، فوجدها على ما أمر به ، وصرتُ إليه ــ وكان قد أمر اليزيدى بالنَّظر فيها ليخبره عنها ، قال لى : قد كان بعضُ مَن نرتضى عقله ، ونصدّق خبره ، خبَّرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة فقلت : قد تُربى الصِّفةُ على العِيان ، فلما رأيتها رأيت العِيان قد أربَى على الصِّفة . فلما فَليتها أربَى الفلى على العيان كما أربى العِيان على الصِّفة ! ! » .

---

(١) الخبر فى وفيات الأعيان (١ : ٣٨٩) .
(٢) العيون (٣ : ٣١٤) .

Marfat.com

٨ – ذَيع كتب الجاحظ

وكانت كتب الجاحظ تذيع وتنتشر ، وتطير إلى الآفاق ، فى حياته ، للرَّغبة الملحة فيها ، ولحرص الناس على ما فيها من خير كثير .

وإليك صورةً تُنبيك عن مبلغِ هذا الذَّيع ، وتَقفُكَ على مقداره :

روى الخطيب البغداديُّ فى كتابه[1] عن يحيى بن علىّ . أنه قال : حدثنى أبى قال : قلت للجاحظ : إنى قرأت فى فصل من كتابك المسمَّى كتاب البيان والتبيين[2] : إن ممّا يستحسن من النِّساء اللحنَ فى الكلام ، واستشهدتَ ببيتى مالك بن أسماء – يعنى قوله[3] :

وحديث ألذُّه هو ممّا ... يَنْعَتُ النَّاعِتونَ يُوزَنُ وَزْنا

منطق صائب وتلحَن أحيا ... ناً وخير الحديث ما كانَ لحنا

قال : هو كذاك . قلت : أفما سمعتَ بخبر هندٍ بنت أسماءَ بنِ خارجة مع الحجاج ، حين لحنت فى كلامها ، فعاب ذلك عليها فاحتجّت ببيت أخيها فقال لها : إن أخاك أراد أن المرأة فَطِنة ، فهى تلحن بالكلام إلى غير المعنى فى الظَّاهر ، لتستر معناه وتورّىَ عنه . وتفهمه من أرادت بالتعريض . كما قال الله تعالى : ﴿ ولتعرفنَّهم فى لَحْنِ القَوْل ﴾ وهو يريد الخطأ من الكلام . أكنت لا يُستحسَن من أحد ؟ ! فوجم الجاحظ ساعة ثم قال : ما سقطت فى هذا الحين لما قلت ما تقوله ! فقلت له : فأصلحه . فقال : الآن وقد سار فى الآفاق ! ! هذا لا يصلح !

---

(١) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢١٥ طبعة السعادة

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٠ طبعة السندوبى

(٣) فى الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ٣٩٥ طبعة الحلبى

Marfat.com

وصورةً أخرى[1] : قيل لأبى هفّان وقد طال ذكر الجاحظ لأبى هفان — : لم لاتهجو الجاحظ ، وقد ندَّد بك ، وأخذ بمخنَّقِك ؟ ! فقال : أمثلى يُخدَع عن عقله ؟ ! والله لو وَضَع رسالةً فى أَرنبة أنْفى ، لما أمْسَت إلا بالصِّين شهرة !

على مثل ذلك كانت كتبُه تغزو الآفاق ، وتطيرُ فى الدُّنيا ، إلى أن كُتب لها ما كُتب .

٩ — ورّاقو الجاحظ

لم يكن بُدٌّ للجاحظ ، وقدمنحه الله فى القراءة والتأليف ، اقتداراً نادراً وصبراً عجيباً ، من أن يستعين بمن يأنس فيه العون ، ليتمكَّن من تحقيق مطمحه ، فكان له ورّاقون[2] ، يكتبون له ويكتبون عنه .

عثرت على اسم أحد هؤلاء الورّاقين فى موضعين : أحدهما أمالى القالى[3] حيث نجد هذا النص : وقرأت على أبى بكر بن دُريد ، لليلى الأخيلية — وقال لى : كان الأصمعىُّ يرويها لحميد بن ثور الهلالى — قال أبو على : فكذا وجدته بخط ابن زكريا « ورّاق الجاحظ » فى شعر حميد :

يأيها السَّدِم الملوِّى رأسه ليقود من أهل الحجاز بريما »

والموضع الثانى : معجم الأدباء[4] ، حيث ذكر ياقوتٌ كتابى « النساء »

---

(١) معجم الأدباء (٦ : ٧١) مرجليوث .

(٢) وكان أجدر بكلمة الوراق أن تستعمل فى معنى « السكرتير » التى حيرت اللغويين .

(٣) أمالى القالى ١ : ٢٤٨ .

(٤) معجم الأدباء (٦ : ٧٥) مرجليوث .

Marfat.com

و « النعل » وقال : « قال ابن النَّديم : ورأيت أنا هذين الكتابين بخطّ زكرّياء بن يحيى ، ويكنى أبا يحيى ، ورّاق الجاحظ » .

وقد عرّف ابن النَّـديم باسم ذلك الوراق فذكر والده وكنيته . على حين ذكره القالىُّ غُفلاً ، ممّا يرجّح لدينا أنْ يكون الصواب فى اسم هذا الورّاق ، مانقل ياقوتُ عن ابن النَّديم .

وللجاحظ وراق آخر ، هو عبد الوهاب بن عيسى بن أبى حيّة الورّاق . وقد ينسب إلى جدّه . رَوى عن إسحاق بن إسرائيل ويعقوب بن أبى شيبةَ . قال الزبيدى[1] نقلا عن الحافظ : « وكان وراقا للجاحظ . وعاش إلى رأس الثلاثمائة » .

وفى تاريخ بغداد[2] أنه عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب ابن أبى حيّة . وكنيته أبو القاسم . سمع إسحاق بن أبى إسرائيل ، ومحمد بن معاوية ابن مالج ، ويعقوب بن إبراهيم الدَّورقى ، ومحمد بن شجاع الثَّلجىّ . ويعقوب بن شيبة السدوسى . روى عنه أبو عمرو بن حيويه ، والدارقطنى . وابن شاهين . وأبو حفص الكتانىّ . وكان صادقا فى روايته . [illegible] الوقف فى القرآن . أخبرنا الأزهرىّ أخبرنا [illegible] عبد الوهاب بن عيسى بن أبى حيّة [illegible] الوقف . [illegible] الصفّار . حدثنا ابن قانع . [illegible] تسع عشرة وثلثمائة .

---

(١) تاج العروس ١٠ : ١٠٨ س ٣ .

(٢) تاريخ بغداد ١١ : ٥٠ .

Marfat.com

تقديم كتاب الحيوان

١ — كتب الحيوان

سبق اليونانيُّون أسلافَنا العَرب ، إلى التَّأليف فى علم الحيوان . قال صاحب كشف الظنون فى حديثه عن علم الحيوان [١] : « وفيه كتبٌ قديمة وإسلامية : منها كتاب الحيوان لديمقراطيس ، ذكر فيه طبائعه ومنافعه . وكتاب الحيوان لأرسطاليس ، تسع عشرة مقالة ، نقله ابن البطريق من اليونانى إلى العربى . وقد يوجد سريانيًّا نقلاً قديماً ، أجود من العربى . ولأرسطو أيضاً كتاب فى نعت الحيوان الغير الناطق ، وما فيه من المنافع والمضارّ » . وذكر بعد ذلك كتاب الحيوان للجاحظ ، ومختصره لأبى القاسم هبة الله بن القاضى الرشيد جعفر [٢] المتوفى سنة ٨٠٦ ، وللموفق البغدادى أيضاً .

ونستطيع أن نقول : إنّ الجاحظَ أوّلُ واضعٍ لكتاب عربىٍّ جامعٍ فى علم الحيوان . وقد كان قبلَه وفى عصره محاولاتٌ شتَّى لطائفةٍ من العلماء ، يتحدَّثون فيها عن الحيوان ، نذكر منها :

كتب الابل

لأبى حاتم السِّجِستانى (٠٠٠ ــ ٢٤٨) ، وللأصمعىّ (١٢٢ــ٢١٦) ، ولأبى عبيدة (١١٠ ــ ٢٠٩) ، وللنَّضر بن شُميل (١٢٢ ــ ٢٠٣) ،

---

(١) كشف الظنون ١ : ٤٥٦ .

(٢) وسمه روح الحيوان . ابن خلكان ٢ : ١٨٨ .

Marfat.com

ولأبى زيادٍ الكلابىّ[1] ، ولأحمد بن حاتم الباهلىّ (٠٠٠ — ٢٣١).

كتب الخيل

لابن قُتيبة (٢١٣ — ٢٧٦) . وابن الأعرابى (١٥٠ — ٢٣١) ، وأبى عُبيدة ، وأبى جعفر محمَّد بن حبيب البغدادىّ (٠٠٠ — ٢٤٥) وأبى محلّم محمّد بن هشام الشيبانىّ (٠٠٠ — ٢٤٥) ، ولأحمد بن حاتم .

كتب الغنم والشاء

لأبى الحسن الأخفش (٠٠٠ — ٢١٥) . وللنَّضر بن شميل . وللأصمعىّ .

كتب الوحوش

للأصمعى ، ولأبى زيد أستاذ الجاحظ (١١٩ — ٢١٥) ، ولأبى حاتم السِّجستانى .

كتب الطير

لأبى حاتم السجستانىّ ، والنَّضر بن شميل ، ولأحمد بن حاتم الباهلىّ .

كتب البازى والحمام والحيات والعقارب

لأبى عبيدة .

(١) اسمه يزيد بن [illegible]
حين أعجبت [illegible]
وتوفى [illegible]

Marfat.com

كتاب الفرس

للأصمعى .

كتابا النحل والحشرات

لأبى حاتم السجستانى . وللأصمعىّ كتاب فى النَّحل والعسل (١) .

* * *

وهذه الكتب لم تؤلَّفْ للقصد العلمىّ الخالص . وإنما أريد بها أن تكون باحثةً فى اللُّغة أوّلاً . فهى بمثابة مُعجماتٍ لغويَّة خاصّة بما ألِّفت له ، فهى لاتبحث فى طبع الحيوان وخصائصه بحثاً ، ولا تعنى بدقائقه وغرائزه وأحواله وعادِه ، وإنّما تجعل همَّها الأوّلَ والثانىَ هو اللغة . وقد يكون منها أن تبحث البحثَ العلمى . ولكن على سبيل الاستطراد ومشايعة القول .

وأسوق إليك نموذجاً من نصوص تلك الكتب ، لتنكشف أمامك صورة ماأسلفت .

فهذا أوّلُ كتاب الإبل للأصمعى (٢) :

« قال أبوسعيد عبد الملك بن قُرَيبٍ الأصمعىّ : أجودُ وقتٍ يُحمل فيه على النَّاقة أن تَجُمَّ سنةً ويحملَ عليها . فيقال : قد أُضربت الفحلَ ، وأضْرَبَها الفحلُ . فإذا حمل عليها فى كلّ عام فذلك الكِشاف . يقال ناقة كشوفٌ . وقد أكشَفَ بنو فلان العام فهم مُكشِفون : إذا لقحتْ إبلُهم على هذا الوجه . قال رؤبة :

---

(١) اعتمدت فى استخراج هذه الكتب على وفيات الأعيان ، وبغية الوعاة ، ونزهة الألباء ، وفهرس ابن النديم ، وكشف الظنون ، ومعجم الأدباء .

(٢) ص ٦٦ — ٦٧ من مجموعة الكنز اللغوى المطبوع فى بيروت ١٣٢٢ .

Marfat.com

وإليك نصًّا آخر من خلاله[1] :

« وممّا يذكر من ألوان الإبل ، يقال بعير أحمر وناقةحمراء، وإذا بُولغ فى نعت حُمرته قيل : كأنه عِرْق أرطاة . ويقال أجلَدُ الإبلِ وأصبرها الحُمْر . فإذا خَلَط الحمرةَ قُنوءٌ فهو كُمْيت . فإذا خلطَ الحمرةَ صفرةٌ قيل : أحمر مدَمًّى . قال حُميد بن ثَوْر :

وصار مدمَّاها كُمَيتاً وشُـبّهت قروحُ الكَلى منها الوجَار المهدَّما »

وهذا آخر كتاب الإبل للأصمعى[2] :

« أسماء عدد الإبل : لذَود : ما بين الثلاثة إلى العشرة . والصِّرمة القطعة التى ليست بالكثيرة . والشُّلَّة : فوق ذلك إلى العشرين إلى الثلاثين . إلى الأربعين .

والعكَرة : إلى الخمسين ، إلى الستِّين إلى السَّبعين .

والهجْمة : المائة وما داناها . والهُنيدةُ : مائة . والعرْج : الإبل إذا كثرت فبلغت مائتين قيل عرج . والأبرَة : [illegible]

عليه . قال ذلك :

ولا شرف حتى يقال [illegible]

٢ ـ كتاب الحيوان للجاحظ

هذا [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

كتابُه ، ينطقُ بين يديك بالقصد العلمى التفصيلى للحيوان جميعاً ، ولكلِّ مملكةٍ من ممالكه ، ولكلِّ جنسٍ من أجناسه . وهو فضلٌ للجاحظ على جميع من سبقه أو عاصره ممّن كتب فى الحيوان . وإن أعوزه بعضُ الترتيب والتهذيب فهو شأنُ كلِّ كتابةٍ جديدة ، فى أمرٍ متشعِّبِ الأطراف ، ممدودِ النواحى .

٣ ــ مرجع الجاحظ فى تأليف الحيوان

والآن نسأل : ماذا كان مرجع الجاحظ فى هذه الموسوعة العظيمة ، وأين أصاب هذا الفيض المتدافع ؟

لقد استفتيت كتاب الحيوان نفْسَه ، بإدمان قراءته ، وتقليب صفحاته فوضح لى أنّ صاحبَه اعتمد فى تأليفه على أمور خمسة رئيسة :

أولها : الينبوع الذى لاينضب من القرآن وحديث الرسول .

والثانى : وعليه كان أكثر اعتماده ــ : (الشعر العربى) فالشعر العربىُّ وبخاصةٍ البدوىُّ منه ، قد تحدَّث عن الحيوان حديثاً طويلا ، تحدَّث عن الأنيس منه ولم يهمل الوحشىّ ، بل أشرك بين هذا وذاك .

فالعرب تحدَّثوا عن الإبل فى شعرهم وأطالوا الكلام ، تحدَّثوا فى نعتها فلم يذَرُوا دقيقةً من دقائقها ، وتكلَّموا فى حملها ونتاجها ، ورأْمها وحنينها ، وحلْبها وألبانها ، وألوانها ونِجازها ونسبها ، وأصواتها ودُعائها ، ورعيها وشربها وسَيرها وسُراها[1] .

وكان لهم فى الخيل نعتٌ مفصَّل ، وعنايةٌ بمثل مااعتَنوا به فى الإبل .

---

(١) مما أقوم به الآن إعداد كتاب يبحث فى أثر الإبل فى حياة العرب وأدبهم ولغتهم ، أرجو الله العون فى إتمامه .

Marfat.com

ووفوا كذلك لكلابهم وشائهم . ولا تكاد تجد قصيدة معدودةً للعرب إلاَّ وللحيوان الأنيس فيها شأن .

أما الوحشيّات — وفلواتُهم مواطنُ غنيّةٌ بها — فلم يُغفلوها ، ونطق شعرهم بالأسد[1] ، والنَّمر ، والذئب[2] ، والثعلب ، والضبّ ، وغيرها .

وذكروا من الطيور النُّسورَ والعِقبان والرَّخَم ، والحِدأَ والقطا والحَجَل .

ولو أردتُ أن أستقصيَ سائرَ مانعتوا من الحيوان ، فى شعرهم وحَديثهم وأسمارهم — مااستطعتُ . ولو استطَعْتُ لامتدَّ القول وفاض .

والجاحظ يرى أنَّ العرب — والأعراب منهم خاصة — قد ثَقِفوا معرفة الحيوان ، وبرعوا فى ذلك البراعَةَ ، واستوعبُوا حالَه وعادَه . وهو يقول فى ذلك[3] :

« وقلَّ معنًى سمعنَاه فى باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه فى كتب الأطباء (والمتكلّمين) إلا ونحن قد وجدناهُ أو قريباً منه فى أشعار العرب والأعراب » .

وقال فى الكلام على السِّباع المشتركة الخَلْق[4] : « وقد ذكرنا منه ما كان مثل الضَّبع والسِّمع والعسبار ، إذ كانت معروفة عند الأعراب . مشهورة فى الأخبار . منوَّهاً بها فى الأشعار .

---

(١) اشتهر عربى وصف الأسد هو أبو زبيد [illegible] بن سلامة ومعجم الأدباء .

(٢) [illegible] خبر مع الذئب فى [illegible]

(٣) الحيوان (٣ : ٢٦٨) .

(٤) الحيوان (٦ : ٢٨) .

Marfat.com

وهو يُظهر السَّببَ فى جَودةِ معرفِة الأَعرابِ للحيوان ، بقوله[1] :

« ورّبما ، بل كثيراً مايَبْتلَوْن بالنّاب والمخلب ، واللَّدْغ واللَّسع ، والعضِّ والأكل . فخرجت بهم الحالُ إلى تعرُّف حالِ الجانى والجارح والقاتل ؛ وحالِ المجنىِّ عليه والمجروح والمقتول ؛ وكيف الطّلبَ والهرب ، وكيف الدّاءُ والدّواء ؛ لطول الحاجة . ولطول وقوعِ البصر . مع مايتوارثون من المعرفة بالدَّاء والدَّواء » .

والـكتابُ مفصَّل بكثير من الشعر العربى ، موشَّع بعيون مانظم العرب والأعراب فى الحيوان من شعر .

وللجاحظ ثقة تامة فى الشّعر العربى . فهو يصدِّره فى الرّدِّ على أرسطو ، ويحتجُّ به عليه . قال بعد أن سرد قول أرسطو فى عقوق العُقاب[2] : « هذا قول صاحب المنطق فى عقوق العقاب وجفائها لأولادها .

فأمَّا أشعار العرب فهى تدلُّ على خلاف ذلك . قال دريد بن الصِّمّة[3] :

وكلّ لجوج فى العنانِ كأنها ... إذا اغتمست فى الماء فتخاء كاسرُ

لها ناهض فى الوكر قد مَهَدَتْ له ... كما مَهَدَتْ لبَعْلٍ حسناءُ عاقرُ »

والمادة الثالثة من مواد الـكتاب : هى (كتاب الحيوان لأرسطو[4]) .

وقد نقل عنه الجاحظ نصوصاً ليست من الـكثرة بمكان . ولـكنها من القيمة والنّفاسة بمكان عظيم .

وصاحبنا رجلٌ جرىء العقل ، عنيفُ الفكر . فهو لايقبل هذه النُّصوص

(١) حيوان (٣ : ٢٩) .

(٢) الحيوان (٦ : ٣٧) .

(٣) فى الأغانى (١٠ : ٤٥) والمزهر (٢ : ٢٣٦) أنه دعقر بن حمار البارقى .

(٤) سبق التعريف بهذا الـكتاب ص ١٠ .

Marfat.com

بعلاّتها ، بل يطرحها على الممتحَن ، ولا يطأطئ بفكره لها ، وإنما يصعد به عالياً ليرى وجه الحق فيها . وقلّما ترك واحداً منها إلاّ تكلم فيه ، وعرضَه على الحجّة .

فمن ذلك ماقال[1] : « وقد ذكر صاحبُ المنطق أنّه قد أبصر ثوراً وثب بعد أن خصي ، فنزا على بقرة فأحبلها » . وعقب ذلك بقوله : « ولم نجد هذا عن معاينة ، والصدور تضيق بالردّ على أصحاب النظر ، وتضيق بتصديق هذا الشكل » .

ذلك . وقد رأيت في الكلام الذي أسلفتُ . ردّه عليه بالشعر العربي .

وقال أرسطو في الفيل[2] : « هو أجرد الجلد ؛ فلذلك يشتد جزعه من البرد » . فقال الجاحظ : « فإن كان أجرد الجلد . فما قولهم في أحديثهم : طلبوا من الملك الفيل الأبيض ، والفيلَ الأبقع ، وجاء فلانٌ على الفيل الأسود ؟! » .

وقال الجاحظ في ردّه على أرسطو[3] : « وقد سمعنا ماقال صاحب المنطق من قبل . وما يليق بمثله أن يخلّد على نفسه في الكتب شهادات لايحققها الامتحان . ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء » .

وأحيانا يعتذر صاحبنا عن أرسطو . إذ المترجَم [illegible] في نقله ، ولم يتوخ الدقة والمطابقة . فهو يقول[4] : « فلعل المترجِم قد أخطأ في الإخبار عنه » ويقول[5] : « فكيف أمكن عبد [illegible]

---

(1) [illegible] : ٥٠٢) .

(2) [illegible]

(3) [illegible]

(4) [illegible]

(5) [illegible]

Marfat.com

وأحاديث السماكين ، وإلى مافى كتاب رجل — يعنى أرسطو — لعلَّه إن وجد هذا المترجم أن يقيمه على المِصْطبة ، ويبرُأ إلى الناس من كذبه عليه ، ومن إفساد معانيه ؛ بسوء ترجمته » .

وله نحوٌ من هذا الكلام فى الردّ على صاحب المنطق فى مواضع أخر من كتابه[1] نكتفى بالإشارة إليها .

* * *

والمادة الرابعة من مواد الكتاب ، هى تلك المحاولة ، وذلك (الكلام الذى ولّده المعتزلة) . وقد دفع بهم ذاك التيَّار العارم ، إلى مواطنَ شتَّى من نواحى الحجاج والجَدَل . وكأنّما خلق اللهُ كلَّ رجل من أهل الاعتزال لساناً دائب التصرُّف والعمل . فهم إن فَرَغوا من الكلام فى الصفات والخالق ، وفى التعديل والتجوير ، وفى الوعد والوعيد ، فزِعوا إلى الكلام فى السّانحة والخاطرة ، وفيما يَظهَر للعَين أنَّه دَقيقٌ مَهين .

والكتاب معرِض طريفٌ لهذه المنازعات الكلاميّة ولا سيَّما الجزأين الأوَّل والثانى منه . فكثيراً مايمرُّ على بصرك : « قال صاحب الكلب » و : « قال صاحب الديك » و : « قال صاحب الحمام » و . .

ويبدو أيضاً ، أنَّه كان فى عصر الجاحظ نزاعٌ كلامى خاصّ ، فى المقايسة بين الكلب والديك ، يتقدَّم الفريقَ الأوَّلَ أبو إسحاق إبراهيم النّظام ، ويتزعَّم الرَّهط الآخر مَعبد[2] .

كما أنَّ بعضَ الناس كانوا ينظرون إلى هذا النَّمَط وإلى هذا الضَّرْب من الجدل يتداوله اثنان من رؤساء المتكلِّمين ، بعين الاستغراب والاستنكار .

---

(١) انظر منها الحيوان : ٣ : ٥١٧ ، ٤ : ١٥٦ ، ٥ : ٥٤١ ، ٦ : ١٧ ، ٧ : ١٢٤ .

(٢) انظر الحيوان : ١ : ٣٥٦ . وانظر كذلك ٢ : ١٥٣ .

132358

Marfat.com

وقد ردّ عليهم الجاحظ ردًّا مسهباً ، صدَّره بقوله[1] : « فإن قلت : وأى شيء بلغ من قدر الكلب وفضيلة الديك ، حتى يتفرَّغ لذكر محاسنهما ومساويهما ، والموازنة بينهما ، والتَّنْويه بذكرهما ، شيخان من عِليَة المتكلِّمين ومن الجلَّة المتقدمين . . . » ثم هو ينشئ بعد ذلك دِفاعاً صادقاً ، يستغرق نحو عشر صفحات . وفيه يحاول أن يقول : إنَّ البحث فى شأن الحيوان ضربٌ من ضروب التعبُّد ، ولونٌ من ألوان البحوث الدينية ، التى تنتهى بصاحبها إلى معرفة عظمة الله ، وعظم ماأبدع وبَرَا .

وقد بلغ الأمر بأحد كبار المعتزلة ، فى عنايته بالحيوان والحديث فيه ، أن صنع قصيدتين ، ذكر فيهما الحيوان وعجائبه . وقد جمع فيهما كثيراً من هذه الغرائب والفوائد ، ونبّه بهذا على وجوه كثيرة من الحكمة العجيبة ، والموعظة البليغة[2] .

ذلك الرجل هو بشر بن المعتمر ، وكان رأساً لفرقةٍ من المعتزلة . سمّيت بالبشرية[3] وتوفى سنة ٢١٠هـ .

وقد تصدّى أبو عثمان لشرح القصيدتين فى جزء ضخم من حجم [illegible] وتكلّم فيهما كلاماً طويلا . يستغرق نحو نصف جزء [illegible]

والمادة الخامسة من مواد الكتاب هى [illegible] الذى كان يدفع بصاحبه إلى [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

بطبعه شعبياً ، مع أنَّه كان مقرّباً نافذَ الكلمة عند الوزراء والخلفاء[1] . فهو قد جالس الملاّحين مراراً ، وسمع من أحاديثهم . فمن ذلك مايقول[2] : «وسمعت حديثاً من شيوخ ملاّحى الموصل ، وأنا هائب له ، ورأيت الحديث يدور بينهم . . »

وهو يتحدّث مع صائد العصافير ويقول[3] : « وخبَّرنى من يصيد العصافير . . » .

وأحياناً يخالط الحوّائين ، ويقف منهم موقفَ المستَمِع إلى الشَّكوى . وفى ذلك يقول[4] : « وشكا إلىّ حوّاءٌ مرةً فقال : أفقرنى هـذا الأسودُ ومنعَنى المكسبَ ؛ وذلك أنَّ امرأتى جهِلت فرمَتْ به فى جُونةٍ فيها أفاعى ثلاثٌ أو أربع ، فابتلعهنَّ كلَّهن — وأرانى حيّة منكرة ! »

وله نِقاش فى شأن الفيل مع عبدٍ يدعى « غانما[5] » . وما حدا به إلى حديث معه إلا أنه من ذوى الخصام والجدل كما عرفت .

٤ – متى ألف كتاب الحيوان

قيل لأبى العيناء : ليت شعرى ، أىّ شىء كان الجاحظ يحسن ؟ فقال : بيت شعرى . أىّ شىء كان الجاحظ لايحسن[6] ؟! .

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١٢ : ٢١٩ : حيث يقول الجاحظ : « حالى أن الوزير يتكل برأيى ، وينفذ أمرى ، ويؤاثر (صوابها : يواتر) الخليفة الصلات إلى » .

(٢) الحيوان ٢ : ١٢٦ .

(٣) الحيوان ٢ : ٣٢٩ .

(٤) الحيوان ٣ : ٤٠١ وانظر ٤ : ٤١٩ .

(٥) الحيوان ١ : ١٠٩ .

(٦) جمع الجواهر للحصرى ١٦٥ .

Marfat.com

نعم ،«كان الجاحظ أعجوبةَ الدنيا ، تعرف ذلك إذا قرأتَ كتاب الحيوان ولمستَ مايحتاج إليه من جُهد ، وما يتطلبه من وَعىٍ واسع ، وانتباه دقيق ثم عرفتَ بعد ذلك كلّه أنتلك المعلمةَ الخالدةَ ،صنعها صاحبُها وأتمَّ حوكَها ، وهو فى سنٍّ عاليةٍ ، مفلوجٌ يقول فى شِكاية مرضه : « أنا من جانبى الأيسر مفلوج ، فلو قُرض بالمقاريض ماعلمت به ، ومن جانبى الأيمن مُنقْرَس ، فلو مرّ به الذُّبابُ لأَلمت ! ! [1] » .

قال الحُصْرى [2] : « ومن إحدى عجائبه ، أنه ألّف كتاب الحيوان وهو على تلك الحال » . يعنى السنَّ العالية ، والمفالج الشديد .

وما بالنا نذهب بعيداً والجاحظ نفسه يقول [3] : « وقد صادف هذا الكتاب منى حالاتٍ تمنعُ من بلوغ الإرادة فيه : أوّل ذلك هذه الشادياذة . . . .

وهنا مشكلةٌ تطلعُ علينا من ثنايا نصوصٍ عدّة ، فقد قالوا إنّ الجاحظ فتح فى آخر أيامه [4] وقالوا كذلك إنَّه ألَّف كتابَه الحيوان بأمر محمد بن عبد الملك الزيات [5] المتوفى سنة ٢٣٣ . وإنّه أهدى إليه قاطبة ألف دينار [6] . فهل نقول إنّ الجاحظ ظل مفلوجاً ثلاثين أو عشرين سنة فى الأقل ؟ ! ذلك مستغرب بعدة . ولكنه من الوقوع فى

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

Marfat.com

ولـكنّنا نرجع إلى تاريخ علّته من المراجع التى بين أيدينا فنجد أن صاحب « سرح العيون[1] » قد عنى بذكر ذلك ، حيث قال :

« وكانت سبب علّة الجاحظ أنّه حضر مائدةَ ابن أبى دواد ، وفى الطَّعام سمكٌ ولبن ، وكان ابن بَخْتِيَشُوعَ الطَّبيبُ حاضراً ، فنهاه عن الجمْع بينهما ، فقال الجاحظ : إنَّ السمكَ إن كان مضادًّا للَّبن فإنِّى إذا أكلتهُما دفَعَ كلٌّ منهما ضررَ الآخر . وإن كانا متساويين فكأنِّى أكلتُ شيئاً واحداً ! فقال ابن بختيشوع : أنا لاأحسن الـكلام ، ولـكن إن شئت أن تُجَرِّب فكُلْ . فأكل فأصابه فالجٌ عظيم » .

فإذا عرفنا أنَّ أحمد بن أبى دوادٍ قد توفّى سنة ٢٤٠[2] وابُتلى بالفالج بعد موت عدوِّه ابن الزيات بسبعة وأربعين يوماً فى سنة ثلاث وثلاثين[3] . إذا عرفنا ذلك أمكننا أن نقول إنَّ مرض الجاحظ كان قبل سنة ٢٣٣ ، سنة وفاة ابن الزيات ، وأنه استمر مريضاً بالفالج أكثر من اثنتين وعشرين سنة ، وأن المعنىَّ بقولهم : « آخر أيامه » هو الشطر الأخير من حياته .

وأحبُّ أن أشير هنا إلى أنَّ الجاحظ ابتدأ فى تأليف كتاب الحيوان ، قبل أن يبدأ فى صِنوه الآخر فى الذَّيع والشهرة : البيان والتبيين . وقد عثرت بنصٍّ قاطعٍ فى البيان[4] يدلّ على ذلك . قال : « كانت العادة فى كتب الحيوان أن أجعل فى كلِّ مصحف من مصاحفها عشر ورقات من

---

(١) سرح العيون ص ١٣٦ . وانظر مثل هـذا النص مضطرباً فى عيون الأنباء ١ : ١٨١ .

(٢) مروج الذهب ٤ : ٩٧ وشذرات الذهب ٢ : ٩٣ .

(٣) مروج الذهب ٤ : ٩٧ .

(٤) البيان ٣ : ٣٠٢ .

Marfat.com

مقطَّعات الأعراب ونوادر الأشعار ؛ لِما ذكرت من عَجَبِك بذلك . فأحببت أن يكون حظُّ هذا الكتاب فى ذلك أوفر ، إن شاء الله تعالى » .

كما أودُّ أن أشير أيضاً إلى أنَّ الجاحظ كان يسمِّى كلَّ جزء من أجزاء الحيوان مصحفاً . وفى النسخة الشنقيطية من الحيوان نجد مكتوباً فى نهاية كل جزء : « تم المصحف . . من كتاب الحيوان ويليه المصحف . . » .

٥ - جهد الجاحظ فى تاليف الحيوان

هو يحدثنا بذلك فيقول[1] : وقد صادف هذا الكتاب منى حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه : أوَّل ذلك : العلّة الشَّديدة . والثانية : قلّة الأعوان . والثالثة : طول الكتاب . والرابعة : أنّى لو تكلَّفت كتب فى صدره وعدد ألفاظه ومعانيه . ثمّ كان من كتب العرض والجوهر . والصّخرة والنوليد والمداخلة ، والغرائز والنّحاس[2] لكان أسهلَ وأقصرَ أيّام وأسرع فراغا ؛ لأنّى كنت لاأفزع فيه إلى تلقّط الأشعار وتتبُّع الأمثال واستخراج الآى من القرآن . والحجج من الرواية . مع تفرُّق هذه الأمور فى الكتب

بهذا شرح صاحبنا جهده فى تأليف الكتاب . وبيّن ما لقى فى ذلك من عنت ومشقّة وجمعه .

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

٦ ــ عدد أجزاء الكتاب

جرى بعضُ الناسخين والطابعين ، على ألاّ يتقيَّدوا فى النَّسخ أو الطَّبع بتقسيم المؤلِّف لــكتابه ، وكنت خشيتُ أن يكون وقَعَ هذا التَّصرُّف فى كتابنا هذا ، وأدركنى الرَّيبُ فى ذلك . ولــكنِّى وجدتُ من نصوص الــكتابِ مايشهد بأنّ تقسيم المطبوعةِ الأولى من الحيوان هو نفسُه تقسيم الجاحظ . ففى الجزء السابع بالصفحة التاسعة . نجد هذا النصّ . « قد كتبنا من كتاب الحيوان ستَّة أجزاء . وهذا الكتاب السابع هو الذى ذكرنا فيه الفيل بما حضرنا . . . » .

ونجد فى ثنايا الــكتاب نصوصاً أخر تشهد بصحة هذا التقسيم[1] .

وإنّ فى مطابقة نهايات أجزاء المطبوعة الأولى ، لنهايات أجزاء المخطوطة الشنقيطية المرموز إليها برمز « سه » التى يصرِّح فيها بختام كلِّ جزء بهذه العبارة : « تمّ المصحف . . . من كتاب الحيوان ويليه المصحف . . . » ــ إن فى ذلك لدليلا آخر على صحة التقسيم التى سنتبعه .

٧ ــ قيمة كتاب الحيوان

لايعرف فضلَ هذا الكتاب ، إلاّ من نظر فيه طويلا ، وتناول نواحِيَه بالدَّرس والتبيُّن .

وقد يُوهم اسمُه أنّه قد خصِّص بالحيوان وما يمتُّ إليه بسبب . ولــكنّ

---

(١) حيوان ٥ : ٥ ، ٥ : ٦ ، ٥ : ٥ ــ ٦ وقد يضم إلى ذلك قول ياقوت فى معجم الأدباء : « كتاب الحيوان وهو سبعة أجزاء » .

Marfat.com

الحقَّ أنَّ الـكتاب معلمة واسعة ، وصورة ظاهرة لثقافة العصر العبَّاسى ، المتشعِّبة الأطراف .

فقد حوى الـكتابُ طائفةً صالحةً من المعارف الطبيعيّة[1] . والمسائل الفلسفيَّة ، كما تحدَّث فى سياسة الأقوام والأفراد . وكما تـكلَّم فى نزاع أهل الـكلام وسائر الطوائف الدينية .

تحدَّث الـكتاب فى كثير من المسائل الجغرافية ، وفى خصائص كثير من البلدان ، وفى تأثير البيئة فى الحيوان والإنسان والشجر . كما تناول الحديث فى الأجناس البشرية وتبايُنها . وكما عَرَض لبعض قضايا التاريخ .

وفيه كذلك حديثٌ عن الطب والأمراض : أمراض الحيوان والإنسان وبيان لـكثيرٍ من المفردات الطبيَّة . نباتيّها وحيوانيّها ومعدنيّها .

تحدَّث فيه الجاحظ عن العرب والأعراب . وأخبارهم وعاداتهم وعلومهم . كما أفاض القول فى أمر الـكتاب العربىّ . وحديث [illegible] العربىّ . وكما فصَّل بعض مسائل اللغة والدين .

والـكتاب كذلك [illegible] ونادره . وناحيةٌ [illegible] منها القدرُ الـكبير . [illegible] وجاءت [illegible]

أمَّا فـكرة [illegible] بين الغيبة والحضور [illegible]

(١) [illegible]

Marfat.com

وأما المجون فلا عليك أن تمر به لتظهر لك ناحية من النواحى التى غلبت على كثير من متأدبى عصر الجاحظ ، التى لم يكن فيها حَرج حينئذٍ ولا خشية .

هذه صفةٌ للكتاب مجملة ، أوجَزْتها إيجازًا ولم أُردْ تفصيلَها ، فذلك إنَّما يكون فى كتاب .

على أنَّ الفهرس الذى ابتدعته وأسميته « فهرس المعارف » سوف يجلِّى للقارئ أشياءَ وأشياءَ غيرَ ماذكرت ، وبه يظهر كثيرٌ مِمَّا كمن فى جَنَبات ذلك الكنْز القَيِّم .

Marfat.com

تصحيح الكتاب

حفظ

١ — قراءة الكتاب

كان أوّل عهدى بدراسة هـذا الكتاب منذُ أربع سنوات مضين ، وكنت أجدُنى أمضى فى الكتاب وأتابع قراءته ، رغمَ ماكان يحفل به من خطأ وتحريف وتصحيف ، وأنه لم يكن بحال تشجّع قارئه على المتابعة ، ممَّا كان عليه من سوء نظام واستعجام .

وكنت أثناء قراءتى أكتب تصحيحاتٍ على جوانبه بقدر ما ستطاعه جهدى ، كما عنيت بوضع عنوانات وأرقام تربط أجزاءه بعضها ببعض .

والذى يقرأ للجاحظ يرى فيه طبيعة التكرار ، وهو يحرص بذلك على تثبيت مايريد القارئ على وعيه وفهمه ، فالجاحظ معلِّم حريص على إفادة تلميذه ؛ ولكنّ تلميذه لايجلسُ بين يديه ، أو يسايرُه ليتلقّى عنه معرفة ، بل يؤلّف له أستاذُه الكتابَ جامعا ، ويدعُه يفيد ممّا يقرأ ويفهم . وقد سبق لى كلام فى هذا المعنى بجزء الأول من الحيوان[1] . ولقد نفعنى هذا التكرار فى مقارنة النصوص وتصحيحها .

(١) ص ٨٥ .

Marfat.com

٢ ــ البدء فى تحقيقه

وعُدْت لقراءة الحيوان فى الصّيفَ الماضى . فطلب إلىّ حضرات ناشرى هذا الكتاب أن أقومَ بإعداده للطَّبع .

فبسطتى لهذا الأمر ما كنت قد أثبت من تصحيحات ، ووجدت أنَّ من الضرورى أن أنتفع بالنسخ الخطيّة والمصورة المودعة دارَ الكتب المصرية . حتى يخرج الكتابُ للنَّاس أقربَ ما يكون إلى السَّلامة .

شرعتُ فى مقارنة النُّصوص بالنُّسخ . فهالنى الأمرُ واستعظمت التَّبِعة التى أُلقيت على عاتِقى ؛ للتَّخالُف الشَّديدِ مابين النسخة والأخرى فى صور الألفاظ . وفى الزيادة والنقص . والإعجام والإهمال . وحاولت أن أنكِصَ وأرتدَّ عن الميدان الذى هابه قبلى رجالٌ ورجل .

لولا أن شدَّ من عزمى تشجيع حضرة الأخ الجليل ، فخر أهل الحديث فى مصر غيرَ مدافَع ، « الأستاذ الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر » . فقد قرّبَ ــ حفظه الله ــ إلىَّ الأمرَ . واستنهضنى ، وبسط لى من عَونه الأدبىّ . ماهوّن على . ما كنت أعدُّه فى الخيال .

وإنى لأسجّل له هنا شكرًا صادقا ، واعترافاً بما أسدى وأرشد . وما أعان وتفضل . فجزاه الله خير مايجزَى به عالمٌ فاضل !

٣ ـ مراجع التحقيق

ولجأت بعد مقابلة النسخ إلى الانتفاع بالكتب الأخرى . فكنت أجد بها تصحيحاتٍ عجيبة لتحريفات عجيبة وقعت فى الكتاب . ووجدت فى البيان والتبيين تصحيحات كثيرة للشعر والنصوص . وفى كتب ابن

Marfat.com

قتيبة : « عيون الأخبار » و « المعارف » و « تأويل مختلف الحديث » تحقيقاتٍ جمَّةً للأخبار والأعلام ، وما قيل فى الحيوان[1] . ولعل السرَّ فى ذلك أن الجاحظ كان قد أجاز ابن قتيبة برواية بعض كتبه[2] ، وأنه كان معاصراً له[3] .

ولست أغْمِط سائر الكتب . التى أفردْتُ لها ثَبَتا ، حقَّها من الاشتراك فى إقالة عثْرة هذا الكتاب الجليل .

٤ ـ تنظيم الكتاب

كان لابدَّ لى وأنا أخرج هذا الكتاب أن أعرضه على الناس فى ثوبٍ عصرهم . وأن أخرُج به من ظلام الماضى إلى نور هذا الزَّمن . فاستقصيتُ جهدى فى أن أرتِّبه ترتيباً حديثاً لا يُخلُّ بوضعه الأوَّل . ولا يعتدى على حقِّ مؤلِّفه . فلم أبتدئْ فيه إلا الضَّبْطَ والتَّرقيم ، بعد عرْض كلماته على المعجمات .

وثانيةً أنِّى فصلت أثناءه بعنوانات تميِّز مسائله . وتظهرها أعلاما لطريقه المنهج المتَّبع . ولم أشأ أن أجعلَها بعوجَة بمهجة مسايرة ما طرأ على لغة من الزَّمن من أساليب الأعاجم . بل قرَّبتها تقريبا من لغة الجاحظ نفسه ، واقتبستها اقتباسا من تضاعيف كلامه ، ليكون بذلك التَّسوُّق والتَّأنُّس . وقد ميَّزْت هذه العنوانات بأقواس مربعة . وتركت الأصيلة مجرَّدة من الأقواس . فهنا فصْلٌ بين هذه وتلك .

---

(١) فى عيون الأخبار ٢ ـ ٢٢ ـ ١٥٥ ـ ٣ ـ ٢٠٥ ـ ٤ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ ٢١٠ ـ ٢١١ ـ ٢١٢ ـ ٢١٣ ـ ٢١٤ ـ ٢١٥ ـ ٢١٦ ـ ٢١٧ ـ ٢١٨ ـ ٢١٩ ـ ٢٢٠ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ـ ٢٣١ ـ ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ـ ٢٤١ ـ ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ـ ٢٥١ ـ ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦١ ـ ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ـ ٢٧١ ـ ٢٧٢ ـ ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ـ ٢٧٦ ـ ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ـ ٢٨٠ ـ ٢٨١ ـ ٢٨٢ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ـ ٢٩١ ـ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ـ ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ـ ٣٠١ ـ ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ـ ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ـ ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ـ ٣١٠ ـ ٣١١ ـ ٣١٢ ـ ٣١٣ ـ ٣١٤ ـ ٣١٥ ـ ٣١٦ ـ ٣١٧ ـ ٣١٨ ـ ٣١٩ ـ ٣٢٠ ـ ٣٢١ ـ ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ـ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ـ ٣٣٠ ـ ٣٣١ ـ ٣٣٢ ـ ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ـ ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ـ ٣٣٨ ـ ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ـ ٣٤١ ـ ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ـ ٣٤٤ ـ ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ـ ٣٥٠ ـ ٣٥١ ـ ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ـ ٣٥٧ ـ ٣٥٨ ـ ٣٥٩ ـ ٣٦٠ ـ ٣٦١ ـ ٣٦٢ ـ ٣٦٣ ـ ٣٦٤ ـ ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ـ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ ـ ٣٧٠ ـ ٣٧١ ـ ٣٧٢ ـ ٣٧٣ ـ ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ـ ٣٧٧ ـ ٣٧٨ ـ ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ـ ٣٨١ ـ ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ـ ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ـ ٣٨٧ ـ ٣٨٨ ـ ٣٨٩ ـ ٣٩٠ ـ ٣٩١ ـ ٣٩٢ ـ ٣٩٣ ـ ٣٩٤ ـ ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ـ ٣٩٧ ـ ٣٩٨ ـ ٣٩٩ ـ ٤٠٠ ـ ٤٠١ ـ ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ ـ ٤٠٥ ـ ٤٠٦ ـ ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ـ ٤٠٩ ـ ٤١٠ ـ ٤١١ ـ ٤١٢ ـ ٤١٣ ـ ٤١٤ ـ ٤١٥ ـ ٤١٦ ـ ٤١٧ ـ ٤١٨ ـ ٤١٩ ـ ٤٢٠ ـ ٤٢١ ـ ٤٢٢ ـ ٤٢٣ ـ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ ـ ٤٢٦ ـ ٤٢٧ ـ ٤٢٨ ـ ٤٢٩ ـ ٤٣٠ ـ ٤٣١ ـ ٤٣٢ ـ ٤٣٣ ـ ٤٣٤ ـ ٤٣٥ ـ ٤٣٦ ـ ٤٣٧ ـ ٤٣٨ ـ ٤٣٩ ـ ٤٤٠ ـ ٤٤١ ـ ٤٤٢ ـ ٤٤٣ ـ ٤٤٤ ـ ٤٤٥ ـ ٤٤٦ ـ ٤٤٧ ـ ٤٤٨ ـ ٤٤٩ ـ ٤٥٠ ـ ٤٥١ ـ ٤٥٢ ـ ٤٥٣ ـ ٤٥٤ ـ ٤٥٥ ـ ٤٥٦ ـ ٤٥٧ ـ ٤٥٨ ـ ٤٥٩ ـ ٤٦٠ ـ ٤٦١ ـ ٤٦٢ ـ ٤٦٣ ـ ٤٦٤ ـ ٤٦٥ ـ ٤٦٦ ـ ٤٦٧ ـ ٤٦٨ ـ ٤٦٩ ـ ٤٧٠ ـ ٤٧١ ـ ٤٧٢ ـ ٤٧٣ ـ ٤٧٤ ـ ٤٧٥ ـ ٤٧٦ ـ ٤٧٧ ـ ٤٧٨ ـ ٤٧٩ ـ ٤٨٠ ـ ٤٨١ ـ ٤٨٢ ـ ٤٨٣ ـ ٤٨٤ ـ ٤٨٥ ـ ٤٨٦ ـ ٤٨٧ ـ ٤٨٨ ـ ٤٨٩ ـ ٤٩٠ ـ ٤٩١ ـ ٤٩٢ ـ ٤٩٣ ـ ٤٩٤ ـ ٤٩٥ ـ ٤٩٦ ـ ٤٩٧ ـ ٤٩٨ ـ ٤٩٩ ـ ٥٠٠ ـ ٥٠١ ـ ٥٠٢ ـ ٥٠٣ ـ ٥٠٤ ـ ٥٠٥ ـ ٥٠٦ ـ ٥٠٧ ـ ٥٠٨ ـ ٥٠٩ ـ ٥١٠ ـ ٥١١ ـ ٥١٢ ـ ٥١٣ ـ ٥١٤ ـ ٥١٥ ـ ٥١٦ ـ ٥١٧ ـ ٥١٨ ـ ٥١٩ ـ ٥٢٠ ـ ٥٢١ ـ ٥٢٢ ـ ٥٢٣ ـ ٥٢٤ ـ ٥٢٥ ـ ٥٢٦ ـ ٥٢٧ ـ ٥٢٨ ـ ٥٢٩ ـ ٥٣٠ ـ ٥٣١ ـ ٥٣٢ ـ ٥٣٣ ـ ٥٣٤ ـ ٥٣٥ ـ ٥٣٦ ـ ٥٣٧ ـ ٥٣٨ ـ ٥٣٩ ـ ٥٤٠ ـ ٥٤١ ـ ٥٤٢ ـ ٥٤٣ ـ ٥٤٤ ـ ٥٤٥ ـ ٥٤٦ ـ ٥٤٧ ـ ٥٤٨ ـ ٥٤٩ ـ ٥٥٠ ـ ٥٥١ ـ ٥٥٢ ـ ٥٥٣ ـ ٥٥٤ ـ ٥٥٥ ـ ٥٥٦ ـ ٥٥٧ ـ ٥٥٨ ـ ٥٥٩ ـ ٥٦٠ ـ ٥٦١ ـ ٥٦٢ ـ ٥٦٣ ـ ٥٦٤ ـ ٥٦٥ ـ ٥٦٦ ـ ٥٦٧ ـ ٥٦٨ ـ ٥٦٩ ـ ٥٧٠ ـ ٥٧١ ـ ٥٧٢ ـ ٥٧٣ ـ ٥٧٤ ـ ٥٧٥ ـ ٥٧٦ ـ ٥٧٧ ـ ٥٧٨ ـ ٥٧٩ ـ ٥٨٠ ـ ٥٨١ ـ ٥٨٢ ـ ٥٨٣ ـ ٥٨٤ ـ ٥٨٥ ـ ٥٨٦ ـ ٥٨٧ ـ ٥٨٨ ـ ٥٨٩ ـ ٥٩٠ ـ ٥٩١ ـ ٥٩٢ ـ ٥٩٣ ـ ٥٩٤ ـ ٥٩٥ ـ ٥٩٦ ـ ٥٩٧ ـ ٥٩٨ ـ ٥٩٩ ـ ٦٠٠ ـ ٦٠١ ـ ٦٠٢ ـ ٦٠٣ ـ ٦٠٤ ـ ٦٠٥ ـ ٦٠٦ ـ ٦٠٧ ـ ٦٠٨ ـ ٦٠٩ ـ ٦١٠ ـ ٦١١ ـ ٦١٢ ـ ٦١٣ ـ ٦١٤ ـ ٦١٥ ـ ٦١٦ ـ ٦١٧ ـ ٦١٨ ـ ٦١٩ ـ ٦٢٠ ـ ٦٢١ ـ ٦٢٢ ـ ٦٢٣ ـ ٦٢٤ ـ ٦٢٥ ـ ٦٢٦ ـ ٦٢٧ ـ ٦٢٨ ـ ٦٢٩ ـ ٦٣٠ ـ ٦٣١ ـ ٦٣٢ ـ ٦٣٣ ـ ٦٣٤ ـ ٦٣٥ ـ ٦٣٦ ـ ٦٣٧ ـ ٦٣٨ ـ ٦٣٩ ـ ٦٤٠ ـ ٦٤١ ـ ٦٤٢ ـ ٦٤٣ ـ ٦٤٤ ـ ٦٤٥ ـ ٦٤٦ ـ ٦٤٧ ـ ٦٤٨ ـ ٦٤٩ ـ ٦٥٠ ـ ٦٥١ ـ ٦٥٢ ـ ٦٥٣ ـ ٦٥٤ ـ ٦٥٥ ـ ٦٥٦ ـ ٦٥٧ ـ ٦٥٨ ـ ٦٥٩ ـ ٦٦٠ ـ ٦٦١ ـ ٦٦٢ ـ ٦٦٣ ـ ٦٦٤ ـ ٦٦٥ ـ ٦٦٦ ـ ٦٦٧ ـ ٦٦٨ ـ ٦٦٩ ـ ٦٧٠ ـ ٦٧١ ـ ٦٧٢ ـ ٦٧٣ ـ ٦٧٤ ـ ٦٧٥ ـ ٦٧٦ ـ ٦٧٧ ـ ٦٧٨ ـ ٦٧٩ ـ ٦٨٠ ـ ٦٨١ ـ ٦٨٢ ـ ٦٨٣ ـ ٦٨٤ ـ ٦٨٥ ـ ٦٨٦ ـ ٦٨٧ ـ ٦٨٨ ـ ٦٨٩ ـ ٦٩٠ ـ ٦٩١ ـ ٦٩٢ ـ ٦٩٣ ـ ٦٩٤ ـ ٦٩٥ ـ ٦٩٦ ـ ٦٩٧ ـ ٦٩٨ ـ ٦٩٩ ـ ٧٠٠ ـ ٧٠١ ـ ٧٠٢ ـ ٧٠٣ ـ ٧٠٤ ـ ٧٠٥ ـ ٧٠٦ ـ ٧٠٧ ـ ٧٠٨ ـ ٧٠٩ ـ ٧١٠ ـ ٧١١ ـ ٧١٢ ـ ٧١٣ ـ ٧١٤ ـ ٧١٥ ـ ٧١٦ ـ ٧١٧ ـ ٧١٨ ـ ٧١٩ ـ ٧٢٠ ـ ٧٢١ ـ ٧٢٢ ـ ٧٢٣ ـ ٧٢٤ ـ ٧٢٥ ـ ٧٢٦ ـ ٧٢٧ ـ ٧٢٨ ـ ٧٢٩ ـ ٧٣٠ ـ ٧٣١ ـ ٧٣٢ ـ ٧٣٣ ـ ٧٣٤ ـ ٧٣٥ ـ ٧٣٦ ـ ٧٣٧ ـ ٧٣٨ ـ ٧٣٩ ـ ٧٤٠ ـ ٧٤١ ـ ٧٤٢ ـ ٧٤٣ ـ ٧٤٤ ـ ٧٤٥ ـ ٧٤٦ ـ ٧٤٧ ـ ٧٤٨ ـ ٧٤٩ ـ ٧٥٠ ـ ٧٥١ ـ ٧٥٢ ـ ٧٥٣ ـ ٧٥٤ ـ ٧٥٥ ـ ٧٥٦ ـ ٧٥٧ ـ ٧٥٨ ـ ٧٥٩ ـ ٧٦٠ ـ ٧٦١ ـ ٧٦٢ ـ ٧٦٣ ـ ٧٦٤ ـ ٧٦٥ ـ ٧٦٦ ـ ٧٦٧ ـ ٧٦٨ ـ ٧٦٩ ـ ٧٧٠ ـ ٧٧١ ـ ٧٧٢ ـ ٧٧٣ ـ ٧٧٤ ـ ٧٧٥ ـ ٧٧٦ ـ ٧٧٧ ـ ٧٧٨ ـ ٧٧٩ ـ ٧٨٠ ـ ٧٨١ ـ ٧٨٢ ـ ٧٨٣ ـ ٧٨٤ ـ ٧٨٥ ـ ٧٨٦ ـ ٧٨٧ ـ ٧٨٨ ـ ٧٨٩ ـ ٧٩٠ ـ ٧٩١ ـ ٧٩٢ ـ ٧٩٣ ـ ٧٩٤ ـ ٧٩٥ ـ ٧٩٦ ـ ٧٩٧ ـ ٧٩٨ ـ ٧٩٩ ـ ٨٠٠ ـ ٨٠١ ـ ٨٠٢ ـ ٨٠٣ ـ ٨٠٤ ـ ٨٠٥ ـ ٨٠٦ ـ ٨٠٧ ـ ٨٠٨ ـ ٨٠٩ ـ ٨١٠ ـ ٨١١ ـ ٨١٢ ـ ٨١٣ ـ ٨١٤ ـ ٨١٥ ـ ٨١٦ ـ ٨١٧ ـ ٨١٨ ـ ٨١٩ ـ ٨٢٠ ـ ٨٢١ ـ ٨٢٢ ـ ٨٢٣ ـ ٨٢٤ ـ ٨٢٥ ـ ٨٢٦ ـ ٨٢٧ ـ ٨٢٨ ـ ٨٢٩ ـ ٨٣٠ ـ ٨٣١ ـ ٨٣٢ ـ ٨٣٣ ـ ٨٣٤ ـ ٨٣٥ ـ ٨٣٦ ـ ٨٣٧ ـ ٨٣٨ ـ ٨٣٩ ـ ٨٤٠ ـ ٨٤١ ـ ٨٤٢ ـ ٨٤٣ ـ ٨٤٤ ـ ٨٤٥ ـ ٨٤٦ ـ ٨٤٧ ـ ٨٤٨ ـ ٨٤٩ ـ ٨٥٠ ـ ٨٥١ ـ ٨٥٢ ـ ٨٥٣ ـ ٨٥٤ ـ ٨٥٥ ـ ٨٥٦ ـ ٨٥٧ ـ ٨٥٨ ـ ٨٥٩ ـ ٨٦٠ ـ ٨٦١ ـ ٨٦٢ ـ ٨٦٣ ـ ٨٦٤ ـ ٨٦٥ ـ ٨٦٦ ـ ٨٦٧ ـ ٨٦٨ ـ ٨٦٩ ـ ٨٧٠ ـ ٨٧١ ـ ٨٧٢ ـ ٨٧٣ ـ ٨٧٤ ـ ٨٧٥ ـ ٨٧٦ ـ ٨٧٧ ـ ٨٧٨ ـ ٨٧٩ ـ ٨٨٠ ـ ٨٨١ ـ ٨٨٢ ـ ٨٨٣ ـ ٨٨٤ ـ ٨٨٥ ـ ٨٨٦ ـ ٨٨٧ ـ ٨٨٨ ـ ٨٨٩ ـ ٨٩٠ ـ ٨٩١ ـ ٨٩٢ ـ ٨٩٣ ـ ٨٩٤ ـ ٨٩٥ ـ ٨٩٦ ـ ٨٩٧ ـ ٨٩٨ ـ ٨٩٩ ـ ٩٠٠ ـ ٩٠١ ـ ٩٠٢ ـ ٩٠٣ ـ ٩٠٤ ـ ٩٠٥ ـ ٩٠٦ ـ ٩٠٧ ـ ٩٠٨ ـ ٩٠٩ ـ ٩١٠ ـ ٩١١ ـ ٩١٢ ـ ٩١٣ ـ ٩١٤ ـ ٩١٥ ـ ٩١٦ ـ ٩١٧ ـ ٩١٨ ـ ٩١٩ ـ ٩٢٠ ـ ٩٢١ ـ ٩٢٢ ـ ٩٢٣ ـ ٩٢٤ ـ ٩٢٥ ـ ٩٢٦ ـ ٩٢٧ ـ ٩٢٨ ـ ٩٢٩ ـ ٩٣٠ ـ ٩٣١ ـ ٩٣٢ ـ ٩٣٣ ـ ٩٣٤ ـ ٩٣٥ ـ ٩٣٦ ـ ٩٣٧ ـ ٩٣٨ ـ ٩٣٩ ـ ٩٤٠ ـ ٩٤١ ـ ٩٤٢ ـ ٩٤٣ ـ ٩٤٤ ـ ٩٤٥ ـ ٩٤٦ ـ ٩٤٧ ـ ٩٤٨ ـ ٩٤٩ ـ ٩٥٠ ـ ٩٥١ ـ ٩٥٢ ـ ٩٥٣ ـ ٩٥٤ ـ ٩٥٥ ـ ٩٥٦ ـ ٩٥٧ ـ ٩٥٨ ـ ٩٥٩ ـ ٩٦٠ ـ ٩٦١ ـ ٩٦٢ ـ ٩٦٣ ـ ٩٦٤ ـ ٩٦٥ ـ ٩٦٦ ـ ٩٦٧ ـ ٩٦٨ ـ ٩٦٩ ـ ٩٧٠ ـ ٩٧١ ـ ٩٧٢ ـ ٩٧٣ ـ ٩٧٤ ـ ٩٧٥ ـ ٩٧٦ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨ ـ ٩٧٩ ـ ٩٨٠ ـ ٩٨١ ـ ٩٨٢ ـ ٩٨٣ ـ ٩٨٤ ـ ٩٨٥ ـ ٩٨٦ ـ ٩٨٧ ـ ٩٨٨ ـ ٩٨٩ ـ ٩٩٠ ـ ٩٩١ ـ ٩٩٢ ـ ٩٩٣ ـ ٩٩٤ ـ ٩٩٥ ـ ٩٩٦ ـ ٩٩٧ ـ ٩٩٨ ـ ٩٩٩ ـ ١٠٠٠

(٢) فى عيون الأخبار ١ ـ ٢٢ ـ ٣٥ ـ ٣ ـ ٢٠٥ ـ ٤ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ ٢١٠ ـ ٢١١ ـ ٢١٢ ـ ٢١٣ ـ ٢١٤ ـ ٢١٥ ـ ٢١٦ ـ ٢١٧ ـ ٢١٨ ـ ٢١٩ ـ ٢٢٠ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ـ ٢٣١ ـ ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ـ ٢٤١ ـ ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ـ ٢٥١ ـ ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦١ ـ ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ـ ٢٧١ ـ ٢٧٢ ـ ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ـ ٢٧٦ ـ ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ـ ٢٨٠ ـ ٢٨١ ـ ٢٨٢ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ـ ٢٩١ ـ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ـ ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ـ ٣٠١ ـ ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ـ ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ـ ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ـ ٣١٠ ـ ٣١١ ـ ٣١٢ ـ ٣١٣ ـ ٣١٤ ـ ٣١٥ ـ ٣١٦ ـ ٣١٧ ـ ٣١٨ ـ ٣١٩ ـ ٣٢٠ ـ ٣٢١ ـ ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ـ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ـ ٣٣٠ ـ ٣٣١ ـ ٣٣٢ ـ ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ـ ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ـ ٣٣٨ ـ ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ـ ٣٤١ ـ ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ـ ٣٤٤ ـ ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ـ ٣٥٠ ـ ٣٥١ ـ ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ـ ٣٥٧ ـ ٣٥٨ ـ ٣٥٩ ـ ٣٦٠ ـ ٣٦١ ـ ٣٦٢ ـ ٣٦٣ ـ ٣٦٤ ـ ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ـ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ ـ ٣٧٠ ـ ٣٧١ ـ ٣٧٢ ـ ٣٧٣ ـ ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ـ ٣٧٧ ـ ٣٧٨ ـ ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ـ ٣٨١ ـ ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ـ ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ـ ٣٨٧ ـ ٣٨٨ ـ ٣٨٩ ـ ٣٩٠ ـ ٣٩١ ـ ٣٩٢ ـ ٣٩٣ ـ ٣٩٤ ـ ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ـ ٣٩٧ ـ ٣٩٨ ـ ٣٩٩ ـ ٤٠٠ ـ ٤٠١ ـ ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ ـ ٤٠٥ ـ ٤٠٦ ـ ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ـ ٤٠٩ ـ ٤١٠ ـ ٤١١ ـ ٤١٢ ـ ٤١٣ ـ ٤١٤ ـ ٤١٥ ـ ٤١٦ ـ ٤١٧ ـ ٤١٨ ـ ٤١٩ ـ ٤٢٠ ـ ٤٢١ ـ ٤٢٢ ـ ٤٢٣ ـ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ ـ ٤٢٦ ـ ٤٢٧ ـ ٤٢٨ ـ ٤٢٩ ـ ٤٣٠ ـ ٤٣١ ـ ٤٣٢ ـ ٤٣٣ ـ ٤٣٤ ـ ٤٣٥ ـ ٤٣٦ ـ ٤٣٧ ـ ٤٣٨ ـ ٤٣٩ ـ ٤٤٠ ـ ٤٤١ ـ ٤٤٢ ـ ٤٤٣ ـ ٤٤٤ ـ ٤٤٥ ـ ٤٤٦ ـ ٤٤٧ ـ ٤٤٨ ـ ٤٤٩ ـ ٤٥٠ ـ ٤٥١ ـ ٤٥٢ ـ ٤٥٣ ـ ٤٥٤ ـ ٤٥٥ ـ ٤٥٦ ـ ٤٥٧ ـ ٤٥٨ ـ ٤٥٩ ـ ٤٦٠ ـ ٤٦١ ـ ٤٦٢ ـ ٤٦٣ ـ ٤٦٤ ـ ٤٦٥ ـ ٤٦٦ ـ ٤٦٧ ـ ٤٦٨ ـ ٤٦٩ ـ ٤٧٠ ـ ٤٧١ ـ ٤٧٢ ـ ٤٧٣ ـ ٤٧٤ ـ ٤٧٥ ـ ٤٧٦ ـ ٤٧٧ ـ ٤٧٨ ـ ٤٧٩ ـ ٤٨٠ ـ ٤٨١ ـ ٤٨٢ ـ ٤٨٣ ـ ٤٨٤ ـ ٤٨٥ ـ ٤٨٦ ـ ٤٨٧ ـ ٤٨٨ ـ ٤٨٩ ـ ٤٩٠ ـ ٤٩١ ـ ٤٩٢ ـ ٤٩٣ ـ ٤٩٤ ـ ٤٩٥ ـ ٤٩٦ ـ ٤٩٧ ـ ٤٩٨ ـ ٤٩٩ ـ ٥٠٠ ـ ٥٠١ ـ ٥٠٢ ـ ٥٠٣ ـ ٥٠٤ ـ ٥٠٥ ـ ٥٠٦ ـ ٥٠٧ ـ ٥٠٨ ـ ٥٠٩ ـ ٥١٠ ـ ٥١١ ـ ٥١٢ ـ ٥١٣ ـ ٥١٤ ـ ٥١٥ ـ ٥١٦ ـ ٥١٧ ـ ٥١٨ ـ ٥١٩ ـ ٥٢٠ ـ ٥٢١ ـ ٥٢٢ ـ ٥٢٣ ـ ٥٢٤ ـ ٥٢٥ ـ ٥٢٦ ـ ٥٢٧ ـ ٥٢٨ ـ ٥٢٩ ـ ٥٣٠ ـ ٥٣١ ـ ٥٣٢ ـ ٥٣٣ ـ ٥٣٤ ـ ٥٣٥ ـ ٥٣٦ ـ ٥٣٧ ـ ٥٣٨ ـ ٥٣٩ ـ ٥٤٠ ـ ٥٤١ ـ ٥٤٢ ـ ٥٤٣ ـ ٥٤٤ ـ ٥٤٥ ـ ٥٤٦ ـ ٥٤٧ ـ ٥٤٨ ـ ٥٤٩ ـ ٥٥٠ ـ ٥٥١ ـ ٥٥٢ ـ ٥٥٣ ـ ٥٥٤ ـ ٥٥٥ ـ ٥٥٦ ـ ٥٥٧ ـ ٥٥٨ ـ ٥٥٩ ـ ٥٦٠ ـ ٥٦١ ـ ٥٦٢ ـ ٥٦٣ ـ ٥٦٤ ـ ٥٦٥ ـ ٥٦٦ ـ ٥٦٧ ـ ٥٦٨ ـ ٥٦٩ ـ ٥٧٠ ـ ٥٧١ ـ ٥٧٢ ـ ٥٧٣ ـ ٥٧٤ ـ ٥٧٥ ـ ٥٧٦ ـ ٥٧٧ ـ ٥٧٨ ـ ٥٧٩ ـ ٥٨٠ ـ ٥٨١ ـ ٥٨٢ ـ ٥٨٣ ـ ٥٨٤ ـ ٥٨٥ ـ ٥٨٦ ـ ٥٨٧ ـ ٥٨٨ ـ ٥٨٩ ـ ٥٩٠ ـ ٥٩١ ـ ٥٩٢ ـ ٥٩٣ ـ ٥٩٤ ـ ٥٩٥ ـ ٥٩٦ ـ ٥٩٧ ـ ٥٩٨ ـ ٥٩٩ ـ ٦٠٠ ـ ٦٠١ ـ ٦٠٢ ـ ٦٠٣ ـ ٦٠٤ ـ ٦٠٥ ـ ٦٠٦ ـ ٦٠٧ ـ ٦٠٨ ـ ٦٠٩ ـ ٦١٠ ـ ٦١١ ـ ٦١٢ ـ ٦١٣ ـ ٦١٤ ـ ٦١٥ ـ ٦١٦ ـ ٦١٧ ـ ٦١٨ ـ ٦١٩ ـ ٦٢٠ ـ ٦٢١ ـ ٦٢٢ ـ ٦٢٣ ـ ٦٢٤ ـ ٦٢٥ ـ ٦٢٦ ـ ٦٢٧ ـ ٦٢٨ ـ ٦٢٩ ـ ٦٣٠ ـ ٦٣١ ـ ٦٣٢ ـ ٦٣٣ ـ ٦٣٤ ـ ٦٣٥ ـ ٦٣٦ ـ ٦٣٧ ـ ٦٣٨ ـ ٦٣٩ ـ ٦٤٠ ـ ٦٤١ ـ ٦٤٢ ـ ٦٤٣ ـ ٦٤٤ ـ ٦٤٥ ـ ٦٤٦ ـ ٦٤٧ ـ ٦٤٨ ـ ٦٤٩ ـ ٦٥٠ ـ ٦٥١ ـ ٦٥٢ ـ ٦٥٣ ـ ٦٥٤ ـ ٦٥٥ ـ ٦٥٦ ـ ٦٥٧ ـ ٦٥٨ ـ ٦٥٩ ـ ٦٦٠ ـ ٦٦١ ـ ٦٦٢ ـ ٦٦٣ ـ ٦٦٤ ـ ٦٦٥ ـ ٦٦٦ ـ ٦٦٧ ـ ٦٦٨ ـ ٦٦٩ ـ ٦٧٠ ـ ٦٧١ ـ ٦٧٢ ـ ٦٧٣ ـ ٦٧٤ ـ ٦٧٥ ـ ٦٧٦ ـ ٦٧٧ ـ ٦٧٨ ـ ٦٧٩ ـ ٦٨٠ ـ ٦٨١ ـ ٦٨٢ ـ ٦٨٣ ـ ٦٨٤ ـ ٦٨٥ ـ ٦٨٦ ـ ٦٨٧ ـ ٦٨٨ ـ ٦٨٩ ـ ٦٩٠ ـ ٦٩١ ـ ٦٩٢ ـ ٦٩٣ ـ ٦٩٤ ـ ٦٩٥ ـ ٦٩٦ ـ ٦٩٧ ـ ٦٩٨ ـ ٦٩٩ ـ ٧٠٠ ـ ٧٠١ ـ ٧٠٢ ـ ٧٠٣ ـ ٧٠٤ ـ ٧٠٥ ـ ٧٠٦ ـ ٧٠٧ ـ ٧٠٨ ـ ٧٠٩ ـ ٧١٠ ـ ٧١١ ـ ٧١٢ ـ ٧١٣ ـ ٧١٤ ـ ٧١٥ ـ ٧١٦ ـ ٧١٧ ـ ٧١٨ ـ ٧١٩ ـ ٧٢٠ ـ ٧٢١ ـ ٧٢٢ ـ ٧٢٣ ـ ٧٢٤ ـ ٧٢٥ ـ ٧٢٦ ـ ٧٢٧ ـ ٧٢٨ ـ ٧٢٩ ـ ٧٣٠ ـ ٧٣١ ـ ٧٣٢ ـ ٧٣٣ ـ ٧٣٤ ـ ٧٣٥ ـ ٧٣٦ ـ ٧٣٧ ـ ٧٣٨ ـ ٧٣٩ ـ ٧٤٠ ـ ٧٤١ ـ ٧٤٢ ـ ٧٤٣ ـ ٧٤٤ ـ ٧٤٥ ـ ٧٤٦ ـ ٧٤٧ ـ ٧٤٨ ـ ٧٤٩ ـ ٧٥٠ ـ ٧٥١ ـ ٧٥٢ ـ ٧٥٣ ـ ٧٥٤ ـ ٧٥٥ ـ ٧٥٦ ـ ٧٥٧ ـ ٧٥٨ ـ ٧٥٩ ـ ٧٦٠ ـ ٧٦١ ـ ٧٦٢ ـ ٧٦٣ ـ ٧٦٤ ـ ٧٦٥ ـ ٧٦٦ ـ ٧٦٧ ـ ٧٦٨ ـ ٧٦٩ ـ ٧٧٠ ـ ٧٧١ ـ ٧٧٢ ـ ٧٧٣ ـ ٧٧٤ ـ ٧٧٥ ـ ٧٧٦ ـ ٧٧٧ ـ ٧٧٨ ـ ٧٧٩ ـ ٧٨٠ ـ ٧٨١ ـ ٧٨٢ ـ ٧٨٣ ـ ٧٨٤ ـ ٧٨٥ ـ ٧٨٦ ـ ٧٨٧ ـ ٧٨٨ ـ ٧٨٩ ـ ٧٩٠ ـ ٧٩١ ـ ٧٩٢ ـ ٧٩٣ ـ ٧٩٤ ـ ٧٩٥ ـ ٧٩٦ ـ ٧٩٧ ـ ٧٩٨ ـ ٧٩٩ ـ ٨٠٠ ـ ٨٠١ ـ ٨٠٢ ـ ٨٠٣ ـ ٨٠٤ ـ ٨٠٥ ـ ٨٠٦ ـ ٨٠٧ ـ ٨٠٨ ـ ٨٠٩ ـ

ولما كان من أسلوب تصحيح هذا الكتاب ، أن يُعارَض بعضه ببعض . وأن يقارَنَ بين نصوصه المتشابهة — وذلك يقتضى الإشارةَ إلى صفحاتٍ من أجزاء قد تتلو الجزء الذى يطبع ، فقد رأيتُ أن أثبت على جوانب طبعتنا هذه ، أرقامَ صفحات الطبعة الأولى . كما أن لذلك مزيّةً ثانية ، هى تمكين القارئ من الانتفاع بكل الإشارات ، التى يشاركها فى الكتب المختلفة إلى مواضع خاصّة من هذا الكتاب .

٥ — أسقاط الكتاب

وقد وضعتُ أسقاطَ الكتاب بين إشارات الزيادة : [ ] ، ونبّهت فى كل منها على مصدر التكميل . أما ماورد من هذه الإشارات مهملاً من التنبيه فهو ما كان من أجود نسخة من نسخ الكتاب : وهى مصورة « كوبريلى » المرموز إليها برمز « ل » وقد انفردت هذه النسخة بإثبات سقط كبير وقع فى جميع النسخ (١) .

٦ — النسخ المعتمدة فى هذه المطبوعة

هذه المطبوعة الحديثة من كتاب الحيوان نتاج مابين المطبوعة الأولى وعدة نسخ مختلفة ، بعضها مخطوط ، وبعضها مصور .

١ — فأوّل تلك النسخ ، هى المصورة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٢٨٥ ، وأصلها فى مكتبة كوبريلى . وهذه النسخة جيِّدة مقروءة، وعلى صدرها تاريخ يرجع إلى سنة تسع وخمسين وثمانمائة . والموجود منها أربع

(١) انظر لذلك الجزء الأول من الحيوان ٩٧ — ١٠٦ .

Marfat.com

مجلدات، هى الأول والثالث والخامس والسابع . وقد رمزت إليها فى التحقيق بالرمز « ل » .

٢ — وثانيها النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٩ ش وهى نسخة كاملة فى مجلَّدين ، مكتوبة بخطوط مختلفة ، وهى فى جودتها تتلو سابقتها . وقد رمزت إليها بالرمز « ش » .

٣ وثالثها النسخة الخطية التى تحمل رقم ٥٦ ، فى دار الكتب المصرية ، وتبتدئ بأول الكتاب وتنتهى بالصفحة الثمانين من الجزء الثانى من النسخة المطبوعة . وكتب فى صدرها : « مشترى من قومسيون حصر الأملاك بالضبطية فى ٢٣ يونية سنة ٨٨٣ وقد رمزت إليها بالرمز م .

٤ — ورابعها النسخة المخطوطة المحفوظة برقم ١٠ ش بدار الكتب المصرية . خطّها محمد جاد القماش الأشمونى سنة ألف وثمانمائة وخمسة . وهى فى بدئها وانتهائها مثل سابقتها وقد رمزت إليها برمز « ١٠ ش » .

٥ — وخامسها النسخة الليثوغرافية . برقم ٤٥ طبيعيات . كتب على صدرها :

مشترى من تركة المرحوم عبد الحميد بك دقيق مصر كان سنة ١٢١٠ وصار فى ملك سعادتلو أفندى حسن باشا سرى يكن زاده دامت معاليه واستمرت مساعيه . طالعه كاتبه الفقير على نبق خادم الإمام . وفيه وفيه فليتأمل قارئه . وفى نهايتها : « برسم كتبية العبد الحقير محمد بن حسن ابن أبى نوفل الطرابلسى الكاتب شفع له من الشافعى الفقير فى سنة ١٢١٠ هجرية » ثم النقل بالشراء لشرعى إلى دست خضرة الأستاذ على نبق وهذه النسخة مثل سابقتها فى البداءة والانتهاء وعدد صفحاتها صرحت باسمها .

Marfat.com

٦ — والسادسة النسخة المطبوعة فى المطبعة الحميدية، ثم مطبعة التقدم من سنة ١٣٢٣ إلى سنة ١٣٢٥ . وقد قام بطبعها الوراق المعروف المرحوم « محمد ساسى » . وهى فى سبعة أجزاء . ولم يمكنى الاهتداء إلى معرفة الأصول التى طبعت عنها . ولـكن يظهر مما أثبت فى أسفل صفحاتها من تعليقات أنها طبعت من عدة نسخ خطية ؛ فقد ورد فى أسفل (٢ : ٥) عبارة : « كما فى النسخ التى بأيدينا » وقد رمزت إلى هذه النسخة بالرمز « ط » .

٧ — مخطوطة مكتبة امبروزيانا رقم ١٤٠ R,F, D . وهى تحتوى على ٨٧ ورقة وبها تاريخ تمليك يرجع إلى سنة ١٠٢٤ وقد قام أوسكار لوفجرين وكارل جون لابوم بجامعة أبسالا سنة ١٩٤٦ بنشر ٢٤ صفحة ، من هذه الصفحات . ووقعت إلى نسخة من ذلك المنشور المصوّر . وراجعت عليه مايقابله من نصوص .

٧ — تيسير الانتفاع بالكتاب

لقد عنيت جمهرة المستشرقين عناية خاصة بوضع الفهارس لما ينشرون من كتب العرب . وابتدعوا ذلك ابتداعاً ، فلهم فضل السبق .

ولا ريب أن الفهارس للـكتب العربية ، ولا سيّما القديم منها ، هى بمكان الحيا للأرض الطيبة . به تؤتى نفعها وثمرها . وبخاصّةٍ فى هذا العصر ، الذى أصبح الوقت فيه نهباً مقسما بين مطالب المدنية وتعقيدات الحضارة . فلا يبقى لراغب العلم فيه والثقافة ، إلا اليسير من زمنه ، ليفرغ فيه لما نصب نفسه له . فأصبح بذلك فى حاجةٍ ملحّة إلى مايمكّنه من تحصيل الـكثير فى اليسير من الزمن ، وإلى مايدلل له الاضطلاع بالبحث الطويل الدقيق فى الوجيز من الوقت .

لذلك ولما تضمنه هذا الـكتاب من غزارة خير ، ووفارة فضل ، أنشأت طائفة من الفهارس لجملة الـكتاب هى كما ترى :

Marfat.com

١ – فهرس تفصيلي لأجناس الحيوان .

٢ – فهرس لأعلام الحيوان .

٣ – فهرس لأعلام الناس .

٤ – فهرس للقبائل والطوائف ونحوها .

٥ – فهرس للبلدان والأماكن ونحوها .

٦ – فهرس للأمثال .

٧ – فهرس للشعر .

٨ – فهرس للأرجاز .

٩ – فهرس للغة .

١٠ – فهرس للكتب .

١١ – فهرس لأيام العرب .

١٢ – فهرس للمعارف العامة .

وقد أفردت لها مجلداً كبيراً . يلحق بالكتاب في نهايته إن شاء الله وآثرت ذلك ابتعاداً عن التكرار والإعادة .

والفهرس الأخير منها . وهو فهرس المعارف . قد قسمته على أجزاء الكتاب . فجعلت لكل جزء نصيبا منه . كي يمكن القارئ من متابعة الانتفاع بالكتاب إلى أن يتم نشره . ثم أتم أطرافه فأجعل منها فهرساً واحداً .

وسيجد القارئ في نهاية كل جزء [illegible]

خريف . وقتاب [illegible]

والأصفق منها .

Marfat.com

* * *

وبعد ، فأقولها صريحةً بيّنة : أنْ ليس يوجد فى عصرنا هذا من يستطيع أن يخرجَ هذا الكتاب الذى أخرجتُه ، مبرّأً من العيب ، سليمًا من التحريف ؛ فهذا عصر قد انقطعت دونه الرواية ، وأوصد أمامه بعض أبواب العلم ، واختفى عن النّاس فيه كثيرٌ من أعلام الثقافة العربية فى عصرها الأوّل .

أقول : ليس يُوجَد الفرد ، وأقول : ليست توجد الجماعة . ولست هنا بسبيل التمثيل بفرد أو جماعة ، فذلك يعرفه من نظر فيما يُحيى الناشرون من أثر الأسلاف .

وأمَّا أنا فلستُ بمكان من يدَّعى العصمة ، أو يَخال السلامة ، فليس يكون ذلك إلاّ لمن ذهب عن نفسه ، وتعلق بالباطل .

ولكنّنى يعجبنى أنِّى بذلتُ فيه غاية الجهد ، وأنى التزمتُ جانبَ الأمانة ، فلم أُسقط حرفاً ولم أزِدْ حرفاً ، إلا استأذنت القارئ ، ولا أبدلت حرفاً بآخر إلا نبَّهت القارئ إلى ماصنعت .

وجعلت من دأبى فى الشرح والتحقيق أن أشير إلى المصادر دالاًّ على مواضع النصوص منها ، بذكر أرقامها ؛ ليطمئنّ القارئ ، وليكون شريكاً فى النَّظر والتأمُّل .

وعسى أن أكون قد أصبت فى عملى هذا بعض التوفيق ، وظهرتُ على كثير من الحقّ .

Marfat.com

ومن الله أستمدّ العون فى هـذا العمل ، الذى أستهِمُ به فى بعث الآثار الفكرية ، الخالدة على الدهر ، وفى خدمة هـذه اللغة الكريمة القوية .

وأدعو اللهَ جاهداً ، أن أكون أبداً فى طريق الإخلاص ، وعلى نهج الحقّ والإنصاف .

منشية البكرى
فى يوم الاثنين ١٠ من رجب سنة ١٣٥٧

عبد السلام محمد هارون

Marfat.com

Marfat.com

تقديم الطبعة الثانية

لم أكن أتوقع عند ظهور الطبعة الأولى أن عملى هذا سيلقى تقديرا ، فقد كنت أهونَ على نفسى فى مقام العلم وجلاله، أن يسوقنى هذا العمل إلى أن أغترّ أو أُخدَع عن قدرى كما يغترّ بعض الناس أو يُخدع . ومن نعمة الله علىّ — وله الفضل — أننى وقد علتْ بى السنُّ لاأزال ، كما كنت فى صدر الشباب . أسخر ممن يضعون أنفسهم فوق أقدارهم، ولا أزال أشعر فى صدقٍ بما يشعر به طالب العلم من حاجةٍ إلى الاستزادة . ومن الرجوع إلى الحق حيثما يلمع نوره . ومن الاعتراف بالفضل لمن أفاد علماً أو علّم حرفاً .

وقد دأبت منذ ظهور الجزء الأول من الطبعة الأولى — وذلك نحو من سبع وعشرين عاما — أن أراجع بين الفينة والأخرى نصوص الكتاب وما يتضمن من أجزائه . وأعنى بتنقيحه وإصلاح مايبدو فيه من هنات .

وأتاحت لى فرصة إخراجى وتحقيق الكثير من كتب التراث العربىّ أن تظهر فى أثناء ذلك تصحيحات وتعليقات كنت أدوّنها على حواشى نسختى انتظارا لليوم الذى أتمكن فيه من إعادة طبع هذه الطبعة المصححة .

وكنت قد اعتمدت فى إخراج الطبعة الأولى على ست نسخ خطية منها فى تقديم النشرة الأولى [1] . أما النسخة فهى نسخة [illegible]

(١) ص ٣٥ - ٣٦ .

Marfat.com

الأزهرية تحت رقم (٤٨٤ أباظة) . وقد كنت عارضت بها ابتداء من الجزء الرابع ورمزت لها بالرمز (هـ) كما أشرت إلى ذلك فى ملحقات الجزء الرابع من النشرة الأولى بالصفحة ٥٢٢ . وهى نسخة حديثة فى ثلاث مجلدات بقلم النسخ بخط محمد بن عبدالله الزمرانى سنة ١٣١١ . وقد انتفعت بما فيها من تصحيحات توافق كثيراً مما أجده فى نسخة الشنقيطى مع خلاف يسير جدا . وذلك ابتداء من الجزء الرابع إلى نهاية الكتاب . وكنت أتمنى أن أتمكن من إتمام معارضة هذه النسخة ابتداء من الجزء الأول إلى الثالث ، ولكن لم أجد ذلك فى الإمكان لصعوبة تصوير المخطوطات فى هـذه الفترة من إخراج الطبعة الثانية ، ولأنى لاأومن بأن يكل المحقق إلى غيره معارضة المخطوطات ، وكنت فيما قبلُ أنتقل بنفسى إلى مواضع المخطوطات لمعارضتها .

ومنذ ثمانى سنوات عثرت على نسخة سابعة ، هى ٢٤ صفحة مصورة عن مخطوطة من الحيوان محفوظة فى مكتبة الأمبروزيانا ، بميلانو فى إيطاليا برقم R.P.D ١٤٠ وقام بنشر هذه الصفحات مصورة كل من الأستاذين أوسكار لوفجرين وكارل جون لابوم فى نشريات جامعة أبسالا سنة ١٩٤٦ فعارضت بتلك الصفحات المصورة مايقابلها من الجزأين الأول والثانى من هذا الحيوان وكانت معارضة غير كاملة لأنى كنت أتوقع أن أتمكن من العثور على صورة المخطوطة كاملة فيما بعد . وقد ظهرت آثار تلك المعارضة فى بعض صفحات هذه النشرة من الجزء الأول (١) .

ولم أعلم بأن معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية قد اجتلب صورة تلك المخطوطة كاملة إلا بعد الفراغ من طبع هذا الجزء ، فرجعت إلى تلك

---

(١) انظر ص ٣٢ ، ٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٨٧ .

Marfat.com

المصورة التى وجدت أنها تشمل ٨٨ لوحا وهى مختلّة الترتيب اختلالا بيّناً، وحاولت أن أعيدها سيرتها الأولى ، وبعد لأى شديد واستعانة عريضة بالفهارس الفنية التى وضعتها لكتاب الحيوان استطعت ترتيبها والاستفادة منها استفادة كاملة فى المعارضة . وقد أذن لى معهد المخطوطات فى إجراء ذلك الترتيب العلمى فأصلحت وضع النسخة بعد أن بينت على كل جزء من أجزاء الألواح ما كان عليه قبل الترتيب وما صار إليه بعد الترتيب .

والمصورة كما ذكرت فى ٨٨ لوحا تمثل ٨٧ ورقة من أصلها المخطوط اختلطت فيها أوراق من الجزء الأول بأوراق من الجزء الثانى. وتاريخ تمليكها سنة ١٢٠٤ وتجليدها سنة ١٠٢٥ وقد كتبت بخط قديم يرجع إلى القرن السابع الهجرى ، وهى دقيقة الضبط وإن كان بها بعض التحريف والنقص. وبالصفحة ١٧ سطرا ماعـدا الصفحات التى تظهر فيها بعض صور الإنسان والحيوان والنبات الذى يرد له ذكر فى الكتاب . ومنها صور بعض علاقات الجنس . وتبدو فى تلك الصور جميعا سمة الفن الفارسى .

وقد أجريت معارضة هذه النسخة فيما يخص هذا الجزء الأول وأثبتها مع دراسة وتحقيق فى أواخر هذا الجزء الأول .

أما معارضة ماعثرت عليه من نصوص الجزء الثانى فقد احتل مكانه الطبيعى بين نصوص وحواشى ذلك الجزء وقد رمزت لها بالرمز ب .

وإليك بيانين :

أحدهما لوضع الذى كانت عليه النسخة المصورة قبل ترتيبها وهو [illegible] القائم الآن بمخطوطة الأمبروزيانا فى ميلانو .

والآخر لوضع الصحيح الذى ملخص [illegible] إلى نصابها .

Marfat.com

١ — الترتيب الذى عليه مخطوطة الأمبروزيانا

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات	رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
	١ — قطعة من الجزء الأول	١٢ ا	٢٠١ : ٩ — ٢٠٣ : ١
١ ب	٢٢٢ : ٢ — ٢٢٣ : ١	١٢ ب	٢٠٣ . ١ — ٢٠٤ : ٤
٢ ا	٢٢٣ : ١ — ٢٢٤ : ٥	١٣ ا	٢٠٤ : ٤ — ٢٠٥ : ٨
٢ ب	٢٢٤ : ٦ — ٢٢٥ : ١٢	١٣ ب	٢٠٥ : ٨ — ٢٠٦ : ١٣
٣ ا	٢٢٥ : ١٢ — ٢٢٧ : ٣	١٤ ا	٢٠٦ : ١٣ — ٢٠٨ : ٣
٣ ب	٢٢٧ : ٣ — ٢٢٨ : ٦	١٤ ب	٢٠٨ : ٣ — ٢٠٩ : ٧
٤	٢٢٨ : ٦ — ٢٢٩ : ١١	١٥ ا	٢٠٩ : ٧ — ٢١٠ : ١٠
٤ ب	٢٢٩ : ١١ — ٢٣٠ : ٦	١٥ ب	١٨٩ : ١٦ — ١٩١ : ٧
٥ ا	٢٣٠ : ٧ — ٢٣١ : ١١	١٦ ا	١٩١ : ٧ — ١٩٢ : ١٢
٥ ب	٢٣١ : ١١ — ٢٣٢ : ١٠	١٦ ب	١٦٧ : ٣ — ١٦٨ : ٤
٦ ا	٢٣٢ : ١٠ — ٢٣٣ : ١٧	١٧ ا	١٦٨ : ٤ — ١٦٩ : ٢
٦ ب	٢٣٣ : ١٧ — ٢٣٥ : ٣	١٧ ب	١٦٩ : ٥ — ١٧٠ : ١١
٧ ا	٢٣٥ : ٣ — ٢٣٦ : ٢	١٨ ا	١٧٠ : ١١ — ١٧٢ : ٢
٧ ب	١٩٢ : ١٢ — ١٩٣ : ١٠	١٨ ب	١٧٢ : ٤ — ١٧٢ : ١٥
٨ ا	١٩٣ : ١٠ — ٢٩٤ : ١٢	١٩ ا	١٧٢ : ١٥ — ١٧٤ : ٢
٨ ب	١٩٤ : ١٢ — ١٩٥ : ٤	١٩ ب	١٧٤ : ٢ — ١٧٥ : ٧
٩ ا	١٩٥ : ٤ — ١٩٦ : ٩	٢٠ ا	١٧٥ : ٨ — ١٧٦ : ١
٩ ب	١٩٦ : ٩ — ١٩٧ : ٣	٢٠ ب	١٧٦ : ٢ — ١٧٧ : ٧
١٠ ا	١٩٧ : ٣ — ١٩٨ : ٦	٢١ ا	١٧٧ : ٧ — ١٧٧ : ١٢
١٠ ب	١٩٨ : ٧ — ١٩٩ : ٣	٢١ ب	١٧٧ : ١٣ — ١٧٩ : ٦
١١ ا	١٩٩ : ٤ — ٢٠٠ : ٧	٢٢ ا	١٧٩ : ٦ — ١٨٠ : ١٣
١١ ب	٢٠٠ : ٧ — ٢٠١ : ٩	٢٢ ب	١٨٠ : ١٣ — ١٨٢ : ٦

Marfat.com

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
٢٣ ا	١٨٢ : ٧ — ١٨٣ : ٢
٢٣ ب	١٨٣ : ٣ — ١٨٤ : ٢
٢٤ ا	١٨٤ : ٢ — ١٨٤ : ١٦
٢٤ ب	١٨٤ : ١٦ — ١٨٦ : ٦
٢٥ ا	١٨٦ : ٧ — ١٨٧ : ٩
٢٥ ب	١٨٧ : ١٠ — ١٨٨ : ٨
٢٦ ا	١٨٨ : ٨ — ١٨٩ : ١٥
٢٦ ب	١٤٢ : ١٤ — ١٤٣ : ٤
٢٧ ا	١٤٣ : ٤ — ١٤٤ : ٤
٢٧ ب	١٤٤ : ٤ — ١٤٥ : ١١
٢٨ ا	١٤٥ : ١٢ — ١٤٧ : ٢
٢٨ ب	١٤٧ : ٢ — ١٤٨ : ٧
٢٩ ا	١٤٨ : ٨ — ١٤٩ : ٤
٢٩ ب	١٤٩ : ٤ — ١٤٩ : ١٢
٣٠ ا	١٤٩ : ١٢ — ١٥١ : ٢
٣٠ ب	١٥١ : ٢ — ١٥٢ : ٧
٣١ ا	١٥٢ : ٩ — ١٥٤ : ١
٣١ ب	١٥٤ : ١ — ١٥٥ : ٦
٣٢ ا	١٥٥ : ٧ — ١٥٧ : ٢
٣٢ ب	١٥٧ : ٢ — ١٥٨ : ٨
٣٣ ا	١٥٨ : ٨ — ١٥٩ : ١٦
٣٣ ب	١٥٩ : ١٦ — ١٦١ : ٤
٣٤ ا	١٦١ : ٤ — ١٦٢ : ٩
٣٤ ب	١٦٢ : ٩ — ١٦٣ : ١٦
٣٥ ا	١٦٣ : ١٦ — ١٦٤ : ١٦

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
٣٥ ب	١٦٤ : ١٧ — ١٦٥ : ١٨
٣٦ ا	١٦٥ : ١٨ — ١٦٧ : ٣
٣٦ ب	١٢١ : ٧ — ١٢٢ : ٤
٣٧ ا	١٢٢ : ٤ — ١٢٦ : ١٠
٣٧ ب	١٢٦ : ٨ — ١٢٧ : ٨
٣٨ ا	١٢٧ : ٨ — ١٢٨ : ١٠
٣٨ ب	١٢٣ : ١٠ — ١٢٥ : ٢
٣٩ ا	١٢٥ : ٢ — ١٢٦ : ٨
٣٩ ب	١٢٨ : ١٠ — ١٢٩ : ١٣
٤٠	١٢٩ : ١٣ — ١٣١ : ٤
٤٠ ب	١٣١ : ٤ — ١٣٢ : ٣
٤١	١٣٢ : ٣ — ١٣٣ : ٢
٤١ ب	١٣٥ : ٢ — ١٣٥ : ١٣
٤٢	١٣٥ : ١٤ — ١٣٦ : ١٤
٤٢ ب	١٣٩ : ١ — ١٣٩ : ٤
٤٣	١٣٩ : ١٠ — ١٤١ : ٤
٤٣ ب	١٣٦ : ١٥ — ١٣٧ : ١٩
٤٤ ا	١٣٧ : ١٩ — ١٤٠ : ١٠
٤٤ ب	١٤١ : ٣ — ١٤٢ : ٦
٤٥	١٤٢ : ٦ — ١٤٢ : ١٣
٤٥ ب	١٦ : ١٤ — ١٦ : ٤
٤٦	١٧ : ١٩ — ١٨ : ٤
٤٦ ب	١٨ : ١٠ — ١٨ : ١٣
٤٧	١٨ : ١٤ — ١٨ : ١٩
٤٧ ب	١٨ : ١٩ — ١٩ : ١٠
٤٨	١٩ : ١٠ — ١٩ : ١٩

Marfat.com

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات	رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
٤٨ ا	٨٧ : ٣ — ٨٨ : ٧	٦٠ ا	١٤٠ : ١١ — ١٤٢ : ٧
٤٨ ب	٩٢ : ٦ — ٩٣ : ١٠	٦٠ ب	١٤٢ : ٧ — ١٤٤ : ٥
٤٩ ا	٩٣ : ١٠ — ٩٤ : ١١	٦١ ا	١٤٤ : ٥ — ١٤٥ : ١٠
٤٩ ب	٩٤ : ١٢ — ٩٥ : ١٢	٦١ ب	٣٥ : ٢ — ٣٧ : ٤
٥٠ ا	٩٥ : ١٣ — ٩٧ : ٧	٦٢ ا	٣٧ : ٤ — ٣٩ : ١٠
٥٠ ب	٩٩ : ٣ — ١٠٠ : ٢	٦٢ ب	٣٩ : ١١ — ٤٢ : ٣
٥١ ا	١٠٠ : ٢ — ١٠١ : ٤	٦٣ ا	٤٣ : ٢ — ٤٦ : ٤
٢ — قطعة من الجزء الثانى		٦٣ ب	٤٩ : ١٣ — ٥٠ : ١٢
٥١ ب	١١١ : ٩ — ١١٢ : ١١	٦٤ ا	٥٠ : ١٢ — ٥١ : ٢
٥٢ ا	١١٣ : ٢ — ١١٤ : ١١	٦٤ ب	٥٢ : ١٦ — ٥٣ : ٧
٥٢ ب	١١٤ : ١١ — ١١٥ : ١٦	٦٥ ا	٥٣ : ٧ — ٥٥ : ١٠
٥٣ ا	١١٥ : ١٦ — ١١٧ : ٨	٦٥ ب	٥٩ : ١ — ٦٢ : ١
٥٣ ب	١١٧ : ٨ — ١١٩ : ٣	٦٦ ا	٦٢ : ٢ — ٦٦ : ٤
٥٤ ا	١١٩ : ٣ — ١٢٠ : ١٣	٦٦ ب	٦٦ : ٥ — ٦٩ : ٤
٥٤ ب	١٢٠ : ١٣ — ١٢٢ : ١٠	٦٧ ا	٦٩ : ٤ — ٧١ : ١٠
٥٥ ا	١٢٢ : ١٠ — ١٢٤ : ١٢	٣ — قطعة من الجزء الأول	
٥٥ ب	١٢٤ : ١٢ — ١٢٦ : ١٠	٦٧ ب	٤٩ : ١٤ — ٥١ : ٤
٥٦ ا	١٢٦ : ١٢ — ١٢٩ : ١	٦٨ ا	٥١ : ٤ — ٥٢ : ٦
٥٦ ب	١٢٩ : ١ — ١٣٠ : ٨	٦٨ ب	٥٢ : ٦ — ٥٣ : ١٠
٥٧ ا	١٣٠ : ٨ — ١٣٢ : ٤	٦٩ ا	٥٣ : ١١ — ٥٥ : ٥
٥٧ ب	١٣٢ : ٤ — ١٣٤ : ٨	٦٩ ب	٥٥ : ٥ — ٥٦ : ١٠
٥٨ ا	١٣٤ : ٨ — ١٣٦ : ١	٧٠ ا	٥٦ : ١١ — ٥٧ : ١٣
٥٨ ب	١٣٦ : ١ — ١٣٧ : ٦	٧٠ ب	٥٧ : ١٣ — ٥٩ : ٥
٥٩ ا	١٣٧ : ٧ — ١٣٨ : ١٢	٧١ ا	٥٩ : ٦ — ٦٠ : ١٤
٥٩ ب	١٣٨ : ١٢ — ١٤٠ : ١١	٧١ ب	٦٠ : ١٥ — ٦٢ : ٢

Marfat.com

رقم اللوح	مايقابله من الصفحات	رقم اللوح	مايقابله من الصفحات
١ ٧٢	٦٢ : ٢ — ٦٣ : ٥	٨٠ ب	٣٥ : ١ — ٣٦ : ٧
٧٢ ب	٦٣ : ٥ — ٦٤ : ١٠	١ ٨١	٣١ : ٧ — ٣٢ : ١٥
١ ٧٣	٦٤ : ١٠ — ٦٥ : ٩	٨١ ب	٣٣ : ١ — ٣٤ : ٦
٧٣ ب	٦٥ : ١٠ — ٦٦ : ١٣	١ ٨٢	٣٦ : ٧ — ٣٧ : ٨
١ ٧٤	٦٧ : ١ — ٦٨ : ٢	٨٢ ب	٣٧ : ١٠ — ٣٨ : ١٣
٧٤ ب	٦٨ : ٣ — ٧٠ : ٣	١ ٨٣	٣٨ : ١٣ — ٤٠ : ١
١ ٧٥	٧٠ : ٣ — ٧١ : ٥	٨٣ ب	٤٠ : ١ — ٤١ : ٤
٧٥ ب	٧١ : ٥ — ٧٢ : ١٣	١ ٨٤	٤٠ : ١٥ — ٤٢ : ٨
١ ٧٦	٧٢ : ١٣ — ٧٤ : ٧	٨٤ ب	٤٢ : ٨ — ٤٣ : ١٢
٧٦ ب	٧٤ : ٨ — ٧٥ : ١٤	١ ٨٥	٤٣ : ١٢ — ٤٤ : ١٤
١ ٧٧	٧٥ : ١٤ — ٧٦ : ١٤	٨٥ ب	٤٤ : ١٤ — ٤٥ : ١١
٧٧ ب	٢٣ : ١٤ — ٢٥ : ٣	٨٦	٤٥ : ١٩ — ٤٦ : ٥
٧٨	٢٥ : ٣ — ٢٦ : ١٣	٨٦ ب	٤٧ : ٥ — ٤٨ : ١٠
٧٨ ب	٢٦ : ١٣ — ٢٨ : ٨	٨٧	٤٨ : ١٠ — ٤٩ : ١٣
٧٩	٢٨ : ٨ — ٣٠ : ١	٨٧ ب	٢٠ : ١٤ — ٢٢ : ٩ — ٢٣ : ١٣
١٧٩ ب	٣٠ : ١ — ٣١ : ٧		
٨٠	٣٤ : ٦ — ٣٥ : ١٤		

Marfat.com

٢ — الترتيب الصحيح لنسخة الأمبروزيانا

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
الجزء الأول	
٢٠ : ١٤ — ٢٢ : ٨	٨٧ ب
٢٢ : ٩ — ٢٣ : ١٣	١ ٨٨
٢٣ ١٤ — ٢٥ : ٣	٧٧ ب
٢٥ : ٣ — ٢٦ : ١٣	١ ٧٨
٢٦ : ١٣ — ٢٨ : ٨	٧٨ ب
٢٨ : ٨ — ٣٠ : ١	١ ٧٩
٣٠ : ١ — ٣١ : ٧	٧٩ ب
٣١ : ٧ — ٣٢ : ١٥	١ ٨١
٣٣ : ١ — ٣٤ : ٦	٨١ ب
٣٤ : ٦ — ٣٤ : ١٤	١ ٨٠
٣٥ : ١ — ٣٦ : ٧	٨٠ ب
٣٦ : ٧ — ٣٧ : ٨	١ ٨٢
٣٧ : ١٠ — ٣٨ : ١٣	٨٢ ب
٣٨ : ١٣ — ٤٠ : ١	١ ٨٣
٤٠ : ١ — ٤١ : ٥(١)	٨٣ ب
٤٠ : ١٥ — ٤٢ : ٨	١ ٨٤
٤٢ : ٨ — ٤٣ : ١٢	٨٤ ب
٤٣ : ١٢ — ٤٤ : ١٤	١ ٨٥

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
٤٤ : ١٤ — ٤٥ : ١٨	٨٥ ب
٤٥ : ١٩ — ٤٧ : ٥	١ ٨٦
٤٧ : ٥ — ٤٨ : ١٠	٨٦ ب
٤٨ : ١٠ — ٤٩ : ١٣	١ ٨٧
٤٩ : ١٤ — ٥١ : ٤	٦٧ ب
٥١ : ٤ — ٥٢ : ٦	١ ٦٨
٥٢ : ٦ — ٥٣ : ١٠	٦٨ ب
٥٣ : ١١ — ٥٥ : ٥	١ ٦٩
٥٥ : ٥ — ٥٦ : ١٠	٦٩ ب
٥٦ : ١١ — ٥٧ : ١٣	١ ٧٠
٥٧ : ١٣ — ٥٩ : ٥	٧٠ ب
٥٩ : ٦ — ٦٠ : ١٤	١ ٧١
٦٠ : ١٥ — ٦٢ : ٢	٧١ ب
٦٢ : ٢ — ٦٣ : ٥	١ ٧٢
٦٣ : ٥ — ٦٤ : ١٠	٧٢ ب
٦٤ : ١٠ — ٦٥ : ٩	١ ٧٣
٦٥ : ١٠ — ٦٦ : ١٣	٧٣ ب
٦٧ : ١ — ٦٨ : ٢	١ ٧٤
٦٨ : ٣ — ٧٠ : ٣	٧٤ ب

(١) هذا نتيجة الاضطراب نصوص النسختين .

Marfat.com

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
٧٠ : ٣ — ٧١ : ٥	٧٥ ا
٧١ : ٥ — ٧٢ : ١٣	٧٥ ب
٧٢ : ١٣ — ٧٤ : ٧	٧٦ ا
٧٤ : ٨ — ٧٥ : ١٤	٧٦ ب
٧٥ : ١٤ — ٧٦ : ١٤	٧٧ ا
٧٦ : ١٤ — ٧٧ : ١٩	٤٥ ب
٧٧ : ١٩ — ٧٩ : ٣	٤٦ ا
٨٢ : ١٠ — ٨٤ : ٦	٤٦ ب
٨٤ : ٨ — ٨٥ : ١١	٤٧ ا
٨٥ : ١٢ — ٨٧ : ٣	٤٧ ب
٨٧ : ٣ — ٨٨ : ٧	٤٨ ا
٩٢ : ٩ — ٩٣ : ١٠	٤٨ ب
٩٣ : ١٠ — ٩٤ : ١١	٤٩ ا
٩٤ : ١٢ — ٩٥ : ١٢	٤٩ ب
٩٥ : ١٣ — ٩٧ : ٧	٥٠ ا
٩٩ : ٣ — ١٠٠ : ٢	٥٠ ب
١٠٠ : ٢ — ١٠١ : ٤	٥١ ا
١٢١ : ٧ — ١٢٢ : ٤	٣٦ ب
١٢٢ : ٤ — ١٢٣ : ١٠	٣٧ ا
١٢٣ : ١٠ — ١٢٥ : ٢	٣٨ ب
١٢٥ : ٢ — ١٢٦ : ٨	٣٩ ا
١٢٦ : ٨ — ١٢٧ : ٨	٣٧ ب
١٢٧ : ٨ — ١٢٨ : ١٠	٣٨ ا
١٢٨ : ١٠ — ١٢٩ : ١٣	٣٩ ب
١٢٩ : ١٣ — ١٣١ : ٤	٤٠ ا

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
١٣١ : ٤ — ١٣٢ : ١	٤٠ ب
١٣٢ : ٣ — ١٣٣ : ٢	٤١ ا
١٣٥ : ٢ — ١٣٥ : ١٣	٤١ ب
١٣٥ : ١٤ — ١٣٦ : ١٤	٤٢ ا
١٣٦ : ١٥ — ١٣٧ : ١٩	٤٣ ب
١٣٧ : ١٩ — ١٣٨ : ١٧	٤٤ ا
١٣٩ : ١ — ١٣٩ : ٩	٤٣ ب
١٣٩ : ١٠ — ١٤١ : ٤	٤٣ ا
١٤١ : ٤ — ١٤٢ : ٧	٤٤ ب
١٤٢ : ٧ — ١٤٢ : ١٣	٤٥ ا
١٤٢ : ١٤ — ١٤٣ : ٤	٣٦ ب
١٤٣ : ٤ — ١٤٤ : ٤	٣١
١٤٤ : ٤ — ١٤٥ : ١١	٣١ ب
١٤٥ : ١١ — ١٤٧ : ٢	٣٠ ا
١٤٧ : ٢ — ١٤٨ : ٧	٢٩ ب
١٤٨ : ٧ — ١٤٩ : ٤	٢٩
١٤٩ : ٤ — ١٤٩ : ١٢	٢٩ ب
١٤٩ : ١٢ — ١٥١ : ٢	٣٠
١٥١ : ٢ — ١٥٢ : ٩	٣٠ ب
١٥٢ : ٩ — ١٥٤ : ١	٣١
١٥٤ : ١ — ١٥٥ : ١٠	٣١ ب
١٥٥ : ١٠ — ١٥٨ : ١	٣٢
١٥٨ : ١ — ١٥٩ : ١٢	٣٢ ب
١٥٩ : ١٢ — ١٦١ : ١٠	٣٣

Marfat.com

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
١٦١ : ٤ — ١٦٢ : ٩	٣٤ ا
١٦٢ : ٩ — ١٦٣ : ١٦	٣٤ ب
١٦٣ : ١٦ — ١٦٤ : ١٧	٣٥ ا
١٦٤ : ١٧ — ١٦٥ : ١٨	٣٥ ب
١٦٥ : ١٨ — ١٦٧ : ٣	٣٦ ا
١٦٧ : ٣ — ١٦٨ : ٤	١٦ ب
١٦٨ : ٤ — ١٦٩ : ٢	١٧ ا
١٦٩ : ٥ — ١٧٠ : ١١	١٧ ب
١٧٠ : ١١ — ١٧٢ : ٢	١٨ ا
١٧٢ : ٤ — ١٧٢ : ١٥	١٨ ب
١٧٢ : ١٥ — ١٧٤ : ٢	١٩ ا
١٧٤ : ٢ — ١٧٥ : ٧	١٩ ب
١٧٥ : ٨ — ١٧٦ : ١	٢٠ ا
١٧٦ : ٢ — ١٧٧ : ٧	٢٠ ب
١٧٧ : ٧ — ١٧٧ : ١٢	٢١ ا
١٧٧ : ١٣ — ١٧٩ : ٦	٢١ ب
١٧٩ : ٦ — ١٨٠ : ١٣	٢٢ ا
١٨٠ : ١٣ — ١٨٢ : ٦	٢٢ ب
١٨٢ : ٧ — ١٨٣ : ٢	٢٣ ا
١٨٣ : ٣ — ١٨٤ : ٢	٢٣ ب
١٨٤ : ٢ — ١٨٤ : ١٦	٢٤ ا
١٨٤ : ١٦ — ١٨٦ : ٦	٢٤ ب
١٨٦ : ٧ — ١٨٧ : ٩	٢٥ ا
١٨٧ : ١٠ — ١٨٨ : ٨	٢٥ ب
١٨٨ : ٨ — ١٨٩ : ١٥	٢٦ ا

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
١٨٩ : ١٦ — ١٩١ : ٧	١٥ ب
١٩١ : ٧ — ١٩٢ : ١٢	١٦ ا
١٩٢ : ١٢ — ١٩٣ : ١٠	٧ ب
١٩٣ : ١٠ — ١٩٤ : ١٢	٨ ا
١٩٤ : ١٢ — ١٩٥ : ٤	٨ ب
١٩٥ : ٤ — ١٩٦ : ٩	٩ ا
١٩٦ : ٩ — ١٩٧ : ٣	٩ ب
١٩٧ : ٣ — ١٩٨ : ٦	١٠ ا
١٩٨ : ٧ — ١٩٩ : ٣	١٠ ب
١٩٩ : ٤ — ٢٠٠ : ٧	١١ ا
٢٠٠ : ٧ — ٢٠١ : ٩	١١ ب
٢٠١ : ٩ — ٢٠٣ : ١	١٢ ا
٢٠٣ : ١ — ٢٠٤ : ٤	١٢ ب
٢٠٤ : ٤ — ٢٠٥ : ٨	١٣ ا
٢٠٥ : ٨ — ٢٠٦ : ١٣	١٣ ب
٢٠٦ : ١٣ — ٢٠٨ : ٣	١٤ ا
٢٠٨ : ٣ — ٢٠٩ : ٧	١٤ ب
٢٠٩ : ٧ — ٢١٠ : ١٠	١٥ ا
٢٢٢ : ٢ — ٢٢٣ : ١	١ ب
٢٢٣ : ١ — ٢٢٤ : ٥	٢ ا
٢٢٤ : ٦ — ٢٢٥ : ١٢	٢ ب
٢٢٥ : ١٢ — ٢٢٧ : ٢	٣ ا
٢٢٧ : ٣ — ٢٢٨ : ٦	٣ ب
٢٢٨ : ٦ — ٢٢٩ : ١١	٤ ا
٢٢٩ : ١١ — ٢٣٠ : ٦	٤ ب

Marfat.com

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
٢٣٠ : ٧ — ٢٣١ : ١١	٥ ا
٢٣١ : ١١ — ٢٣٢ : ١٠	٥ ب
٢٣٢ : ١٠ — ٢٣٣ : ١٧	٦ ا
٢٣٣ : ١٧ — ٢٣٥ : ٣	٦ ب
٢٣٥ : ٣ — ٢٣٦ : ٣	٧ أ
الجزء الثانى	
٣٥ : ٢ — ٤٧ : ٤	٦١ ب
٣٧ : ٤ — ٣٩ : ١٠	٦٢ ا
٣٩ : ١١ — ٤٢ : ٣	٦٢ ب
٤٣ : ٢ — ٤٦ : ٤	٦٣ ا
٤٩ : ١٣ — ٥٠ : ١٢	٦٣ ب
٥٠ : ١٢ — ٥١ : ٢	٦٤ ا
٥٢ : ١٦ — ٥٣ : ٧	٦٤ ب
٥٣ : ٧ — ٥٥ : ١٠	٦٥ ا
٥٩ : ١ — ٦٢ : ١	٦٥ ب
٦٢ : ٢ — ٦٦ : ٤	٦٦ ا
٦٦ : ٥ — ٦٩ : ٤	٦٦ ب
٦٩ : ٤ — ١١١ : ١٠	٦٨ ا
١١١ : ٩ — ١١٢ : ١١	٥١ ب

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
١١٣ : ٢ — ١١٤ : ١١	٥٢ ا
١١٤ : ١١ — ١١٥ : ١٦	٥٢ ب
١١٥ : ١٦ — ١١٧ : ٨	٥٣ ا
١١٧ : ٨ — ١١٩ : ٣	٥٣ ب
١١٩ : ٣ — ١٢٠ : ١٣	٥٤ ا
١٢٠ : ١٣ — ١٢٢ : ١٠	٥٤ ب
١٢٢ : ١٠ — ١٢٤ : ١٢	٥٥ ا
١٢٤ : ١٢ — ١٢٦ : ١٠	٥٥ ب
١٢٦ : ١٢ — ١٢٩ : ١	٥٦ ا
١٢٩ : ١ — ١٣٠ : ٨	٥٦ ب
١٣٠ : ٨ — ١٣٢ : ٤	٥٧ ا
١٣٢ : ٤ — ١٣٤ : ٨	٥٧ ب
١٨٤ : ٨ — ١٣٦ : ١	٥٨ ا
١٣٦ : ١ — ١٣١ : ٦	٥٨ ب
١٣١ : ١ — ١٣١ : ١٢	٥٩ ا
١٣١ : ١٢ — ١٤٠ : ١١	٥٩ ب
١٤٠ : ١١ — ١٤٢ : ١	٦٠ ا
١٤٢ : ١ — ١٤٤ : ٥	٦٠ ب
١٤٤ : ٥ — ١٤٥ : ١٠	٦١ ا

وقد عنيت فى هذه الطبعة الثانية بتصحيح ما وقع فى الطبعة الأولى من الأخطاء المطبعية، وبإضافة أرقام الصفحات المطبوعة إلى أرقام الصفحات المخطوطة، وبإضافة أرقام الصفحات المطبوعة إلى أرقام الألواح الفوتوغرافية.

وقد حاولت فى هذه الطبعة الثانية أن أحتفظ بنظامها وبتقسيمها، لأن كثيرا من الباحثين قد أشاروا فى حواشيهم إلى أرقام صفحات هذه الطبعة.

Marfat.com

وكذلك أبدلت أرقام البيان والتبيين بأرقام نشرتى الثانية له ، وصنعت مثل ذلك فى بعض الكتب التى تعددت طبعاتها لأعيدها إلى أرقام موحدة : وحذفت الفهارس التى كنت ألحقها بكل جزء لأننى استنفدتها فيما بعد فى صنع الفهارس الفنية العامة ولم أستبق إلا فهرس الأبواب لكل جزء .

وأما بعد فإنى أحمد الله أن أمكننى من تحقيق أمنية طال عليها العهد ، وأحمده كذلك لما أعان ووفّق ، فإنه بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير ؟

مصر الجديدة فى { ٢٠ من ربيع الثانى سنة ١٣٨٥
١٧ من أغسطس سنة ١٩٦٥

عبد السلام محمد هارون

Marfat.com

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الأول

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

Marfat.com

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتى

جَنَّبَكَ اللهُ الشُّبْهة ، وعَصَمك من الحَيرة ، وجَعَل بينك وبين المرء نسباً ، وبين الصدق سَبَباً ، وحبَّب إليك التثبُّت . وزيَّن فى عينك الإنصاف ، وأذاقك حلاوةَ التقوى ، وأشعرَ قلبك عِزَّ الحقّ . وأودَعَ صدرَك بَرْدَ اليقين[1] وطرد عنك ذلَّ اليأس . وعرَّفك مافى الباطل من الذلّة . وما فى الجهل من القِلَّة . ٢

ولعمرى لقد كان غيرُ هذا الدعاء أصوبَ فى أمرك . وأدلَّ على مقدارِ وزنك . وعلى الحال التى وضعْتَ نفسك فيها . وما حمت عرضك بها . ورضيتها لدينك حظّا[2] . ولمروءتك شكلا . أ فقاء [illegible] مَيلُكَ على أبى إسحاق . وحَملك عليه . وظُنَّك على [illegible] له فى الذى كان جَرَى بينَهما فى مساوئ [illegible] الكلب ومضارّه . والذى خرجا إليه من [illegible] ونظمِه . ومن الموازنة بينهما . والحُكم فيهما [illegible] اللصوص . وكتاب غشّ الصناعات . [illegible]

وما حَرَّ من النوادر وبَرْد . [illegible]

---

(١) فى ط : « البر واليقين . [illegible]

(٢) كذا فى ل . [illegible] وهو تصحيح [illegible]

(٣) فى ل : « وعاد بارادها . [illegible]

Marfat.com

أمتَعَ بأكثرَ من إمتاع الحارّ ، وعبتنى بكتاب احتجاجات البخلاء ، ومناقضَتِهم للسُّمَحاء ، والقولِ فى الفرق بين الصدق[1]] إذا كان ضارًّا فى العاجل ، والكذب إذا كان نافعاً فى الآجِل ، ولِمَ جُعل الصدقُ أبداً محموداً ، والكذبُ أبداً مذموماً ، والفرق بين الغَيرة وإضاعة الحُرْمة ، وبين الإفراط فى الحميّة والأنَفَة ، وبين التقصير فى حفظ حقِّ الحرمة ، وقلّة الاكتراثِ لِسوء[2] القالَة ؛ وهل الغيرة اكتساب وعادة ، أم بعض مايعرض من جهة الديانة ، ولبعض التزيُّد فيه والتحسن به ؛ أو يكون ذلك فى طباع الحريّة ، وحقيقة الجوهريّة ؛ ما كانت العقولُ سليمة ، والآفات منفيَّة[3] والأخلاطُ معتدلة .

وعبتَنى بكتاب الصُّرَحاء والهُجَناء . ومفاخرة السُّودان والحمران ، وموازنةِ مابين حقِّ الخئولة والعمومة ؛ وعبتَنى بكتاب الزرع والنخل والزيتون والأعناب ، وأقسام فضول الصناعات ، ومراتب التجارات ؛ وبكتاب فضل مابين الرجال والنساء ، وفرقِ مابين الذكور والإناث ، وفى أىِّ موضع يَغلبن ويفضُلْن . وفى أى موضع يكنَّ المغلوباتِ والمفضولات ، ونصيب أيِّهما فى الولد أوفَر ، وفى أىِّ موضع يكون حقُّهنّ أوجب ، وأىّ عملٍ هو بهنَّ أليق ، وأىّ صناعةٍ هنّ فيها أبلغ .

وعبتَنى بكتاب القحطانيّة و [كتاب] العدنانيّة فى الردّ على

---

(١) سقطت هذه العبارة من جميع النسخ الخطية أيضا ماعدا ل و م .
(٢) فى ط : « بسوء » وتصحيحه من ل . قال فى القاموس « ما أكترث له : ماأبالى به » وقال الزبيدى : الأصل فيه ألا يستعمل إلا فى النفى وشذ استعماله فى الإثبات .
(٣) هذا مافى ل . وفى ط : « منيفة » وبذلك يفسد المعنى .

Marfat.com

القحطانية ، وزعمتَ أنِّى تجاوزتُ فيه حدَّ الحميَّة إلى حدِّ العصبيَّة ، وأنِّى لم أصل[١] إلى تفضيل العدنانيّة إلا بِتنقُّص[٢] القحطانيّة . وعبتَنى بكتاب العرب والموالى، وزعمتَ أنِّى بخَسْت الموالىَ حقوقَهم، كما أنِّى أعطيتُ العربَ ما ليس لهم . وعبتَنى بكتاب العرب والعجم ، وزعمت أنّ القولَ فى فرقِ مابين العرب والعجم ، هو القولُ فى فرقِ مابين الموالى والعرب ، ونسبتَنى إلى التكرار والترادِ . وإلى التكثير . والجهل بما فى المُعادَ من الخَطَل ، وحَمْلِ الناسِ المؤن .

وعبتَنى بكتاب الأصنام . وبذكر اعتلالات الهند لها . وسبب عبادة العرب إيّاها . وكيف اختلفا فى جهة العِلَّة[٣] مع اتّفاقهما على جملة الديانة . وكيف صار عُبَّاد البِدَدَة[٤] والمتمسكون بعبادة الأوثان المنحوتة . والأصناء المنجورة . أشدَّ الديّانين إلْفاً لما دانوا به[٥] . وشغفا بما تعبَّدوا له[٦] . وأظهرَهم جِدًّا . وأشدَّهم على من خالفهم ضِغنا . وبما دانوا ضِدًّا[٧] . وما الفرق بين البُدِّ والوثن . وما الفرق بين الوثن والصنم . وما الفرق بين

---

(١) فى ل : ... أصل ... ومؤدى ...

(٢) فى ط : ... بتنقيص ... وتثبيت ... فى ... يقع فيه ويذمه ...

(٣) فى ط : ... العلة ... وتصحيحه ...

(٤) فى ط : ... عبدة البدة ... وهو تصحيف ... بضم الباء ... وهو الصنم ...

(٥) فى ل : ... أشد الناس بما ... به ...

(٦) فى ط : ... شغفا ... علق قلبه به .

(٧) فى ل : ... صبابة ... محبة ...

Marfat.com

الدُّمية والجثَّة ، ولِمَ صوَّروا فى محاريبهم وبيوت عباداتهم ، صوَرَ عظمائهم ورجالِ دعوتهم ، ولم تأنَّقوا فى التصوير ، وتجوَّدوا[1] فى إقامة التركيب ، وبالغوا فى التحسين والتفخيم ، وكيف كانت أوَّليَّة تلك العبادات ، وكيف اقترفت تلك النِّحل ، ومن أىّ شكل كانت خُدَع تلك السدنة ، وكيف لم يزالوا أكثرَ الأصنافِ عدداً ، وكيف شمل ذلك المذهب الأجناسَ المختلفة .

وعبتنى بكتاب المعادن ، والقولِ فى جواهر الأرض ، وفى اختلاف أجناس الفِلِزِّ والإخبار عن ذائبها وجامدها ، ومخلوقها ومصنوعها ، وكيف يسرع الانقلاب إلى بعضها ، ويُبطئ عن بعضها ؛ وكيف صار بعضُ الألوان يَصبُغ ولا ينصبغ ، وبعضها يَنْصَبِغُ ولا يصْبُغ ، وبعضها يصبُغ وينصبغ ، وما القولُ فى الإكسير والتلطيف .

وعبتَنى بكتاب فرق ما بين هاشمٍ وعبد شمس ، وكتاب فرق ما بين الجنّ والإنس ، وفرق ما بين الملائكة والجنّ ، وكيف القولُ فى معرفة الهدهد واستطاعة العفريت[2] ، وفى الذى كان عنده عِلْمٌ من الكتاب ، وما ذلك العلم[3] ، وما تأويل قولهم : كان [عنده اسم الله الأعظم]

---

(١) فى ط : « تجردوا » بالراء . وصوابه ما فى ل . وتجود : فعل الجيد .

(٢) فى ط : « وكيف القول فى استيلاء العفريت على سليمان وفى الهدهد »، وهو كلام مشوه محرف وضعت بدله ما فى ل . ومعرفة الهدهد هى التى يشير إليها القرآن الكريم بآية « وجئتك من سبأ بنبأ يقين » . وأما استطاعة العفريت فهو فى قوله تعالى « قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » . يعنى عرش بلقيس .

(٣) فى ط : « وما الذى هو ذلك العلم » وهو تحريف صوابه فى ل .

Marfat.com

وعبتنى بكتاب الأوفاق والرياضات ، وما القولُ فى الأرزاق والإنفاقات [وكيف أسباب التثمير والترقيح[1]] ،وكيف يَجتلب[2] التجار الحُرَفاء ، وكيف الاحتيال للودائع ، [وكيف التسبُّب إلى الوصايا ، وما الذى يوجب لهم حسن التعديل ، ويصرف إليهم باب حسن الظن ؛ وكيف ذكرنا غشَّ الصناعات والتجارات ، وكيف التسبُّب إلى تعرف ما قد ستروا وكشف ما موَّهوا ؛ وكيف الاحتراس منه والسلامة من أهله . وعبتنى برسائلى] وبكلّ ماكتبت [به] إلى إخوانى وخُلَطائى ، من مَزْح وجِدٍّ ، ومن إفصاح وتعريض ، ومن تغافُل وتوقيف ، ومن هجاء لايزال مِيسَمه باقياً، ومديح لا يزال أثرُه نامياً ؛ ومن مُلَح تُضحِك ، ومواعظَ تُبكى .

وعبتَنى برسائلى الهاشميّات ، واحتجاجى فيها ، واستقصائى معانيَها ، وتصويرى لها فى أحسَن صورة ، وإظهارى لها فى أتمّ حلية . وزعمتَ أنّى قد خرجتُ بذلك من حدّ المعتزلة إلى حدّ الزيديّة . ومن حدّ الاعتدال فى التشيُّع والاقتصاد فيه ، إلى حدّ السرف والإفراط فيه . وزعمتَ أنّ مقالة الزيدية خطبة ومقالةَ الرافضة[3] ، وأنّ مقالة الرافضة خطبة ومقالة الغالية[4] . وزعمتَ أنّ فى أهل القضيّة والذى جرَتْ عليه العادة ، أنّ كلّ كبير [ ] صغير ، وأنّ كلّ كثير فإنما هو قليل جُمع [من] قليل . وأنشدت [ ] الراجز[5] :

---

(١) توقيح المال : إصلاحه [ ]

(٢) فى ط : « يجد [ ]

(٣) فى ط : « [ ]

(٤) فى ط : « [ ]

(٥) أنشد الجاحظ هذا الرجز فى [ ]

Marfat.com

قد يَلحَق الصغيرُ بالجليلِ وإنّما القَرْمُ من الأَفِيلِ
وسُحُقُ النخلِ من النَمَسيلِ

وأنشدتَ قول الشاعر (١) :

ربَّ كبير هاجَه صغيرُ وفى البُحور تَغرَق البحورُ

وقلتَ : وقال يزيدُ بن الحكم (٢) :

فاعلم بُنَيَّ فإنّه بالعلم يَنتفِع العليم
إنّ الأمورَ دقيقُها مما يَهيج له العظيم

وقلتَ : وقال الآخر :

صار جِدًّا ما مزحتَ به ربَّ جِدٍّ ساقه اللعبُ

وأنشدت قول الآخر (٣) :

ما تَنْظُرون بحقِّ وَردةَ فيكمُ تُقضَى الأمورُ ورَهطُ وَردةَ غُيَّبُ (٤)
قد يبعثُ الأمْرَ الكبيرَ صغيرُه حتَّى تظلَّ له الدماءُ تَصَبَّبُ

وقالت كَبْشة بنت مَعْدِ يكَرِب :

---

(١) البيت فى المحاسن والأضداد ص ٤٤ .

(٢) يزيد هذا ، شاعر إسلامى عاصر جريرا والفرزدق . مر الفرزدق به يوما فقال : من هذا الذى ينشد شعرا كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم . فقال : نعم أشهد أن عمّى ولدته ! والبيتان من أبيات له اختارها أبو تمام فى الحماسة ٢ : ٤٥ وهو يخاطب بهذه الأبيات ولده بدرا .

(٣) فى ط : « قول الآخر وهو قول عنترة » ، وعبارة « وهو قول عنترة » دخيلة على الكتاب بدليل أنها فى ل مثبتة بخط مخالف . كما أن البيتين لطرفة بن العبد مثبتان فى ديوانه طبع ١٩٠٩ ص ٣٧ ، والشعر والشعراء ٢٧ ، وخزانة الأدب ١ : ٤١٧ ، ومعاهد التنصيص ١ : ١٢٣ .

(٤) وردة : هى أمه ، وكان أبو طرفة قد مات وهو غلام ، فلما اقتسم أعمامه المال ظلموا أمه . . ماتنظرون : أى تنتظرون .

Marfat.com

جَدعتمْ بعبد الله آنُفَ[1] قومِه بنى مازن أَنْ سَبَّ راعى المحَزَّم[2]

وقال الآخر[3] :

أيّةَ نارٍ قَدَحَ القــادحُ وأىّ جِــدٍّ بَلَغَ المازحُ

وتقول [العرب]: « العَصَا من العُصَيَّة ، ولا تلد الحيّةَ إلا حَيَّةٌ[4] » .

وعبتَ كتابى فى خلْق القرآن ، كما عبتَ كتابى فى الردِّ على المشبِّهة وعِبْتَ [كتابى] فى القول فى أصول الفتيا والأحكام . كما عبتَ كتابى فى الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديعِ تركيبه . وعبتَ معارضتى للزيدِيّة وتفضيلى[5] الاعتزالَ على كلِّ نِحْلة . كما عبتَ كتابى فى الوعد والوعيد ، وكتابى على النصارى واليهود[6] ثمَّ عبتَ جملةَ كتبى فى المعرفة والتمست تهجينَها بكلِّ حيلة . وصغَّرت من شأنها . وحطَطت من قدرها . واعترضت على ناسخيها والمنتفعين بها . فعبتَ كتاب الجوابات . وكتاب المسائل . وكتابَ أصحابِ الإلمام . وكتابَ الحجَّة فى تثبيت النبوّة . وكتابَ الأخبار . ثمّ عبتَ إنكارى بصيرةَ غناه مرتدّ . وبصيرةَ كلّ جاحد وملحد . وتفريقى بين اعتراض الغُمْر[7] . وبين استبصار المحقّ . وعبت

---

(١) فى ط : « آناف » وأثبت ما فى ل . س . ١٠ س . ... وآنف وآناف .

(٢) فى ط . ل س . ١٠ س : « المخزم » وتصحيحه من ... بفسيط البغدادى ٣ : ٧٧ . والبيت من أبيات ... طويلة طريفة .

(٣) هو أبو نواس الحسن بن هانئ كما فى البيان والتبيين ٣ : ١٥٠ .

(٤) فى ط : « حية » ويغلب أن يكون تصحيفا منه .

(٥) فى ط : « تفضيل » والوجه ما فى ل .

(٦) فى ط : « النصارى واليهودى » وأثبت ما فى ل .

(٧) هذا ما فى ل . س . ١٠ س . وفى ط ... الجاهل الذى لم يجرب الأمور .

Marfat.com

كتابَ الردِّ على الجَهْمِيّة فى الإدراك ، وفى قولهم فى الجَهالات[1] ، وكتاب الفرقِ ما بينَ النبىّ والمتنبى ، والفرقِ ما بينَ الخِيَل والمخاريق[2] ، وبينَ الحقائقِ الظاهرة والأعلام الباهِرة[3] . ثمّ قصدتَ إلى كتابى هذا بالتصغير لقدره والتهجين لنظمه ، والاعتراض[4] على لفظه ، والتحقير لمعانيه ، فزَرَيت على نحْتِهِ وسَبكه ، كما زَرَيت على معناهُ ولفظِه ، ثمّ طعنتَ فى الغرض الذى إليه نزعْنا ، والغاية التى إليها قَصَدنا[5] . على أنّه كتابٌ معناهُ أنبَهُ من اسمِهِ ، وحقيقتهُ آنَقُ من لفظه ، وهو كتابٌ يحتاجُ إليه المتوسِّط العامى ، كما يحتاجُ إليه العالم الخاصى[6] ، ويحتاج إليه الرَّيِّض كما يحتاج إليه الحاذق : أما الرّيض فللتعلُّم والدرْبة ، وللترتيب والرياضة ، وللتمرينِ وتمْكين العادة ؛ إذْ كان جليلُه يتقدم دقيقه ، وإذ كانت مقدِّماته مرتبةً وطبقاتُ معانيه منزّلة . وأما الحاذقُ فلكفايةِ المؤنة ؛ لأن كلَّ من التقط كتابا جامعاً ، وباباً من أمَّهات العلم مجموعا ، كان له غُنْمه ، وعلى مؤلّفه غُرمُه ، وكانَ له نفعُه ، وعلى صاحِبِهِ كَدُّه ، معَ تعرُّضِهِ لمطاعِن البُغَاة ، ولاعتراض المنافِسين ، ومع عرْضِهِ عقلَه المكدودَ على العقولِ الفارغة ، ومعانيه على الجهابِذة ، وتحكيمِه فيه المتأوِّلين والحسَدَة . ومتى ظَفِر بمثله صاحبُ علم ، أو هجَمَ عليه طالبُ فقه ، وهو وادعُ رافِه ، ونَشِيط جَامٌّ ،

---

(١) ما عدا ل : « الجهات » تحريف . وانظر ٢ : ١٣٩ و ٤ : ٢٨٨ .

(٢) فى ط : « المخارق » .

(٣) فى ل : « الظاهرة » وفى ط « الباصرة » وصوابهما ما فى س ، ١٠ س .

(٤) فى ط : « والانتقاض » .

(٥) فى ل : « أجرينا » .

(٦) هذا ما فى ل . وفى ط : « كما يحتاج إليه الخاص » .

Marfat.com

ومؤلِّفه مُتعَبٌ مكدود ، فقد كُفِى مَؤُونَة جمعه وخزنِه ، وطلبِهِ وتتبُّعِه ، وأغناه ذلك عن طول التفكير ، واستنفادِ العمر وفَلِّ الحدّ ، وأدرَك أقصى حاجتِه وهو مجتمعُ القُوَّة . وعلى أنّ له عند ذلك أن يجعَلَ هُجومَه عليه من التوفيق ، وظفَره به باباً من التسديد .

وهذا كتابٌ تستوى فيه رغبةُ الأُمم ، وتتشابَه فيه العُرْبُ والعَجَم ، لأنه وإن كانَ عَرَبيًّا أعرابيًّا ، وإسلاميًّا جَماعيًّا ، فقد أخَذَ من طُرَفِ ٦ الفلسفة ، وجمع بين معرفةِ السماعِ وعلْمِ التجرِبة ، وأشرَكَ بين علمِ الكتاب والسنة ، وبينَ وِجْدان الحاسَّة ، وإحساس الغريزة . ويشتهيه النِّيتيان كما تشتهيه الشيُوخ ، ويشتهيه الفاتِكُ كما يشتهيه الناسِك ، ويشتهيه اللاعبُ ذو اللَّهوِ كما يشتهيه المجدّ[1] ذو الحَزْم ، ويشتهيه الغُفْلُ كما يشتهيه الأريب ، ويشتهيه الغبيُّ كما يشتهيه الفَطِن .

وعبتَنى بحكاية قولِ العثْمانِيَّة[2] والضِّرَارية ، وأنت تسمعنى[3] أقول فى أوَّل كتابى : وقالت العثمانية والضرارِيَّة ، كما سمعتَنى أقول : قالت الرافضة والزيدية ، فحكمتَ علىَّ بالنصْب لحكايتى [قول العثمانية] ، وهلاَّ حكمتَ على بالتشيُّع لحكايتى [قول الرافضة] !! ولو كنتُ عندك من الفالية ، كما كنتُ عندك من الناصبة لحكايتى قول [illegible] فى كتابنا قولَ الإباضية والنَّكَّارية ، كما [illegible]

---

(١) فى ل : [illegible]

(٢) فى ط : [illegible] النسبة الخطومة .

(٣) [illegible] فى ط : [illegible]

Marfat.com

هذه الأركان الأربعة بُنِيَت الخارجية ، وكلُّ اسمٍ سواها فإنما هو فرعٌ ونتيجةٌ ، واشتقاقٌ منها ، ومحمولٌ عليها . وألاَّ كنَّا عندَك من الخارجية ، كما صرنا عندَك من الضِّرَاريَّة والناصِبَة . فكيف رضيتَ بأن تكون أسرَعَ من الشيعة ، أسرع إلى أعراض الناس من الخارجية[1] ، اللهم إلاّ أن تكون وجدتَ حكايتى عن العثمانيَّة والضِّراريَّة أشبعَ وأجمعَ ، وأتمَّ [وأحكم]، وأجود [صنعة ، وأبعد غاية . ورأيتنى قد وهَّنت حقَّ أوليائك ، بقدر ما قوَّيتُ باطل أعدائك ! ! ولو كان ذلك كذلك ، لكان شاهدك من الكتاب حاضراً ، وبرهانك على ماادعيت واضحا] .

وعبتَنى بكتاب العباسية ، فهلاَّ عبتَنى بحكايةِ مقالةِ مَن أبى وجوبَ الإمامة ، ومَنْ يرى الامتناع من طاعة الأئمة الذين زعموا أنّ تَرْكَ النَّاس سُدًى بلا قيِّم أردُّ عليهم . وهملاً بلا راع أربحُ لهم ، وأجدَرُ أنْ يجمع لهم ذلك بين سلامَةِ العاجل ، وغنيمة الآجل ، وأنَّ تركَهم نَشَراً لا نظامَ لهم ، أبعدُ من المَفاسِد ، وأجمعُ لهم عَلَى المراشد ! ! بل ليس ذلك بك ، ولكنَّه بهرَك ما سمعتَ ، وملأَ صدرَك الذى قرأت ، وأبعَلكَ وأبْطَرَك ، فلم تتّجه للحجّة وهى لك معرضة ، ولم تعرف المقاتل وهى لك بادية[2] ، ولم تَعرِف بابَ المخرج إذ جهلتَ بابَ المدخَل ، ولم تعرِفِ المصادر إذ جهلتَ الموارد .

رأيتَ أنَّ سبَّ الأولياء أشفى لدائك ، وأبلغَ فى شفاء سَقَمك ؛ ورأيتَ أن إرسالَ اللسان أحضَرُ لَذَّةً ، وأبعدُ من النَّصَب ، ومِن إطالة الفكرة ، ومن الاختلافِ إلى أرباب هذه الصناعة .

---

(١) فى ل د : « فكيف رضيت بأن تكون الشيعة إلى أعراض الناس أسرع من المارقة » .
(٢) فى ط : « وهى لك معوضة ، ولم تعرف المقابل وهى لا بادية » .

Marfat.com

ولو كنتَ فطِنت لعجْزك ، [و[1]] وصَلْتَ نقصَك بتمامِ غيرِك .
واستكفَيْتَ من هو موقوفٌ على كفايةِ مثلك ، وحَبيسٌ على تقويم أشباهك ٧
كان ذلك أزينَ فى العاجِل ، وأحقَّ بالمثُوبة فى الآجل ، وكنتَ إنْ
أخطأَتكَ الغنيمةُ لم تُخْطِك السلامة ، وقد سَلِم عليك المخالفُ بقدر ما ابتُلِى
[به] منكَ الموافِق . وعلى أنَّه لم يُبتَل منك إلا بقدْرِ ما ألزمتَه من مُؤْنَةِ
تثقيفك ، والتشاغُلِ بتقويمك . وهل كنتُ فى ذلك إلاّ كما قال العربىُّ :

« هَلْ يَضُرُّ السَّحابَ نَبْحُ الكلابِ » .

وإلاّ كما قال الشاعر :

هل يَضُرُّ البحرَ أمسى زَاخِراً أنْ رَمَى فيهِ غلامٌ بحَجَرْ[2]

وهل حالُنا فى ذلك إلاّ كما قال الشاعر[3] :

ماضرَّ تغلِبَ وائلٍ أهجوْتَها أمْ بُلْتَ حيْثُ تناطِح البَحْرَانِ

وكما قال حسَّانُ بنُ ثابت[4] :

ما أُبالِى أنَبَّ بالحَزْنِ تَيسٌ أم لحانى بظهرِ غَيْبٍ لئيمُ

وما أشكُّ أنَّكَ قد جعلت طول إعراضنا عنك مَطِيَّةً لك ، ووجَّهت حِلْمَك عنك إلى الخوف منك . وقد قال زُفَرُ بنُ الحارث لبعض مَنْ لامَه على حسنِ الصفح ، فجعل العفْوَ سببا إلى سوء القول :

---

(١) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام .

(٢) البيت رواه الجاحظ فى البيان ٣ : ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،

فَإنْ عدتَ وَاللهِ الذى فوقَ عَرْشِه مَنَحْتُكَ مسنون[1] الغِرَارَينِ أزْرَقا
فإنّ دواءَ الجهل أن تُضْرَبَ الطُّلَى وأنيُغْمس العِرِّيضُ حتى يغرّقا[2]

وقال الأوّل :

وضَغائنٍ دَاوَيتُها بضغائنٍ حتَّى شَفَيتُ وبالُحقُودِ حُقُودا

وقال الآخر :

وما نَفَى عنك قوماً أنت خائفُهم كَمِثل وَقمك جُهَّالاً بجُهّالِ[3]
فاقْعَسْ إذَا حَدِبوا واحدَبْ إذا قَعسوا وَوَازِنِ الشَّرَّ مثقالاً بمثقالِ

فإنّا وإن لم يكن عندنا سِنَان زُفَرَ بنِ الحارث ، ولا معارضةُ هؤلاء الشرَّ بالشرّ ، والجهلَ بالجهل ، والحِقد بالحِقد ، فإن عندى ما قال المسعودىُّ[4] :

فمُسَّا تراب الأرضِ منه خُلقتُما وفيه المعادُ والمصيرُ إلى الحشر
ولا تأنفا أن تَرْجِعا فتسلِّما فما كسيَ الأفواهَ شَرًّا من الكِبْرِ[5]

---

(١) فى ط : « مصقول » . وغرار السيف أى حده لايوصف بالصقل ، وإنما يوصف باخذة . فالوجه (مسنون) كما فى ل وكما فى البيان ٤ : ٥٦ .

(٢) فان من الجهل أن تضرب الطلى وأن تلمس العريض حتى يغرقا
هكذا ورد البيت فى ط وهو تحريف أصلحته من ل ومن البيان للجاحظ . والطلى : الأعناق أو أصولها ، جمع طلية أو طلاة ، بضم الطاء فى كل منهما . والعريض كسكيت : الذى يتعرض للناس بالشر .

(٣) جاء البيت فى ط على هذه الصورة :
وما نبى عنك قوما أنت خائفهم كمثل زقمك جهالا بجهال
وصححناه من البيان ٣ : ٣٣٤ ومن ل ، س والروض الأنف ١ : ١٧٠ ومجالس ثعلب ٩١ . والوقم : القهر والإذلال والكبح .

(٤) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . وهذه الأبيات من عشرة أبيات رواها المرتضى فى أماليه ٢ : ٦٠ . ٦١ وذكر قصة لها ، انظر لها أيضا جمع الجواهر ص ٣ .

(٥) فى الأمالى : « فما حشى الأقوام » وفى جمع الجواهر : « فما حشى الإنسان » . وفى ل ، س « ولا تعجبا أن ترجعا » . يخاطب عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان ، كما فى الخبر ٢٩٧ .

Marfat.com

فلو شئتُ أدْلَى[1] فيكما غير واحد علانيةً أو قالَ عندى فى السِّرِّ
فإنْ أنا لم آمُرْ ولم أنْهَ عنكُما ضَحِكْتُ له كيما يَلِجَّ ويَسْتَشْرِى[2] ٨

وقال النَّمِر بن تَولَب :

جزَى اللهُ عنِّى جَمرَةَ ابنةَ نوفلٍ جَزَاءَ مُغِلٍّ بالأمانةِ كاذِبِ[3]
بما خَبَّرَتْ عنِّى الوُشاةَ ليكذِبوا علىَّ وقد أوليتُها فى النوائِبِ

يقول : أخرجتْ خَبَرَها ، فخرج [إلى[4]] من أحبُّ أن يعابَ عندها .

ولو شئتَ أن نعارضَك لعارضناك فى القول بما هو أقبحُ أثراً وأبقى وَسْما ، وأصدقُ قِيلاً ، وأعدلُ شاهداً . وليس كلُّ مَن تَرَكَ المعارَضَة فقد صفح ، كما أنَّه ليس من عارَضَ فقد انتصرَ . وقد قال الشاعر قولاً . إن فهمتَه فقد كفَيتَنا مَئُونَةَ المعارَضَة . وكفيتَ نفسَك لزومَ العار . وهو قوله[5] :

إن كنتَ لا ترهَبُ ذمِّى لِمَا تَعْرِفُ مِنْ صَفْحِى عن [illegible]
فاخشَ سُكوتِى إذ أنا منصت فيلك المسدوع [illegible]
فالسامعُ الذى [illegible] [illegible]

---

(١) فى ط : «أولى» . [illegible]
لو شئت لقلنا مثل ما [illegible]
(٢) فى ط «يح [illegible] فى أمثل ما تقدم [illegible]
(٣) كذا فى ل [illegible] وفى ط «[illegible]
وفى س : «[illegible]
(٤) زيادة يقتضيها السياق . [illegible] الذين يتمنى هو أن يعابها عندهم .
(٥) نسب إلى المثقب فى الأمالى ١٢ [illegible] ٣٦٠ [illegible] والحسد . ونسب إلى كعب بن [illegible] فى الخزانة ٣ [illegible]
(٦) كذا فى الخزانة ، وجمع البيت [illegible] ٣٠٣ [illegible]
« فاخشَ سكوتى إذا [illegible] » [illegible] مصحفاً .

Marfat.com

مقالةَ السُّوء إلى أهلها أسرَعُ من مُنْحَدر سائلِ
ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطل
فلا تَهِجْ إنْ كنتَ ذا إرَبَةٍ حرْبَ أخى التجرِبةِ العاقل
فإنَّ ذا العَقل إذا هِجْتَه هجتَ به ذا خَبَلٍ خابل
تُبْصرُ فى عاجلِ شَدَّاته عليك غِبَّ الضرَر الآجلِ

وقد يقال : إنّ العفوَ يُفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم ، وقد قال الشاعر :

والعَفوُ عندَ لبيبِ القومِ موعِظةٌ وبعضهُ لسَفيهِ القومِ تدريبْ

فإنْ كنَّا[1] أسأنا فى هذا التقريعِ والتوقيفِ ، فالذى لم يأخُذ فينا بحُكم القرآنِ ولا بأدَب الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يَفزَع إلى مافى الفِطَن الصحيحة ، وإلى ما توجبهُ المقاييسُ المطَّردةُ ، والأمثالُ المضرُوبة ، والأشعار السائرة . أولَى بالإساءة وأحقُّ باللائمة ، قال الله عزَّ وجل : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ . وقد قال النبىُّ عليه الصلاة والسلام : « لا تَجْنِ يَمِينُكَ عَلَى شِمَالك » .

وهذا حكمُ الله تعالى وآدابُ رسوله والذى أُنْزِلَ به الكتابُ ودلَّ عليه من حُجَج العقول .

فأمَّا ما قالوا فى المثل المضروب [« رَمَتْنِي بِدَائِهَا وانسَلَّتْ » ، وأمّا] قولُ الشعراءِ . وذمُّ الخطباءِ لِمَنْ أخَذَ إنساناً بذنْب غيره ، وما ضَرَبُوا فى ذلك من الأمثال . كقول النابغة حيث يقول فى شعره :

وكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وتَرَكْتَه كذِى العُرِّ يُكوَى غيرُه وهو رَاتِعُ

---

(١) فى ط : « فانا كنا » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س .

Marfat.com

وكانوا إذا أصابَ إبلَهُم العرّ كَوَوُا السليمَ ليدفعَه عن السقيم ، فأسقمُوا الصحيحَ من غير أن يُبْرِئوا السقيم .

وكانوا إذا كثُرتْ إبلُ أحدِهم فبَلَغَتِ الألف . فقَئُوا عَيْنَ الفحْل : فإنْ زادَت الإبلُ على الألْف فقئوا العينَ الأخرى . وذلك المفقَأُ والمعمَّى اللذان سمعتَ فى أشعارِهم .

قال الفرزدق :

غلبتك بالمفقئ والمعنَّى وبيتِ المُحْتَبِى والخافقاتِ (١)

[وكانوا يزعمون أن المفقأ يطرد عنها العين والسواف (٢) والغارة .

فقال الأوّل :

فقأتُ لها عَيْنَ الفحِيل عِيافَةً وفيهنّ رَعْلاءُ المسامِع والحامى (٣)

---

(١) هذا البيت دخيل على الكتاب . ويبعد من غير جاحظ أن [illegible] فى هذا الموضع إذ لا علاقة له [illegible] التى يقول فيها مهاجيا جريرا :

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

الرعلاء : التى تشقّ أذنها وتترك مدلّاة . لكرمها] .

وكانوا يقولون فى موضع الكَفَّارة والأُمْنِيَّة : كقول الرجل : إذا بلغَتْ إبلى كذا وكذا وكذلك غنَمى . ذَبَحْتُ عند الأوثان كذا وكذا عتيرة . والعتيرة من نُسُك الرَّجبيّة والجمع عتائر — والعتائر من الظباء — فإذا بلغتْ إبلُ أحدِهم أو غنمُه ذلك العددَ . استعملَ التأويلَ وقال : إنّما قلتُ إنّى أذبحُ كذا وكذا شاة . والظباء شاء . كما أنّ الغنم شاء . فيجعل ذلك القربانَ شاةً كلَّه ممَّا يَصيد من الظباء . فلذلك يقول الحارثُ بن حِلِّزَةَ اليشكُرىُّ :

عَنَتاً باطلاً وظُلْماً كما تُعْـــتَرُ عَنْ حَجْرَةِ الرَّبِيضِ الظِّباءُ

بعد أن قال :

أمْ عَلَينا جُناحُ كِنْدَةَ أن يَغْـ ـنَمَ غَازِيهُمُ ومِنَّا الجزاءُ

وكانوا إذا أوردُوا البقرَ فلم تشربْ . إمَّا لكَدَر المـاء . أو لقلَّةِ العطَش ، ضربوا الثورَ ليقتَحِم الماء . لأنَّ البقـرَ تَتْبَعه كما تتْبع الشَّوْلُ الفحل ، وكما تتبع أتُنُ الوحشِ الحمار . فقال فى ذلك عَوْفُ بن الخرِع[1] :

تَمنَّتْ طَيِّئٌ جَهْلاً وجُبْناً وقد خالَيتُهم فأَبَوْا خِلائى[2]

هَجَوْنى أنْ هَجَوْتُ جِبَال سَلمى كضَرْبِ الثَّورِ للبقرِ الظِّماء

وقال فى ذلك أَنَس بن مُدْرِك فى قتله سُلَيك بنَ السُّلَكَة :

إنّى وقَتْلِى سُلَيْكًا ثمَّ أعْقِلَهُ كالثَّورِ يُضرَب لمَّا عافتِ البَقَرُ[3]

أنِفْتُ لِلْمَرءِ إذْ نِيكتْ حَلِيلتُه وأن يُشَدَّ على وجعائها الثَّفَرُ[4]

---

(١) فى ط : عوض بن جزع . وهو عن الصواب كما أثبته ؛ فى ل ، س

(٢) فى ل ، س .

(٣) فى ط : وقتلى سليكا .

(٤) عافت : أعرضت عن الشرب لكدره .

(٥) الوجيدة : الأتان . وانظر بالتحريك : نصير فى مؤخر الشرج .

Marfat.com

وقال الهَيَّبان الفهمى[1] :

كما ضُرِبَ الْيَعْسُوب أَنْ عافَ بَاقِرٌ وما ذَنْبُهُ أَن عافَتِ المـاءَ بَاقِرُ

ولمّا كان الثورُ أميرَ البقر ، وهى تطيعُه كطاعة إناث النحل لليعسوب ، سمَّاه باسم أميرِ النحْلِ .

وكانوا يزعمون أنَّ الجنَّ هى التى تصُدُّ الثّيرانَ عن الماءِ حتى تُمْسِكَ البقرُ عن الشرب حتى تهلِك ، وقال فى ذلك الأعشى :

فإنّى وما كلَّفتُمونى — وربِّكم — لأعلَمُ مَنْ أمْسَى أعقَّ وأحوبا[2]

لَكالثَّور والجنّىُّ يَضرِبُ ظَهرَه وما ذنْبُه أن عافَتِ الماءَ مَشرَبا

وما ذنْبُه أَنْ عافَتِ المـاءَ باقِرٌ وما إن تَعافُ الماءَ إلاَّ ليُضْرَبا[3]

كأنّه قال : إذا كان يُضْرَب أبداً لأنها عافت الماء . فكأنّها إنما عافت الماء ليُضْرَب .

وقال يحيى بن منصور الذُّهْلىّ فى ذلك :

لكالثَّور والجنّىّ يَضْرِبُ وَجْهَه وما ذنْبُه إن كانت الخمرُ ضرّته

وقال نهشل بن حرّى[4] :

أتتْرُكُه عارضٌ وابنُ عمّ ...

كذئب الشَّرْى يضْرَبُ بالهراوى ...

وكيف تكلّفُ الشعرى نهيلا ...

---

(١) ...

(٢) ...

(٣) ...

(٤) ...

(٥) ...

Marfat.com

وقال أبو نُوَيرة بن الحصين ، حين أخذه الحكم بن أيُّوب بذَنْب العَطَرَّق [١] :

أبا يُوسُفٍ لو كنتَ تَعلَمُ طاعَتى ونُصْحِى إذَنْ ما بِعتَنى بالمحلَّق [٢]

ولا ساقَ سَرّاق العِرَافة صالحٌ [٣] بَنِىَّ ولا كُلِّفْتُ ذَنْبَ العطرق [١]

وقال خِداش [٤] بن زُهير حين أُخِذ بِدماء بنى محارِب [٥] :

أَكلفُ قَتْلَى مَعْشر لستُ مِنهمُ ولادارُهُمْ دارِى ولانصرُهُمْ نَصْرِى

أَكَلَّفُ قَتلَى العِيصِ عِيصِ شُواحِط وذلك أمرٌ لم تُثَفّ لَهُ قِدْرِى [٦]

وقال الآخر :

١١ إذا عَرَكت عِجْلٌ بنا ذنْبَ طيِّئٍ عَرَكْنا بتَيمِ اللاتِ ذنبَ بَنِى عِجْلِ

ولما وَجَدَ اليهودِىُّ أخا حنبض [٧] الضبابىّ فى منزله فَخصَاه فمات ، وأخَذَ حنبض بنى عَبْسٍ بجنايَة الِ ودىّ ، قال قيسُ بن زُهَيْر : أتأخذُنا بذنْبِ غيرِنا ، وتسألنا العَقلَ والقاتلُ يهودىٌّ من أهل تيماء ؟ فقال : والله أنْ لو قتلَتْه الريح ، لودَيْتُمُوه ! فقال قيس لبنى عَبْس : الموتُ فى بنى ذُبيانَ خَيْرٌ من الحَياةِ فى بَنى عامر ! ثم أنشأ يقول :

أكلَّفُ ذا الخُصْيَيْنِ إن كانَ ظَالماً

وإن كنتُ مظلوماً وإن كنتُ شاطنا [٨]

---

(١) فى ط « العطف » بالفاء ، وصوابه فى ل . س ، ١٠ س .

(٢) ماعدا ل و ١٠ س « إذن هاديتنى » . تحريف . وانظر الخزانة ٣ : ٢١٥ . وفى الخزانة : « والمخلق الضبىّ ولاه الحكم بن أيوب سفوان » .

(٣) فى ط : « سراف العرافة » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س.

(٤) فى ط : « خراش » وما هنا عن ل . وخداش شاعر جاهلى ، من أشراف بنى عامر

(٥) فى ط : « بذنب ابن محارب » وتصحيحه من ل وكذا يتضح من الشعر .

(٦) فى ط : « عيص شواهد » وهو تحريف مافى ل ، س ، ١٠ س . وفيها كذلك « لم يكلف له » وصوابه مافى ل ، س ، ١٠ س . وثفى القدر : وضع ها الأثافى وانظر معجم البكرى ٨١٥ وجمهرة أشعار العرب ١٠٩ .

(٧) ماعدا ل « أبا حنبض » . صوابه فى ل والميدانى ٢ : ٥٩

(٨) شاطنا : بعيدا نائيا .

Marfat.com

خصاه امروٌ من آلِ تيماءَ طائر

ولا يَعْدمُ الإنسىُّ والجنُّ كائنا[1]

فَهَلاَّ بنى ذُبيانَ — أمُّكَ هَابِلٌ —

رَهَنْتَ بفَيفِ الرِّيحِ إن كُنْتَ رَاهِنا[2]

إذا قلتُ قد أفلتُّ من شَرِّ حنبض

أتانى بأُخْرَى شرّه مُتَباطِنـــــا

فقد جَعَلَتْ أكبادُنا تجتويكُمُ

كما تجتوِى سُوقُ العِضاهِ الكرازِنا[3]

(قتل لقمان بن عاد لنسائه وابنته)

ولما قَتَلَ لُقمانُ بنُ عادٍ بنتَه — وهى صُخرُ أخت لقمان قتل حين قتلهن .

أَلَسْتِ امرأة ! وذلك أنّه قد كان تزوج عدّة نسوة . كلهن تحته في قصر واحد .

فلمّا قَتَلَ أخرهنّ ونزل من الجبل . كان أوّل من تلقّاه صخرٌ بابنه . فوثب

عليها فقتلها وقال : وأنت أيضا مرأة ! وكان قد قتل قبل ذلك أختها [4]

طُهْرَتى وهى نفساء . فدعيني أنام في مضجعها . فإن تكن في الجبل

---

(١) في الأصل : ...

وأمثال الهمداني ٢ ...

(٣) الكرزان ...

(٤) الطهرة ...

Marfat.com

فعسَى أن يقَع علىَّ فأُنْجِبَ . فوَقَعَ على أُختِه فَحَمَلَتْ بِلُقَيْم . فهو قولُ النَّمِرِ بن تَولَب[1] :

لُقيمُ بنُ لُقمانَ من أُختِهِ فكانَ ابنَ أُختٍ لهُ وابنَما
ليالِيَ حمّق فاستحصنَتْ عليه فغُرَّ بها مُظْلِما[2]
فأحبَلَهَا رَجُلٌ مُحكِمٌ فجاءت به رجلاً مُحْكِماَ[3]

فضربت العربُ فى ذلك المثلَ بقتل لقمانَ ابنتَه صُحرًا ، فقال خُفافُ ابن نَدْبة فى ذلك :

وعَيّاش يُدِبُّ لى المنايا وما أذنَبْتُ إلاَّ ذَنْبَ صُحْر[4]

وقال فى ذلك ابن أُذَيْنَة[5] :

١٢ أتجمَع تَهيَاماً بليلَى إذا نأَتْ وهِجْرانَها ظُلماً كما ظُلِمَتْ صُحْرُ

وقال الحارثُ بن عُبَاد :

قَرِّبا مربطَ النعامةِ مِنِّى لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عَنْ حِيالِ[6]
لم أكنْ من جُنَاتِها عَلِمَ اللّـ ـهُ وإنِّى بحَرِّها اليومَ صالِى

وقال الشاعر ، وأظنُّه ابنَ المقنَّع :

---

(١) شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم وكتب له كتابا ، وروى عنه حديثا ، وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم .
(٢) فى ط « فعربه » . وغربها : خدع بها . ومظلما : فى الظلام .
(٣) المحكم : المنجب الذى يلد حكيما ، ويقابله المحمق : الذى يلد الحمق .
(٤) فى ثمار القلوب ٢٤٥ « وعباس يمهد لى المنايا » وفى ل « وعياش يدب إلى » . وأدبها : جعلها تدب .
(٥) هو عروة بن أذينة ، وأذينة لقب لأبيه ، واسم أبيه يحيى . شاعر مقدم من أهل المدينة ويعد فى الفقهاء والمحدثين أيضا . ولكن غلب عليه الشعر ، وله ترجمة مستفيضة فى الأغانى ٢١ : ١٠٥ — ١١١ .
(٦) النعامة : فرس الحارث . وعن حيال : أى بعد انقطاع عن الخيل . والمعنى أنه قد جد الجد .

Marfat.com

فلا تَلُمِ المرءَ فى شـــأنِهِ فربَّ مـــلومٍ ولَمْ يُذْنِبِ

وقال آخر :

لعلَّ لَهُ عُذْراً وأَنتَ تَلُومُهُ وكم لائمٍ قد لَامَ وهْوَ مُلِيمُ [1]

(حديث ســـنَّمار)

وقال بعض العرب . فى قتل بعضِ الملوكِ [2] لِسِنَّمارِ الرومى : فإنه لـــ
علا الخَوَرْنَق ورأى بُنْياناً لم يرَ مثله . ورأى فى ذلك المستشرف . وخاف
إن هو استبقاه أن يموت فيبنى مثلَ ذلك البنيانَ لرجل آخرَ من الملوك .
رمَى به من فوق القصر . فقال فى ذلك الكلبى [3] فى شىء كان بينه وبين
بعضِ الملوك :

جَزَانى جزاهُ اللهُ شرَّ جزائهِ جزا سِنِمَّارٍ وكان لى ظنّه
سِوَى رَصْدِهِ البنيانَ سَبعين حِجَّةً بما عنه ونسيانه
فلم يرْعَ البنيانَ ثم
وأفضلَ كمثل
وظنَّ سِنِمَّارٌ به كلَّ
—
(١) كذا ، وصحتها
(٢) قال
هو
(٣) فى
أنه سيد العرب
(٤) القواميد
وفى
(٥) فى
(٦) فى

Marfat.com

فقال اقذِفوا بالعِلْجِ مِنْ رأسِ شاهقٍ فذاكَ لعَمْرُ اللهِ مِنْ أعظَمِ الخطْب

وجاء المسلمونَ ، يروى خَلَفٌ عن سَلَف ، وتابعٌ عن سابِق ، وآخَرُ عنْ أوّل ، أنَّهمْ لم يختلِفُوا فى عيبِ قول زِياد[1] : « لآخُذَنَّ الوَلِيَّ بالوَلِيِّ ، والسَّمِى بالسَّمِيِّ ، والجارَ بالجارِ » ، ولم يختلفُوا فى لَعْن شاعِرهم حيث يقول :

إذا أُخِذَ البَرِىءُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ تَجَنَّبَ ما يُحاذِرُه السقيمُ

قال : وقِيل لِعَمْرو بن عُبَيد : إنّ فلاناً لما قدَّم رجلاً ليُضْرَبَ عُنُقه ، فقيل له : إنَّه مجنون ! فقال : لولا أنَّ المجنونَ يَلِدُ عاقلا لخلَّيت سبيلَه . قال : فقال عَمْرو : ماخَلَقَ اللهُ النَّارَ إلاّ بالحقّ !

ولمّا قالت التغلبيَّةُ للجَحَّاف ، فى وَقْعَة البِشْر[2] : فضَّ اللهُ فاكَ وأعماك ، وأطالَ سُهادَك ، وأقَلَّ رُقادَك ، فوَالله إنْ قَتَلْتَ إلاّ نساءً أعالِيهنَّ ثَدِىٌّ ، وأسافِلُهنَّ دُمًى ! ! فقال لِمَنْ حَولَه : لولا أن تَلِدَ هذِه مثلَها لخلَّيتُ سَبيلَها ! فبلغ ذلك الحسنَ فقال : أمَّا الجحَّاف فجَذْوةٌ من نارِ جهنَّم .

قال : وذمَّ رجلٌ عند الأحنَفِ بنِ قيس الكَمْأةَ بالسَّمْنِ ، فقال عند ذلك الأحنف : « رُبَّ مَذْمُومٍ لاذَنْبَ لَه[3] » .

فبهذِه السيرةِ سرتَ فينا .

وما أحسنَ ما قال سعيدُ بنُ عبدِ الرحمن[4] :

وإنّ امرأً أمْسَى وأصْبَحَ سالمًا مِنَ النَّاس إلاَّ ما جَنَى لَسَعِيدُ

---

(١) هو ابن أبيه ، والكلام فى خطبته البتراء المعروفة . انظر البيان ٢ : ٦٣ .

(٢) فى ط : « البسر » وهو تصحيف . والبشر : جبل يمتد من الشام إلى الفرات . وانظر المعجم والشعراء ١٩ : ١٣٠ .

(٣) الخبر فى البيان والتبيين ٢ : ٣٤٤ ، ٣٧٤ .

(٤) هو سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

Marfat.com

(عناية العلماء بالملح والفكاهات)

وقلتَ : وما بالُ أهلِ العلمِ والنظرِ، وأصحابِ الفكرِ والعِبَرِ، وأربابِ النِّحَلِ، والعلماءِ وأهلِ البصر بمخارجِ المِلَل . وورثةِ الأنبياء، وأعوانِ الخلفاء ، يكتُبُون كتبَ الظُّرَفاءِ والمُلَحَاء ، وكُتب المُرَّاغِ والخَنَعاء . وكتبَ الملاهي والفُكَاهات ، وكتبَ أصحابِ الخصومات . وكتبَ أصحابِ المِراءِ ، وكتبَ أصحاب العصبيَّةِ وحَمِيَّةِ الجاهليَّة ! ! ألأنَّهم لايحاسِبون أنفسهم . ولا يُوازِنون بينَ ما عليهم وفيه . ولا يخافُون تصفُّحَ العلماءِ . ولا لأئمة الأرباءِ[1] . وشنف الأكْفاء . ومَشْنَأة[2] الجلساء ! !

فهلاَّ أمسكتَ — يَرْحَمُكَ اللهُ — عَنْ عَيْبِها والطَّعْنِ عليها . وعن المَشُورَةِ والموعِظة . وعن تخويفِ مَن[3] سوء العاقبةِ . إلى أن [illegible] العلماء . ومراتبَ الأكْفاء ؟ !

فأمَّا كتابُنا هذا . فسنذكرُ جُمْلَةً من المذاهب[4] [illegible] على التفسير . ولعلَّ [illegible] فتثبت أو تكون قد [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

Marfat.com

(أقسام الكائنات)

وأقول : إنّ العالَمَ بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء : متّفق ، ومختلف ، ومتضادٌّ ؛ وكلُّها فى جملةِ القول جمادٌ ونامٍ . وكان حقيقةُ القولِ فى الأجسام من هذه القِسْمة ، أن يقال : نامٍ وغيرُ نام . ولو أنَّ الحكماءَ وضعُوا لكلِّ ما ليس بنامٍ اسماً ، كما وضعُوا للنامى اسماً ، لاتبّعنا أثرَهُمْ ؛ وإنما ننتهى إلى حيثُ انتهوا . وما أكثرَ ما تكونُ دلالةُ قولِهِمْ جماد ، كدَلالةِ قولهم مَوَات . وقد يَفترِقان فى مواضِعَ بعضَ الافتراق . وإذا أخرجت[1] من العالَمِ الأفلاكَ والبروجَ والنجومَ والشمسَ والقمر ، وجدتَها غيرَ نامية ، ولم تجدْهم يسمُّون شيئاً منها بجَماد ولا مَوات ، وليس لأنَّها تتحرَّكُ من تِلقاءِ أنفُسِها لم تُسَمَّ مواتاً ولا جماداً .

وناسٌ يجعلونها مدبِّرة غير مدبَّرة ، ويجعلونها مسخِّرة غير مسَخَّرة[2] . ويجعلونها أحْيَا من الحيوان ؛ إذْ كان الحيوانُ إنَّمَا يَحْيا بإحيائِها لَه ، وربما تُعطيه وتُعيره . وإنما هذا منهم رأى ، والأُمَمُ فى هذا كلِّه على خلافِهم . ونحنُ فى هذا الموضعِ إنَّما نعبِّر عن لُغَتنا ، وليس فى لُغتنا إلاّ ما ذكرنا .

والناسُ يسمُّون الأرضَ جماداً ، وربّما يَجعلونها مَوَاتاً إذا كانتْ لم

---

(١) فى ط : « خرجت » .

(٢) ماعدا ل و س : « مدبرة وناس غير مدبرة ويجعلونها مسخرة وغير مسخرة » وما هنا صوابه .

Marfat.com

تُنْبِتْ قديماً ، وهى مَوَات الأرض . وذلك كقولهم : مَنْ أحيَا أرضاً مواتاً فهى له .

وهم لايجعلون الماءَ والنارَ والهواءَ . جماداً ولا مَوَاتاً . ولا يسمُّونَهَا حيواناً ما دامت كذلك . وإن كانت لاتضاف إلى النَّماء والخمدِ .

والأرضُ هى أحدُ الأركانِ الأربعة . التى هى الماءُ والأرضُ والهواءُ والنار ، والاسمانِ لايتعاوَرَانِ عندَهم إلاّ الأرض .

(تقســـيم النامى)

ثمَّ النامِى على قسمين : حيوان ونبات . وحيوانٌ على أربعة أقسام : شىءٌ يمشى . وشىء يطير . وشىء يسبَحُ . وشىءٌ يَنْساخ[1] . إلاّ أنّ كلّ طائرٍ يمشى . وليس الذى يَمْشى ولا يَطِير يسمى طائرا . والذى يَمشى على أربعةِ أقسام : ناس . وبهائم . وسباع . ومشرات . على أنّ الحشرات راجعةٌ فى المعنى إلى مشاكلةِ طباعِ البهائم والسباع . إلاّ أنّا فى هذا نتبع الأسماء القائمة[2] المعروفة . البهائم بأصنافها . السباع كذلك . مِنْ أهل هذه اللغة وأجناسها كذلك . وإنما نفرد ونجمع ما جمعوا[3] .

(١) ينساخ : يمشى على بطنه .
(٢) فى ط : الفارقة .
(٣) فى ط : [illegible]

Marfat.com

(تقســـيم الطير)

والطيرُ كلُّ سَبُعٍ وبَهيمة وهَمَج . والسباعُ من الطير على ضَربَيْن : فمنها العِتاقُ والأحرارُ والجوارحَ ، ومنها البغاث[1] وهو كلُّ ماعظمَ من الطير : سبعاً كان أو بهيمة ، إذا لم يكنْ من ذواتِ السلاحِ والمخالبِ المعقَّفة ، كالنُّسورِ والرَّخَم والغِربان ، وما أشبهها مِنْ لئامِ السباع .

ثم الخَشاش ، وهو ما لطُف جِرمُه وصَغُر شخصه ، وكان عديمَ السلاح [ولا يكون[2]] كالزُّرَّقِ[3] واليُؤيُؤ[4] والبادنجار[5] .

فأما الهَمَج فليس من الطير ، ولكنَّه ممَّا يطير . والهمَجَ فيما يطيرُ ، كالحشراتِ فيما يمشي .

والخيّاتُ من الحشرات ، وأيُّ سبعٍ أدخَلُ فى معنى السَّبُعيَّة مِنَ الأفاعى والثعابين ؟ ولكن ليس ذلك من أسمائها ، وإن كانتْ من ذوات لأنيابِ وأكَّالة اللُّحوم وأعداءِ الإنسِ وجميعِ البهائم ، ولذلك تأكلُها الأوعَال[6] والخنازيرُ والقَنافِذُ والعِقبان[7] والشاهْمُرك[8] والسنانير ، وغير ذلك من البهائم والسباع . فمَنْ جَعَلَ الخيَّاتِ سِباعاً ، وسمَّاها بذلك عندَ بعضِ القولِ والسببِ فقدْ أصابَ ، ومن جعلَ ذلك لها كالاسمِ الذى هو العلامةُ

---

(١) فى القاموس : البغاث مثلثة : طائر أغبر جمعه كغزلان ، وشرار الطير .

(٢) كلمة يفتقر إليها الكلام .

(٣) الزرق : طائر يصاد به ، بين البازى والباشق ، وفيه ختل وخبث .

(٤) اليؤيؤ : من جوارح الطير يشبه الباشق .

(٥) كذا فى ط وس و ١٠ س . وفى ل « الباذنجان » . وأراها محرفة عن « الباشق » . انظر الحيوان ٢ : ١١٨ .

(٦) فى ط « الوعال » والتصحيح من ل ومن حيوان مجاحظ ٢ : ٥٢ و ٦ : ٥٥ .

(٧) فى ط « الغربان » .

(٨) الشاهمرك : الفرخ من الدجاج قبل أن يبيض بأيام قلائل ، وهو معرب شاه مرغ ، ومعناه الملك الطير . الدميرى .

Marfat.com

كالكَلْبِ والذئب والأسَد فقد أخطأ .

ومن سِباعِ الطيرِ شكلٌ يكون سِلاحُه المخالبَ كالعُقابِ وما أشبهها . ومن وشيءٌ يكونُ سِلاحُه المناقيرَ كالنُّسُورِ والرَّخَمِ والغِرْبان . وإنَّما جعلْناها سباعاً لأنّها أكَّالةُ لحوم .

ومِنْ بهائم الطير ما يكون سلاحُه المناقيرَ كالكَرَاكِيِّ وما أشبهها . ومنه ما يكونُ سلاحُه الأسنانَ كالبُومِ والوَطْوَاطِ وما أشبهها . ومنه ما يكون سلاحُه الصياصى كالدِّيَكَة . ومنه ما يكون سلاحه السَّلْع[1] كالْحُبارى[2] والثعلب أيضا كذلك .

والسَّبع من الطير : ما أكل اللحمَ خالصاً . والبهيمةُ : ما أكلت العشبَ خالصاً . وفى الفنِّ الذى يجمعها من الخَلْقِ المركَّب والطبع المشتَرَك . كلامٌ سنأتى عليه فى موضعه إن شاء الله تعالى .

والمشتَرَكعندهم كالعصفور ، فإنّه ليس بذى مخلَب معقّف ولا منسَر[3] وهو يلقط الحبَّ . وهو مع هذا يصيد الفأر[4] إذا مرّ . ويصيد الجراد . ويأكل اللحم . ولا يَزْقُّ فِراخه كما تَزِقُّ الحمامةُ . بل يلقمها كما تلقمه السباعُ من الطير فراخها . وأشباهُ هذا من المشترَك كثير . وسنأتى على ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى .

---

(١) السلع والسلاح [illegible]

(٢) فى ط « كالحبارى [illegible]
سلاحها سلاحها .

(٣) المنسر كمجلس [illegible]

(٤) فى ط « الفأر [illegible]
[illegible]

Marfat.com

وليس كلُّ ما طار بجَناحينِ فهو من الطير ؛ قد يطير الجِعْلانُ والجَحْلُ ، واليَعاسِيبُ والذّبابُ والزَّنابيرُ والجَرادُ والنمْل والفَراشُ والبَعوضُ والأرضَة والنحلُ وغيرُ ذلك ، ولا يسمَّى بالطير . وقد يقال ذلك لها عند [بعض] الذكرِ والسبب . وقد يسمُّون الدجاجَ طيراً ولا يسمُّون بذلك الجراد ، والجرادُ أَطْيَر (١) ؛ والمثلُ المضروبُ به أشهر ؛ والملائكةُ تَطِيرُ ، ولها أجنحةٌ وليستْ من الطير . وجَعفر بن أبي طالب ذو جناحين يَطِير بهما في الجنَّة حيثُ شاء ، وليس جعفرٌ من الطير .

واسمِ طائرٍ يقَع على ثلاثة أشياء : صورة ، وطبيعة ، وجَناح . وليس بالريشِ والقَوادِمِ (٢) والأباهِرِ (٣) والخوافي (٤) ، يسمَّى طائراً ، ولا بعدمه يسْقط ذلك عنه . ألا ترى أنَّ الخفَّاشَ والوَطواطَ من الطير ، وإن كانا أمْرَطَينِ ليس لهما رِيشٌ ولا زَغَبٌ ولا شَكِيرُ ولا قَصَب (٥) وهما مشهورانِ بالحمل والولادة ، وبالرَّضاع ، وبظهور حَجْم الآذان ، وبكثرة الأسنان . والنعامة ذاتُ ريشٍ ومِنقارٍ وبَيضٍ وجَناحين ، وليست من الطير .

وليس أيضاً كلُّ عائمٍ سمَكة ، وإن كان مناسباً للسمك في كثير من معانيه . ألا تَرَى أنّ في الماء كَلْبَ الماء ، وعنْزَ الماء ، وخِنزيرَ الماء ، وفيه الزَّقُّ (٦) والسُّلَحْفاة . وفيه الضِّفْدَع وفيه السرطان ، والبَيْذَنيبُ (٧) ،

---

(١) في ط : خير . والصواب من ب ، وطير : أشد طيرانا .

(٢) القوادم والقادمة — كجبرى — أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح . الواحدة قادمة.

(٣) الأباهر : جانب الأنف من الريش . جمعه أباهر .

(٤) الخوافي : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

(٥) القصب : الريش الصغير . والشكير : صغار الريش بين كبارها . والقصب : ضرب من صغار الريش .

(٦) الزق بكسر الزاي وبالقاف : ضرب من دواب الماء يشبه التمساح . والزق بالفتح : الغطي من الجلد للجراب . وجمعه زقوق .

(٧) البيذنيب لم يذكره المعجميون فيما رجعنا إليه فهو في ط البيذنب وفي ب البيذنيب وفي س « الثبتل» وسماه في الحيوان قال : هو من دواب الماء فيه سمك يجرى معروف عند أهل البحر » . وانظر ما سيجيء في الصفحة ٢٥١ .

Marfat.com

والتِّمساح والدُّخس والدُّلْفين واللَّخْمُ والبنبك[1] ، وغيرُ ذلك من الأصناف .
والكَوسَج والد اللَّخَم ، وليس للكوسج أبٌ يُعرَف . وعامَّةُ ذا يَعيش فى الماء ؛ ١٦
ويبيت خارجاً من الماء ، ويَبِيضُ فى الشطِّ ، ويَبيض بيضاً له صُفْرَةٌ ، وقَيْض
وغِرْقِئٌ ، وهو مع ذلك ممّا يكون فى الماء مع السمك .

(تقسيم الحيوان إلى فصيح وأعجم)

ثمَّ لا يخرج الحيوان بعد ذلك فى لغة العرب من فصيح وأعجم . كذلك يقال فى الجملة ، كما يقال الصامت لما لا يَصْنَع صمتاً قطُّ ولا يجوز عليه خلافه ، والناطق لِمَا لَمْ يتكلَّمْ قطُّ . فيحملون ما يرغو . ويَثغو . ويَبقر . ويَصْهِل ، ويَشْحَج . ويَخُور . ويَبْغَم . ويَعوِى . ويَنْبَح . ويَئِنُّ . ويَفْغُو ، ويَهْدِر . ويَصْفِر . ويَصْوِى . ويَقْوُق . ويَنْعَب . ويَنْزِبُ[2] . ويكِشُّ . ويَعِجُّ . على نطق الإنسان إذ جعل بعض [illegible] ولذلك أشباهٌ . كذلك كورة ولاش ذو حجة . [illegible]

---

(١) فى الأصل : [illegible]
٢٢٥ فى [illegible]
[illegible]
(٢) فى [illegible]
(٣) [illegible]

Marfat.com

وكالظُّعُن ؛ فإنَّ هذه الأشياءَ إذا وجد بعضُها إلى بعض ، أو أَخَذ بعضُها من بعض ، سُمِّيَتْ بأنَبه النوعَين ذِكْرًا ، وبأقواهما . والفصيحُ هو الإنسان ، والأعجم كلُّ ذى صوتٍ لا يفهَمُ إرادتَه إلاّ ما كان من جنسه . ولعمرى إنا نفهم[1] عَن الفرَس والحمارِ والكلبِ والسِّنَّور والبعير ، كثيراً من إرادته وحوائجه وقصوده[2] ، كما نفهم إرادةَ الصبىِّ فى مَهْده ونعلم[3] — وهو من جليل العلم — أنّ بكاءه يدلُّ على خلافِ ما يدُلُّ عليه ضَحِكُه . وحَمْحَمَةُ الفرَس عند رؤية المخلاة[4] ، على خلاف ما يدلُّ عليه حَمحمتُه عند رؤية الحِجْر ، ودُعاء الهِرَّةِ الهرَّ خلافُ دعائِها لولدها ، وهذا كثير .

والإنسانُ فصيح . وإنْ عبَّرَ عن نفسِه بالفارسيّة أو بالهنديّة أو بالروميّة . وليس العربىُّ أسوأ فهماً لِطَمْطَمَةِ الرومىِّ [من الرومى] لبيانِ لسان العربىّ . فكلُّ إنسانٍ من هذا الوجه يقال له فصيح ، فإذا قالوا : فصيح وأعجَم . فهذا هو التأويل فى قولهم أعجم ؛ وإذا قالوا العرب والعجم ولم يلفظوا بفصيح وأعجم ، فليس هذا المعنى يريدون ، إنَّما يَعْنُون أنَّه لا يتكلَّم بالعربيَّة ، وأنَّ العربَ لا تفهم عنه . وقال كُثَيِّر :

فَبُورِك ما أعطَى ابنُ لَيلَى بِذِيَّةٍ وصامتُ ما أعطَى ابنُ ليلى وناطقُه

---

(١) كذا على الصواب فى ل . . وفى ط « إن التعميم » .

(٢) فى الأصول « وقصوره » بالراء ولم يظهر معناه . فكتبت مكانه « قصوده » جمع قصد .

(٣) فى ط : « والفهم » . وانظر البيان ١ : ١٦٢ .

(٤) فى ط : « الحس » وليس بالوجه . والوجه ما فى ل . وورد فى ط زيادة « الذى » قبل « حمحمة » وشبهها بنفس التركيب .

Marfat.com

ويقال « جاء بما صَأى[1] وصمت » . فالصامت مثل الذهب والفضّة ، وقوله صَأى[1] يعنى الحيوانَ كلَّه ، ومعناه نطق وسكَت . فالصامت فى كلِّ شىءٍ سِوَى الحيوان .

ووجدْنا كونَ العالَمِ بما فيه حكمةً . ووجدْنا الحِكمةَ على ضربَين : شىءٌ جُعِلَ حكمةً وهو لا يَعقِل الحكمةَ ولا عاقبةَ الحكمة . وشىءٌ جُعِل حكمةً وهو يَعْقِل الحكمةَ وعاقبةَ الحكمة . فاستوى بذلكَ الشىءُ العاقلُ وغيرُ العاقل ١٧ فى جهةِ الدَّلالةِ على أنَّهُ حكمة . واختلفا من جهةِ أنَّ أحدهما دَليلٌ لايَسْتَدِلّ . والآخر دليل يستدل . فكلُّ مُسْتَدِلٍّ دليل وليس كلُّ دليل مستدلا . فشارك كل حيوانٍ سوى الإنسان جميعَ الجمادِ فى الدَّلالة . وفى عدم الاستدلال[2] . واجْتَمَع للإنسان أنْ كان دليلاً مستَدِلاً .

ثمَّ جُعِل للمستدِلّ سببٌ يدلُّ به على وجودِ استدلاله . ووجودُ ما يَنتج عن الاستدلال . وسمّوا ذلك بيانا .

(وسائل البيان)

وجعل البيانَ على أربعة أقسام : لفظ ، وخط ، وعقد ، وإشارة .

---

(١) فى ط صأى ، وفى ب صاى ، وفى ج صاى ، وفى د صاى ، وفى هـ صاى ، وفى ز صاى ، وفى ح صاى ، وفى ى صاى ، وفى ك صاى ، وفى ل صاى ، وفى م صاى ، وفى ن صاى ، وفى س صاى ، وفى ع صاى ، وفى ف صاى ، وفى ص صاى ، وفى ق صاى ، وفى ر صاى ، وفى ش صاى ، وفى ت صاى ، وفى ث صاى ، وفى خ صاى ، وفى ذ صاى ، وفى ض صاى ، وفى ظ صاى ، وفى غ صاى .

(٢) فى ط وفى ب وفى ج وفى د وفى هـ وفى ز وفى ح وفى ى وفى ك وفى ل وفى م وفى ن وفى س وفى ع وفى ف وفى ص وفى ق وفى ر وفى ش وفى ت وفى ث وفى خ وفى ذ وفى ض وفى ظ وفى غ الاستدلال .

(٣) فى ط وفى ب وفى ج وفى د وفى هـ وفى ز وفى ح وفى ى وفى ك وفى ل وفى م وفى ن وفى س وفى ع وفى ف وفى ص وفى ق وفى ر وفى ش وفى ت وفى ث وفى خ وفى ذ وفى ض وفى ظ وفى غ

Marfat.com

وجُعِل بيانُ الدليل الذى لا يستدِلُّ تَمْكِينَهُ المستدِلَّ من نفسه ، واقتيادَه كلَّ من[1] فكَّر فيه إلى معرفةِ ما استُخْزِنَ من البرهان ، وَحُشِيَ[2] من الدَّلالَة ، وأُودِع مِن عَجيب الحكمة . فالأجسامُ الخُرْسُ الصامتة ، ناطقةٌ مِن جهة الدَّلالة ، ومُعْرِبةٌ من جهة صحَّة الشهادة ، على أنَّ الذى فيها من التدبير والحِكمة ، مخبرٌ لمن استخبَرَه ، وناطقٌ لِمَنْ استنطقه ، كما خبَّر الهُزَالُ وكُسُوف اللونِ ، عن سُوءِ الحال ، وكما ينطق السِّمَنُ وحُسْنُ النَّضْرَة ، عن حسن الحال . وقد قال الشاعر [وهو نصيب] :

فعاجُوا فأثنَوا بالذى أَنْتَ أَهلُه ولو سكتوا أثنتْ عليكَ الحقائبُ

وقال آخر :

مَتى تَكُ فى عدوٍّ أو صديقٍ تُخَبِّرْكَ العيونُ عن القلوبِ

وقد قال العُكْلِيُّ[3] فى صِدق شمِّ الذئب وفى شدّةِ حسِّه واسترواحه :

يَستخبِرُ الريحَ إذا لم يَسْمَعِ بمثل مقراعِ الصَّفا الموقَّعِ[4]

وقال عنترة ، وهو يصف نَعِيبَ غُراب :

خَرِقُ الجَناحِ كأنّ لَحْيَىْ رأسه جَلَمانِ بالأخبار هَشٌّ مُولَعُ[5]

---

(١) فى ط « واقتياده فكل » وأصلحت العبارة من ل .

(٢) فى ط « وحتى » وهو تصحيف ظاهر توجيهه فى ل .

(٣) هو أبو الرديني العكلى ، كما فى البيان ١ : ٨٢ . وانظر اللسان (خبر) .

(٤) قال الجاحظ فى البيان : المقراع : الفأس التى يكسر بها الصخر . والموقع : المحدد .

(٥) فى ط « خرق » بالخاء وهو تصحيف ، صوابه فى ل وفى البيان . قال الجاحظ فى البيان ١ : ٨٢ : « الخرق : الأسود ، شبه خبيه بالجلمين لأن الغراب يخبر بالغربة والفرقة ، ويقطع كما يقطع الجلمان » . وقد ذكر ابن رشيق هذا البيت فى العمدة ١ : ٢٠٢ وجعله من التشبيهات العقم ، التى لم يسبق أصحابها إليها ولا تعدى أحد بعدهم عنها .

Marfat.com

وقال الفضل بن عيسى بن أبان فى قصصه[١] : سَل الأَرْضَ ، فقلْ : مَنْ شقَّ أنهارَكِ ، وغَرَسَ أشجارَكِ ، وجَنَى ثِمارَكِ ؛ فإنْ لم تُجبكَ حِواراً ، أجابتْكَ اعتبارا .

فموضوعُ الجسم ونَصْبته ، دليلٌ على مافيه وداعيةٌ إليه ، ومنبهة[٢] عليه . فالجمادُ الأبكمُ الأخرسُ من هذا الوجه ، قد شارَكَ فى البيان الإنسانَ الحىَّ الناطق . فمَنْ جَعَل أقسام البيانِ خمسة ، فقد ذهَبَ أيضاً مذهباً له جوازٌ فى اللغة ؛ وشاهدٌ فى العقل . فهذا أحدُ قِسمَى الحكمة ؛ وأحَدُ مَعْنَيَىْ[٣] ما استخزنها[٤] ٩٨ اللهُ تعالى من الوديعة .

(ما يعجز عنه الإنسان مما قدر عليه الحيوان)

والقسمة الأُخرى ما أودَعَ صدورَ صنوفِ سائر الحيوان . مِنْ ضُروب المعارف . وفَطَرها عليه من غريب[٦] الهدايات . وسخَّر جناجرَها له من ضروبِ النَّغم الموزونة . والأصواتِ الملحَنة . والمخارج الشجيَّة . والأغانى المطربة ؛ فقد يقال إنَّ جميعَ أصواتها معدَّلة . وموزونة موقعة . ثمَّ الذى سهَّل لها من الرفق العجيب فى الصنعة . ثم ذلك الله تعالى لمناقيرها وأكُفّها . وكيف فتحَ لها من باب المعرفة على قدر حاجتها من الآلة . وكيف أعطى كثيرا منها من حسن التصرف . والصنعة البديعة . من غير تأديب وتثقيف . ومن غير تقويم وتعليم . ومن غير تدريج وتمرين . فبالغتْ بعفوها وتفضلها فى قوتى فوصل من

(١) [illegible]
(٢) فى ط [illegible]
(٣) فى ك [illegible]
(٤) فى ك [illegible]
(٥) فى ط [illegible]
(٦) فى ط [illegible]

Marfat.com

والارتجال ؛ ومن الابتداء والاقتضاب ، ما لا يَقْدرُ عليه حُذّاقُ رجالِ الرأى ، وفلاسفةُ علماءِ البشر ، بِيَدٍ ولا آلة . بل لا يبلغ ذلك من الناسِ أكملُهُمْ خصالا وأتمُّهُمْ خلالاً ، لا مِن جهة الاقتضاب والارتجال ، ولا من جِهة التعسُّف والاقتدار ، ولا من جهة التقدُّم فيه ، والتأنِّى فيه ، والتأتِّى له ، والترتيبِ لمقدِّماته . وتمكين الأسباب المُعِينةِ عليه . فصار جهد[1] الإنسان الثاقبِ الحسِّ ، الجامِعِ القُوى ، المتصرِّفِ فى الوجوه ، المقدَّم فى الأمور ، يَعجِز عن عَفْوِ كثيرٍ منها ، وهو ينظرُ إلى ضروب ما يجىء منها ، كما أعطيت العنكبوتُ ، وكما أعطِيَت السُّرْفَة ، وكما عُلِّم النحْل ، بل[2] وعُرِّفَ التُّنَوِّطُ مِن بديعِ المعرفة ، ومِن غَرِيبِ الصنعة ، فى غير ذلك مِن أصناف الخلق . ثم لم يوجب لهم[3] العجزَ فى أنْفُسِهِمْ فى أكثر ذلك ، إلاّ بما قوى عليه الهَمَجُ والحْشاشُ وصِغارُ الحشرات . ثم جعل الإنسان ذا العقلِ والتمكين[4] ، والاستطاعة والتصريف ، وذا التكلُّفِ والتجرِبَة ، وذا التأنِّى والمنافسَة ، وصاحبَ الفهْمِ والمسابَقَة[5] ، والمتبصِّرَ شأنَ العاقبة ، متى أحسَنَ شيئا كان كلُّ شىءٍ دونَه فى المُفوض عليه أسهلَ ، وجَعَل سائرَ الحيوانِ ، وإن كان يحسنُ أحدُها ما لا يحسنُ أحذَقُ الناس متى أحسنَ شيئا عجيبا ، لم يمكنْهُ أن يُحسِن ما هو أقربُ منه فى الظنّ ، وأسهلُ منه فى الرأى ، بل لا يحسِنُ ما هو أقرب منه فى الحقيقة . فلا الإنسانُ جَعَلَ

---

(١) فى ط : جملة ، وصوابه فى ل .

(٢) فى ط : عرف ، ليس فى ل .

(٣) فى ط ، ل : به بعده ، موضع يوجب لهم ، ومأثبته هو الوجه .

(٤) فى ط : يتبع الإنسان ذا العقل والتمكين ، ووجهه ما فى ل ثم الفقرة بقوله بعد : وجعل سائر الحيوان ... الخ .

(٥) فى ل : المسابقة ، وكتب ه هو الشبه بالكلام .

Marfat.com

نفسه كذلك ، ولا شيءٌ من الحيوان اختارَ ذلك ، فأحسَنَتْ هذه الأجناسُ
بلا تعلُّم ، ما يمتَنِع على الإنسان وإن تعلَّم ، فصار لا يحاوله ، إذْ كان ١٩
لا يطمع فيه ، ولا يحسُدُها ؛ إذ لا يؤمِّل اللَّحاقَ بها . ثمّ جعل تعالى وعزَّ ،
هاتين الحكمتين بإزاء عُيونِ الناظِرين ، وتُجاهَ أسماعِ المعتَبِرين ، ثمَّ حثَّ
على التفكير والاعتبار ، وعلى الاتّعاظ والازدِجار ، وعلى التعرُّفِ والتبيُّنِ ،
وعلى التوقُّفِ والتذكُّر ، فجَعَلَها مذكّرةً منبِّهة ، وجَعَلَ الفِطر تُنْشِئ(١)
الخواطرَ ، وتجُولُ بأهلها في المذاهب . ذَلِكَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ . ﴿ فَتَبارَكَ اللهُ
أَحْسَنُ الخالِقِينَ ﴾ .

(مزح الهزل بالجدّ في الكتاب)

وهذا كتابٌ موعظة وتعريف وتفقُّه وتبيين ، لم أزل قد عرفت [illegible]
تقف على حدوده ، وتتفكّر في فصوله ، وتعتبر [illegible]
بموارده ، وقد غلطك فيه بعض [illegible]
معناه ، ودلّ بصناعة ، تطّلع على [illegible]
علّة تسكلّفت ، وأتى شيء [illegible]
ولأني رياضة تشمّمت تلك البضاعة ، [illegible]
ليكون علّة للجدّ ، وأنّ البضاعة [illegible]
ولمّا قال الخليل بن أحمد : لا يصلح [illegible]

(١) هذه [illegible]
(٢) في [illegible]

Marfat.com

حتَّى يتعلَّم ما لا يحتاج إليه ، قال أبو شمر : إذا كان لا يُتوصَّل إلى ما يحتاج إليه إلاّ بما لا يحتاج إليه ، فقد صار ما لا يُحتاج إليه يُحتاج إليه . وذلك مثل كتابنا هذا ؛ لأنّه إن حَمَلْنَا جميعَ من يتكلَّف قراءةَ هذا الكتابِ على مُرِّ الحق ، وصُعوبة الجِدّ ، وثِقل المئونة ، وحِلية الوقار ؛ لم يصبر عليه مع طوله إلاّ من تجرَّدَ للعلم ، وفهم معناه ، وذاق من ثمرته ، واستشعر قلبه من عزِّه ، ونال سروره على حسب ما يُورث الطولُ من الكَدّ ، والكثرةُ من السآمة . وما أكثر مَن يُقَاد إلى حظِّه بالسواجير [1] ، وبالسوق العنيف ، وبالإخافة الشديدة .

(نعت الكتاب)

ثم لم أرَكَ رضِيتَ بالطعن على كلِّ كتاب لى بعينه ، حتَّى تجاوزتَ ذلك إلى أنْ عبت وضْعَ الكتبِ كيفما دارت بها الحالُ ، وكيفَ تصرفَتْ [2] بها الوجوه . وقد كنتُ أعجَب من عيبك البعضَ بلا علم ، حتَّى عِبتَ الكلَّ بلا علْم ، ثم تجاوزْت ذلك إلى التشنيع ، ثم تجاوزتَ ذلك إلى نصب الحربِ فعبتَ الكِتَابَ ؛ ونعم الذخر والعقدة [3] هو ، ونعم الجليس والعُدَّة ، ونعم النشرة والنزهة ، ونعم المشتغل والحرفة ، ونعم الأنيس لساعة الوحدة ، ونعم المعرفةُ ببلاد الغربة ، ونعم القرين والدخِيل ، ونعم الوزير والنزيل . والكتاب وعاءٌ مُلِئَ علماً ، وَظَرْفٌ حُشِى ظَرْفاً ، وإناءٌ شُحِن مُزَاحاً وجِدًّا ؛

---

(١) السواجور : خشبة تعلق فى عنق الكلب . وسجره : شده به كسوجره . وانظر البيان ٣ : ٥٠ .
(٢) فى الأصل : « تصرف » .
(٣) العقدة : بضم العين : مافيه بلاغ الرجل وكفايته .

Marfat.com

إِنْ شئتَ كان أبيَنَ من سَحْبانِ وائل ، وإن شئت كان أعيا من باقِل ، وإن شئتَ ضَحِكْتَ مِنْ نوادِرِهِ ، وإن شئتَ عَجِبتَ من غرائبِ فرائِده ، وإن شئتَ ألهتْك طرائفُه ، وإن شئتَ أشجَتْك مواعِظُه . وَمَنْ لَكَ بِوَاعِظٍ مُلْهٍ ، وبزاجرٍ مُغرٍ ، وبناسكٍ فاتِك ، وبناطقٍ أخرسَ ، وببارِدٍ حارّ . وفى البارد الحارِّ يقولُ الحسنُ بن هانئ[1] :

قُلْ لزُهيرٍ إذا انتحَى وشدا أَقْلِلْ أَوَ أَكْثِر فَأَنْتَ مِهْذَارُ[2]

سَخُنْتَ مِنْ شِدَّةِ البُرُودَةِ حَـ ـتَّى صِرْتَ عِنْدِى كَأَنَّكَ النارُ[3]

لَايَعْجَبِ السامعُون مِنْ صِفَتِى كذلك الثلجُ باردٌ حارُ[4]

ومَنْ لَكَ بطبيب[5] أعرابىّ . وَمَنْ لَكَ بِرُومِىّ هِنْدِىّ . وبفارسى[6] يُونَانِىّ . وبقَدِيمٍ مولَّد . وبميِّتٍ مُمتِع[7] . وَمَنْ لَكَ بشىءٍ يَجْمَعُ لَكَ الأَوَّلَ والآخِرَ . والناقصَ والوافرَ . والخَفِىَّ والظاهرَ . والشاهدَ والغائبَ . والرفيعَ والوضيعَ . والغثَّ والسمينَ . والشكلَ وخلافَه . والجنسَ وضدَّه

وبعد : فمتى رأيتَ بستانا يحمل فى رُدُن[8] ... وسنة ثقال

---

(١) ...

(٢) ...

(٣) ...

(٤) ...

(٥) ...

(٦) ...

(٧) ...

(٨) ...

(٩) ...

Marfat.com

فى حِجْرٍ ، وناطقاً ينطِق عن الموتَى ، ويُترجمُ عن الأحياء ! ! وَمَنْ لك بمؤنس لاينام إلاّ بنومِك ، ولا ينطق إلاّ بما تهوَى ؛ آمَنُ مِنَ الأرض ، وأكتمُ للسرِّ من صاحب السرِّ ، وأحفَظُ للوديعةِ من أرباب الوديعة ، وأحفَظ لما استُحْفِظَ من الآدميِّين ؛ ومن الأعْرَابِ المعرِبين[1] ؛ بل مِنَ الصِّبيانِ قبلَ اعتراضِ الاشتغال . ومن العُميانِ قبلَ التمتُّع بتمييز الأشخاص ، حينَ العنايةُ تامَّةٌ لم تَنْقُص ، والأذهانُ فارغةٌ لم تنقَسِم ، والإرادَةُ وافرةٌ لم تتشعَّب ، والطِّينَةُ ليِّنة . فهى أقبلُ ما تكون للطبائعِ ، والقضيبُ رطبٌ . فهو أقربُ ما يكون من العُلوق ؛ حينَ هذه الخصالُ لم يَخْلُق جديدُها ، ولم يُوهَنْ غَرْبُهَا . ولم تتفرَّق قُواها . وكانت كما قال الشاعر[2] :

أتانِى هواها قبل أَنْ أعرِفَ الهَوى فصادفَ قلباً خالياً فتمكّنا

وقال عَبْدة بن الطَّبِيب[3] :

لاتأمَنوا قوماً يَشِبُّ صبيُّهم بَيْنَ القوابِلِ بالعَداوةِ يُذْشَعُ[4]

ومن كلامهم : التعلُّمُ فى الصِّغَر كالنقشِ فى الحجر . وقد قال جِرَانُ العَودِ[5] :

[تُرِكْنَ برجلة الروحاء حتَّى تنكّرتِ الديارُ على البَصيرِ]

٢١ كُوَحْيِ فى الحِجارةِ أو وُشُومٍ بأَيْدِى الرُّومِ بَاقِيَةِ النُّؤُور

وقال آخر ، وهو صالحُ بن عبد القُدُّوس :

وإنّ مَن أدَّبتَه فى الصِّبَى كالعُود يُسْقَى الماءَ فى غَرْسِهِ

---

(١) فى ط : معربين ، وما يتعرب يُعجم . وهو تحريف صوابه فى ل .

(٢) هو مجنون بنى عامر كما فى ديوان جامعه ٢ : ٤٢ .

(٣) البيت ساقط من ل . وفى ط : « عبيدة بن الطبيب » والتصحيح من س .

(٤) يشع الصبى وأشعه : أوجره . والتشوع : الوجور .

(٥) شاعر يُعرى عند سمير بن الحارث . لقب بذلك لقوله يخاطب امرأته :

خذا حذرا يا جرتى فإننى رأيت جران العود قد كاد يصلع

وله ديوان طبعت دار الكتب .

Marfat.com

حَتَّى تَرَاهُ مُورِقاً ناضِرًا بعدَ الذى قد كان فى يُبْسِهِ (١)

وقال آخر :

يُقَوِّمُ مِنْ مَيلِ الغُلامِ المؤدِّبُ ولايَنْفَعُ التأديبُ والرأسُ أشيَبُ

وقال آخر :

وَتَلُومُ عِرْسَكَ بَعْدَ ما هَرِمَتْ وَمِنَ العَنَاءِ رِياضَةُ الهَرِمِ

وقد قالَ ذو الرُّمَّةِ (٢) لعيسى بن عمر (٣) : اكتبْ شِعرى . فالكتابُ أحبُّ إلىَّ من الحفظ . لأنَّ الأعرابىَّ ينسى الكلمةَ وقد سهر فى طلبها ليلته . فيضعُ فى موضعها كلمةً فى وزنها . ثم يُنشِدها الناسَ . والكتاب لايَنْسَى ولا يُبدِّلُ كلاماً بكلام .

وعبتَ الكتابَ . ولا أعلمُ جاراً أبرَّ . ولا خليطاً أنصف . ولا رفيقاً أطوعَ . ولا معلماً أخضعَ . ولا صاحباً أظهرَ كفاية . ولا أقلَّ جليبة . ولا أقلَّ خيلاً . ولا أقلَّ أخلاقاً . ولا أقلَّ

أقلَّ خيلاً . ولا أعلمَ . ولا أنصف . ولا

---

(١)

(٢)

(٣)

Marfat.com

تصلُّفاً وتكلُّفاً، ولا أبعَدَ مِن مِراءٍ ، ولا أتْرَكَ لشَغَب، ولا أزهَدَ فى جدالٍ ، ولا أكفَّ عن قتالٍ ، من كتاب . ولا أعلَمُ قريناً أحسنَ مُوَافاةً ، ولا أعجَل مكافأة ، ولا أحضَرَ مَعُونةً ، ولا أخفَّ مَئُونَة، ولا شجرةً أطولَ عمراً، ولا أجمعَ أمراً ، ولا أطيَبَ ثمرةً ، ولا أقرَبَ مُجتَنى ، ولا أسرَعَ إدراكاً ، ولا أوجَدَ فى كلِ إبَّانٍ ، من كتاب . ولا أعلَمُ نِتاجاً فى حَدَاثةِ سنِّه وقُرْبِ ميلادِه ، ورُخْصِ ثمنه ، وإمكانِ وُجوده ، يجمَعُ من التدابيرِ العجيبَة والعلومِ الغريبة ، ومن آثارِ العقولِ الصحيحة ، ومحمودِ الأذهانِ اللطيفة ، ومِنَ الحِكَم الرفيعة ، والمذاهب القويمة[1] ، والتجارِبِ الحكيمة ، ومِنَ الإخبارِ عن القرون الماضية ، والبلادِ المتنازِحة ، والأمثالِ السائرة ، والأمم البائدة ، مايجمَعُ لك الكتابُ . قال الله عزّ وجلّ لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ فوَصَفَ نَفْسَهُ ، تبارك وتعالى ، بأنْ علَّمَ بالقَلَم ، كما وصف نفسَه بالكرَم ، واعتدَّ بذلك فى نِعَمه العِظام ، وفى أياديه الجِسام . وقد قالوا : القَلَمُ أحدُ اللسانَين ، وقالوا : كلُّ مَنْ عَرَفَ النِّعمةَ فى بَيان اللسانِ ، كان بفضل النِّعمة فى بيانِ القلم أعرَفُ . ثمّ جَعَلَ هـذا الأمرَ قرآناً ، ثمَّ جعلَه فى أوَّل التنزيل ومستفتَح الكتاب .

(كون الاجتماع ضروريا)

ثمّ اعلمْ ، رحِمَك الله تعالى ، أنّ حاجةَ بعض الناس إلى بعضٍ ، صفةٌ لازمةٌ فى طبائعِهم ، وخِلقةٌ قائمةٌ فى جواهِرِهم ، وثابتةٌ لاتزايلُهم ، ومُحيطةٌ بجماعَتِهم ، ومشتملةٌ على أدناهم وأقصاهم ، وحاجَتُهُمْ إلى ما غاب عنهم —

(١) فى الأصل « القديمة » بالدال .

Marfat.com

مما يُعيشُهم ويُحييهم ، ويُمسِك بأرْماقِهم ، ويُصلِحُ بالهم ، ويَجْمَع شملَهم ، وإلى التعاوُنِ فى دَرْكِ ذلك ، والتوازُرِ عليه — كحاجَتِهم إلى التعاون على معرفة ما يضرُّهم ، والتوازرِ على ما يحتاجون من الارتفاق بأمورهم التى لم تَغِبْ عنهم ، فحاجَةُ الغائبِ مَوصُولةٌ بحاجةِ الشاهد ، لاحتياج الأدنَى إلى معرِفة الأقصى ، واحتياجِ الأقصى إلى معرفَةِ الأدنى . معانٍ متضمّنةٌ ، وأسبابٌ متّصلة ، وحبالٌ منعقدة . وجعل حاجتنا إلى معرفة أخبارِ مَنْ كان قبلَنا ، كحاجةِ [من كان قبلنا إلى أخبار مَنْ كان قبلهم . وحاجةِ] من يَكُونُ بعدَنا إلى أخبارِنا . ولذلك تقدّمت فى كتب الله البِشارات بالرُّسل ، ولم يسخِّر لهم جميعَ خلْقه . إلاّ وهم يحتاجون إلى الارتفاق بجميع خلْقه . وجعلَ الحاجَةَ حاجَتَين : إحداهما قِوامٌ وقوت . والأخرى لذّةٌ وإمْتاعٌ وازديادٌ فى الآلة . وفى كلّ ذا أجذل للنفوس . وجمع لهم العتاد[1] . وذلكَ المقدارُ مِنْ جميع الصِّنْفين وفقَ لكثرةِ حاجاتهم وشَهَواتهم . وعلى قدْرِ اتّساعِ معرفتهم وبُعْدِ غَوْرهم . وعلى قدْرِ احتمال طبع البشريّة وفِطرةِ الإنسانيّة . ثم لم يقطع الزيادة إلا لعجز خلقهم عن احتمالها . ولم يجز أن يفرق بينهم وبين العجز . إلا بعد [2] كان[3] العجزُ صفة من صفات الخلق . ونعتا من نعوت

لم يخلق الله تعالى أحدا يستطيع [4]

(١) فى ط : [illegible]

(٢) فى ط : [illegible]

(٣) فى ط : [illegible]

(٤) فى ط : [illegible]

Marfat.com

ببعضٍ من سخَّرَ له ؛ فأدناهم مسخَّرٌ لأقصاهم ، وأجلُّهم ميسَّر لأدقِّهم .
وعلى ذلك أحوَجَ الملوكَ إلى السُّوقة فى بابٍ ؛ وأحوَجَ السُّوقَةَ إلى الملوك
فى باب . وكذلك الغنىُّ والفقير ، والعبدُ وسيِّدُه . ثُمَّ جَعلَ الله تعالى كلَّ
شىءٍ للإنسان خَوَلاً ، وفى يَدِه مُذَلَّلاً مُيَسَّرًا[1] إمّا بالاحتِيالِ له والتلطُّفِ
فى إراغَتِه واستِمالتِه . وإمّا بالصَّوْلةِ عليه ، والفتكِ به . وإمّا أَنْ يَأْتِيَهَ
سهواً ورهواً . على أَنّ الإنسانَ لولا حاجَتُهُ إليها ، لما احتالَ لها ، ولا صَالَ
٢٣ عليها . إلاّ أَنّ الحاجةَ تفتَرِق فى الجنس والجهةِ والجِبِلَّة ، وفى الحظِّ والتقدير .

ثمَّ تعبَّدَ الإنسانَ بالتفكُّرِ فيها ، والنظرِ فى أُمورِها ، والاعتبارِ
بما يَرَى . ووَصَلَ بينَ عُقولهم وبَيْنَ معرفةِ تلك الحِكَم الشريفة ، وتلك
الحاجاتِ اللازمة ، بالنظرِ والتفكير . وبالتنقيب[2] والتنْقير ، والتثبت[3]
والترقُّب ، ووَصَلَ معارفَهم بمَواقعِ حاجاتِهم إليها ، وتشاعُرِهم بمواضع
الحكمةِ فيها بالبيانِ عنها .

(البيان ضرورى للاجتماع)

وهو البيانُ الذى جعلَه اللهُ تعالى سبباً فيما بينَهم ، ومعبِّراً عن حقائق
حاجاتهم ، ومعرِّفاً لمواضعِ سدِّ الخَلَّة ورفْعِ الشِّدَّة ، ومداواةِ الحَيرة ، ولأنّ
أكثرَ الناسِ عن الناس أفهمُ منهم عن الأشباحِ المماثلة ، والأجسامِ
الجامدة ، والأجرامِ الساكنة ، التى لا يُتعَرَّفُ ما فيها من دقائق الحكمةِ

---

(١) فى ط : مذللا ميسرا وفوقه معنى ل .
(٢) كذا فى ل : وهو تصويب . وفى ط : والتنقيب ... .
(٣) كذا فى ل وهو الوجه . والذى فى ط : والتثبت ... .

Marfat.com

وكُنوزِ الآداب ، وينابيعِ العلم ، إلاّ بالعقلِ الثاقب اللطيف ، وبالنظرِ التامِّ النافذ ، وبالأداةِ الكاملة ، وبالأسبابِ الوافرة . والصبرِ على مكروه الفكر ، والاحتراسِ من وُجوه الخُدَع . والتحفُّظِ من دواعي الهوى ، ولأنَّ الشِّكْلَ أفهَمُ عن شِكله ، وأسكَنُ إليه وأشبَهُ به . وذلك موجودٌ في أجناسِ البهائم ، وضُروبِ السباع . والصبيُّ عن الصبيِّ أفهمُ له ، وله آنسُ وإليه أنزَع ، وكذلك العالِمُ والعالِم . والجاهل والجاهل ، وقال الله عزّ وجلّ لنبيِّه عليه الصلاة والسلام ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ لأنَّ الإنسان عن الإنسان أفهم ، وطباعَه بطِباعه آنس ، وعلى قدْرِ ذلك يكونُ موقعُ ما يسمع منه .

ثمَّ لم يرضَ لهم من البيان بصِنفٍ واحد ، بل جمع لهم ذلك وهو يفرِّق ، وكثَّر ولم يقلِّل ، وأظهرَ ولم يُخْفِ ، وجعَل آلةَ البيان التي بها يتعارَفُ [illegible] معانِيَهم ، والتَّرْجمانَ الذي إليه يرجعون عند اختلافِهم [illegible] وفي خصْلةٍ خامسة ، وإن تغيَّرت [illegible] تبدُّلُ جنسِها الذي وُضعت [illegible] والخطّ ، والإشارة ، والعقْد [illegible] وصدقِ الشهادة ، وفضيحة [illegible] والساكتة التي لا تتبيَّن (١) ولا تحسن ، ولا تجوز [illegible] يدخل عليها ، أو عند تغيُّر [illegible] ثمّ قسّم الإفهام [illegible] اللفظ للسامع ، وجعل [illegible]

(١) [illegible]

Marfat.com

٢٤ العَقْد ، إلّا بما فضّل الله به نصيبَ الناظرِ فى ذلك على قدْرِ نصيبِ الملمس . وجَعَلَ الخطّ دليلاً على ما غابَ من حوائجه عنه ، وسبباً موصُولاً بينه وبين أعوانه ؛ وجعله خازناً لما لا يأمَن نسيانَه ، ممّا قد أحصاه وحفِظه ، وأتقنه وجَمعه ، وتكلف الإحاطة به ؛ ولم يجعل للشامِّ والذائِق نصيبا .

(خطوط الهند)

ولولا خطوطُ الهِندِ لضاع من الحساب الكثيرُ والبسيط ، ولبطلت[1] مَعرِفةُ التضاعيف ؛ ولعَدِموا الإحاطةَ بالباورات وباورات الباورات[2] ، ولو أدرَكوا ذلك لمَا أدْرَكُوه[3] إلّا بعد [أنْ] تغلُظَ المَئُونة ، وتنتَقِضَ المُنّةُ ، ولصارُوا فى حالِ مَعْجَزَةٍ وحسور ؛ وإلى حالِ مَضيعَةٍ وكَلالِ حدّ ؛ مع التشاغُلِ بأمورٍ لولا فقدُ هذه الدَّلالةِ لكان أربحَ لهم ؛ وأرَدَّ عليهم ؛ أن يُصرَف ذلك الشغلُ فى أبوابِ منافع الدين والدنيا .

(نفع الحساب)

ونفع الحساب معلومٌ ، والحاجَةُ فى موضعِ فقدِه معروفة . قال الله تعالى : ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ . ثم قال : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ . وبالبَيَانِ عرَفَ الناسُ القرآنَ . وقال الله تبارَكَ وتعالى

---

(١) فى ط ، ل : ولبطلت .

(٢) رسمت هذه الكلمات بالهاء المفتوحة بعد الواو فى ط ؛ ورسمت فى ل بحذفها .

(٣) فى ط : ولا أدركوه كذلك لما أدركوه ، وهو تحريف أصلحته من ل .

Marfat.com

﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ، وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ، لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ فأجْرَى الحسابَ مُجرَى البيان بالقرآن . وبحُسْبان منازلِ القمر ، عرَفنا حالاتِ المدِّ والجزْر ، وكيف تكونُ الزيادةُ فى الأهِلَّة وأنصافِ الشهور[1] ، وكيف يكونُ النقصانُ فى خلال ذلك . وكيف تلك المراتبُ وتلك الأقدار .

(فضل الكتابة)

ولولا الكتبُ المدوَّنَة والأخبار المخلَّدة . وحكم مخصوصة فى تُحصِّنُ الحسابَ وغيرَ الحساب . لبَطَل أكثر العلم . ولغلب سلطانُ النسيان سلطانَ الذكْر . ولمَّا كان الناس مفزعُهم إلى موضع [illegible] ذلك لحرِمْنا أكثرَ النفع . إذ كنَّا قد علمْنا أنَّ [illegible] حاجاتهم وأوائلها . لايبلغ من ذلك موضع [illegible] محمودا . ولو كُلِّف عامَّةُ من يطلب العلم ويصطنع [illegible] حافظا لفهرست كتبه لأعجزه ذلك . ولكان [illegible] كثير مما هو فى يده . وفهمك فى كلام [illegible] فهمك عين النصدت نجد . [illegible] فهمك النصدت [illegible] والمعاون لك . [illegible] يكون ذلك إلا [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

لأقرَب الحاجاتِ . والصوتَ لأنفَسَ من ذلك قليلا ، والكتابُ للنازح من الحاجاتِ . فأمّا الإشارة فأقربُ المفهومِ منها : رَفْعُ الحواجبِ ، وكسرُ الأجفان . ولىٌّ الشِّفاهِ وتحريك الأعناق ، وقبْض جلدةِ الوجه . وأبعدُها أن تلوى بثوبٍ على مقطع جبل . تُجاهَ عينِ الناظر . ثمَّ ينقطع عملُها ويدرُس أثرها . ويموت ذكرها . ويصير بعدُ كلُّ شيءٍ فضَل عن انتهاء مدَى الصوت ومنتهى الطرف . إلى الحاجة وإلى التفاهم بالخطوطِ والكتب . فأىُّ نفعٍ أعظمُ ، وأىُّ مِرْفَقٍ أعوَنُ من الخطِّ . والحالُ فيه كما ذكرنا ! ! وليس للعَقْد حظُّ الإشارةِ فى بُعد الغاية .

(فضل القلم)

فلذلك وضع الله عزّ وجلّ القلم فى المكان الرفيع . ونوَّه بذِكره فى المنْصِب الشريف حين قال ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فأقسَمَ بالقَلَم كما أقسمَ بما يُخَطُّ بالقلم . إذ كان اللسانُ لا يتعاطى شأوَه . ولا يشُقُّ غبارَه ولا يجرى فى حلبته . ولا يتكلف [بُعْدَ] غايتِه . لكنْ لما أنْ كانت حاجات الناسِ بالحَضْرة[1] أكثرَ مِنْ حاجاتهم فى سائر الأماكن ، وكانت الحاجةُ إلى بيانِ اللسانِ حاجةً دائمة وآكدة . وراهِنةً ثابتة ، وكانت الحاجة إلى بَيانِ القلم أمراً يكونُ فى الغَيبة وعند النائبة ، إلاَّ ما خصَّت به الدواوين . فإنّ لسانَ القلم هناك أبسَطُ . وأثرَهُ أعمُّ ، فلذلك

(١) حضر الحضر والحضرة والحضارة بالكسر ويفتح : خلاف البادية .

Marfat.com

قدَّموا اللسانَ على القلم . فاللسانُ الآنَ إنَّما هو فى منافع اليدِ[1] والمرافق التى فيها ، والحاجاتِ التى تبلُغها .

(فضل اليد)

فمن ذلك حظُّها وقِسْطُها من منافع الإشارة . ثم نَصِيبُها فى تقويم القلم . ثم حَظُّها[2] فى التصوير . ثم حظُّها فى الصناعات . ثم حَظُّها فى العَقْد . ثم حَظُّها فى الدَّفْع عن النفس . ثم حَظُّها فى إيصال الطعام والشراب إلى الفم . ثم التوضُّؤ والاغتسال[3] . ثم انتقادِ الدنانير والدراهم ولبس الثياب . وفى الدفع عن النفس . وأصنافِ الرَّمْى . وأصنافِ الضرْب . وأصناف الطعْن . ثم التقْرِ بالعود وتحريكِ الوتر . ولولا ذلك لبَطَل الشرْبُ كلُّه عامَّتُه . وكيف لا يكون ذلك كذلك وهذا ضرْبُ العيدان والآلات . وتحريك الصفاقتين[4] . وتحريك عشائر عروق مزدهرة . وهو فى ذلك من الاطلاع والحبس . ولو لم يكن فى اليد إلا مسألة العين وترجمته لكان من أعظم الخطوب .

وقد فضَّلوا فى كتاب العين إلى أن قالوا ... ولا تجد فى هذا الكتاب سوى هذا الباب ... فى ... من ...

---

(١) فى ... ـــ

(٢) ... ـــ

(٣) ... ـــ

(٤) ... ـــ

Marfat.com

وخطاؤنا . فلا ينبغى لنا أيضاً أن نأخذ فى هذا الباب من الكلام ، إلاّ بعدَ
٢٦ الفَراغ ممَّا هو أولى بنا منه ، إذ كنتَ لم تنازِعْنى ، ولم تَعِبْ كتبى ، من طريقِ
فضل[1] ما بين العَقْد والإشارة ، ولا فى تمييز ما بين اللفظ وبينهما ، وإنَّما
قَصَدْنا بكلامنا إلى الإخبار عن فضيلة الكتاب .

(فضل الكتاب)

والكتابُ هوالذى يؤدِّى إلى الناس كتبَ الدين[2] ، وحسابَ الدواوين
مع خفَّة نقلِه ، وصِغَر حجمه : صامتٌ ما أسكتَّه ، وبليغ ما استنطقته . ومَن
لك بمسامر لا يبتديك فى حالِ شُغْلك ، ويدعُوك فى أوقاتِ نشاطِك ،
ولا يُخوِجلك إلى التجمُّل له والتذمُّم منه . ومَن لكَ بزائرٍ إن شئتَ جعل
زيارتَه غِبًّا ، ووِرُوده خِمْسا . وإن شئت لَزِمَك لزومَ ظلِّك ، وكان منك
مكان بعضِك .

والقلمُ مكتفٍ بنفْسه ، لا يحتاج إلى ما عندَ غيرِه ؛ ولا بدَّ لبيان اللسانِ
من أمور : منها إشارة اليد . ولولا الإشارةُ لَمَا فهموا عنك[3] خاصَّ الخاصِّ
إذا كان أخصُّ الخاصِّ قد يدخل فى باب العامّ ، إلاّ أنّه أدنى طبقاته . وليس
يكتفى خاصُّ [الخاصّ] باللفظ عمَّا أدّاه ، كما اكتفى عامُّ العامّ والطبقاتُ
التى بينه وبين أخصِّ الخاصّ .

والكتابُ هو الجليس الذى لا يُطريك ، والصديق الذى لا يغْريك ،

---

(١) ف ك : وبينه . فقس .
(٢) فى ل : كتب عم الدين .
(٣) فى ط : عن ، وتصحيحه من ل .

Marfat.com

والرفيقَ الذى لا يَمَلُّكَ ، والمستَمِيح الذى لا يستَرِيثُك[1] ، والجارُ الذى لا يَسْتَبْطِيك ، والصاحبُ الذى لا يريد استخراجَ ما عندَك بالمَلَق ، ولا يعامِلُك بالمَكر ، ولا يخدَعك بالنِّفاق ، ولا يحتالُ لك بالكَذِب . والكتابُ هو الذى إنْ نظرتَ فيه أطالَ إمتاعَك ، وشحَذَ طباعَك ، وبسَط لسانَك ، وجوَّدَ بَنانك ، وفخَّم ألفاظَك ، وبجَّح[2] نفسَك ، وعَمَّر صدرك . ومنحكَ تعظيمَ العوامِّ وصَداقةَ الملوك ، وعَرفتَ به فى شهر . ما لا تعرفُه من أفواهِ الرجال فى دهْر ، مع السلامةِ من الغُرم ، ومن كدِّ الطلب . ومن الوقوفِ ببابِ المكتسِب بالتعليم ، ومِن الجُلوس بين يدَىْ مَن أنت أفضلُ منه خَلْقاً ، وأكرمُ منه عِرْقا ، ومع السلامةِ من مجالَسَة البُغَضاء ومقارنةِ الأغبياء . والكتابُ هو الذى يُطِيعُك بالليل كطاعتِه بالنهار . ويطيعُك فى السفر كطاعته فى الحضر . ولا يعتلُّ بنوم . ولا يعتَريه كَلالُ السهر . وهو المعلِّمُ الذى إن افتقرت إليه لم يُخْفِرْك . وإن قطعت عنه المادَّة لم يقطعْ عنك الفائدة . وإن عُزِلتَ لم يدَعْ طاعتَك . وإن هبَبْتَ ريحُ أعاديك لم يقلقْ عليك . ومتى كنت منه متعلِّقا بسبب أو معتصِما بأدْنى حبْل . كان لك فيه من [illegible] .

ولم تضْطرَّك [illegible] وحشةُ الوحدة إلى حديث [illegible] عنك . وبحسبه إليك . إلا [illegible] لك من [illegible] والمـلازَمة لك . مع [illegible] ذلك من [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

النظر ، ومن عادةِ الخوض فيما لا يعنيك[1] ، ومِن ملابسةِ صغارِ الناس ، وحضورِ ألفاظهم الساقطة ، ومعانيهم الفاسِـدة ، وأخلاقهم الرديَّة ، وجَهالاتهم المذمومة ، لكان فى ذلك السلامة ، ثم الغنيمةُ ، وإحرازُ الأصل ، مع استفادةِ الفرع . ولو لم يكن فى ذلك إلاّ أنّه يشغَلُك عن سُخْف المُنَى وعن اعتياد الراحة ، وعن اللعب ، وكلِّ ما أشبهَ اللعب ، لقد كان على صاحبه أسبغَ النعمةَ وأعظمَ المِنَّة .

وقد علمنا أنَّ أفضلَ ما يقطع به الفُرَّاغ نهارَهم ، وأصحابُ الفُكاهات ساعاتِ ليلِهم ، الكتاب . وهو الشىء الذى لا يرى لهم فيه مع النيل أثرٌ فى ازدِياد تجربةٍ ولا عقلٍ ولا مروءة ، ولا فى صونِ عرض ، ولا فى إصلاحِ دين ، ولا فى تثمير مال . ولا فى رَبِّ صنيعة[2] ولا فى ابتداء إنعام .

(أقوال لبعض العلماء فى فضل الكتاب)

وقال أبو عبيدة : قال المهلَّب لبنِيه فى وصيَّتِه : يا بَنِىَّ لا تقومُوا فى الأسواقِ إلاّ على زَرَّادٍ أو وَرَّاق[3] .

وحدَّثنى صديقٌ لى قال : قرأتُ على شيخٍ شامىٍّ كتاباً فيه من مآثر غطفان فقال : ذهبَ المكارمُ إلاّ من الكتب .

وسمعتُ الحسن اللؤلؤى[4] يقول : غَبَرت أربعين عاما ما قِلْتُ

---

(١) بدل هذه الجملة فى ط : من عدة خرص .

(٢) رب الصنيعة : تعهده .

(٣) الزراد : صانع الدروع . والمهلب يوصى بنيه باستكمال أسباب الفروسية والعلم .

(٤) فى ب : أبو الحسن اللؤلؤى ، والصواب ماأثبته . والحسن هذا هو ابن =

Marfat.com

ولا بِتُّ] ولا اتكأت] إلاّ والكتابُ موضوعٌ على صدرى (١) .

وقال ابن الجهْم : إذا غشِيَنى النعاس فى غير وقتِ نوم — وبئس الشىءُ النومُ الفاضِلُ (٢) عن الحاجة — قال : فإذا اعترانى ذلك تناولتُ كتاباً من كتب الحِكَم ، فأجدُ اهتزازى للفوائِد ، والأريحيَّة (٣) التى تعترينى عند الظفر ببعض الحاجة ، والذى يغشَى قلْبى من سرور الاستبانة وعزّ التبيين (٤) أشدَّ إيقاظاً مِن نَهيق الحمير وهَدَّةِ الهدْم .

وقال ابن الجهم : إذا استحسنتُ الكتابَ واستجدته ، ورجوتُ منه الفائدة ورأيتُ ذلك فيه — فلو ترانى وأنا ساعةً بعد ساعةٍ أنظرُ كم بقى من ورقه مخافةَ استنفاده ، وانقطاعِ المادَّة من قلْبه . وإن كان المصحفُ عظيمَ الحجم كثير الورق ، كثير العدد — فقد تمّ عيشى وكمُل سرورى .

وذكر العتبى (٥) كتابا لبعض القدماء فقال : [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥)

Marfat.com

لنسختُه . فقال ابن الجهم : لكنِّى ما رغّبنى فيه إلاّ الذى زهّدك فيه ؛ وما قرأتُ قطُّ كتاباً كبيراً فأخْلانى من فائدة ، وما أُحصِى كم قرأتُ من صغارِ الكتب فخرجتُ منها كما دخلت .

٢٨ وقال العتبى ذاتَ يومٍ لابن الجهم : ألا تتعجَّبُ من فلانٍ ! نَظَر فى كتابِ الإقليدس مع جارية سَلْمَويه[1] فى يومٍ واحد ، وساعة واحدة ، فقد فرغتِ الجاريةُ من الكتابِ وهو بعدُ لم يُحكِم مقالةً واحدة ، على أنّه حُرٌّ مخيَّر ، وتلك أمَةٌ مقصورة ، وهو أحرصُ على قراءةِ الكتاب مِن سَلْمَوَيهِ على تعليمِ جارية . قال ابن الجهم : قد كنت أظنُّ أنّه لم يفهم منه شكلاً واحداً ، وأُرَاك تزعم أنّه قد فرغ من مقالة ! ! قال العتبى : وكيف ظننتَ به هذا الظنَّ ، وهو رجلٌ ذو لسانٍ وأدب ؟ قال : لأنّى سمعتُه يقول لابنِه : كم أنفقتَ على كتابِ كذا ؟ قال : أنفقت عليه كذا ، [قال[2]] : إنّما رَغّبَنى[3] فى العلم أنّى ظننتُ أنّى أنفق عليه قليلاً وأكتسِبُ كثيراً ، فأمّا إذ صرتُ أنفِق الكثيرَ ، وليس فى يدى إلاّ المواعيدُ ، فإنّى لا أريد العلمَ بشىء ! !

وهو محمد بن عبد الله من بنى عتبة بن أبى سفيان . أديب كثير الأخبار ، له شعر حسن من أهل البصرة ووفاته فيها . وله تصانيف حسان منها « أشعار النساء اللاتى أحبين ثم أبغضن » و « الأخلاق » و « الخيل » . قال ابن النديم ١٧٦ : « كان العتبى وأبوه سيدين أديبين فصيحين » وانظر حواشى البيان ٢ : ١٨٢

(١) هو سلمويه بن بنان طبيب فاضل ، خدم المعتصم واختص به حتى إن المعتصم لمّا مات سلمويه قال « سألحق به . لأنه كان يمسك حياتى ويدبر جسمى » وكان سلمويه قد اكتسب من خدمة الخلفاء سياسة اقترنت بعقله . فحدث له منها حسن الرأى والنظر فى العواقب لنفسه ولغيره ممن يستنصحه . وتوفى سنة ٢٢٥ انظر القفطى ١٤١ وابن أبى أصيبعة ١ : ١٦٤ والزركلى ١ : ٣٨٠ .

(٢) حرف يستقيم به الكلام

(٣) فى الأصل « رغبتنى »

Marfat.com

(السماع والكتابة)

فالإنسان لا يعلمُ حتى يكثرَ سماعُه ، ولا بُدَّ من أن تكون كتبُه أكثرَ من سَمَاعِه ؛ ولا يعلمُ ، ولا يجمع العلم ، ولا يُخْتَلَف [إليه][1] ، حتى يكون الإنفاقُ عليه من ماله ، ألذَّ عنده من الإنفاق من مال عدوّه . ومَن لم تكن نفقتُه في تخرج في الكتب ، ألذَّ عنده من إنفاق عُشَّاق القيان ، والمستهترين بالبنيان ، ثم يبلغ في العلم مبلغاً رضيًا . وليس ينتفع بإنفاقه ، حتى يؤثر اتخاذَ الكتب إيثارَ الأعرابي فرسَه بالبن على عياله ، وحتى يأمل في العلم ما يؤمّل الكبير في فرسه .

وقال إبراهيم السندي مرة : وددت أن الورقة التي تحسن فيها [illegible] المغالاة[3] بالورق النقيّ الأبيض ، وعلى تحبير[4] [illegible] وعلى استجادة الخط والإرغاب [illegible] ولا كالخطوط التي فيها خطأ . وإذا غرمتْ مالا [illegible] الغُرْم ، كان سخاءُ النفس بالإنفاق على الكتب [illegible]

---

(١) ليست [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

Marfat.com

وتعظيمُ العلمِ دليلٌ على شرف النفس ، وعلى السلامَة من سُكْر الآفات .
قلت لإبراهيم : إنّ إنفاقَ الزنادقةِ على تحصيل الكتب ، كإنفاق النصارى على البِيَع ، ولو كانت كتبُ الزنادقةِ كتبَ حكمٍ وكتبَ فلسفة ، وكتبَ مقاييسَ وسُنَنٍ [و]تبيُّنٍ وتبيين [1] ، أولو كانت كتبُهم كتباً تُعرِّف الناسَ أبوابَ الصِّناعات ، أو سُبُلَ التكسُّب والتجارات . أو كتبَ ارتفاقاتٍ ورياضاتٍ . أو بعض ما يتعاطاه الناسُ من الفطن والآداب — وإنْ كان ذلك لا يقرِّب من غِنًى ولا يُبْعِد من مأثَم — لكانوا ممَّن قد يجوز أن يُظَنَّ بهم تعظيمُ البيان . والرغبةُ
٢٩ في التبيُّن [2] ، ولكنَّهم ذهبوا فيها مذهبَ الدِّيانة . [و] على طريقِ تعظيم الملّة . فإنّما إنفاقهم في ذلك ، كإنفاق المجوس على بيت النار ، وكإنفاقِ النصارَى على صُلْبان الذهب . أو كإنفاق الهند على سَدَنةِ البِدَدَة . ولو كانوا أرادوا العلمَ لكان العلمُ هم مُعرضاً . وكتبُ الحكمة فيهم مبذولةً . والطرقُ إليها سهْلةً معروفة . فما بالُهم لا يصنعون ذلك إلاّ بكتُب دُياناتهم . كما يزخرفُ النصارى بيوتَ عباداتهم ! ولو كان هذا المعنى مستحسَناً عند المسلمين ، أو كانوا يرون أنّ ذلك داعيةٌ إلى العبادة ، وباعثةٌ على الخشوع ، لبلَغُوا في ذلك بعضُهم ، ما لا تبلغه النصارى بغاية الجَهْد .

(مسجد دمشق)

وقد رأيتُ مسجدَ دِمَشْق ، حين استجاز هذا السبيل ملِكٌ من ملوكها . ومَنْ رآه فقد علم أنّ أحداً لا يردمه . وأنّ الرومَ لا تسخوا أنفُسهم

(١) في الأصل : « تبيين وتبيين » وصححته بما ترى .
(٢) في ط : « التبيين »

Marfat.com

به ، فلمَّا قام عمرُ بنُ عبد العزيز ، جَلَّله بالجلال ، وغَطَّاه بالكرابيس [1] ؛ وطبَخَ سلاسلَ القناديلِ حتَّى ذهب عنها ذلك التلألؤُ والبريق ؛ وذهب إلى أنّ ذلك الصنيعَ مجانِبٌ لسنَّة الإسلام ، وأنَّ ذلك الحُسنَ الرائعَ والمحاسنَ الدِّقاق ، مَذهَلةٌ للقلوب ، ومَشغَلةٌ دونَ الخشوع . وأنّ البالَ لايكون مجتمِعاً وهنالك شيء يفرِّقه ويعترض عليه .

(صفة كتب الزنادقة)

والذى يدلُّ على ما قلنا . أنّه ليس فى كتبهم مثلُ سائر . ولا نجدُ طَريف . ولا صنعةُ أدبٍ . ولا حكمةٌ غريبة . ولا فلسفةٌ . ولا مسألةٌ كلاميَّة . ولا تعريفُ صِناعة . ولا استخراجُ آلة . ولا تعليمُ فِلاحة . ولا تدبيرُ [2] حرب . ولا مقارَعة [3] عن دِين . ولا مناضلة عن نِحلة . وإنّما هو ذِكرُ الدُّور والنّاحية . وتناكح الشياطين . وتسافُد [4] البهائم . والقِرَدة . وحدود السَّحَر [5] . ولا تجد فى شىء من ذلك [illegible] والفائدة . ولا [illegible] فيه من عقلة حسنة . ولا حليةُ فائقة . ولا تأديبُ [illegible] ولا ترتيبُ خاصَّة . ولا [illegible] جهل [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

يوجب على الناس الإطاعة ، والبخوع[1] بالديانة ، [لا[2]] على جهة الاستبصار والمحبَّة ؛ وليس فيه صلاحُ مَعاشٍ ولا تصحيحُ دين ! ؟ والناسُ لايحبُّون إلا ديناً أو دنيا : فأمَّا الدنيا فإقامةُ سوقها [وإحضار نفعها . وأما الدِّين فأقلُّ مايُطمع فى استجابة العامة] . واستمالة الخاصَّة ؛ أنْ يصوَّر فى صورةٍ مغلَّطة ، ويموَّهَ تمويهَ الدِّينارِ الْبَهْرَج ، والدرهمِ [الزائف] الذى لايغلط فيه الكثير ، ويعرفُ حقيقته القليل[3] . فليس إنفاقُهم عليها من حيثُ ظنَنت . وكلُّ دين يكون أظهر [اختلاطاً وأكثرَ] فساداً ، يحتاج من الترقيع والتمويه[4] . ومن الاحتشاد له والتغليط[5] فيه إلى أكثر . وقد علمْنا أنَّ النصرانيَّةَ أشدُّ انتشاراً من اليهوديَّة تعبداً . فعلى حسب ذلك يكون تزيُّدُهم فى تركيبه . واحتفالُهم فى إظهار تعايله .

(فضل التعلم)

وقال بعضهم : كنتُ عند بعض العلماء ، فكنتُ أكتب عنه بعضاً وأدَعُ بعضاً ، فقال لى : اكتب كلَّ ماتسمعُ . فإن أخسَّ ماتسمعُ خيرٌ من مكانه أبيض[6] .

---

(١) فى ط : « والتخرج » .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام .

(٣) فى ط : « ويموه تمويه (الدنيا والبهرج) والدرهم الذى (لا) يغلط فيه الكثير ويعرف (حقيقة) القليل » . ووجهت العبارة من ل ، بعد أن حذفت (لا) .

(٤) فى ط : « احتاج من الترتيع والتمويه » وتصحيحه من ل .

(٥) ماعدا ل « والتاليط » بالياء المهملة .

(٦) هذا مافى ل . وبمعناه مافى الحاسن والمساوئ ٢ : ٩ ، وانظر الحيوان ٥ : ٢٤٨ . وفى سائر النسخ « فإن مكان ماتسمع أسود خير من مكانه أبيض » لكن فى ط : « من مكان » .

Marfat.com

وقال الخليل بن أحمد : تكثَّرْ من العلم لتعرِف ، وتقلَّلْ منه لتحفَظ .

وقال أبو إسحاق : القليل والكثير للمكتب ، والقليلُ وحدَه للصدر .

وأنشَدَ قول ابن يَسير [1] :

أما لو أعِي كلَّ ما أسمَعُ ... وأحفَظُ من ذلك ما أجمعُ

ولم أستفِدْ غيرَ ما قد جمعـــتُ لقيلَ هو العالِمُ المصقَعُ [2]

ولكنَّ نفسي إلى كلِّ نو ... ع من العلم تسمعه تَنزعُ

فلا أنا أحفظُ ما قد جَمعـــتُ ولا أنا من جمعه أشبعُ

وأحصَرُ بالعِيِّ في مجلسي ... وعِلمي في الكُتْبِ مستودَعُ

فمن يكُ في عِلمه هكذا ... يكنْ دهرَهُ القهقرى يرجعُ

إذا لم تكنْ حافظاً واعياً ... فجِدْ لك بالكتب لا تقنعْ

(التخصص بضروب من العلم)

وقال أبو إسحاق : كان ابن يسير الكاتب ... [illegible]

الكتب لا تحيي المرء ... [illegible]

ولكنَّ الطبيعة إذا كان فيها أدنى قبول ... [illegible]

وترهِف وتشحذ ... [illegible]

---

(١) هو ... [illegible]

الأحيمر ... [illegible]

... [illegible]

... [illegible]

في المجلس ... [illegible]

... [illegible]

(٢) في الأصل ...

Marfat.com

فإنّ ذلك إنما تصوَّرَ له بشيءٍ اعتراه ! ! فَمَنْ كان ذكيًّا حافظاً فليقصِد إلى شيئين : وإلى ثلاثة أشياء ، ولا ينزِع عن الدرس والمطارَحَة ، ولا يدعُ أن يمرَّ على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ، ما قدَر عليه من سائر الأصناف ، فيكون عالماً بخواصّ ، ويكون غيرَ غفلٍ من سائرِ ما يجرى فيه الناسُ ويخوضون فيه . ومن كان مع الدرس لايحفظ شيئاً ، إلّا نسيَ ما هو أكثرُ منه . فهو من الحفظ من أفواه الرجال أبعد .

(جمع الكتب)

وحدَّثنى موسى بنُ يحيى قال : ما كان فى خِزانةِ كتبِ يحيى ، وفى بيت مدارسه[1] كتابٌ إلّا وله ثلاثُ نسخ .

وقال أبو عمرو بنُ العَلاء : ما دخلتُ على رجل قطُّ ولا مررتُ ببابه ، فرأيته ينظرُ فى دفترٍ وجليسُه فارغُ اليد ، إلّا اعتقدتُ أنّه أفضلُ منه وأعقل .

وقال أبو عمرو بن العلاء : قِيل لنا يوماً : إنّ فى دار فلانٍ ناساً قد اجتمعوا على سَوءة ، وهم جلوسٌ على خيرة حم[2] ، وعندهم طُنبُورٌ . فتسوَّرنا عليهم[3] فى جماعةٍ من رجالِ الحىّ ، فإذا فتًى جالسٌ فى وسط

---

(١) فى ل : « مدرسه » وهو تحريف صوابه فى ط . والمدارس : جمع مدرس بفتح الميم . وهو الكتاب . وأما المدراس فهو الموضع الذى يقرأ فيه القرآن ، ومنه قالوا : مدراس اليهود . فالوجه ماأثبته عن ط .

(٢) فى ط : « على خيرة » ومثلها عن ل و س . فإن ضبطت بضم الخاء كان معناها الخمر (بعد تصغيرها) وإن ضبطت بفتح الخاء كان المراد بها الحصيرة الصغيرة من السعف . ولكل وجه . وانظر ثمار القلوب ٤٧ والأغانى ٧ : ١٧٥ .

(٣) فى ل : « فدمرنا عليهم » . صواب هذه « فدمرنا » بالدال المهملة ، أى دخلنا بغير إذن . انظر اللسان (دمر) ومثله سيأتى فى ص ٢٩٦ .

Marfat.com

الدار ، وأصحابُه حوله ، وإذا همْ بِيضُ اللِّحَى ، وإذا هو يقرأ عليهم دفتراً فيه شعر . فقال الذى سعى بهم : السَّوءة فى ذلك البيت . وإنْ دخلتموه عثَرتم عليها ! فقلت : والله لا أكشفُ فتًى أصحابه شيوخ . وفى يده دفترُ علم ، ولو كان فى ثوبه دمُ يحيى بنِ زكريَّاء ! !

وأنشد رجلٌ يُونسَ النحويَّ :

استودَعَ العلمَ قرطاساً فضيّعَه فبِئْسَ مستودَعُ العلمِ القراطيس

قال ، فقال يونس : قاتَلَه الله . ما أشدَّ ضنانَته بالعلم . وأحسنَ صيانته له ، إنَّ علمَك من روحِك . ومالَك من بدنك . فضعْه من بدنك بمكان الرُّوح ، وضعْ مالَكَ بمكان البدن ! !

وقيل لابن داحة ... وأخرج كتاب أبى الشمقمق . وإذ هو فى ... كوفيَّة . ودفَّتين طائفيَّتين [1] . فخط عجيب ... تجوَّدَ بشعر [2] أبى الشمقمق ! فقال : لا أحرده والله ! ! إن ... حساب ما تعطونه . وإذ استطعتُ ... على ناظرى . لفعلت .

ولقد دخلت على إسحاق بن ... والرجالَ مُثولاً كأنَّ على ... عليه وهو معزول . وإذ هو ... والقماطر والدفاتر والمحابر ...

(١) ...
(٢) ...

Marfat.com

ولا أجزَل منهُ فى ذلك اليوم ؛ لأنَّه جمعَ مع المهابَة المحبَّة ، ومع الفَخامة الحَلاوة . ومع السُّودَد الحِكْمة .

وقال ابن داحة : كان عبدُ الله بنُ عبدِ العزيز بنِ عبد اللهِ بن عمر ابن الخطَّاب . لايجالِسُ الناسَ . وينزلُ مَقْبُرَةً من المقابر ، وكان لايكادُ يُرى إلَّا وفى يده كتابٌ يقرؤه . فسُئِل عن ذلك ، وعن نزولِه المقبُرة فقال : لم أرَ أَوْعظَ من قبر ، ولا أمنَع [1] من كتاب ، ولا أسلَمَ من الوَحدة . فقيل له : قد جاء فى الوَحدة ما جاء ! فقال : ما أفسَدَها للجاهِل [وأصلحها للعاقل !] .

(ضروب من الخطوط)

وضروبٌ من الخطوطِ بعد ذلك ، تدلُّ على قدرِ منفعَة الخطِّ . قال الله تبارَك وتعالى ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقال الله عزَّ وجلّ ﴿ فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴾ وقال ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ وقال ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ وقال ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

ولو لم تكتب أعمالُهم لكانت محفوظةً لا يدخلُ ذلك الحفظَ نسيانٌ ، ولكنَّه تعالى وعزَّ ، علم أنَّ كتابَ المحفوظِ ونسخَه ، أوكَدُ وأبلغُ فى الإنذار والتحذير ، وأهيبُ فى الصدور .

---

(١) كذا فى ط : وفى مختصر ص : ولا آنس ، فلعل صحة ما هنا : أمنع ، من الإمتناع .

Marfat.com

وخطٌ آخر ، وهو خطُّ الحازى والعرَّاف[1] والزَّاجِر . وكان فيهم حليس[2] الخطَّاط الأسدىّ ، ولذلك قال شاعرهم فى هجائهم :

فأنتم عضاريطُ الحَلِيسِ إذا غزَوْا غَناؤكمُ تِلْكَ الأخاطيطُ فى التُّرْبِ[3]

وخُطوطٌ أخَر ، تكون مستراحًا للأسيرِ والمهموم والمفكِّر . كما يعترى المفكِّرَ من قَرْعِ السنِّ ، والغضبانَ من تصفيقِ اليد وتحييطِ العين . وقال تأبَّطَ شرًّا :

لتَقْرَعَنَّ عَلَىَّ السنَّ مِنْ نَدَمٍ إذا تذكَّرتَ يومًا بعضَ أخلاقى

وفى خطِّ الخزينِ فى الأرض يقول ذو الرُّمَّة[4] :

عَشِيَّةَ مالِى حِيلةٌ غيرَ أنَّنِى بِلَقْطِ الحَصَى وخَطِّ فى الدارِ مولَعُ[5]

أخطُّ وأمحو خطَّ ثم أعِيدُه بكفِّى والغِربانُ فى الدارِ وقَّعُ

وذكر الشابغة صانعَ الماء . وفزَعهنَّ إلى ذلك . فى شعرٍ وغيرِه وفكَّرن . فقال :

---

(١) فى ف : ... والعرَّاف ...

(٢) كذا فى ص ، و ... الحليس ...

(٣) هذا ... التراب

(٤) ...

(٥) ...

Marfat.com

ويخطُطْنَ بالعِيدانِ فى كلِّ منزلٍ ويَخبَأنَ رُمَّانَ الثُّدِىِّ النواهدِ

وقد يفزع إلى ذلك الخَجِلُ والمتعلِّل، كما يفزع إليه المهمومُ وهو قولُ القاسم ابن أميَّةَ بنِ أبى الصَّلْت :

لاينقرون الأرضَ عند سُؤالِهم لتلمُّسِ العِلَّاتِ بالعِيدانِ (١)

بل يبسُطُون وجوهَهم فتَرَى لها عندَ اللقاء كأحسَنِ الألوانِ

وقال الحارث بن الكِنْدىّ ، وذكرَ رجلًا سأله حاجةً فاعتراه العبثُ بأسنانه . فقال :

وآضَ بكَفِّهِ يختَكُّ ضِرساً يُرِينا أنَّهُ وَجِعٌ بضِرْسِ

وربما اعتَرى هؤلاء عدُّ الحصى ، إذا كانوا فى موضعِ حصى ، ولم يكونوا فى موضع تراب . وهو قول امرئ القيس :

ظَلِلْتُ رِدائِى فوقَ رأسِىَ قاعداً أعدُّ الحصَى ما تَنْقَضِى حَسَرَاتِى

وقال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْت : ٣٣

نَهَرًا جارِيًا وبيتاً عَلِيًّا يعتَرِى المعتَفِين فضلُ نَدَاكا

فى تراخٍ من المكارمِ جَزْلٍ لم تعلِّلهمُ بلَقْطِ حَصَاكا (٢)

وقال الآخر . وهو يصِف امرأةً قُتِل زوجُها . فهى محزونةٌ تلقُط الحصى :

وبيضاءَ مكسالٍ كأنَّ. وشاحَها على أمِّ أحوى المُقْلَتَين خَذُولِ (٣)

---

(١) فى ط : « يلتمسون » . وهو تصحيف . وفى س « ينكتون » ، وفى ل وكذلك عيون الأخبار ٣ : ١٥٧ ومعجم المرزبانى ٣٣٢ « لاينقرون » كما أثبت . وانظر مجالس ثعلب ١١٣ والعمدة ٢ : ٣٣٦ ولباب الآداب ٢٥٧ .

(٢) فى « تراخ » لعلها « براح » كسحاب ، وأصل معناه التنسيح من الأرض . و « تعللهم » هى فى ط : « تعللهم » وليس بشىء . وفى ل « تعلل فيه » وهو خطأ كتابى .

(٣) فى ط : « المقلتين » وهو تصحيف عجيب . وأحوى المقلتين يعنى به الظبى . والخذول من وصف أمه ، وهى التى خذلت أصحابها فانفردت عنهم قائمة على ولدها . فهى لذلك أخشف خشفها . وهى تمه عنقها وترتاع ، وذلك أحسن لها .

Marfat.com

عَقَلتَ لهـا مِنْ زوجِهَا عَدَدَ الحصى

مع الصُّبح . أو فى جُنحِ كلِّ أصيلِ

يقول : لم أُعْطِهَا عقْلًا عن زوجها . ولم أُورِثْهَا إلّا الهمَّ الذى دعاها إلى لقط الحصى . يخبر أنَّه لمنعَتِه . لا يُوصَل منه إلى عقلٍ ولا قَوَد .

(أقوال الشعراء فى الخطّ)

ومِمّا قالوا فى الخطّ . ما أنشدنا هشامُ بن محمد بن السائب الكلبى قال : قال المقنَّع الكِندىّ فى قصيدةٍ له . مدح فيها الوليدَ بنَ يزيد :

كالخطِّ فى كُتُبِ الغلام أجادَه ... تمداده . وأسَدّ من أقلامه

قلمٌ كخرطوم الحمامةِ دائلٌ ... مستحفظٌ للعلم من علّامه

يَسِمُ الحروفَ إذا يشاءُ بناتِه ... نيلاتِه بالنَّقْطِ من أرسامه

من صوفةٍ نفثَ الملاد سُخامَه ... حتى تعيّر بالسخام

يُخْفى فيقصِمُ من شعيرةِ نفسه ... بقلامة الأظفور دون قلامه

وبأنفه ... سَبَقَ ... فى ... دون ...

مُستعجِمٌ دون الفصيح ... فصل ... معجمه

---

(١) ...

(٢) ...

(٣) ...

Marfat.com

وله تراجمةٌ بألسنةٍ لهمْ تبيانُ ما يَتلُونَ من تَرجَامِه
ما خطَّ من شيء به كتّابه ما إن يبوحُ به على استكتامِه
وهجاؤه قاف ولام بعدها ميم معلّقةٌ بأسفلِ لامِه

ثم قال :

قالتْ لجارتها الغزيّلُ إذ رأت وجهَ المقنَّع من وراءِ لثامِه
قد كان أبيضَ فاعتراه أُدمَةٌ فالعينُ تُنكره من آدهيمامِه
كم من بُويزِل عامِها بهريّة سُرُحِ اليدينِ ومن بُويزِل عامِه
ركب الوليدُ برَحْلها وزمامها[1] وكذاكَ ذاكَ برَحله . وزمامه
وقريح عتدٍ أُعِدَّ لنيِّه بنَ اللَّقوحِ فعادَ مِلءَ حزامه[2]
ركب الوليدُ بسَرْجها ولجامها وكذاك ذاك بسَرجه . ولجامه
أهدى المقنّع للوليدِ قصيدةً كالسيفِ أُرهِف حدُّه بحُسامه
ولهُ لمآثرٌ في قريشٍ كلِّها ولهُ الخلافةُ بعد موتِ هشامه

وقال الحسن بن جماعة الجذامي[3] في الخطأ :

---

(١) في ط : « وزماعها » والصواب ما كتبت من ل .
(٢) في ل بالكسر : الشحم . القوريح : مصغر قارح . وهو من ذي الحافر ، بمنزلة البازل من الإبل . العتد محركة وككتف : المعد للجري ، أو الشديد التام الخلق . اللقوح : الناقة قد لقحت . . وكانه العرب يستعون كرائم الخيل ألبان الإبل . قال الأعرج المعني (الحماسة ١ : ١٣٠) :

[illegible] سهل ماتزال تلجج [illegible] وما أدري عزم تزجج
[illegible] أن أمنح الورد لقحة [illegible] وتستوي والورد ساعة تفزع
[illegible] قلت مقاسمًا [illegible] لخيب الزاد إنها مايقنع
[illegible] بيده بالجمة [illegible] سقاني بجزيل بما كنت أصنع

[illegible] الحرمازي الجرمي (الحماسة ١ : ٢٤٣) :

[illegible] في يابات أن [illegible] أن حمرت لقحة سوداء
[illegible] من حنانه لمسته [illegible] وتصرن في حلقه كالداء

(٣) [illegible] وقد ورد جماعة بالدال في ط .

Marfat.com

إليك بِسِرِّى باتَ يُرقِلُ عالمٌ
أصمُّ الصدى مخرورفُ السِّنِّ طائع [1]
بَصيرٌ بما يُوحَى إليه ومالَهُ لسانٌ ولا أُذْنٌ بها هُوَ سامعُ
كأَنَّ ضميرَ القلبِ باحٍ بِسِرِّهِ إليه . إذا ما احْتَثَّتْهُ الأصابع
له رِيبَةٌ من غيرِ فرْثٍ تمدُّه ولا مِنْ ضلوعٍ صدَّعَتْها الأضالعُ [2]

وقال الطائىُّ ، يمدح محمَّدَ بن عبدِ الملك الزَّيات :

وما بَرِحَتْ صُوراً إليكَ نوازعاً أعِنَّتُها دُلْ رسلتْك الرسائل
لك القلبُ الأعلى الذى بشباته يُصَابُ من الأمرِ الكلىِّ المفاصل [3]
لك الحلواتُ اللاءِ لولا نجيُّها لما احتملت لنشأتك تلك الحمائل [4]
لعابُ الأفاعى القاتلات لُعابُه وأرْقَى لحَيَّى أرقمَيْها أنامله
له رِيقَةٌ طَلَّ ولكنَّ وقعَها بأثرِها فى الشرق والغرب وابل
فصيحٌ إذا استنطقتَه وهو راكبٌ وأفصحُ إن حاطبتَه وهو راجل
إذا ما اعتقلتْ خيلُ امرئٍ فرصةً عرى صعباتِ المُلْك وهى حرائل
أطاعتْه طرفا المُلْك واتَّسقتْ له فهو مشدودٌ عليها عواملُ
له همَّةٌ لا منتهى لكبارها وهمَّتُه الصغرى أجلُّ من الدهر

(١) ...
(٢) ...
(٣) ...
(٤) ...

Marfat.com

وقد رفدته الخِنْصَرانِ وسدَّدت ثلاثَ نواحِيه الثلاثُ الأنامِلُ[1]

رأيتَ جليلاً شأنُهُ وهو مُرْهَفٌ ضنى وسميناً خَطْبُه وهو ناحلُ[2]

أرى ابنَ أبي مروانَ أدَّى لِقاؤُه فدانٍ وأمَّا الحكمُ فيه فعادلُ

٣٥ وقد ذكر البُحْتُرِيُّ في كلمةٍ له . بعضَ كهولِ العسكر[3] . ومن أَنْبَل أبناء كتّابهم[4] الجِلّة فقال :

وإذا دجَتْ أقلامُه ثم انتحَتْ برقَت مصابيحُ الدُّجَى في كتبه

(الكتابات القديمة)

وكانوا يجعلون الكتاب حفراً في الصخور . ونقشاً في الحجارة. وخِلْقة مُرَكَّبةً في البُنْيان . فربَّما كان الكتابُ هو البانِيْ . وربَّما كان الكتابُ هو الحفر . إذا كان تاريخاً لأمرٍ جَسيم . أو عهداً لأمرٍ عظيم . أو مَوعظةً يُرتَجى نفعُها . أو إحياءَ شرفٍ يريدون تخليد ذكره . [أو تطويل مدته] . كما كتبوا على قُبَّة غُمْدَان[5] . وعلى باب القَيْرُوان[6] .

---

(١) في ط : « وقد رمزته الخنصران وشددت » وهو تحريف مأثبته من ل والديوان .

(٢) في ط : « نضى » وصوابه من الديوان و ل .

(٣) هو الحسن بن وهب ، وليت شعري لم يصرح الجاحظ باسمه . مع أن الجاحظ له رسالة إلى الحسن بن وهب . في مدح النبيذ وصفة أصحابه . ذكر صدرا منها عبيد الله بن حسن . في كتابه « الفصول المختارة » انظر هامش الكامل ١ : ٩٧ . والبيت الماثل هو من قصيدة في ديوان البحتري ٣٠٧ مطلعها :

من سائل عمن خطبه أو صفح مقصر عن ذنبه

(٤) في ط : « أنيل أبنا كتابهم » وتصحيحه من ل .

(٥) غمدان : قصر بن صنعاء وطيرة . واختلف في اسم بانيه ، وله صفة عجيبة في معجم البلدان .

(٦) هي المدينة المعروفة في إفريقية . مصرت في الإسلام في أيام معاوية .

Marfat.com

وعلى باب سَمَرْقَند[١] ، وعلى عمود مأرِب[٢] . وعلى ركن المشقَّر[٣] ، وعلى الأبلَق الْفَرْد[٤] ، وعلى باب الرها[٥] ؛ يعمِدُون إلى الأماكن المشهورة ، والمواضع المذكورة ، فيضعون الخطَّ فى أبعدِ المواضع من الدُّثور ، وأمنَعِها من الدروس ، وأجدرَ أنْ يراها من مرَّ بها . ولا تُنسى على وجه الدهر .

(فضل الكتابة وتسجيل المعاهدات والمحالفات)

وأقول : لولا الخطوطُ لبَطَلت العهودُ والشروطُ والسِّجلاَّتُ والصِّكاك . وكلُّ إقطاعٍ ، وكلُّ إنفاق ، وكلُّ أمان ، وكلُّ عهدٍ وعقدٍ ، وكلُّ جوارٍ وحِلف . ولِتعظيمِ ذلك ، والثقةِ به والاستنادِ إليه ، كانوا يدْعُون فى الجاهليَّة مَنْ يكتبُ ثم ذكرَ الحلْف والحدْثة ، تعظيما للأمر ، وتبعيدا من النسيان . ولذلك قال الحارث بن حِلِّزة ، فى شأن بكر وتغلب[٦] :

واذكروا حِلْفَ ذى المَجَاز وما قُـ ـدِّمَ فيه العهودُ والكفلاء

---

(١) بلدة حصينة فى الشمال الشرقى من أفغانستان ، وهى أشهر مدن ما وراء النهر ، وقد فتحها المسلمون سنة ٩٣ هـ .

(٢) مأرب : بين صنعاء وحضرموت من أرض اليمن .

(٣) المشقر : حصن كان لبنى عبد القيس بالبحرين ، وقد خربه الطاهريون سنة ٣٠٣ هـ .

(٤) الفرد : حصن بالقرب من سميساط على الفرات .

(٥) الرها : مدينة على الفرات ، وهى أقدم مدن الجزيرة ، وتسمى الآن أورفة .

(٦) بكر وتغلب : قبيلتان عربيتان كانت بينهما حرب البسوس التى استمرت أربعين سنة .

Marfat.com

حَذَرَ الجَورِ والتَّعدِّى ، وهلْ يَنْـ ـقُض ما فى المَهارِقِ الأهواءُ !

والمهارق ، ليس يراد بها الصُّحُفُ والكتب ؛ ولا يقال للكتب مَهارقُ حتَّى تكونَ كتبَ دينٍ ، أو كتبَ عهودٍ ، ومِيثاقٍ ، وأمان .

(الرقوم والخطوط)

وليس بين الرُّقومِ والخطوطِ فَرق ، ولولا الرقوم لهلكَ أصحابُ البَزِّ والغُزول . وأصحابُ الساجِ وعامَّةِ المتاجر . وليسَ بينَ الوُسومِ[1] التى تكون على الحافر كلِّه والخفِّ كلِّه والظِّلفِ كلِّه . وبين الرقومِ فرق ، ولا بينَ العقودِ والرقوم فرق . ولا بين الخطوط والرقوم كلِّها فرق ، وكلُّها خطوط . وكلها كتابٌ . أو فى معنى الخطِّ والكتاب . ولا بين الحروف المجموعةِ والمصوَّرَةِ من الصوت المقطَّع فى الهواء . ومن الحروف المجموعة المصوَّرة من السواد فى القرطاس فرق .

٣٦ واللسان : يصنَع فى جَوبة[2] الفمِ [وهوائه الذى فى جوفِ الفم] وفى خارجه . وفى لَهاته . وباطنِ أسنانه . مثلَ ما يصنع القلمُ فى المدادِ والدِّيقةِ والهواء والقرطاس . وكلُّها صورٌ وعلاماتٌ وخَلْقٌ مواثل . ودَلالات ، فيعرف منها ما كانَ فى تلك الصُّوَر لكثرةِ تَردادها على الأسماع[3] . ويعرف منها ما كان مصوَّراً من تلك الألوان لطول تكرارها على الأبصار . كما استدللنا بالضَّحك على السرور . وبالبكاء على الألم . وعلى مثلِ ذلك سائرها من الصوت . وضروبَ صورِ الإشارات . وصورِ جميع الهيئات ،

---

(١) فى ا « ... ر ، وإنما هى ... » جمع رسم .

(٢) ما بين [ ] ساقط من ا « جوبة » .

(٣) ... ل ... ورة فى ط ... ع الأسماع .

Marfat.com

وكما عرف المجنون لقَبه ، والكلبَ اسمَه . وعلى مثل ذلك فهِم الصبيُّ الزجرَ والإغراء ، ووعى المجنون الوعيد والتهدُّد[١] . وبمثل ذلك اشتدَّ حُضْرُ الدابّة مع رفع الصوت . حتّى إذا رأى سائسَه حجم . وإذا رأى الحمامُ القيِّمَ عليه انحطَّ للقطِ الحبّ ، قبل أن يُلقِيَ له ماياقطه . ولولا الوسومُ[٢] ونُقُوش الخواتم ، لدخل على الأموالِ الخللُ الكثير . وعلى خزائن الناس الضررُ الشديد .

(الخط والحضارة)

وليس في الأرض أمّةٌ بها طِرْق[٣] أو فيها مُسْكة . ولا جبل هم فيه وبسْط ، إلاّ وفيه خطّ . فأمّا أصحاب الملل والمقالات والديانة والعبادة ، فهناك الكتابُ المتقن ، والحساب المحكم ، والخطُّ من الجزْم والمسند المنعم والمسهوم [illegible] وأمّا الكلبي .

(تخليد الأمم لمآثرها)

[illegible] : فكلُّ أمّة تعتمد في استبقاء مآثرها [illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

(تخليد العرب لمآثرها)

وكانت العربُ فى جاهليَّتها تحتال فى تخليدها . بأن تعتمد فى ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفَّى . وكان ذلك هو ديوانها . وعلى أنّ الشعرَ يُفيد فضيلةَ البيانِ . على الشاعر الراغبِ . والمادح . وفضيلةَ المأثُرة . على السيِّد المرغوبِ إليه . والممدوحِ به . وذهبت العجَم عَلَى أن تقيِّد مآثرَها بالبُنيان . فبنوا مثلَ كرد بيداد[1] . وبنى أردشير بيضاء إصطَخْر . وبيضاء المدائن . والحَضْر . والمدن والحصون . والقناطر والجسور . والنواويس . قال : ثمَّ إنّ العربَ أحبَّتْ أن تشاركَ العجمَ فى البناءِ . وتنفردَ بالشعر . فبنوا غُمدان . وكعبةَ نَجْرَان[2] . وقصرَ مارد . وقصر مأرِب . وقصر شعوب[3] والأبلق الفرد . و [فيه وفى[4]] مارد . قالوا « تمرَّدَ مارِدٌ وعزَّ الأبلق » وغيرَ ذلك من البُنيان . قال : ولذلك لم تكن الفرسُ تبيح شريفَ البُنيان . كما لا تبيح شريف الأسماء . إلاّ لأهل البيوتات . كصنيعهم فى النواويس والحمَّامات والقِباب الخضر . والشُّرَف على حيطان الدار . وكالعَقْد على الدِّهليز وما أشبهَ ذلك . فقال بعض من

---

(١) كذا فى ط . ومكانه فى ل : كرد بنداذ .

(٢) كعبة نجران : بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثى . على بناء الكعبة . وعظموها مضاهاة للكعبة . وكان فيها أساقفة معتمون . وهم الذين جاءوا إلى النبى . صلى الله عليه وسلم . ودعاهم إلى المباهلة . انظر ياقوت .

(٣) شعوب : قصر باليمن معروف بالارتفاع . كذا قال ياقوت .

(٤) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام . وصاحب هذا القول هو الزباء . فيما روى ياقوت فى رسم (مارد) قال فى مارد : حصن بدومة الجندل . وفيه وفى الأبلق قالت الزباء، وقد نزلتهما . فامتنعا عليها : تمرد مارد وعز الأبلق . . فصارت مثلا لكل عزيز ممتنع .

Marfat.com

حضر « كُتُبُ الحكماءِ وَما دَوَّنت العلماءُ من صنوف البلاغات والصِّناعات والآداب والأرفاق[1] ، من القرون السابقة والأمم الخالية . ومن له بقيَّة ومن لا بقيّة له ، أبقى ذكراً وأرفعُ قدراً وأكثر ردًّا . لأنَّ الحكمةَ أنفعُ لمن ورثها ، من جهة الانتفاع بها . وأحسنُ فى الأحدوثة . لمن أحبَّ الذكر الجميل » .

(طمس الملوك والأمراء آثار من سبقهم)

والكتبُ بذلك أولَى من بُنيان الحجارة وحِيطان المدَر ، لأنّ من شأن الملوك أنْ يطمِسوا على آثارِ مَن قبلَهُم . وأن يُميتوا ذكرَ أعدائهم . فقد هدَموا بذلك السبب [أكثرَ] المدن وأكثرَ الحصون . كذلك كان أيَّامَ العجَم وأيَّامَ الجاهليّة . وعلى ذلك هم فى أيّام الإسلام . كما هدم عُثمانُ صومعةَ غُمدان . وكما هدمَ لآطام[2] التى كانت بالمدينة . وكما هدم زيادٌ كلَّ قصر ومصنع كان لابن عامر[3] . وكما هدم [illegible] الشاهات[4] [illegible] .

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

(تاريخ الشعر العربى)

وأما الشعرُ فحديثُ الميلاد ، صغيرُ السنِّ ، أوّلُ من نَهَجَ سبيلَه ، وسهّل الطريقَ إليه : امرؤُ القيس بن حُجْر ، ومُهَلْهِل بنُ ربيعة . وكُتُبُ أرسطاطاليسَ . ومعلّمِه أفلاطون ، ثم بَطْلَيموس ، وديمقراطس[1] ، وفلان وفلان . قبلَ بدءِ الشعر بالدهور قبلَ الدهور[2] . والأحقاب قبلَ الأحقاب .

ويدلُّ على حداثةِ الشعر ، قولُ امرئ القيس بن حُجْر :

إنَّ بنى عوفٍ ابتَنَوا حسناً ضيَّعه الدُّخلُلون إذ غدَرُوا[3]

أدَّوا إلى جارهم خفارته ولم يَضِعْ بالمغيب مَنْ نَصَرُوا[4]

لا حِمْيَرِىٌّ وَفَى ولا عُدُسٌ ولا است عَيرٍ يحكها الثَّفر[5]

لكنْ عُوَيرٌ وفَى بذمَّتِه لا قِصَر عابَهُ ولا عَوَرُ[6]

فانظرْ ، كم كان عمرُ زُرارةَ ! وكم كان بين موت زُرارة ومولدِ النبى عليه الصلاة والسلام ؟ ! فإذا استظهرنا الشعرَ ، وجدْنا له — إلى أن جاء اللهُ بالإسلام — خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتى عام[7] .

قال : وفضيلة الشعر مقصورةٌ على العرب ، وعلى من تكلَّم بلسان

---

(١) فى ط : « ذى بتراط » . وما أثبته فى ل . . وانظر القفطى (حرف الدال المهملة ثم حرف الذال المعجمة) .

(٢) فى الأصل : « وقبل الدهور » .

(٣) ياتنوا (حسنا) بالنون فى الأصل . ويظهر أنه تصحيح مافى الديوان ١٥٩ . والمراد به ظهور بنى وائيل . والدخلل ، كما قال أبو بكر : الذى يداخل الرجل فى أمره ويصاحبه على غيره .

(٤) الخفارة : الذمة والعهد . والخفاء مثلثة .

(٥) حميرى : نسبة إلى حمير ، وعدس : بطن من بنى حنظلة .

(٦) أبو عوير هذا فى الديوان : كان عوير قد أجار هذا بيت حجر أخت امرئ القيس ، فأبى أن يفى بها حجران ، فمدحه بوفاء الذمة . وقوله : من كل سيب يشين غيره .

(٧) انظر لتوضيح هذا ماأثبت فى الاستدراكات .

Marfat.com

العرب ، والشعر لايُستطاع أن يترجَم ، ولا يجوز عليه النقل ؛ ومتى حوِّل تقطَّع نظمُه وبطلَ وزنُه ، وذهب حسنُه وسقطَ موضعُ التعجب : [لا] كالكلامِ المنثور . والكلامُ المنثور المبتدأُ على ذلك أحسنُ وأوقعُ من المنثور [الذى تحوّل من] موزون الشعر .

قال : وجميع الأمم يحتاجون إلى الحكم فى الدين . والحكم فى الصناعات ، وإلى كلّ ما أقام لهم المعاشَ وبوّب لهم أبوابَ التِطَن . وعرّفهم وجوهَ المرافق ؛ حاجتهم كتعليمهم . وأحوالهم [illegible] كتمريبهم ؛ والحاجة إلى ذلك شاملة لهم .

(صعوبة ترجمة الشعر العربى)

وقد نُقلتْ كتبُ الهند . وتُرجمت حكمُ اليونانيّة . وسُوِّيت [illegible] الفرس ؛ فبعضها ازداد حسنًا . وبعضها ما انتقص [illegible] العرب . لبطل ذلك المعجز الذى هو الوزن . مع [illegible] معانيها شيئًا لم تذكره الأمم فى كتبهم . [illegible] وحكمهم . وقد نُقلت هذه الكتب [illegible] قرن . ومن لسان إلى لسان . حتى [illegible] وتأمل ذلك . فقد صحّ أن [illegible]

Marfat.com

ودقائِق اختصاراته . وخفِيَّاتِ حدوده ، ولا يقدِر أَنْ يوفيَها حقوقَها ، ويؤدِّيَ الأمانة فيها . ويقومَ بما يلزمُ الوكيلَ ويجبُ على الجَرِيّ[1] ، وكيف يقدِر على أدائِها وتسليمِ معانيها . والإخبار عنها على حقِّها وصدقها ، إلّا أَنْ يكونَ فى العلم بمعانيها . واستعمالِ تصاريفِ ألفاظِها . وتأويلاتِ مخارجِها . مثلَ مؤلِّف الكتاب وواضعِه . فمتى كان رحمه الله تعالى آبنُ البِطرِيق . وآبن ناعمة . وآبن قرَّة . وآبن فِهريز . وثيفيل[2] ، وآبن وهيلى . وآبن المقفَّع . مثلَ أرِسطاطاليس ؟ ! ومتى كان خالدٌ[3] مثلَ أفلاطون ؟ !

(شرائط الترجمان)

ولا بدَّ للتَّرجُمَان من أن يكون بيانهُ فى نفس الترجمة ، فى وزْن علمه فى نفس المعرفة . وينبغى أن يكون أعلمَ النلس باللغة المنقولة والمنقولِ إليها ، حتّى يكون فيهما سواءً وغاية . ومتى وجدناه أيضاً قد تكلَّم بلسانين ، علمنا أنه قد أدخلَ الضيمَ عليهما ، لأنَّ كل واحدةٍ من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها ، وتعترضُ عليها . وكيف يكونُ تمكُّنُ اللسان منهما مجتمعين فيه ، كتمكُّنِه إذا انفرد بالواحدة . وإنَّما له قوَّةٌ واحدة . فإنْ تكلَّمَ

---

(١) ... الأصل : فجرى ... والمراد هو الجرى ... وهو فى معنى الوكيل ، كما فى القاموس

(٢) ... فهريز بن حبيب ، أو عبيد يشوع بن فهريز ... ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

وأما ثيفيل : فهو تيوفيل بن توما أحد المترجمين لأرسطو . مجلة الثقافة العدد ٢٨ .

(٣) ... خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ... وفى خلافة ثلاثة أشهر ... وقد قام بأول ... فى الإسلام ... قال الجاحظ فى البيان ١ : ٣٢٠ : « وكان خالد بن يزيد بن معاوية ... شاعراً ... وخطيباً ... وجيد الرأى كثير الأدب ... وكان أول من ترجم ... الطب والكيمياء ... توفى خالد سنة ٨٥ هـ .

Marfat.com

بلغةٍ واحدة استفْرِغَتْ تلك القوَّةَ عليهما . وكذلك إنْ تكلَّم بأكثرَ مِنْ لغتين . على حساب ذلك تكون الترجمةُ لجميع اللغات . وكلَّما كانَ البابُ من العلم أعسرَ وأضيق . والعلماءُ به أقلَّ . كان أشدَّ على المترجِم . وأجدرَ أن يخطئ فيه . ولن تجد ألبتَّةَ مترجماً يفِي بواحدٍ من هؤلاء العلماء . ٣٩

(ترجمة كتب الدين)

هذا قولُنا فى كتب الهندسة . والتنجيم . والحساب . والنحو . فكيف لو كانت هذه الكتبُ كتبَ دِينٍ وإخبار عن الله — عزَّ وجلَّ — بما يجوز عليه ممَّا لايجوز عليه . حتَّى يريد أنْ يتكلَّم على تصحيح المعانى فى الطبائع . ويكون ذلك معقوداً بالتوحيد . ويتكلَّمَ فى وجوه الإخبار و حتمالاته للوُجود . ويكون ذلك متضمَّناً بما يجوز على الله تعالى . ممَّا لايجوز . وبما يجوز على الناس مما لايجوز . وحتَّى يعلم مستقرَّ العادة و[illegible] والمقابلاتِ الَّتى تلقى الأخبارَ العاميةَ مخرج فيجعلها خصيصة . [illegible] من الخبر ما يخصُّه الخبر الذى هو [illegible] وما يخصُّه العقل [illegible] ما يكون من الخبر صادقاً أو كاذباً . [illegible] وحتَّى يعرف [illegible] وعلامة [illegible] الصحيح . وأىّ [illegible] ذلك . وأىّ القبيلين [illegible] حال أقنع [illegible]

(١) [illegible]

Marfat.com

والكناية . وفصْل ما بين الخطَلِ والهَذْر ، والمقصورِ والمبسوط والاختصار ؛ وحتّى يعرف أبنيةَ الكلام . وعاداتِ القوم ، وأسبابَ تفاهمِهم ، والذى ذكرنا قليلٌ من كثير . ومتى لم يعرفْ ذلك المترجمُ أخطأَ فى تأويل كلامِ الدين . والخطأُ فى الدين أضرُّ من الخطأ فى الرياضة والصناعة . والفلسفةِ والكَيْمِيَاء ، وفى بعض المعيشة التى يعيش بها بنو آدم .

وإذا كان المترجِم الذى قد ترجَم لايكمل لذلك ، أخطأ على قدْرِ نقصانه من الكمال . وما عِلْمُ المترجِم بالدليل عن شبه الدليل ؟ وما علْمه بالأخبار النجوميّة ؟ وما علمه بالحدود الخنميّة ؟ وما علمه بإصلاح سقطات الكلام . وأسقاط الناسخين للكتب ؟ وما علمُه ببعض الخطرفة لبعض المقدّمات ؟ وقد علمنا أنّ المقدّمات لابدَّ أنْ تكون اضطراريّة ، ولا بدَّ أن تكون مرتّبة . وكالخيط الممدود[1] . وآبنُ البِطريق وابن قرّة[2] لايفهمان هذا موضوعاً منزّلا . ومرتّباً مفصّلا : من معلّمٍ رفيقٍ . ومن حاذقٍ طَبٍّ ؛ فكيف بكتابٍ قد تداولتْـــه اللغاتُ واختلافُ الأقلام ، وأجناسُ خطوطِ الملل والأمم ؟ !

ولو كان الحاذقُ بلسان اليونانيّين يرمى إلى الحاذق بلسان العربيّة ؛ ثم كان العربىُّ مقصّراً عن مقدار بلاغة اليونانىّ ، لم يجد المعنى والناقل التصوير . ولم يَجد اليونانىُّ الذى لم يرضَ بمقدار بلاغته فى لسان العربيّة بُدّا من الاغتفار والتجاوز ؛ ثمّ يصير إلى ما يعرض من الآفات لأصناف الناسخين ، وذلك أن نسخته لا يَسلَمها الخطأ ، ثمّ ينسخُ له من تلك النسخة

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

مَن يزيده من الخطأ الذى يجده فى النسخة . ثمّ لاينقص منه ؛ ثم يعارض بذلك مَن يترك ذلك المقدار من الخطأ على حاله . إذا كان ليس من طاقته إصلاحُ السَّقَط الذى لايجدُه فى نسخته .

(مشقة تصحيح الكتب)

ولرُبَّما أراد مؤلِّف الكتاب أن يصلِح تصحيفاً . أو كلمة ساقطة . فيكون إنشاء عشرِ ورقاتٍ [1] من حرّ اللفظ وشريف المعانى ، أيسَرَ عليه من إتمام ذلك النقص . حتى يردَّه إلى موضعه من اتصال الكلام . فكيف يُطيق ذلك المعارض المستأجر . والحكيمُ نفسه قد أعجزه هذا الباب ! وأعجب من ذلك أنه يأخذ بأمرين : قد أصلح المتأخر من النسخ صلاحا . ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخة لإنسان آخر . فيسير فى الأرْدَاق الشاق مسيرة الورّاق الأوّل . ولا يزال الكتاب [illegible] الخانية . والأغراض مختلفة [2] . [illegible] فى ظنّكم بكتاب [illegible] ذات أم تمثله . [illegible]

([illegible])

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

معلوماً أَنَّ شيئاً هذه بقيَّتُهُ وفضلتُه وسُؤرُه وصُبَابته ، وهذا مظهرُ حاله على شدَّة الضيم ، وثبات قوته على ذلك الفسادِ وتداوُلِ النقص ، حرىٌّ بالتعظيم ، وحقيقٌ بالتفضيلِ على البنيان[1] ، والتقديمِ على شعرٍ إن هو حُوِّل تهافَتَ . ونفعُه مقصورٌ على أهله ، وهو يُعدُّ من الأدب المقصور ، وليسَ بالمبسوط ، ومن المنافع الاصطلاحيَّة وليست بحقيقة بيِّنة[2] ، وكلُّ شيءٍ في العالم من الصناعات والأرفاق والآلات ، فهي موجودات[3] في هذه الكتبِ دونَ الأشعار ، وهاهنا كتبٌ هي بيننَا وبينكم ، مثل كتاب أُقليدِس ، ومثل كتاب جالينوس ، ومثل المجسْطي[4] ، ممّا تولّاه الحجَّاج[5] ،
٤١ وكتبٌ كثيرةٌ لا تحصى فيها بلاغٌ للناس ، وإن كانت مختلفة ومنقوصة مظلومة ومغيَّرة[6] ، فالباقي كافٍ شافٍ ، والغائب منها كان تكميلًا لتسلُّط النطباع الكاملة .

فأما فضيلة الشعر فعلى ما حكيْنا ، ومنتهى نفعِه إلى حيث انتهى بنا القول[7] .

---

(١) في ط : على البيت ، وإنما هو البنيان ، كما يفهم من سياق الكلام وكما في ل .
(٢) في ط : وليست بحقيقة بينة وصوابه في ل .
(٣) في ط : فهي جودت ، وأصلحت تشويه العبارة من ل .
(٤) في ل : المجسطي بالشين ، وإنما هو المجسطي كتاب بطليموس ، وقد قام بترجمته كثير من نقلة قارو : وصحح المأمون كثير من حسبه وأقيست خيط الأرض بالرصد بالشماسية ، فكان أرصد سمكه أول أرصاد في الإسلام ، وسموا مجموع أرصادهم الزيج المأموني .
(٥) هو الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفي ، كان في بغداد سنة ٨٦ — ٤١ .
(٦) في ط : ومغيرة .
(٨) في ل : بالقول وأثبته في ل .

Marfat.com

وحسبُك ما فى أيدى الناس من كتب الحساب ، والطبّ . والمنطق . والهندسة ، ومعرفةِ اللُّحون . والفِلاحة . والتِّجارة . وأبواب الأصباغ . والعِطر ، والأطعمة . والآلات . وهم أتوكم بالحكمة . وبالمنفعة التى فى الحمَّامات وفى الأصطرلابات . والقَرسطونات [1] وآلات معرفة الساعات . وصُنعة الزجاج والقَسَيفِساء [2] . والأسرنج [3] والزنجفور [4] واللازَورد [5] والأشربة . والأنبِجات [6] . والأبارجات [7] وحكم المِيا . والنشادر

---

(١) هذا اللفظ وجدته فى رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان فى مناقب التوك [illegible] (ص ٢٦٢) قال : [illegible] وجدته فى كتاب التربيع والتدوير له أيضا ص ١٣١ طبع السامرائى قال : [illegible] من قرسطونا كيف تخرج حسبه [illegible] فاذا ذلك أم ناقص [illegible] جميعه [illegible] ذلك أو ناقص [illegible] من قولك [illegible] كلمة (القسطاس) وهى معرّبة [illegible] فى مصر (القبانى) . وتقدم الكلام على هذه الكلمة فى ج ١ ص [illegible]

(٢) القسيفساء [illegible]

(٣) قال [illegible] من مفاتيح [illegible] حين يختم .

(٤) ذكرت هذه [illegible] فى مقدمة [illegible] صبغ معروف [illegible] من الفحم [illegible]

(٥) اللاجورد [illegible]

(٦) الأنبجات [illegible] نوع [illegible]

(٧) الأبارجات [illegible]

Marfat.com

والشَّبَه[1] وتعليق الحيطان والأساطين ، وردُّ ما مال منها إلى التقويم . ولهم صبُّ الزردج . واستخراج النَّشَا سْتَج[2] . وتعليق الخَيش ، واتِّخاذ الجمَّازات[3] . وعمل الخَرَّاقات[4] . واستخراج شراب الداذِىّ[5] وعمل الدَّبابات[6] .

(ما ابتدعه الحجاج من السفن والمحامل)

وكان الحجَّاجُ أوّلَ مَن أجرى فى البحر السفن المقيَّرة المسمَّرة غيرَ المخرَّزة . والمدهونة والمسطّحة . وغيرَ ذواتِ الجؤجؤ ؛ وكان أوَّلَ مَن عمِل محامل . ولذا قال بعضُ رُجَّاز الأكرياء[7] :

أوَّلَ خَلْقٍ عَمِلَ المحامِلا أخزَاهُ ربِّى عاجلاً وآجِلا

وقال آخر :

شَيَّبَ أصداغِى فهُنَّ بيضُ ، مَحَامِلُ لِقدَّها نَقِيضُ[8]

وقال آخر[9] :

---

(١) فى ط : « الشب » وتصحيحه من ل . والشبه والشبهان محركتين : النحاس الأصفر . هذا قول الفيروزبادى . وانظر التنبيه الآتى .

(٢) فى ط : « النستاستج » وهو تحريف مثل ل . قال فى القاموس « والنشا وقد يمد : النشاستج معرب حذف شطره » والنشا معروف .

(٣) سيفسرها الجاحظ قريبا .

(٤) الخراقات : سفن فيها مرامى نيران ، يرمى بها العدو .

(٥) قال الفيروزبادى . الداذى : شراب للفساق .

(٦) فى ل « الزرياب » وهو الذهب أو مازاد معرب . وأما الدبابات فجمع دبابة ، قالوا إنها آلة تتخذ للحرب . فتدفع فى أصل الحصن فينقبونه وهم فى جوفها .

(٧) مثل هذا الكلام فى البيان ٢ : ٣٠٣ .

(٨) الرجز وسابقه فى البيان ٢ : ٣٠٤ .

(٩) هو رجل من فقيم . كما فى اللسان (قرض) .

Marfat.com

شيَّب أصداغِى فهن بيَّضُ مَحَامِلٌ فيها رجال قبَّضُ

لو يتسكون ســـنة لم يغرضوا

وقال القوم : لولا ما عرَّفوكم من أبواب الحُمْلانات[1] لم تعرفوا صنعة الشَبَه ، ولولا غَضارُ الصين على وجه الأرض لم تعرفوا الغَضار . على أنَّ الذى عَمِلْتُم[2] ظاهرٌ فيه التوليد، منقوصُ المنفعة عن تمام الصِّينىّ . وعلى أن الشَّبَه لم تستخرجوه . وإنَّما ذلك من الأمور التى وقعت اتّفاقاً . كسقوط الناطف[3] من يد الأجير فى الصُّفْر الذائب . فخِفتم إفساده . فلمَّا رأيتم ما أعطاه من اللون عَمِلْتم[4] فى الزيادة والنقصان . وكذلك جميعُ ما تهيَّأ لكم . ولستم تخرُجون فى ذلك من أحد أمرَين : إمَّا أن تكونوا استعملتم الاشتقاق من علم مَن تورثوه . وإمَّا أن يكون ذلك تهيَّأ لكم من طريق الاتِّفاق !!

(الجمازات)

وقد علمتم أنَّ أوَّلَ شأن الجمازات . أن [illegible]

أن يزيدوا فى سير الجمل [illegible]

فلما حركت [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

خلال ذلك ، ووافقت امرأةً تحسن الاختيار ، وتفهم الأمور ، فوجدت لذلك الجمزِ راحةً . ومع الراحة لذَّة . فأمرتْهم أن يسيروا بها فى تلك السِّيرة . فما زالوا يقرِّبون ويبعِّدون . ويخطئون ويصيبون . وهى فى كلِّ ذلك تصوِّبهم وتخطئُهم على قدر ما عرفتْ . حتى شَدَوا من معرفة ذلك ما شَدَوا ، ثمَّ إنّها فرّغتهم لإتمام ذلك حتى تمَّ واستوى . وكذلك لا يخلو جميعُ أمركم : من أن يكون اتِّفاقاً . أو اتِّباعَ أثر .

(الترغيب فى اصطناع الكتاب)

ثم رجع بنا القولُ إلى الترغيب فى اصطناع الكتاب . والاحتجاج على مَنْ زَرَى[1] على واضِع الكتب . فأقول : إنّ من شكر النعمة فى معرفة مغاوى الناس ومَرَاشِدِهم . ومضارِّهم ومنافِعهم . أن يُحْتَمَلَ ثِقْلُ مئونتهم فى تقويمهم . وأن يُتَوَخَّى إرشادُهم وإن جهلوا فضلَ ما يُسْدَى إليهم . فلن يُصَانَ العلمُ بمثل بذْله . ولن تُستَبقَى النعمةُ فيه بمثل نشره . على أنَّ قراءةَ الكتبِ أبلغُ فى إرشادهم من تلاقيهم : إذ كان مع التّلاقى يشتدُّ التصنُّع . ويكثُر التظالُم . وتُفرط العصبيّة . وتقوَى الحَمِيَّة ؛ وعند المواجَهةِ والمقابلَة . يشتدُّ حبُّ الغلَبة . وشهوةُ المباهاةِ والرياسة ، مع الاستحياء من الرجوع . والأنفةِ من الخضوع ؛ وعن جميعِ ذلك تحدُث الضغائن . ويظهرُ التباين . وإذا كانت القلوبُ على هذه الصِّفةِ وعلى هذه

---

(١) أثبت ما فى ل ، وهى فى ط : « ذرى مصحفة . . وزرى عليه كأزرى : عابه ؛ والأول أكثر .

Marfat.com

الهيئة ، امتنعتْ من التعرُّف ، وعميت عن مواضع الدلالة ، وليست فى الكتب عِلَّةٌ تمنَع من دَرْك البُغْية . وإصابة الحجَّة ؛ لأنَّ المتوحِّد بدَرْسها[1] ، والمنفرد بفهم معانيها ؛ لا يباهى نفسَه ولا يغالب عقلَه ؛ وقد عَدِم مَنْ له يُباهى وَمِنْ أجله يغالب .

(الكتاب قد يفضل صاحبه)

والكتابُ قد يفضُل صاحبَه . ويتقدَّم مؤلِّفَه . ويرجح قلمَه على لسانه بأمور : منها أنّ الكتابَ يُقرأ بكلّ مكان . ويظهرُ ما فيه على كلّ لسان . ويُوجَد مع كلِّ زمان . على تفاوُتِ ما بينَ الأعصار . وتباعُد ما بين الأمصار . وذلك أمرٌ يستحيل فى وضع الكتاب . ومناقلة[2] فى مسألة والجواب . ومناقلة اللسان وهيهات لا يجوز أن [illegible] . ويمنع صاحبَه . وقد يذهب الحكيمُ وتبقى كتبُه . ويذهب العقل ويبقى [illegible] . ولولا ما أودعت لنا الأوائلُ فى كتبها . وخلدت من عجيب حكمها . ودوّنت من أنواع سِيَرها . حتى شاهدنا بها ما غاب عنّا . وعرفنا به كلّ مستغلق كان علينا . فجمعنا بل قليلنا كثيرهم . و[illegible] الكتب[3] لذهب كلّه إلا بهم . لقد خسّ[4] حظنا من حكمهم . وضعف سببنا الى المعرفة . ولو لجأنا إلى قدر قوتنا . ومبلغ خواطرنا . [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

Marfat.com

لما تدركه حواسُّنا ، وتشاهدُه نفوسنا ، لقلَّت المعرفةُ ، وسَقَطت الهِمّة ، وارتفعت العزيمة ، وعاد الرأىُ عقيماً ، والخاطِر فاسدا ، ولَكلَّ الحدُّ وتبلَّد العقل .

(أفضل الكتب)

وأكثرُ مِنْ كتبهم نفعاً . وأشرف منها خَطَرا ، وأحسنُ موقعا ، كتُبُ اللهِ تعالى . فيها الهُدَى والرحمة ، والإخبارُ عن كلِّ حكمة ، وتعريفُ كلِّ سيِّئةٍ وحسَنة . وما زالت كتبُ الله تعالى فى الألواحِ والصُّحُف ، والمهارِق[1] والمصاحِف . وقال الله عزَّ وجلَّ ﴿ الٓمٓ ذٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . وقال ﴿ مَا فَرَّطْنَا فى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ﴾ . ويقال لأهل التَّوراةِ والإنْجيل : أهلُ الكِتاب .

(مواصلة السير فى خدمة العلم)

وينبغى أن يكونَ سبيلُنا لِمَنْ بعدَنا ، كسبيلِ مَن كان قبلنا فينا . على أنَّا وقد وجدْنا من العبرة أكثرَ ممَّا وجدوا . كما أنَّ مَن بعدَنا يجدُ من العِبرة أكثرَ ممَّا وجدْنا . فما ينتظرُ العالمُ بإظهار ما عندَه . وما يمنَع الناصرَ للحقِّ من القيامِ بما يلزمُه . وقد أمكن القولُ وصلَح الدهرُ وخَوى نجمِ التَّقيَّة[2] ،

---

(١) فى ط : « المحار » وهو تحريف صوابه فى ل .

(٢) فى ل : « حوى نجم التقية » وفى ط « حوى نجم للتقيد » وقد أصلحت العبارتين بما ترى. وخوى النجم : اختفى وذهب ، وأصله من خوت الدار : تهدمت . والتقية : الحذر والخوف .

Marfat.com

وهَبَّتْ رِيحُ العلماء ، وكسَدَ العِيُّ والجهل ، وقامت سوقُ البيان والعلم ؟ !

وليس يجدُ الإنسانُ فى كل حينٍ إنساناً يدرِّبه ، ومقوِّما يثقِّفه . والصبرُ على إفهام الريِّض شديد . وصرفُ النفسِ عن مغالبة العالم أشدُّ منه ، والمتعلِّمُ يجدُ فى كلِّ مكانٍ الكتابَ عتيداً . وبما يحتاج إليه قائما وما أكثرَ مَن فرَّط فى التعليم أيَّام خُمولِ ذكره . وأيَّام حَداثةِ سنِّه ! ! ولولا جِيادُ الكتبِ وحسَنُها . ومُبيَّنُها ومختصَرها . لَمَا تحرَّكت همةُ هؤلاء لطلب العلم . ونزعت إلى حبِّ الأدب . وأنِفَتْ من حالِ الجهل . وأن تكون فى غِمار الحَشْو . ولَدخل على هؤلاء من الخللِ والمضرَّة . ومن الجهل وسوء الحال . ما عسى ألا يمكن الإخبارُ عن مقداره . إلّا بالكلام الكثير . ولذلك قال عمرُ رضى الله تعالى عنه : « تفقَّهوا قبلَ أن تسوِّدوا » .

(كتب أبى حنيفة)

وقد نجد الرجلَ يضبطُ الآثارَ وتأويلَ القرآن . ويحسن الفقه ، ثم يكون عاداً . وهو لا يُعدُّ فقيها . ولا يُجعَل قاضيا . فلا يلتفت إلى قوله . ولا يعوَّل على حكمه . وأشباه أبى حنيفة . ومالك . وسفيان . والشافعى . وأبى يوسف . ومحمد . وزفر . والحسن بن زياد . وأبى مطيع . وأبى عبيد . وأبى ثور . وابن المنذر . وأبى جعفر الطبرى . وأبى بكر بن خزيمة . وابن سريج . وأبى سعيد الإصطخرى . وأبى على بن أبى هريرة . وأبى إسحاق المروزى . وأبى الوليد حسان بن محمد . وأبى بكر الصيرفى . وأبى على الطبرى . وأبى على بن خيران . وأبى بكر الصبغى . وأبى على الزجاجى . وأبى بكر الفارسى . وأبى حامد المروروذى . وأبى بكر القفال الشاشى . وأبى بكر الأودنى . وأبى زيد المروزى . وأبى بكر الدقاق . وأبى الحسن الكرخى . وأبى بكر الرازى . وأبى عبد الله الجرجانى . وأبى الحسن الطبرى . وأبى عبد الله الصيمرى . وأبى حفص بن الوكيل . وأبى بكر الحدادى . وأبى الحسن القدورى . وأبى عبد الله بن بطة . وأبى الحسن بن بشار . وأبى عبد الله بن حامد . وأبى الحسن التميمى . وأبى يعلى بن الفراء . وأبى الوفاء بن عقيل . وأبى الخطاب الكلوذانى . وأبى الحسن بن الزاغونى . وأبى محمد التميمى . وأبى الفرج الشيرازى . وأبى الفرج بن الجوزى . وأبى الحسن بن القطان . وأبى الوفاء بن الزاغونى . وأبى الفضل بن ناصر . وأبى الحسن بن عبد القوى . وأبى الفرج بن قدامة . وأبى محمد بن قدامة . وأبى العباس بن دقيق العيد . وأبى الحسن بن المنجا . وأبى العباس بن تيمية . وأبى الحسن بن عبد الهادى . وأبى عبد الله بن مفلح . وأبى الحسن بن اللحام . وأبى عبد الله بن رجب . وأبى الفضل بن رجب . وأبى الفرج بن رجب . وأبى الفضل بن الحنبلى . وأبى الفتح بن المنجا . وأبى المحاسن بن المبرد . وأبى المحاسن بن تغرى بردى . وأبى الفضل بن الشحنة . وأبى الفضل بن الهمام . وأبى الفضل بن الشلب

(وجوب العناية بتنقيح المؤلفات)

ينبغى لمن كتَبَ كتاباً ألا يكتُبَه إلّا على أنَّ النَّاس كلَّهم له أعداء . وكلُّهم عالمٌ بالأمور . وكلُّهم متفرِّغ له ؛ ثمَّ لا يرضى بذلك حتى يدَع كتابه غُفْلا . ولا يرضى بالرأى الفطير ؛ فإنَّ لابتداءِ الكتابِ فتنةً وعُجْباً . فإذا سكنت الطبيعةُ وهدأت الحركة . وتراجَعَتِ الأَخلاطُ ، وعادت النفسُ وافرة ، أعاد النَّظرَ فيه . فيَتوَقَّفُ عند فصوله توقُّفَ من يكونُ وزنُ طمَعُه[1] فى السلامة أنقصَ من وزنِ خوفِه من العيب ؛ ويتفهَّم معنى قولِ الشاعر[2] :

إنَّ الحديثَ تَغُرُّ القومَ خلوتُه حتَّى يَلِجَّ بهم عِيٌّ وإكثارُ

وتمدُّ عند قومِهم فى المثل : « كلُّ مُجْرٍ فى الخلاءِ يُسَرُّ[3] » فيخاف أن يعتريَه ما اعترى مَنْ أجرى فرسَه وحدَه ، أو خلا بعلمه عند فقدِ خصومه ، وأهلِ منزلتِه من أهل صناعته .

(تداعى المعانى فى التأليف)

وليعلم أنَّ صاحبَ القلمِ يعتريه ما يعترى المؤدِّبَ عند ضربه وعقابه ،

---

(١) فى الأصل : « طبعه » .

(٢) هو ابن هرمة كما فى رسالة الوكلاء للجاحظ ١٧١ سادسى والبيت كذلك فى البيان ١ : ٢٠٣ وأدب الكتاب للصولى ١٥٧ . وقد رواه الصولى برواية أخرى فانظره .

(٣) جاء فى البيان ١ : ٢٠٣ « وفى المثل المضروب كل مجر فى الخلاء مسر ، ولم يقولوا مسرور . وكل صواب » . والوجه فى المثل « يسر » كما هو هنا وكما فى الميدانى ٢ : ٧٣ وانظر أصل المثل فيه .

Marfat.com

فمَا أكثر من يَعزِم على خمسةِ أسواط فيضرب مائة ؟ ! لأنَّه ابتدأ الضربَ وهو ساكنُ الطباع ، فأراه السكونُ أنَّ الصواب فى الإقلال ، فلما ضرب تحرَّك دمُه ، فأشاع فيه الحرارةَ فزادَ فى غضبه ، فأراه الغضبُ أنّ الرأى فى الإكثار . وكذلك صاحب القلم ، فمَا أكثرَ من يبتدئ الكتابَ وهو يُريد مقدارَ سطرين ، فيكتب عشرة ! والحفظُ مع الإقلال أمكن . وهو مع الإكثار أبعَد .

(مقايسة بين الولد والكتاب)

واعلم أنَّ العاقلَ إنَّما يكون بعقبِه . فكثير مما يعتريه من ولده ، أنْ يحسُنَ فى عينه منه لمقبّحٍ فى عين غيره . فليعلمْ أنَّ لفظه أنزلُ نسباً منه من ابنه ، وحركتَه أقلُّ به رحماً من ولَده ، لأنَّ حركته شئ أحدثه من نفسه وبنته ، ومن حيث حركه فكملت ، ومن نفسه كانت ، وإنَّما الولد كالخلقة يعطفه والمحبة يقتضيه ، ولا يخرجك من جزئك شئ لم يكن منك ، واظهارك حركة لسانك حتى كانت منك ، وتلذذك تجد فائدة الخير بتصوره ، وفتنته بكلامه وكتبه ، فرق فتنته بجميع نعمته .

(ما ينبغى أن تكون عليه من الكتب)

Marfat.com

السامع لما فيه من الرويَّة . ويحتاجُ مِنَ اللفظ إلى مقدارٍ يرتفع به عَنْ ألفاظ السِّفْلَةِ والحَشْو[1] . ويحطُّه من غريب الأعراب ووَحْشِيِّ الكلام ، وليس له أَنْ يهذِّبَه جدًّا . وينقِّحَه ويصفِّيه ويروّقه . حتى لاينطِقَ إلّا بِلُبِّ اللُّبِّ . وباللفظ الذى قد حذف فُضُولَه . وأسقَطَ زوائِدَه[2] . حتَّى عاد خالصاً لاشَوْب فيه . فإنَّه إنْ فعل ذلك . لم يُفْهِمْ عنه إلّا بأن يجدِّد لهم إفهاماً مِرَارا وتَكراراً . لأنَّ النَّاسَ كلَّهم قد تعوَّدُوا المبسوطَ من الكلام . وصارت أفهامُهم لاتزيد على عاداتهم إلّا بأن يعكس عليها ويؤخذ بها . ألا تَرَى أنَّ كتاب المنطق الذى قد وُسم بهذا الاسم ، لو قرأتَه على جميعِ خطباء الأمصار وبلغاء الأعراب . لما فهموا أكثرَه ، وفى كتاب أُقليدِسَ كلامٌ يدور . وهو عربىٌّ وقد صفِّى ، ولو سمِعه بعضُ الخطباء لما فهمه . ولا يمكن أن يفهِّمه من يريد تعليمه . لأنَّه يحتاج إلى أن يكون قد عرَف جهةَ الأمر . وتعوَّدَ لفظ المنطقىّ[3] الذى استُخرِج من جميع الكلام .

(قول صحار العبدى فى الإيجاز ، ونقده)

قال معاويةُ بن أبى سفيان . رضى الله تعالى عنهما ، لصُحَارٍ العبدى[4] :

---

(١) فى ط : « الخشوة » وكذا فى صحيح ومعدها : صغار الناس وأسقاطهم .

(٢) فى ل : « وتعرف زوائده » .

(٣) فى ط : « وتعود للفظ المنطق » وهو تحريف .

(٤) هو صحار بن عياش ، وقيل ابن عباس — بن شرحبيل بن مسلمة العبدى من بنى عبد القيس . خطيب مفوه كان من شيعة عثمان . له محنة وأخبار حسنة . وكان نسابة ، توفى نحو سنة ٥٠ هـ . الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

Marfat.com

ما الإيجاز ؟ قال : أَنْ تجيبَ فلا تبطئ ، وتقولَ فلا تخطئ . فقال معاوية : أو كذلك تقول ! ! قال صحار : أقِلْنِي يا أميرَ المؤمنين ! لا تخطئ ولا تبطئ .

فلو أَنَّ سائلاً سأَلك عن الإيجاز . فقلت : لا تخطئ ولا تبطئ . وبحضرتك خالدُ بنُ صفوان[1] . لمَا عرَف بالبديهة وعندَ أوَّل وهلة . أَنَّ قولَك « لا تخطئ » متضمَّنٌ بالقول . وقولَك « لا تبطئ » متضمَّن بالجواب . وهذا حديثٌ كما ترى آثروه ورَضُوه . ولو أن قائلاً قال لبعضنا : ما الإيجاز ؟ لظننتُ أنّه يقول : الاختصار .

(حقيقة الإيجاز)

والإيجاز ليس يُعنَى به قلّةُ عدد الحروف وألفاظ . وقد يكون الإيجاز الكلام مَنْ أتى عليه فيما يسع بطن طومار[2] فقد أوجز . وكذلك الإطالة . وإنَّمَا ينبغى له أن يخاف بقدر ما لا يكون سببا لإغلاق . ولا يرتقى يكتفى فى الإفهام بشطره[3] . فما فضل عن المقدار فهو حشو

(استغلاق كتب أبى الحسن الأخفش)

قلت لأبى الحسن الأخفش :

(١)

(٢)

(٣)

Marfat.com

كتبَك مفهومة كلَّها ، وما بالُنا نفهمُ بعضَها ولا نفهم أكثرها ، وما بالُك تقدِّم بعضَ العويصِ وتؤخِّر بعض المفهوم ؟ ! قال : أنا رجلٌ لم أضَعْ كتبى هذه لله ، وليست هى من كتبِ الدين . ولو وضعتُها هذا الوضع [1] الذى تدعُونى إليه ، قلَّت حاجاتُهم إلىَّ فيها . وإنَّما كانت غايتى المَنَالة ، فأنا أضعُ بعضَها هذا الوضع [1] المفهومَ ، لتدعوَهم حلاوةُ ما فهِموا إلى تَماس فَهْمِ مالم يفهموا . وإنَّما قد كسَبتُ فى هذا التدبير ، إذ كنتُ إلى التكسُّب ذهبت . ولكنْ ما بالُ إبراهيمَ النظَّامِ ، وفلانٍ وفلان ، يكتبون الكتبَ لله بزعمِهم . ثم يأخذُها مثلى فى مواقفته [2] ، وحُسْنِ نظَرِه ، وشدَّةِ عنايتِه ، ولا يفهمُ أكثرَها ؟ ! ٤٦

وأقول : لو أنَّ يوسفَ السَّمْتىَّ ، كتب هذه الشروطَ ، أيَّامَ جلسَ سَلْمان بن رَبيعة [3] شهرين للقضاء ، فلم يتقدَّم إليه رجُلان . والقلوب سليمةٌ والحقوق على أهلِها موفَّرة ، لكان ذلك خطلاً ولغوًا ؛ ولو كتبَ فى دهره شروطَ سَلْمان ، لكان ذلك غرارةً ونقصا ، وجهلاً بالسياسة ، وبما يصلحُ فى كلِّ دهر .

(مواضع الإسهاب)

وجدنا الناسَ إذا خطبُوا فى صلحٍ بين العشائر أطالوا ، وإذا أنشدوا

---

(١) بعدها فى ط : « الموضع » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٢) فى ط : « مواقفته » ، والوجه ما فى ل . والمواقفة : الخصومة والجدال .

(٣) هو سَلْمان بن ربيعة بن يزيد الباهلى الصحابى ، من القادة القضاة . استقضاه عمر على الكوفة . ثم ولى غزو أرمينية فى زمن عثمان . وقتل فيها سنة ٣٠ هـ .

Marfat.com

الشعر بين السِّماطين فى مديح الملوك أطالوا . وللإطالة موضعٌ وليس ذلك بخطَل ، وللإقلال موضعٌ وليس ذلك من عَجْز .

ولولا أنِّى أتّكل على أنَّك لا تملُّ بابَ القولِ فى البعير حتَّى تخرجَ إلى الفيل ، وفى الذَّرَّة[1] حتَّى تخرجَ إلى البعوضة . وفى العقربِ حتَّى تخرجَ إلى الحيَّة ، وفى الرجل حتَّى تخرجَ إلى المرأة . وفى الذِّبان والنحل[2] حتى تخرج إلى الغِرْبان والعِقْبان . وفى الكلبِ حتَّى تخرجَ إلى الذئب . وفى الذئب حتَّى تخرجَ إلى السبُع ، وفى الظَّلفِ حتَّى تخرجَ إلى الحافر . وفى الحافر حتَّى تخرجَ إلى الخُفّ . وفى الخفّ حتَّى تخرجَ إلى البُرْثُن . وفى البرثُن حتَّى تخرجَ إلى المِخلَب . وكذلك القول فى الطير وعامّةِ الأصناف . لرأيت أنّ جملة الكتاب[3] . وإنْ كثُر عددُ ورقه . أنّ ذلك ليس مما يُمَلُّ . ويُعتدُّ عليَّ فيه بالإطالة . لأنّه وإن كان كتابًا واحدًا فإنّه كتبٌ كثيرة . وكلُّ مُصحَفٍ منها فهو أمٌّ على حِدَة . فإنْ أردتَ قراءةَ جميعِه فيتلو هذا الأوّلُ حتَّى يهجمَ على الثانى . ولا الثانى حتَّى يهجم على الثالث . فهو أبدًا مستفيدٌ ومستطرِف . وبعضُه يكون جِمامًا لبعض . ولا يكون شىء منه زائدًا . ومتى خرج من آى القرآن صار إلى آى . ومن سورة إلى سورة . ومن الخبر إلى نعت . ومن نعت إلى النوادر إلى حكم عقليّة . ومقاييس سماويّة . ثم لا

(١) فى ط : [illegible]
النمل .
(٢) فى ط : [illegible]
(٣) فى ط : [illegible]
(٤) فى ط : [illegible]

Marfat.com

أن يكون أثقَلَ ، والملالُ إليه أسرع ، حتَّى يفضِيَ به إلى مزحٍ وفكاهة ، وإلى سُخْفٍ وخُرافة ، ولستُ أراه سُخفا ، إذ كنتُ إنما استعملتُ سِيرة الحكماءِ ، وآدابَ العلماء .

(مخاطبة العرب وبنى إسرائيل فى القرآن الكريم)

ورأينا الله تبارك وتعالى ، إذا خاطب العربَ والأَعْرَابَ ، أخرجَ الكلامَ مُخْرَجَ الإشارة والوحى والحذف . وإذا خاطَبَ بنى إسرائيل أو حكَى عنهم ، جعلَه مبسوطا ، وزاد فى الكلام . فأسلوبُ العمل اتِّباعُ
٤٧ آثار العلماء ، والاحتذاءُ على مثالِ القدماء ، والأَخذُ بما عليه الجماعة .

(أقوال لبعض الشعراء فى الكتب)

قال ابن يسير [1] فى صفة الكتب ، فى كلمةٍ له :

أقبلْتُ أهرُب لا آلو مُباعدةً ... فى الأَرض منهمْ فلَم يُحْصِنِّىَ الهربُ
بتصر أوس فما والت خنادقُه ... ولا النواويسُ فالماخورُ فالخَرب [2]
فأيُّما موئلٍ منها اعتصمتُ به ... فمِن ورائى حثيثاً منهمُ الطلبُ
لمَّا رأيتُ بأنى لستُ معجزَهم ... فوتاً ولا هَرَبًا ، قرَّبت أحتجِبُ

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٥٩ .

(٢) يبتدئ البيت فى ط بكلمة : « فقصر » وينتهى بكلمة « فالخرب » وقد أبدلتهما بما فى ل . وقصر أوس ، كان بالبصرة ، منسوب إلى أوس بن ثعلبة ، أحد الولاة الأمويين .

Marfat.com

فصرتُ فى البيت مسروراً بهم جَذِلا ... جَارَ البراءة لا شكوَى ولا شَغَبْ (١)

فرداً يحدِّثنى الموتى وتنطِقُ لى ... عن علمِ ما غاب عنِّى منهمُ الكتبُ

هم مُؤْنِسون وألَّاف غَنِيتُ بهمْ ... فليس لى فى أنيسٍ غيرهم أَرَبْ

لِلّهِ من جُلَسَاءٍ لا جَلِيسهمُ ... ولا عشيرهُمُ للسُّوءِ مرتَقِبُ

لا بادراتِ الأَذَى يخشَى رفيقُهمُ ... ولا يُلاقِيه منهمْ مَنْطِقٌ ذَرِبْ (٢)

أبقَوا لنَا حِكَماً تبقى منافِعُهَا ... أُخْرَى اللياليِ على الأيَّام وانشعبوا (٣)

فأيّما آدبٍ منهم مددتْ يدى ... إليه فهو قريبٌ من يَدِى كَثَبُ (٤)

إن شئتُ من مُحكَم الآثار يرفعُها ... إلى النبىِّ فتَاتٌ خيرةٌ نجُبُ

أو شئتُ من عَرَبٍ عُدنا بأرْضِهم ... فى جاهليّةٍ تُنْمَى به العربُ

أو شئتُ من سِيَرِ الأملاكِ من عَجَمٍ ... تُنْبِى وتُخْبِرُ كيف الرأىُ والأدبُ

حتَّى كأنَّكَ قد شاهدتَ عصرَهمُ ... وقد نظمتَ نومهم من شعرِك الحقبُ

يا قائلاً قصَّرتَ فى الحمدِ لهيتُه ... أمسِكْ فلى خجلٌ فيما تقولُ يثبُ

إنَّ الأولى قد ناطوا بعضهم ... خلفوا قد ناط ذهبه

---

(١) و لم أصب ... حسبه ... بعض ... ١

(٢) ...

(٣) و فى ...

(٤) ...

Marfat.com

ما مات منا امرؤ أبقَى لنا أدباً نكونُ منه إذا ما مات نَكتسِبُ[1]

وقال أبو وَجْزة[2] وهو يصف صحيفةً كُتب له فيها بستِّينَ وَسْقًا :

راحَتْ بِستِّينَ وَسْقًا فى حقيبتِها ما حُمِّلَتْ حِمْلَها الأَدنى ولا السَّدَدا

ما إنْ رأيتُ قلوصاً قبلَها حَمَلَتْ ستِّينَ وَسقاً وما جابت به بلدَا[3]

وقال الراجز :

٤٨ تَعَلَّمَنْ أَنَّ ٱلدواة والقلَمْ تبقى ويُفْنِى حادثُ ٱلدَّهر الغَنَمْ[4]

يقول : كتابُكَ ٱلذى تكتبُه علىَّ يبقى فتأخذنى به . وتذهب غنمى فيما يذهب .

(نشر الأخبار فى العراق)

وممَّا يدلُّ على نفع الكتاب ، أنَّه لولا الكتابُ لم يجُزْ أن يعلمَ أهل الرَّقَّةِ والموصِل وَبغدادَ وواسط . ما كان بالبصرة ، وما يحدث بالكوفةِ

---

(١) فى ط : « مامات مثل امرئ » والوجه مافى ل .

(٢) فى ط : « أبو وجرة » بالراء وإنما هو بالزاى ، واسمه يزيد بن عبيد ، من بنى سعد بن بكر بن هوازن .. أدرك النبى صلى الله عليه وسلم . وكان شاعرا مجيدا ، وهو أول من شبب بعجوز . كذا قال ابن قتيبة فى ترجمته فى الشعراء ٦٨٤ . توفى أبو وجزة بالمدينة سنة ١٣٠ هـ .

(٣) فى ط : « جاءت » وصواب الرواية ما أثبته من ل . ومن وهو الكامل ١٠٧ بسمط . وقد زاد المبرد بيتاً قبل الأول ، وآخر بعد الثانى . . قال المبرد فى شرح البيت الأول : « إنما أراد مايوجب ستين وسقا ، لا أن الناقة حملت ستين وسقا » . وحديث الشعر فى الكامل . ويفهم منه أن أبا وجزة امتدح آل الزبير . فكتبوا إليه بستين وسقا من تمر وقالوا : هى لك عندنا فى كل سنة .

(٤) فى ط : « تعلمى أن » وصوابه فى ل .

Marfat.com

فى بياضِ يوم ، حتَّى تكونَ الحادثةُ بالكوفةِ غُدوة ، فتعلمُ بها أهلُ البَصرة قبلَ المَساء .

[وذلك مشهورٌ فى الحمام الهدَّى، إذا جُعِلت بُرُدا[1] ، قال الله جلَّ وعزَّ — وذكر سليمانَ وملكَه الذى لم يؤتِ أحداً مثلَه — فقال ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ ﴾ إلى قوله ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ فلمْ يلبثْ أن قال الهُدْهُدُ ﴿ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ . وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ قال سليمان ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ وقد كان يمكنه أن يبلِّغ الرسالةَ على تمامها . دون عفريت . ودون بعض مَن عنده علم من الكتاب . فرأى أنَّ الكتابَ أبين وأنبَل . وأكرمُ وأفخم من مشافهة عن ظهر لسان . وإن أحاطَ بجميع ما فى الكتاب . وقالت ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ فبهذا وشبهه من اختيار الكتب .

(استخدام الكتابة فى أمور الدين والدنيا)

وقد يريد بعضُ [illegible] . وبعضُ [illegible] بعضَ من يجرى مجراه فى [illegible] أو خروج [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

إرادته ومعناه ، لأصابَ مَن يُحسن الأداء . ويصدُق فى الإبلاغ ، فيرى أنَّ الكتاب فى ذلك أسرَى وأنبَه وأبلغ .

ولو شاءَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، ألاّ يكتبَ الكتبَ إلى كسرَى ، وقَيْصَرَ ، والنَّجَاشىِّ ، والمقوقِس ، وإلى ابنى الجُلَنْدَى[1] ، وإلى العباهلة من حمير ، وإلى هوذَة بن على ، وإلى الملوك والعظماء ، والسادة النجباء ، لفعل ، ولوجد المبلِّغَ المعصوم من الخطأ والتبديل . ولكنّهُ عليه الصلاة والسلام ، عَلِم أنَّ الكتابَ أشبهُ بتلك الحال ، وأليق بتلك المراتب ، وأبلغُ فى تعظيم ما حواه الكتاب .

ولوشاء الله أن يجعَل البشارات على الألسنة بالمرسلين ، ولم يودعها الكتب لفعل ، ولكنه تعالى وعزّ ، علم أن ذلك أتمُّ وأكمل ، وأجمع وأنبل .

وقد يكتب بعضُ من له مرتبةٌ فى سلطان أو ديانة ، إلى بعضِ من يشاكله ، أو يجرى مجراه ، فلا يرضى بالكتاب حتّى يخزمه ويختمه ، وربّما لم يرض بذلك حتى يُعَنْوِنه ويعظمه . قال الله جلّ وعزّ ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَى . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى ﴾ فذكر صحفَ موسى المجردة ، وصحفَ إبراهيم البائدة المعدومة ، ليعرف الناس مقدارَ النفع ، والمصلحة فى الكتب .

(نظام التوريث عند فلاسفة اليونانية)

قالوا : وكانت فلاسفة اليونانية ، تورث البنات العَين ، وتورث البنين الدين : وكانت تصل العجز بالكفاية ، والمئونة بالكافة ، وكانت تقول :

---

(١) الجلندى : اسم ملك عمان ، وفى الأصل « بنى جلندى » والصواب ماأثبته عن الإصابة ١٣٠٥ والسيرة ٩١٠ ، وابنا الجلندى هما جيفر ، بوزن جعفر — وعياذ (أو عباد) .

Marfat.com

لا تورثوا الابنَ من المال . إلاّ ما يكونُ عوناً له على طلب المال . واغذُوه بحلاوة العلم . واطبَعوه على تعظيم الحكمة . ليصير جمْع العلم أغلبَ عليه من جمع المال . وليرى أنّه العُدَّة والعَتاد . وأنّه أكرم مستفاد .

وكانوا يقولون : لا تورِّثوا الابن من المال إلاّ ما يسد الخلة . ويكون له عونا على درك الفضول . إن كان لابُدَّ من الفضول . فإنّه إن كان فاسداً زادت تلك الفضول فى فساده . وإن كان صالحا كان فيما أورثتموه من العلم وبقّيتم له من الكفاية . مايكسبه الحال . فإن الحال أفضل من المال . ولأن المال لم يَزَلْ تابعاً للحال . وقد لا يتبع الحال المال . وصاحب الفضول يعرض فساد . وعلى شفا إضاعة . مع تمام الحُنكة . وجتماع القوّة . فى طلب يسير مع غرارة[1] الخساسة . وسوء الاعتبار . وقلة التجربة .

وكانوا يقولون : خير ميراث ما كسبت لا زلل لا زلة . وخير أصول المنفعة . وعجل لك حلاوة غبّه . وبقى لك لا لحوبة [illegible]

وأعطاك عاجل خير و[illegible]

وليس يجمع ذلك إلا [illegible]

العلم . و[illegible]

وصحيح الدين [illegible]

المصدق . و[illegible]

[illegible]

[illegible]

Marfat.com

(وراثة الكتب)

ووراثة الكتب الشريفة، والأبواب الرفيعة . منبهة للمورِّث ، وكنز عند الوارث . إلا أنه كنز لا تجب فيه الزكاة . ولا حقُّ السلطان . وإذا كانت الكنوز جامدة . ينقصها ما أخذ منها . كان ذلك الكنز مائعا يزيده ما أخذ منه . ولا يزال بها المورِّث مذكوراً فى الحكماء ومنوَّهاً باسمه فى الأسماء . وإماماً متبوعاً وعَلَمًا منصوبا . فلا يزال الوارث محفوظاً، ومن أجله محبوبا ممنوعا . ولا تزال تلك المحبَّة نامية ، ما كانت تلك الفوائد قائمة . ولن تزال فوائدها موجودةً ماكانت الدار دار حاجة . ولن يزال من تعظيمها فى القلوب أثر . ماكان من فوائدها على الناس أثر .

وقالوا : من[1] ورَّثه كتابا . وأودعته علما . فقد ورثته ما يُغِل ولا يستغِلّ . وقد ورثته الضيعة التى لا تحتاج إلى إثارة[2] . ولا إلى سقى . ولا إلى إسجال بإيغار[3] . ولا إلى شرط . ولا تحتاج إلى أكّار[4] . ولا إلى أن تُثار[5] . وليس عليها عُشر . ولا للسلطان عليها خَرْج . وسواء أفدته علما أو ورثته آلة علم . وسواءٌ دفْعُك إليه الكفايةَ . أو ما يجلب الكفاية . وإنما تجرى الأمور وتتصرف الأفعال على قدر الإمكان . فمن لم يقدر إلاّ على دفع السبب . لم يجب عليه إحضار المسبَّب . فكتُب الآباء . تحبيب للأحياء ، ومحى لذكر الموتى .

---

(١) فى الأصل : من ، والوجه ما أثبت .

(٢) والإثارة هنا بمعنى الحرث .

(٣) أسجل له الأمر : أطلقه . وأوغر المنك : نزح الأرض : جعلها له من غير خراج .

(٤) الأكار هنا بمعنى الحرث من المخابرة (والمخابرة أن يزارع الرجل أرض غيره . على أن يكون له النصف ونحوه من تلك الأرض) .

(٥) فى سبق قوله : لا يحتاج إلى إثارة ، فهو تكرار . أو فى الكلام تحريف .

Marfat.com

وقالوا : ومتى كان الأديب[1] جامعاً بارعا . وكانت مواريثه كتبا بارعة وآدابا جامعة ، كان الولد أجدر أن يرى التعلُّم حظا . وأجدر أن يسرع التعليمُ إليه . ويرى تركه خطأ . وأجدرَ أن يجرى من الأدب على طريق قد أنهج له ، ومنهاج قد وطئ له . وأجدرَ أن يسرى إليه عِرقُ مَن نَجَله . وسقى من غرسه . وأجدر أن يجعل بدل الطلب للكسْب[2] .

النظر فى الكتب . فلا يأتى عليه من الأيّام مقدارُ الشغل بجمع الكتب . والاختلاف فى سماع العلم . إلا وقد بلغ بالكفاية وغاية الحاجة . وإنّما تُفسد الكفاية من [له][3] تمت آلاته[4] . وتوافت إليه أسبابه . فأما الحدَث الغرير . والمنقوص الفقير . فخير مواريثه الكفاية إلى أن يبلغ التمام . ويكمل الطلب . فخير ميراثٍ وُرّث كتبٌ وعلم . وخير الموَرّثين من أورث ما يجمع ولا يفرّق . ويبصّر ولا يُعمى . ويُعطى ولا يأخذ . ويجود بالكلّ دون البعض . ويبيع ذلك الكنزَ الذى ليس لسلطان عليه حقّ . والوكلاز[5] الذى ليس للفقراء فيه نصيب . والنِّعمة التى ليس للحاسد فيها حيلة . ولا للمُنعَم فيها رغبة . وليس لمخدوم عليك فيه حقّ . ولا لصاحب اختار فيه منّة .

أقوال مختارة فى تأليف كتب العلم

Marfat.com

تكون لصاحبه همّة . وأن يكون فيما وضع منفعة . وأن يكون له نسبة يُنْسَب إليها . وأن يكون صحيحاً . وأن يكون على صِنف من أصناف الكتب معروفا به . وأن يكون مؤتلفاً من أجزاء خمسة . وأن يكون مسندا إلى وجه من وجوه الحكمة . وأن يكون له تدبير موصوف .

فذكر أن أبقراط قد جمع هذه الثمانية الأوجه فى هذا الكتاب ، وهو كتابه الذى يسمى (أفوريسموا) ، تفسيره كتاب الفصول .

(مقالة فى شأن الكلب)

وقولك : وما بلَغ من قدر الكلب مع لؤم أصله ، وخُبث طبعه ، وسقوط قدره ، ومهانة نفسه ، ومع قلّةِ خيره وكثرة شره ، واجتماع الأمم كلّها على استسقاطه ، واستذاله ، ومع ضربهم المثل فى ذلك كلّه به ، ومع حاله التى يعرف بها ، من العجز عن صولة السِّباع واقتدارها ، وعَن[1] تمنُّعها وتشرُّفها ، وتوحُّشها وقلة إسماحها ، وعن مسالمة البهائم ومواددتها ، والتمكين من إقامة مصلحتها والانتفاع بها ، إذ لم يكن فى طبعها دفع السباع عن أنفسها ، ولا الاحتيال لمعاشها ، ولا المعرفة بالمواضع الحريزة من المواضع المخوفة ، ولأنّ الكلب ليس بسبع تام ، ولا بهيمة تامة ، حتّى كأنه من الخلْق المركّب والطبائع الملفّقة ، والأخلاط المختلفة ، كالبغل المتولّد فى أخلاقه ، الكثير العيوب المتولّدة عن مزاجه .

وشرّ الطبائع ما جاذبته الأعراق المتضادّة ، والأخلاق المتفاوتة[2] ، والعناصر المتباعدة ، كالزاعىّ من الحمام ، الذى ذهبت عنه هداية الحمام ،

---

(١) فى الأصل : « ومن » .
(٢) فى الأصل : « المتفاوة » .

Marfat.com

وشكل هديره وسرعة طيرانه . وبطل عنه عمر الوَرَشان . وقوَّة جناحه وشدة عصبه . وحسنُ صوته . وشَحْو[1] حلقه . وشكل لحونه . وشدَّة إطرابه . واحتماله لوقع البنادق وجرح المخالب . وفى الراعى أنّه مُسرْوَن مثقل . وحدث له عِظَمُ بدن . وثقل وزن لم يكن لأبيه ولا لأمّه .

وكذلك البغل . خرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما . ويعيش نتاجُهما ويبقى بقاءهما . وهو لايعيش له ولد وليس بعقيم . ولا يبقى لبغلة ولد وليست بعاقر . فلو كان البغل عقيما . والبغلة عاقراً . لكان ذلك أزيَدَ فى قوتهما . وأتمَّ لشدتهما . فمع البغل من الشَّبَق والنَّعظ ما ليس مع أبيه . ومع البغلة من السَّوَس[2] . وطلب السفاد . ما ليس مع أمّها . وذلك كلُّه قدح فى القوَّة . ونقص فى البنية[3] . وخروج نسله أعظم من غرميل أعضائه وأخواله . فترك شبههما . ونزع إلى شىء ليس لهما ولا لغير أصل . وهو أطول عمراً من أبويه . وأصبرَ على الانتقال من [illegible]

أو كابن المذكّرة من النساء . وهو نتاج من [illegible]

نتاجا من البغل . وأفسد أعراقا من السِّمع . [illegible]

ومن كلّ [illegible] خلق إذا تركب من [illegible]

وليس يعترى [illegible]

من الخلق .

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

Marfat.com

وكلُّ ضعف دخل على الخلقة : وكل رقَّة عرضت للحيوان ، فعلى قدر جنسه . وعلى وزن مقداره وتمكنه . يظهر العجزُ والعيب .

وزعم الأصمعيُّ . أنّه لم يسبق الحلبةَ فرسٌ أهضم قط .

وقال محمد بن سلاّم : لم يسبق الحلبة أبلق قط ولا بلقاء[1] .

والهداية فى الحمام . والقوَّة على بعد الغاية[2] . إنما هى للمصْمَتَة من الحضر[3] .

(الشيات فى الحيوان ضعف ونقص)

وزعموا أنَّ الشِّياتِ كلَّها ضعف ونقص - والشِّيَة : كلُّ لون دخل على لون - وقال الله جلّ وعزّ ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ .

(ابن المذكرة من المؤنث)

وزعم عثمان بن الحكم[4] أنَّ ابن المذكرة من المؤنث . يأخذ أسوأ خصال أبيه . وأردأ خصال أمه . فتجتمع فيه عظامُ الدواهى . وأعيان المساوى ، وأنّه إذا خرج كذلك . لم ينجع فيه أدب . ولا يَطمع فى علاجه طبيب ، وأنّه رأى فى دور ثقيف . فتًى اجتمعتْ فيه هذه الخصال . فما كان فى الأرض مثلُه . إلّا وهم يتحدثون عنه بشىءٍ . يصغُر فى جنْبِه أكبرُ ذنبٍ كان [illegible]

(١) [illegible] ١٦٦ .

(٢) [illegible] يرسل إليه حمام الزاجر .

(٣) [illegible] ! [illegible] مخالفة لونها لون آخر .

(٤) [illegible] بن صخر التقفى : [illegible] فى الأغانى (٩ : ٢٣ ، ١٧ : ١٧)

Marfat.com

وزَعَمْتَ أنَّ الكلب فى ذلك كالخنثى ، الذى هو لا ذكر ولا أنثى ، أو كالخصى الذى لمَّا قُطِع منه ما صار به الذَّكَر فحلا ، خرجَ من حدِّ كمال الذكَر بفقدان الذكَر ، ولم يكملْ لأن يصير أنثى ، للغريزة الأصلية ، وبقيّةِ الجوهريّة .

وزَعَمْتَ أنَّه يصير كالنبيذ الذى يفسده إفراطُ الحرّ ، فيخرجه من حدّ الخل ، ولا يدخله فى حدّ النبيذ .

وقال مرداس بن خذام[1] :

سَقَينا عِقالاً بالثَّوِيَّةِ[2] شَرْبَةً ... فمالت بلُبِّ الكاهلِىِّ عِقال

فقُلتُ اصطبِحْها يا عِقالُ فإنَّما ... هى الخمرُ خيَّلْنا لها بخيال

رَمَيْتُ بأُمِّ الخلِّ حبَّةَ قلبِه ... فلم يلتحِش منها ثلاثَ ليال

فجعل الخمر أُمَّ الخلّ قد يتولد عنها . وقد يتولّد عن الخل ، إذ كان حمرة — الخمر .

وقال سعيد بن وهب[3] :

هلاَّ وأنت بمد رجليك تشتهى ... ودَّ الشباب قليلَ شعرِ العارض!

فالآن حين بدت بخدّك حيّة ... ذهبتْ تسحلك مثل كفّ القابض

مثل السلافة عاد حرّ عصيرها ... بعد الذَّة خلّ حرّ حامض

يصير أيام [illegible]

(١) [illegible]

Marfat.com

تخرج من الحرِّ إلى البرد فتضحك السِّن . ولم تخرُج من البرد إلى الحر فتضحك السِّن[1]] .

باب

ذكر مايعترى الإنسان بعد الخصاء

وكيف ما كان قبل الخصاء

قالوا : كلُّ ذى ريح مُنتِنةٍ . وكُلُّ ذى دَفَرٍ وصُنَانٍ كريهِ المشَمَّةِ[2] . كالذَّكر وما أشبهه . فإنَّه متى خُصِى نقَص نتْنه وذهبَ صُنانه . غيرَ الإنسان . فإنَّ الخصىَّ يكون أنتنَ . وصنانُه أحدَّ . ويعمُّ أيضاً خبْثُ العرقِ سائرَ جسَدِه . حتى لتُوجَد لأجسادهمْ رائحةٌ لا تكون لغيرهم . فهذا هذا .

وكلُّ شىءٍ من الحيوان يُخصَى فإنَّ عظمَه يدِقُّ . فإذا دقَّ عظمُه استرخَى لحمه . وتبرَّأ من عظمه . وعاد رَخْصاً رطْباً . بعد أن كان عَضِلاً[3] صُلْباً . والإنسان إذا خُصِىَ طال عظمُه وعرُض . فخالف أيضا جميعَ الحيوان من هذا الوجه .

وتعرِض للخصيان أيضا طول أقدامٍ . وانعوجاج فى أصابع اليد . والتواءٌ فى أصابع الرِّجْل . وذلك من أوَّلِ طعْنهم فى السنّ . وتعرِض لهم سرعة التغيُّر والتبدُّل . وانقلاب من حدّ الرطوبة[4] والبضاضة وملاسة الجلد . وصفاء اللون ورقَّته . وكثرةِ الماء وبريقه . إلى التكرُّش والسكمود .

---

(١) هذه نهاية الجزء الذى ابتدأ من ص ٩٧ .

(٢) فى ط : وقيل ذى ذفر وسنان وكريه المشمة . وهو كلام مخرف .

(٣) فى ل : عضلا . والوجه ما كتبت عن ط .

(٤) فى ل : والانقلاب من حد الرطوبة .

Marfat.com

وإلى التمبُّض والتخدُّد[1] . وإلى الهُزال . وسوء الحال . فهذا الباب يعرِض للخصيان . ويعرض أيضاً لمعالجى النبات من الأكرة[2] مِن أهل الزرع والنخل . لأنَّكَ ترى الخصىَّ وكأنَّ السيوفَ تلمع فى لونه[3] . وكأنَّه مِرْآة صينيَّة . وكأنه وَذيلة مجلوَّة . وكأنه جُمَّارَة رَطْبة . وكأنه قضيبُ فِضَّة قد مسَّهُ ذهب . وكأن فى وجناته الورد . ثم لا يلبثُ كذلك إلا تسيئات[4] يسيرةً . حتى يذهبَ ذلك ذَهابا لا يعود . وإن كان ذا خصب . وفى عيش رَغَد . وفى فراغ بالٍ . وقلَّةِ نصَب .

(من طرائف عبد الأعلى القاصّ)

وكان من طرائف ما يأتى به عبد الأعلى القاصّ . قوله فى الخصى .

وكان لغلبة السلاءة عليه يتوهَّم عليه الغفلة . وهو الذى ذكر الفقير فى قصصه فقال : الفقير رقيد مألقة . [illegible]

وسمكته مالقة[5] . [illegible]

قال : ثم ذكر الخصى فقال : [illegible]

وسخت معدته . [illegible]

وكثرت دموعه ! !

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

وقالوا : الخصىُّ لا يصلَح كما لا تصلَح المرأة ، وإذا قطع العضوُ الذى كان به فحلاً تامًّا . أخرجه ذلك من أكثرِ معانى الفحول وصفاتهم ، وإذا أخرجه من ذلك الكمال . صيَّره كالبغل الذى ليس هو حماراً ولا فرساً ، وتصيرُ طباعُه مقسومةً على طباعِ الذكر والأنثى ، وربما لم يَخْلُص له الخلقُ ولم يَصْفُ . حتّى يصير كالخلق من أخلاق الرجال ، أو يلحق بمثله من أخلاق النساء . ولكنَّه يقع ممزوجا مركبا ، فيخرج إلى أن يكون مذبذبا ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . وربما خرجت النتيجة وما يولّده التركيب ، عن مقدار معانى الأبوين ، كما يجوزُ عمرُ البغْل عمرَ أبويه ، وكذلك ما عددنا فى صدر هذا الكلام (١) .

(طلب النسل)

وقالوا (٢) : وللإنسان قوًى معروفةٌ لمقدارٍ . وشهواتٌ مصروفةٌ فى وجوهِ حاجاتِ النفوس ، مقسومةٌ عليها . لا يجوزُ تعطيلُها وتركُ استعمالِها ، ما كانت النفوسُ قائمةً بطبائعها ومزاجاتها وحاجاتها . وبابُ المنكَح من أكبرها ، وأقواها ، وأعمِّها .

ويدخل فى باب المنكُح ما فى طبائعهم من طلبِ الولد ، وهو بابٌ من أبوابه عظيم ، فمنهم من يطلبه للكثرة والنُّصرة ، وللحاجة إلى العدد والقوّة ، ولذلك استلاطت العربُ الرجالَ ، وأغضتْ (٣) على نسب المولود

---

(١) فى ط : ... وما كتبته من ل .

(٢) فى ط : ... قال ... وكتبه ما يلى ل .

(٣) أغضت : لم تغر ... كتبت ... فى ط : ... وأغضيت ... الوجه ... كتبته من ل .

Marfat.com

على فراش [أبيه][1] ، وقد أحاط علمُه بأنَّه من الزوج الأوَّل. قال الأشهب ابن رُمَيلة[2] :

قال الأقاربُ لا تغرُرْكَ كثرتُنا ... وأَغْنِ نفسَكَ عنَّا أيها الرجُلُ
علَّ بَنِيَّ يشدُّ اللهُ كثرتَهم ... والنَّبْعُ يَنْبُتُ قُضْباناً فيكتهل[3]

وقال الآخَر[4] :

إنَّ بَنِيَّ صِبْيَةٌ صَيْفِيُّونْ ... أفْلَحَ مَنْ كان لَهُ رِبْعِيُّونْ

يشكو كما ترى صِغَرَ البنين ، وضعف الأسر[5] .

وما أكثر ما يطلب الرجل الوَلَدَ نفاسةً بماله على بني عمِّه ، ولإشفاقه من أن تليه القضاةُ وترتع فيه الأمناء ، فيصيرَ مِلكًا للأولياء ، ويقضيَ به القاضي الذِّمامَ ويصطنع به الرجال .

وربما همَّ الرجلُ بطلب الولد لبقاء الذكْر ، ورغبة في العقب ، أو على جهة طلبِ الثواب[6] في مباهاة المشركين ، والزيادة في عدد المسلمين ، أو للكسب والكفاية ، وللمدافعة والنُّصْرة ، وللانتفاع ، وبقاء نوع الإنسان .

ولما طبع الله تعالى بني آدم عليه ، من حب الذُّرِّيَّة وكثرة النسل ، [...] ٥٠

---

(١) في الأصل : [...]
وعلى الأصل [...]
(٢) وقبل البيت [...]
(٣) في الأصل [...]
[...]
(٤) هو [...]
إذا ذهبت [...]
والربعي [...]
والصحيح [...]
(٥) في [...]
(٦) في [...]

Marfat.com

الله تعالى الحمام والسنانير على ذلك . وإن كان إذا جاءه الولد زاد فى هَمِّه ونصبه . وفى جُبْنِه وبُخْله . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الْوَلَد مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ مَجْهَلَةٌ » فيحتمل فى الولد المُؤَن المعروفة . والهموم الموجودة لغير شىء قصد له . وليس فى ذلك أكثرُ من طلب الطباع . ونزوع النفس إلى ذلك .

وذكر أبو الأخزر الحِمَّانى غير العانة[1] بخلاف ما عليه أصحابُ الزَّواج من الحيوان . فقال عند ذكر سِفاده :

لا مُبتَغِى الذرْء ولا بالعازِلِ[2]

لأنَّ الإنسانَ من بين الحيوان المُزاوِج . إذا كرِهَ الولدَ عزَل . والمزاوج من أصناف الحيوانات إنَّما غايتُها طلبُ الذرْء[3] والولد . لذلك سُخِّرت . وله هُيِّئت . لِمَا أراد اللهُ تعالى من إتمامِ حوائج الإنسانِ . والحمارُ لا يطلبُ الولدَ . فيكون إفراغه فى الأتان لذلك . ولا إذا كان لا يريد الولد عزَل كما يعزل الإنسان . غير أنَّ غايتَه قضاءُ الشهوة فقط . ليس يَخْطُر[4] على باله أنَّ ذلك الماءَ يُخلَق منه شىء .

[وروى ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال « ليس فى البهائم شىء يعمل عمل قوم لوط إلا الحمار »] .

وعامَّة اكتساب الرجال وإنفاقهم . وحَمْلهم وتصنُّعهم . وتحسينهم لما يتملكون . إنَّما هو مصروفٌ إلى النساء والأسباب المتعلقة بالنساء . ولو لم يكن إلاَّ التنمُّص[5] والتطيُّب والتطوُّس[6] [والتعرُّس[7]] والتخضُّب .

---

(١) فى ط : « ذكر أبو الأخزر الحمانى غير العانة » وهو مثل من أمثلة التحريف المشهورة .

(٢) فى ط : « لا مبتغى النزء ولا بالعازل » وفى ب : « النزء ولا العزال » والوجه ما أثبت .

(٣) فى ط : « النزء » .

(٤) فى الأصل : « يخطر » .

(٥) التنمص : نتف الشعر . والمتنمصة : التى تزين بذلك والمتنمص .

(٦) التطوس : الزينة . وفى ب : « التطوس » وفى ط : « التطوز » وليس بشىء .

(٧) التعرس : التحبب .

Marfat.com

والذى يُعَدُّ لها من الطيب والصِّبغ . والحَلْى . والكِساء . والفُرُش . والآنية . لكان فى ذلك ما كفى . ولو لم يكن له إلاّ الاهتمامُ بحفظها وحراستها . وخوفُ العارِ من جنايتها والجناية عليها . لكان فى ذلك المؤْنة العظيمة . والمشقة الشديدة .

(قول فى الغرائز وبيان سبب شرهه الخصى)

فإذا بطل العضوُ الذى من أجله يكون اشتغالُ النفس بالأصناف الكثيرة . من اللذّة وإلاّ . فاضطرار أنْ تعلمَ أنّ [illegible] من [illegible] حجاب . فلا بدّ لها إذا كانت موجودة [illegible] لا يعدمها إلاّ بعدمه [illegible] وصفت . [illegible] وقع [illegible] عليه [illegible] باب [illegible] كل [illegible] قد [illegible]

Marfat.com

الاستمراء ، لأن الشهوة من أمتن[1] أبواب الاستمراء ، والحركةَ من أعظم [أبواب] الحرارة .

(تفوق رغبة الإناث على الذكور فى الطعام)

ودوامُ الأكل فى الإناثِ أعمُّ منه فى الذكور ، وكذلك الحِجْرُ دون الفَرَس . وكذلك الرَّمَكة دونَ البِرذَون ، وكذلك النعجة[2] دونَ الكبش ، وكذلك النساءُ فى البيوت دونَ الرجال . وما أشكُّ أنَّ الرجلَ يأكلُ فى المجلسِ الواحدِ ما لا تأكل المرأة ، ولكنَّها تستوفى ذلك المقدارَ وتُربِى عليه مقطَّعاً غيرَ منظوم ، وهى بدوامِ ذلك منها ، يكون حاصلُ طعامِها أكثرَ . وهنَّ يُناسِبْنَ الصبيانَ فى هذا الوجه . لأنَّ طبعَ الصبىِّ سريعُ الهضم ، سريعُ الكلَب ، قصيرُ مدَّةِ الأكل ، قليلُ مقدارِ الطُّعْم ، فللمرأةِ كثرةُ معاودتها . ثمَّ تَبِينُ بكثرةِ مقدارِ المأكول . فيصير للخَصىِّ نصيبان : نصيبُه من شِبْه النساء ، ثم اجتماعُ قوى شهوتيه فى بابٍ واحد ، أعنى شهوةَ المنكَح التى تحولت ، وشهوةَ المطعم .

قال . وقيل لبعض الأعراب : أىُّ شىء آكَلُ ؟ قال : بِرْذَونَةٌ زَغْبُوث[3] .

ولشدَّةِ نَهَمِ الإناث ، صارت اللبؤة أشدَّ غُرَاماً وأنزقَ ، إذا طلبت الإنسانَ ليأكله . وكذلك[4] صارت إناثُ الأجناس الصائدة [أصيَدَ] .

---

(١) فى الأصل : « أنتن » وهو تحريف ما كتبت .

(٢) فى ط : « الرمكة » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) زغبوث : مرضعة . والخبر فى البيان ٣ : ٢١٢ .

(٤) فى الأصل : « ولذلك » .

Marfat.com

كالإناثِ من الكلاب [والبُزاةِ] وما أشبهَ ذلك . وأحرصَ ما تكون عندَ ارتضاع جِرائها [من أطبائها] . حتَّى صار ذلك منها سبباً للحرص والنَّهم في ذلك .

(صوت الخصى)

ويعرض له عند قطع ذلك العضوِ تغيُّرُ الصوت . حتى لا يخفى على من سمِعه من غير أن يرى صاحبَه أنَّه خَصِيٌّ . وإن كان الذى يخاطبه يسابقه الكلام أخاه أو ابنَ عمِّه . أو بعضَ أترابه من فحولة جنسه . وهذا يعرض لخِصيان الصقالِبَة أكثرَ مما يعرض للخرسانية . ولبعض السِّنْد والحَبْشان . وما أقلَّ من تجده ناقصَ عن هذا المقدار . إلا وهو بطيء أو عِرْق . فليس يحتاج في صحَّة تمييز ذلك . ولا في دقة[1] حسه في حِذقٍ بقيافة . بل نجد ذلك شائعاً في صباغ السَّفلة والعامَّة[2] من الصِّبيان والنساء .

(شعر الخصى)

ومتى خصى قبل الإنبات لم ينبت . وإذا خصى بعد الإنبات سقط الشعر في مواضعه . فلا يسقط منه إلا شعر العانة . وقد يبقى منه ومقدار عدده فإنَّ أبا[3]

(١) ...

(٢) ...

...

Marfat.com

الرأس والحاجبين وأشفار العينين يكون مع الولادة . وإنما يعرض لما يتولد من فضول البدن .

وقد زعم ناسٌ أنَّ حكمَ شَعرِ الرأس خلافُ حكم أشفار العينين ، وقد ذكرنا ذلك فى موضعه من باب القول فى الشعر ، وهذه الخصال من أماكن شَعر النساء . والخصيان والفحولة فيه سواء . وإنما يعرض لسوئى ٥٢ ذلك من الشعر الحادثِ الأصول : الزائدِ فى النبات . ألا ترى أن المرأة لاتصلَعُ . فناسبها [الخصىُّ] من هـذا الوجه . فإنْ عرضَ له عارضٌ فإنما هو من القرَع . لامن جهة النَّزَع والجَلَح . [والجَلَه] والصَّلَع (١) وكذلك النساء فى جميع ذلك .

والمرأة ربَّما كان فى قُصَاص مقاديم شعرِ رأسها ارتفاع . وليس ذلك بنزعٍ ولا جلَح . إذا لم يكن ذلك حادثا يُحدثه الطعنُ فى السنّ .

وتكون مقاطعُ شعر رأسه ومنتهى حدود قُصاصه . كمقاطع شعر المرأة ومنتهى قُصاصها . وليس شعرُها كلما دنا من موضع الملاسَة والانجراد يكون أرقَّ حتى يقلَّ ويضمحلَّ . ولكنه ينبُت فى مقدارِ ذلك الجلد على نبات واحد . ثم ينقطع عند منتهاه انقطاعا واحداً . والمرأة ربَّما كانت سبلاء . وتكون لها شَعَرَاتٌ رقيقة زَغَبِيَّةٌ كالعذار موصولا بأصداغها . ولا يعرض ذلك للخَصى إلا من علة فى الخصاء . ولا يرى أبداً بعد مقطع من مكانه شيء من الشَّعر . لا من رقيقه ولا من كثيفه .

---

(١) النزع : انحسار الشعر من جانبى الجبهة . والجلح : انحساره عن جانبى الرأس . والجلَه والصلع : انحسار شعر مقدم الرأس .

Marfat.com

(ذوات اللحى والشوارب)

وقد توجد المرأة ذات لحية . وقد رأيت ذلك . وأكثرُ ما رأيته فى عجائز الدَّهاقين . وكذلك الغَبَب والشارب . وقد رأيت ذلك أيضاً . وهى ليست فى رأى العين بخُنْثَى . بل [بَجِدها] أنثى تامَّة . إلا أن تكون لم تضرب فى ذلك بالسبب الذى يقوَى . حتى يظهر فى غير ذلك المكان . ولا تعرض اللحى للنساء . إلا عند ارتفاع الحيض]. وليس يعرض ذلك للخصى .

وقد ذكر أهلُ بَغداد . أنَّه كان لابنةٍ من بنات محمَّد بن راشد الخنَّاق . لحيةٌ وافرة . وأنَّها دخلت مع نساءٍ متنقِّبات إلى بعض الأعراس لتَرَى العُرس وجلْوَةَ العَرُوس . فغطنت لها امرأة فصاحت : رجل ورب ! وأحال[1] الخدم والنساءُ عليها بالضرب . فلم تمكن لها حيلةٌ إلا الكشف عن فرْجِها . فنزَعن عنها[2] وقد كادت تموت .

ويفضل أيضاً الخصىُّ امرأةَ الأعرابى والزِّنجى . لأن لحية [...] الذراعين والساقين . وتجد [...][3] المرأة فى الشعر [...] ويعرض لها الشعر فى إبصارها بعد ذلك .

[...] فى لحيته يقعد من [...] معاقد العصب . ويقرب [...]

(١) [...] فقال .
(٢) [...] فحلقن .
(٣) [...]
(٤) [...]

Marfat.com

(مشى الخصى)

ويعرِض للخصىِّ أن يشتدَّ وقعُ رجله على أرض السَّطح . حتى لو تفقَّدتَ وقعَ قدمه وقدَم أخيه الفحل [الذى هو أعبلُ[1] منه] لوجدتَ لوقْعِه ووطْئه شيئاً لاتجده لصاحبه . وكأنَّ العضوَ الذى كان يشدُّ توتير النَّسَا[2] . ومَعاقد الوركين[3] ومعاليق العصب . لَمَّا بطل وذهب الذى كان يمسكه ويرفعه . فيخفّ لذلك وقْعُ رجلِه . صار كالذى لايتماسَك ولا يحمل بعضه بعضا .

(أثر الخصاء فى الذكاء)

ويعرض له أنَّ أخوين صَقْلَبِيَّيْنِ مِن أمّ وأبٍ . لو كان أحدُهما توأمَ أخيه . أنَّه متى خُصِىَ أحدُهما خرَج الخصىُّ منهما أجوَدَ خِدمةً . وأفطن لأبواب المعاطاة والمُناولةِ . وهو لها أتقَنُ وبها أليق . وتجده أيضاً أذكى عقلا عند المخاطبة . فيُخصُّ بذلك كلِّه . ويبقى أخوه على غثارة[4] فطرته . وعلى غباوة غريزته . وعلى بلاهة[5] الصَّقْلَبيَّة . وعلى سوءِ فهم العجَميّة .

ويدُ الإنسان لاتكون [أبداً] إلا خرْقاء . ولا تصير صَناعا مالم تكنْ

---

(١) أعبل منه : أضخم منه .

(٢) فى ط : « وكان العضو الذى به يشتد يشد توتير النسا » وفى ل : « وكأن العضو الذى كان يشد توتير عرق النساء . وقد أصلحت العبارة بما ترى . ولا يقال عرق النسا . وإنما هو « النسا » بدون إضافة . قال الزجاج : لأن الشىء لا يضاف إلى نفسه .

(٣) فى ط : « ومعاليق الوركين » وليس بشىء .

(٤) فى ط : « بشاوة » وفى ل : « عثارة » بالعين والعين سواء بهم ما أثبت . والأعثر : الأحمق الجاهل .

(٥) فى ط : « بلاهته » وأبدلتها بما فى ل : لئلا تساوى الكلام .

Marfat.com

المعرفةُ ثِقافاً لها . واللسان لا يكون أبرأَ . ذاهباً فى طريق البيان . متصرفاً فى الألفاظ . إلا بعد أن تكونَ المعرفةُ متخلِّلَةً به . منقّلة له . واضعةً له فى مواضع حقوقِه . وعلى أماكن حظوظِه . وهو علّةٌ له فى الأماكن العميقة . ومصرِّفةٌ له فى المواضع المختلفة .

فأوّلُ ماصنع الخصاءُ بالصَّقْلَبِىّ زكيةُ عقلهِ . وإرهافُ حدِّه . وشحْذُ طبعهِ . وتحريكُ نفسه . فلما عرَف كانت حركته تابعةً لمعرفته . وقوّته على قدر ما هيّجه[1] .

فأمّا نساءُ الصقالبة وصبيانهم . فليس إلى تحويل طبائعهم . ونقْل خلْقتهم إلى الفطنة الثاقبة . وإلى الحركَة الموزونة . وإلى الخدمة الثابتــة الواقعة بالموافقة . سبيلٌ . وعلى حسَب الجنْس يكون تخرُّق . وعلى حسب المعرفة يكون الحذق . وهذه جملةُ القول فى نسائهم . وعلى أنّهنّ لا يحفظن حتى عند الخلوة . ولا تنفاذ فيهنّ فى صنعة . إذ كنّ قد فُطِرن فيهم على عادة ومعرفة المناولة .

والخصيان مع جــدة الآلة . ووفور صنعهم فى [illegible]

إلاَّ أنَّ الخصىَّ من صباه . يُحسِن صنعة الدُّبُوق[1] . ويُجِيد دُعاء الحمام الطُّوَّرِىّ[2] . وما شئتَ من صغار الصناعات .

وقد زعم البصريُّون أن حَديجاً[3] الخصىّ ، خادمَ مُثَنَّى بن زُهَير ، كان يُجارى[4] مُثَنًّى فى البصَر بالحمام . وفى صحّة الفِراسة . وإتقان المعرفة . وجودة الرياضة . وسنذكر حاله فى باب القول فى الحمام إن شاء الله تعالى .

٥٤ هذا قولهم فيمن خُصِى من الصقالبة . وملوكُنا لعقول خِصيان خُراسانَ أحمد . وهم قليل . ولذلك لم نأتِ من أمرهم بشىءٍ مشهور ، وأمر مذكور .

(خصيان السند)

وأما السِّند . فلم يكن فيهم أيضاً من الخِصيان إلاّ النَّفرُ الذين كان خصاهم موسى بنُ كعب . وقد رأيت أنا بعضَهم . وزعم لى أنَّه خَصَى أربعةً هو أحدهم . ورأيتُ الخِصاء . قد جذبَه إلى حبِّ الحمام ، وعمل التكك[5] . والهراش بالديوك . وهذا شىءٌ لم يُجْرِ منه على عِرق . وإنما قاده إليه قطعُ ذلك العضو .

---

(١) الدبوق . هنا : جمع دبق بالكسر . وهو والدابوق والدايوقاء : غراء يصاد به الطير . والدبوق كقنور قال فى القاموس : لعبة معروفة . . وليست مرادة فى هذا الكلام .

(٢) فى ط : « الصوارى » وفى ل : « الصوار » وصوابهما « الطوزى » وهو الوحشى .

(٣) فى ط : « خديجا » بالخاء . وقد كتبت ما فى ل و س .

(٤) فى ط : « يجرى » .

(٥) التكة : رباط السراويل والجمع تكك . ويبدو لى أنها معربة . كما صرح بذلك الخليل فى شفاء الغليل ، ولم يتعرض صاحب القاموس لذلك .

Marfat.com

(خصيان الحبشة والنوبة والسودان)

فأمَّا الخصيان من الحُبْشان والنُّوبة وأصناف السودان . فإنّ الخصاء يأخذُ منهم ولا يعطيهم . وينقُصهم ولا يزيدهم . ويحطُّهم عن مقادير إخوانهم . كما يزيد الصقالبةَ عن مقادير إخوتهم . لأن الحبشيَّ متى خُصِيَ سَقطَتْ نفسه . وثقُلت حركته . وذهب نشاطه . ولا بدَّ أن يعرض له فساد . لأنه متى استُقْصِي جِبابُه لم يتماسك بوله[1] . وسلس مخرجه . واسترخى المسك له . فإن هم لم يستقصوا جِبابه . فإنما يدخل الرجل منزلة مَن له نصفُ ذلك العضو[2] . وعلى أنك لا تجد منهم خَصِيا أبداً . إلاّ وبِسُرَّته بُجْرَةٌ ، ونفخة[3] شنيعة . وذلك عيبٌ شديد . وهو ضرب من الفتق . مع قُبحِه فى العَين . وشُنْعَته فى الذكْر . وكلُّ ما قبح فى العين فهو مؤذٍ . وكل ماشنع فى النفس فهو مؤذٍ . وما أكثرَ ما تجد فيهم الأجنع[4] . وذلك فاشٍ فى باطن شفاههم . ومتى كانت الشفاه سُدْلا . وكانت لشافر مقلته كانت أظهر تأطع . وذلك ضرب من البرص . وبياض الذى يعتاد العين الخيل وخُصاها[5] . ضربٌ أيضاً من البرص . وربما عرض لهم لحشفة قضيب الختون . إمّا لطبع الخاتن . وإمّا لتقريب [illegible] وسقوط [illegible] . إلاّ أنّ ذلك لا يعلم مكانه .

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

وكلما عظمت الخشفةُ انبسَطَ ذلك البياضُ على قدر الزيادة فيها . وإنَّما ذلك كالبياض الذى يعرِض من حَرْق النـــار وتشييطها[1] . وكالذى يعرض لصقالِبَة من التَّعالُج بالكيِّ . وربَّما اشـــتدَّ بياضُه حتى يفحُشَ ويُرديه[2] . إلا أنَّه لا يفشو ولا ينتشر . إلاَّ بقدر ما ينبسط مكانه . ويتحوَّل صاحبه رِجْلاً . بعد أن كان صبيًّا[3] . وليس كالذى يعرِض من البلغم ومن المِرَّة . وبعضُ البرص يذهب حتى كأنه لم يكن . وبعضُـــه لا يذهب ولا يقف . بل لا يزال يتفشَّى ويتَّسع حتى ربَّما سلخه . ولا يذهب إلاَّ بأنْ يذهب به نبي[4] . فيكون ذلك علامةً له . ومن البهق الأبيض مايكاد يلحق بالبَرَص[5] . ولكن الذى هوَّن أمره الذى ترونَ من كثرةِ بُرءِ الناس منه .

ثمَّ الخصاء يكونُ على ضروبٍ . ويكون فى ضروب . فمن ذلك ما يعرض بعدَ سكِبَرَ للأحرار . كما يعرض للعبيد . وللعرب كما يعرض للعجم . كما خصَى بعضُ عَبَاهلةِ اليمن[6] علقمةَ بنَ سهلٍ الخصىّ .

(علقمة الفحل وعلقمة الخصى)

وإنَّما قيل لعلقمة بن عَبَدَةَ الفحلُ . حين وقعَ على هذا اسمُ الخصى .

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible] التى يجعله رديئا ويفسده .

(٣) [illegible] رجلا . وكلمة حين من ترجمة بعض الرواة : بياض فى الحيوان . أو صبيا فتعمل «صبيا» . والمصمت : الذى لا يخالط

(٤) [illegible] وكان خصى [illegible] الذى

(٥) [illegible] يشك بياض من .

(٦) [illegible]

Marfat.com

وكان عبـــداً صالحا . وهو كان جَنَبَ الجديل[1] وداعراً . الفحلين الكريمين . إلى عمان . وكان من نازليها . وهو كان أحدَ الشهودِ على قُدامة ابنِ مَظْعونٍ فى شرب الخمر ، وهو الذى قال لعمرِ بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : أتَقبَلُ شهادةَ الحصىِّ ؟ قال : أما شهادتك فأقبَلُ .

، وهو عَلقمةُ بن سهْلِ بن عمارة . فلمَّا سمّوه الحصىّ . قالوا لعلقمةَ بن عبدة : الفحل . وعلقمةُ الحصىّ الذى يقول :

فلن يَعْدَمَ الباقون قبراً لجثَّتى[2] ولن يعـــدَم الميراثَ منّى الموالـــى

حِراصٌ على ما كنت أجمعُ قَبْلَهم هَنِيئاً لهمْ جَمْعِى وما كنتُ والِيـــ

ودُلِّيتُ فى زَوْراءَ ثمَّتَ أعتَقو نشأتهـــم قَدْ أفْرَدُونى وشانِيـــ

فأصبح مالى من طريف وتالد لغيرى . وكان المالُ بالأمس مالِـــ

وكما عرَض للدَّلاَل ونومةِ الضُّحى . من خصاء عثمانَ بن حيّان [المرّى] وإلى المدينة فى . بكتاب هشام بن عبد الملك[3] .

أثر تحريف كتاب هشام بن عبد الملك !

Marfat.com

المخنَّثين» . وذكر الهيثمُ عن الكاتب الذى تولَّى قراءة ذلك الكتاب ، أنَّه قال : وكيف يقولون ذلك ولقد كانت الخاء معجمةً بنقطةٍ . كأنها سُهيل [أو تمْرةٌ صيحانية[1]] ؟ ! فقال اليقطرى[2] : ما وجْهُ كتابِ هشام فى إحصاءِ عدَد المخنَّثين ؟ وهذا لا معنى له . وما كان الكتابُ إلاّ بالخاء المعجمة دون الحاء المهملة . وذُكِر عن مشايخَ من أهل المدينة أنهم حكَوا عنهما أنهما قالا : الآن صِرنَا نساءً بالحقّ ! ! كأنَّ الأمرَ لو كان إليهما لاختارَا أن يكونا امرأتين ! قال : وذُكِر أنهما خرجا بالخصلتين من الخصاء والتخنيث ، من فُتورِ الكلام ولِين المفاصل والعظام ، ومن التفكُّك والتثنِّى ، إلى مقدار لم يرَوا أحداً بلغه . لا من مخنَّثات النساء . ولا من مؤنَّثى الرجال .

(أبو همام السنوط)

وكما عرَض لأبى همام السَّنُوط[3] مِن امتلاخِ اللُّخْم مذاكيرَه وخصيَيه[4] . أصابَه ذلك فى البحر فى بعضِ المغازى[5] . فسقطت لحيتُه . ولُقّب بالسَّنُوط . وخرَج لذلك نَهِماً وشَرِهاً .

---

(١) الصيحانى : ضرب من التمر أسود صلب المضغة . وسمى صيحانيا لأن صيحان اسم كبش كان ربط إلى نخلة بالمدينة فأثمرت تمرا فنسب إلى صيحان . وفى قطعة الأمبروزيانا : كأنها تمرة صيحان نقط .

(٢) فى ط ، ل ، س ، والامبروزيانا « اليقطرى » بالباء . وقد كتب بالياء فى مواضع متعددة من الحيوان والبيان .

(٣) ذكره الجاحظ فى البيان ١ : ١٧٣ وجعله خرقا بالحرب . والسنوط بالفتح والتخفيف : الأحمق لا خير له أصلا ، أو الخفيف العارضين .

(٤) فى ط : « من امتلاخ لحم مذاكيره وخصيه » وهو تحريف صوابه فى ل . وجاء فى القاموس : اللخم بالضم : سمك بحرى . وقد ضبط فى معجم المعلوف ص ٢٢٥ باللخْم سهوا . قال : وقد يعرف بالترش فى سواحل البحر الأحمر .

(٥) فى ل : « أصابه ذلك فى البحر سمكة فى بعض المغازى » .

Marfat.com

وقال ذات يوم : لو كان النخلُ بعضُه لا يحمل إلاّ الرُّطَب . وبعضُه لا يحمل إلاّ التمرَ ، وبعضُه لا يحملُ إلاّ المجزَّع [1] ، وبعضُه لا يحمل إلاّ البُسر . ٥٦
وبعضُه لا يحمل إلا الخلَال . وكنّا متى تناولْنا من الشِّمْراخ بُسْرَةً . خلقَ اللهُ مكانها بُسرَتين . لَمَا كان بذلك بأس ! ثم قال : أستغفرُ الله ! لو كنتُ تمنيَّتُ أن يكونَ بدل نواةِ التمر زُبدة كان أصوَب ! !

ومنه ما يعرض من جهة الأوجاع التى تعرِض للمذاكير والخصيتين . حتى ربما امتلخَهما طبيبٌ . وربّما قطَع إحداهما . وربما سقطتا جميعاً من تلقاءِ أنفسهما .

(نسل منزوع البيضة اليسرى)

والعوامُّ يزعمون أنّ الولدَ إنّما يكونُ من البيضة اليسرى [2] . وقد زعمَ ناسٌ من أهل سليمان بن علىٍّ ومواليهم . أنّ ولد داود بن جعفر الخطيب المعتزلىّ . إنّما وُلِد له بعد أن نُزعت بيضتُه اليسرى . لأنه كان عرض له .

والخصىُّ الطيّار . الذى كان فى مسجد ابن رغبان . ولد له غلام . وكان ليس له إلا بيضة اليمنى . فجاء الشبه من أحد الجانبين والغراب بالغراب . وقد أبصرته أنا خصيّاً خلقَ الله تعالى له [illegible] قيافة . ومن خالطَه الخاصّة . [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

وخلاصته . لا يحتاج فيه إلى مجزِّز المُدْلجِي[1] . ولا إلى ابن كريز[2] الخُزَاعي .

(خصاء الروم)

ومن أهل الملل من يَخْصي ابنَه ويقفُه على بيت العبادَة . ويجعله سادِناً ، كصنيع الرُّوم . إلا أنهم لا يُحدثون في القضيب حدثاً ، ولا يتعرضون إلا للأنثيين . كأنهم إنما كرهوا لأولادهم إحبالَ نسائهم ورواهبهم[3] فقط ! ! فأما قضاءُ الوَطَر وبلوغُ اللذة ، فقد زعموا أنهم يبلُغون من ذلك مبلغاً لا يبلُغه الفحل . كأنهم يزعُمون أنه يستقصي جميعَ ما عِنادها ويستَجْلبه ، لفَرْط قوَّته على المطاولة .

(الروم أول من ابتدع الخصاء)

وكلُّ خصاءٍ في الدنيا فإنما أصلُه من قِبَل الروم ، ومن العجب أنهم نصارى . وهم يدَّعون من الرأفة والرحمة ، ورقَّة القلبِ والكَبِد ، ما لا يدَّعيه أحد من جميع الأصناف . وحسبك بالخِصاء مُثْلةً ! وحسبك بصنيع الخاصي قسوة ! ولا جَرَم أنهم بعثوا على أنفسهم من الخِصيان ، من طلب المال وتذكُّر الأحقاد ، ما لم يظفُروا عنادَهم ، ولا خافوه من قِبَلِهم ،

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible] والرهبان .

Marfat.com

فلا هم ينزِعون ، ولا الخِصيانْ يَنْكِلون ؛ لأنَّ الرِّماية فيهم فاشية . وإن كان الخصيُّ أسواراً بلغَ منهم [١] ؛ وإن كان جمع معَ الرماية الثَّرْوة ، واتخذ بطَرَسُوس ، وأذَنَة ، الضِّياعَ واصطنعَ الرجال ؛ واتخذ العُقَد المُغِلَّة [٢] فضرَّة كلِّ واحدٍ منهم عليهم ، تَفِي بمَضَرَّةِ قائدٍ ضخم . ولم ترَ عَداوةً قطُّ تجوز مقدارَ عداوتهم لهم ، وهذا يدلُّ على مقدار فرطِ الرغبة فى النســـاء . وعلى شهوةٍ شديدةٍ للمباضَعة ، وعلى أنهم قد عرفوا مقدارَ ما يقلدون ، وهذه ٥٧ خصلةٌ كريمة مع طالب المثوبة ، وحسن الأحدوثة .

(خصاء الصابئة)

فأما الصابئون . فإنَّ العابدَ منهم ربَّما خصى نفسه ، فهو فى هذا الموضع قد تقدم الرومىَّ . فيما أظهرَ من حُسْن النيَّة ، وانتحل من الديانة والعبادة . خصاء الولد التامّ [٣] . وبإدخاله النقصَ على النَّسل . كما فعَل ذلك أبو الحارث الصابى . وما زال خلفاؤنا وملوكنا يعتون إليه ، ويستعينون به ، ويستعملونه عندهم ، لِمَا يجدونه عنده من الفهم والإفهام ، وظُرْف الأخبار ، وجودة الكتب . وكان قد أربى على المائة ، ولم أسمعْ قطُّ بأغزل منه ، وإن كان يصدق عن نفسه فما فى الأرض أزنى منه .

(١) ط : « وإن كان خصى أسيج [illegible]
« بالكسر : فائدة كثيرة [illegible]
(٢) فى ط : « واتخذ العقد المغلة [illegible]
(٣) فى ط : « خصاء [illegible]

Marfat.com

(حديث أبى المبارك الصابى)

حدَّثنى محمد بن عباد قال : سمعتُه يقول — وجرى ذكرُ النساءِ ومحلِّهن من قلوب الرجال . حتَّى زعموا أنَّ الرجلَ كلما كانَ على أحرصَ كان ذلك أدلَّ على تمامِ الفُحولة فيه . وكان أذهبَ له فى الناحيــة التى هى فى خلقتِه ومعناهُ وطبعهِ . إذ كان قد جُعِل رجلاً ولم يُجعل امرأة — قال ابن عبّاد . فقال لنا : ألستمْ تعلمون أنّى قد أربَيتُ على المائة . فينبغى لمن كان كذلك أن يكون وهْنُ الكِبَرِ . ونفادُ الذِّكْرِ [1] . وموتُ الشهوة ، وانقطاعُ ينبُوع النطْفة . قد أماتَ حنينه إلى النساء وتفكيرَه فى الغزَل ؟! قال : قلنا : صَدقتَ . قال : وينبغى أن يكون مَن عوَّد نفسه تركَهنَّ مُدداً ، وتخلى عنهن سنِينَ ودَهراً [2] . أن تكون العادة وتمرينُ الطبيعة . وتوطينُ النفس . قد حطَّ من ثقل منازعة الشهوة . ودواعى الباءة . وقد علمتمْ أنَّ العادَة [التى] هى الطبيعة الثانية . قد تستحكم ببعض عمــلِ هَجْرٍ لملامسةِ النساء [3] . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغى أن يكونَ مَن لم يذُقْ طعمَ الخَارة بهنَّ ولم يجالسهنَّ متبذلات . ولم يسمَعْ حديثَهنَّ وخِلابَتهنَّ لقلوب . واستمالتهن للأهواء . ولم يَرَهنَّ منكشفات عاريات . إذا تقدم له ذلك مع طولِ التَّرك . ألا يكون بقى معه من دواعيهن شىء ؟! قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغى أن يكون لِمَسِّ قد علِم أنه مجبوبٌ . وأنَّ سببه إلى خِلاطهنَّ مسموم . أن يكون اليأسُ من أمتن أسبابه إلى الزهد

---

(١) الذكر هنا فى معنى التذكر .
(٢) فى ل : زهدا بدل « مددا » وفى ط « منهن » موضع « عنهن » .
(٣) فى ل : « من » موضع « عمل » و « هجرانى » موضع « هجر » .

Marfat.com

والسلوة . وإلى موت الخواطر . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغى أن يكونَ من دعاهُ الزُّهــدُ فى الدنيا . وفيما يحتويه النساءُ مع جمالهنَّ وفتنةِ النُّسَّاكِ بهنَّ . واتخاذِ الأنبياء هنّ . إلى أن خَصَى نفسه . ولم يُكْرِهْه عليه أبٌ ولا عدوٌّ . ولا سَباه سابٍ . أن يكون مقدارُ ذلك الزهدِ هو المقدار الذى يُميت الذِّكْرَ هنَّ . ويُسَرِّى عنه ألم فقد وُجودهنَّ[1] . وينبغى لمن كان فى إمكانه أن ينشئ العزم[2] ويختارَ الإرادة التى يصير بها[3] إلى قطع ذلك العضو الجامع لكبار اللذّات . وإلى ما فيه من الألم ، ودفع ما فيه من الخطر . وإلى ما فيه من المُثْلة والنَّقص الداخل على الخلقة . أن تكون الوساوس فى هذا الباب لا تعرُّد . والدواعى لا تقْرُد[4] . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغى لمَن سَخَتْ نفسه عن السَّكن وعن المال ، وعن أن يكون مذكورا بالعقب الصالح . أن يكون قد نسىَ هذا الباب . إذ كان قد مرَّ منه على ذُكْر . هذا وأنتم تعلمون أنى سَمَلْتُ [illegible]
خصيات نفسى . فقد نسيتُ كيفية نشوئى وكيف تروّح . وجهلت [illegible]
منها . وكيف تزداد . أفلا كان[5] [illegible]
تكون نفسه ساخية لاحقة بشهوته [illegible]
قال : قلت : صدقت . [illegible]
طول اجتناب . [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) [illegible]
(٦) [illegible]
(٧) [illegible]

Marfat.com

سنة ولم تمتلِ عُروقى[1] من الشرابِ مخافةَ الزيادة فى الشهوة . والنقصانِ من العزم — أليسَ[2] فى ذلك ما يقطع الدواعى . ويُسْكِن الحركة إن هاجت ؟ ! قال : قلنا : صدقت . قال : فإنّى بعدَ جميعِ ما وصفتُ لكم . لأَسْمَعُ نغْمةَ المرأةِ فأظنُّ مرّةً أنّ كَبِدى قد ذابت . وأظنُّ مرّةً أنّها قد انصدعت ، وأظنُّ مرّةً أنّ عقلى قد اختُلِس . وربّما اضطرَب فُؤادِى عند ضَحِك إحداهُنّ . حتّى أظنَّ أنّه قد خرجَ من ثمى . فكيف ألومُ علينَّ غيرى ؟ !

فإن كان — حفظك الله تعالى — قد صدَق على نفسه فى تلك الحال . بعد أن اجتمعت فيه هذه الخصال . فما ظنُّك بهذا قبل هذا الوقت بنحو ستّين سنة أوْ سبعين سنةً ؟ ! وما ظنُّك به قبلَ الخصاء بساعة ؟ ! وليس فى الاستطاعةِ ولا فى صفةِ الإمكان . أن يحتَجِز عن إرادة النساء . ومعَه من الحاجةِ إليهنَّ والشهوةِ فنَّ هذا المقدارُ ! الله تعالى أرحمُ بخلقِه . وأعدَلُ على عباده . من أن يكلِّفَهم هجرانَ شىءٍ . قد وصلَه بتلوينهم هذا الوصلَ . وأكَّدَه هذا التأكيد .

وقد خصى نفسَه من الصابئين رجالٌ . قد عرَفناهم بأسمائهم وأنسابهم . وصفاتهم وأحاديثهم . وفى الذى ذكرنا كفايةٌ إن شاء الله تعالى .

(استئذان عثمان بن مظعون فى الخصاء)

وقد ذُكِر أنَّ عثمانَ بن مَظْعونٍ . اسْتَأْذَنَ النبىَّ صلى اللهُ عليه وسلم فى السياحة فقال : « سِيَاحَةُ أُمَّتِى الجَمَاعَة » . واستأْذَنَه فى الخصاءِ فقال :

---

(١) فى ط : « تثمن » وما أثبته من ل .
(٢) فى الأصل : « فكذلك » .

Marfat.com

« خِصاء أمَّتى الصوم ، والصوم وِجاء » . فهذا خِصاءُ الديانة .

(خصاء الجلب وقسوته)

٥٩

فأمَّا من خصى الجَلَب [١] على جهة التجارة . فإنه يَجُبُّ القضيب ويمتلخ الأنثيين . إلاّ إن تقلَّصت إحداهما من فَرْط الفَزَع [٢] . فتصيرُ إلى موضعٍ لايمكن ردُّها إلاّ بعلاج طويل . فالخاصى عند ذلك ظلم لا يفى به ظُلم . وظلم يُربى على كلِّ ظلم [٣] . لأنّه عندَ ذلك لا يخفل بفوت المتقلّص [٤] . ويقطع ما ظهر له . فإن برئ مجبوبَ القضيب أو ذا بيضةٍ واحدة . فقد تركه لا امرأةً ولا رجلا ولا خَصِيًّا . وهو حينئذٍ ممّن تخرج خيبته . وممّن لا يلتفت الناسُ فى دُورهم ومواضعِ الخصوص من بيوتهم . فلا يكونُ مع خصيان فقرنا وملكرها . وخصيب العيش منعّما . ولا هو إذا رُمى به فى الفحول . كان له كالفحول من لذّة غشيان النساء . ومن لذّة النسل وتتابع الأولاد . فلم يزل عند الفحول مستضعفا محتقرا . وعند الخصيان مطّرحا [٥] . فهو غير خالٍ من الشدة معيّن [٦] ولا أعرف فيه

---

(١) ...

(٢) ...

(٣) ...

Marfat.com

القتلُ قِتلةً صريحة[1] مُرِيحة – إلاّ أصغرَ عند الله تعالى . وأسهلَ على هذا المظلوم من طول التعذيب . والله تعالى بالمِرصاد .

(خصاء البهائم)

وأمّا خصاءُ البهائم . فمنه الوِجاء . وهو أن يشدَّ عصَبُ مجامع الخُصيةِ من أصل القضيب . حتّى إذا نَدَرت البيضة . وجَحَظت الخُصية . وجأَها حتى يرضَّها . فهى عند ذلك تذبُل وتنخسف . وتذوِى وتستَدِقّ . حتى تذهبَ قُواها . وتنسدَّ المجارى إليها . ويسرىَ ذلك الفسادُ إلى موضع تربيةِ النُّطْفة . فيمنَعها من أن تكثُر أو تعذب أو تخثر .

ومنها ما يكون بالشدّ والعصْب . وشدَّةِ التحزيق . والعَقْدِ بالخيط الشديد الوَتير الشديد الفتل . فإذا تركه على ذلك عمِل فيه وحزَّ . أو أكَلَّ ومنعَه من أن يجرىَ إليه الغذاء . فلا يلبثُ أن ينقطعَ ويسقط .

ومنه الامتلاخ . وهو امتلاخ البيضتين .

(خصاء الناس)

فأمّا خصاءُ الناس . فإنّ للخاصى حديدةً مرهَفَةً مُحْماة . وهى الخاسمة . وهى القاضعة . قال أبو زيد : [يقال] خصَيت الدابة أخصِيها خِصاءً ، وجأتُها أجَأُها وِجاءً . ويقال : برئتُ إليك من الخِصاء أو الوجاء . ولا يقال ذلك إلاّ لمن كان قريبَ العهد لم يبرأ منه . فإذا برئ لم يُقَل له[2] .

---

(١) ل : مريحة .

(٢) في الأصل : لا يقال ، وهو خطأ في الرسم أوجبه تكرار الراء ، والوجه ما كتبت .

Marfat.com

وأما الخِصاءُ فهو أنْ يسلَّ الخُصيتين ، والوجاء أن توجَأ العروقُ والخصيتان على حالهما . والمعصوب من التيوس الذى تُعصَب خُصيتاه حتى تسقطا . والواحد من الخصيان خَصِىٌّ ومخصىّ . ويقال ملست الخصيتَين أملُسهما ملْسا ، ومتَنْتُهما أمتنهما متْنا . وذلك أن تشقّ عنهما الصَّفَن فتسلّهما بعروقهما . والصَّفَن : جلدة الخُصيتين .

(خصاء البهائم والدِّيكة)

والخِصاءُ فى أحداث البهائم . وفى الغنم خصىٌّ . يقال للحمل خَصِىٌّ ونَدِيٌّ عَدِيٌّ ؛ فإنْ خَصَيْتَه بعد الكبر لم يقل خصاؤه . بعد ما تحكاد تقدّ على قلْب ضباعه . وأجود خصاء ما كان فى الصّغر . وهو يسمّى بالفارسية ثرخت (١) يُعنَى بذلك أنّه خُصِىَ رضيعا . والخصى من الجراد الذكر للشحم . يُعمد فيُبيَّر وينتف . وخير ما قوده [illegible] لشدة قوته لضعفه وذلك فى [illegible] كثرة لحم فقال : [illegible]

والليث يخصى [illegible]

(خصاء ذوات الضرع)

[illegible]

[illegible]

Marfat.com

وكان شابًّا ولم يكن مِذكارا . وهم يسمُّون الإذكار المحْقَ الخفِيّ[١] . وما كان منها عَيَاياءَ طَبَاقاءَ . فمنها ما يجعل السَّدِمَ المعنَّى . وإذا كان الفحلُ لايُتَّخذ للضِّراب . شدُّوا ثِيلَه شدًّا شديداً . وتركوه يهدِر ويُقَبقِب فى الهَجْمة ، ولا يصل إليهنَّ وإن أردنَه . فإذا طلبْنَ الفحلَ جِيءَ لهنَّ بفحلٍ قَعْسرىٍّ[٢] ويقولون: « لَقْوَةٌ لاقَتْ قَبِيسا ! » . والقَبيس من الجِمال : السريع الإلقاحِ ، واللَّقوة : السريعة القَبولِ لماءِ الفحلِ .

وشكت امرأةٌ زوجَها . وأخبرتْ عن جهلِه بإتيانالنساء . وعِيِّه وعجْزِه . وأنَّه إذا سقط عليها أطبَقَ صدرَه ــ والنساءُ يكرهْنَ وقُوعَ صدورِ الرجال على صدورهنَّ ــ فقالت : زَوْجِى عَيَاياءُ طَباقاء . وكلُّ داءٍ لَهُ داءٌ !!

وقال الشاعر :

طَباقَاءُ لم يَشْهدْ خُصوماً ولم يَقُدْ ... رِكاباً إلى أكوارِها حينَ تعكف[٣]

(خصاء العرب للخيل)

وكانوا يخْصُون الخيل لشبيه بذلك[٤] . ولعلَّة[٥] صهيلها ليلةَ البَيَات . وإذا أكمنوا الكُمَناء أوْ كانوا هُرَّابا .

---

(١) ط : ... يسمون المذكار الخلق الخلق ... وهو تحريف ما فى ب .

(٢) القعسرى : الضخم الشديد . وفى الأمهروزيين : الخلق وجن . هى بفحل قبيس ! .

(٣) ط : ... يأكل ... حين تعلف . وفى ل و الأمهروزيين : ... حين تعكف ، وأصلحت البيت كما ترى من ل و نبهان ١ : ١١٠ .

(٤) ط : للتشبيه بذلك ! .

(٥) ل : ولعلة .

Marfat.com

(القول فى كلمة خنذيذ)

ويزعم من لاعلم له : أنَّ الخنذيذ[1] فى الخيل هو الخصىُّ . وكيف يكون ذلك كما قال . مع قول خُفَاف بن نَدْبة :

وخناذيذ خصيةً وفُحولاً[2]

وقال بشرُ بنُ أبى خازم :

وخنذيذٍ تَرَى الغُرْمُولَ منه كَطَىِّ البُرْدِ يَطويه التَّجَارُ[3]

وليس هذا أرادَ بشر . وإنَّما أراد زمانَ الغزو . وخُصَّ التى يعترى الخيلَ فيها هذا المعنى . كما قال جَدّ لأحيمر[4] :

لا لا أعقُّ ولا أُحُو ب ولا أُغيرُ على المُحَرْ

لكنَّما غزوى إذا ضَحَّ المُضَىُّ من البُكَرْ ٦١

وإنَّما فخر بالغزو فى ذلك الزمان .

وأمَّا خنذيذ فهو الكريم التامُّ . وربَّما وصفوه به الرجل . وقال كثير :

على كل خنذيذ الضُّحى دَمَقَرٍ وخَيْفَانةٍ قد هذَّب الجرىُ آلَى[5]

وقال القطامى :

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

[على] كلِّ خنذيذ السَّراة مُقلِّصٍ تَخنَّثَ منـــه لحمُه المتكاوِسُ[1]

ومن الدليل على أنَّهم ربما جعَلوا الرجلَ إذا ما مدحوه خنذيذا . قولُ بعضِ التميسيين[2] . مِن قيسِ بنِ ثعلَبة :

دعوتُ بني سعدٍ إليَّ فشمَّرتْ خناذيذُ مِن سعدٍ طِوالُ السواعدِ

(عبد الله بن الحارث وعبد الملك بن مروان)

وقال عبدُ الله بن الحارث ، وكتب بها إلى عبدِ الملكِ بن مرْوان ، حين فارقَ مُصعَبا :

بأيِّ بلاءٍ أم بأيَّةِ علَّـــةٍ يُقدَّم قبلي مُســـلِمٌ والمهلَّبُ

ويُدعَى ابنُ منجوف أمامي كأنَّه خَصِيٌّ دنا للماءِ من غير مَشْرَبِ[3]

فقلت ليونس : أقوى ! فقال : الإقواءُ أحسَنُ من هذا ! قال : فلمَّا أخذتْه قيسٌ نصبُوه ، فجعلوا يرمُونه بالنبل ويقولون : أذاتَ مغازل[4] تَرَى؟!

[يريدون بيت ابن الحرّ[5]] :

ألم تر تميماً ـ قيسَ عيلانَ ـ برقعت لِحاهَا وباعت نبلها بالمغازل

فلما أتى مُصعبٌ برأسِه . قال لسُوَيد : يأبا المِنهال ! كيف ترى ؟ قال : أيُّهَا الأمير ! هو واللهِ الذي أتَى الماءَ من غير مَشْرَب .

---

(١) الزيادة من ل .

(٢) ط : « القسيين » وهو تحريف . والبيت في البيان ٢ : ١٢ منسوبا إلى العبسي ، فصوابه التميمي .

(٣) ط : « ويدعى ابن منجوت » والصواب « بن منجوف » واسمه سويد ، وله أخبار في البيان والأغاني .

(٤) ط : « منازل » بالنون .

(٥) هو سعيد الله بن الحر الجعفي ، قائد من قواد العرب ، كان من أصحاب عثمان ، وبعد مقتله انحاز إلى معاوية ، وشهد صفين ، وكان له منازعات مع مصعب بن الزبير ، ولما خاف من الأسر ، ألقى بنفسه في الفرات ، فمات غريقا سنة ٦٨ .

Marfat.com

وقال أعشى هَمْدان :

وأبو بُريذِعةَ الذى حُدِّثْتَهُ فينا أذَلُّ مِن الخصىِّ الدَّيزجِ [1]

وتعرِض للخصىِّ سُرعة الدَّمعة ، وذلك مِن عادةِ طبائِع الصبيان ثم النِّساءِ ، فإنَّه ليس بعدَ الصبيان أغزَر دَمعةً من النســاء ، وكفاك بالشيوخ الهرمين .

(أخلاق الخصى)

ويعرض للخصىِّ العبثُ واللَّعبُ بالطير ، وما أشبهَ ذلك من أخلاق النساء ، وهو من أخلاق الصبيان أيضاً .

ويعرض له الشَّرَه عندَ الطعام ، والبخلُ عليه ، والشحُّ العامُّ فى كلِّ شىء ، وذلك مِن أخلاق الصِّبيانِ [ثم النِّساء [2]] .

وقال الشاعر :

كأنَّ أبا رُومان قيساً إذا غدَا خَصِىٌّ بَراذينٍ يُقَاد رَهِيصُ

له مِعْدَةٌ لايشتكى الدهرَ ضَعْفَها وحَنجرةٌ بالدورقين قَمُوصُ

ويعرض للخصىِّ سرعةُ الغضب والرضا . وذلك من أخلاق الصِّبيان ٦٢
والنِّساء . ويعرض له حبُّ النميمة . وضيقُ الصدر بما أُودِع من السرِّ ، وذلك من أخلاق الصبيان والنساء . ويعرض له دون أخيه لأمِّه وأبيه ، ودون ابنِ عمِّه وجميع رهطِه . البَطَرُ بالرَّفْع والوضْع . والتكبُّر والرشُّ ، والطَّرح والبَسْط . والصبرُ على الخدمة . وذلك مما [illegible]

(١) ط : « الريذع ... [illegible]
١٠٥ : « الأخصى ... [illegible]
« والأخصى الأصحى ... [illegible]

(٢) الكلمة من [illegible]

Marfat.com

ويعرض له الصبرُ على الرُّكوب ، والقوَّة على كثْرةِ الرَّكْض حتَّى يجاوز فى ذلك رجالَ الأتراكِ وفرسانَ الخوارِج . ومتى دفَع إليه مَولاه دابَّتَه ودخل إلى الصلاة ، أو ليغتسل فى الحمام ، أو ليعودَ مريضاً ، لم يترُكْ أن يُجرِىَ تلك الدابَّةَ ذاهباً وجائياً ، إلى رجوعِ مولاه إليه .

ويعرض له حبُّ الرمى بالنُّشَّاب . لِلَّذِى يدور فى نفسِه من حبِّ غزوِ الرُّوم. ويعرض له حبُّ أن تَمْلكَه الملوك ، على أَلَّا تقيمَ له إلَّا الموتَ ، ويكونُ ذلك أحبَّ إليه من أنْ تملكَه السُّوقةُ ، وإن ألحقتْه بعيشِ الملوك ! !

ومن العجب أنَّهم مع خروجِهم من شَطْر طبائع الرجال ، إلى طبائع النساء . لا يعرِض لهم التخنيث . وقد رأيت غيرَ واحدٍ من الأعرابِ مخنَّثاً متفكِّكا ، ومؤنثا يَسِيلُ سيلاً ، ورأيتُ عدَّةَ مجانينَ مخنَّثين ، ورأيتُ ذلك فى الزِّنج الأقْحاح . وقد خبَّرنى من رأى كُردِيًّا مخنثاً ، ولم أر خَصِيًّا قط مخنَّثاً[1] ، ولا سمعتُ به ؛ ولا أدرى كيف ذلك ولا أعرف المانعَ منه . ولو كان الأمرُ فى ذلك إلى ظاهِرِ الرأى ، لَقَدْ كان ينبغى لهم أن يكونَ ذلك فيهم عامًّا[2] !

ومما يَزيدنى فى التعجُّب من هذا الباب ، كثرةُ ما يعرِض لهم من الْحلاَق[3] . مع قلَّةِ ما يعرض لهم من التخنيث ، مع مفارقتِهم لشطرِ معانى الرجال إلى شبه النساء .

ويزعم كثير من الشيوخ المعمَّرين ، وأهلِ التجرِبة المميِّزين ، أنّهم اختبروا أعمارَ ضروبِ الناس . فوجدوا طولَ[4] الأعمارِ فى الخصيان أعمَّ

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) فى الأصل : « ولو كان كان الأمر . . . ولقد . . . الخ » وقد قومت العبارة بما ترى .

(٣) الحلاق : كالغراب ، أن يقشر جلده ، فينعكس مبله الجلدى .

(٤) بل « أطول » وتصحح من ل . وانظر مناقشة الحوارى والغلمان ١٢٤ .

Marfat.com

منه فى مثلِ أعدادهم [1] من جميع أجناس الرجال ، وأنّهم تفقدوا أعمارَهم وأعمارَ إخوتِهم وبنى أعمامِهم الذين لم يُخصَوْا ، فوجَدُوا طول العُمُر فى الخِصيان أعمَّ ؛ ولم يجدوا فى عمومِ طوال العمر فيهم واحداً نادراً ؛ كفلانٍ وفلانٍ من الفحول .

وزعموا أنّهم لم يجدوا لطول أعمارِهمْ علّةً إلّا عدَمَ النِّكاح . وقلّة استفراغِ النُّطَف لقُوى أصلابهم .

قالوا : وكذلك لم نجدْ فيما يعايشُ الناسَ فى دُورهم ، من الخيل والإبل ، والحمير ، والبقر ، والغنم ، والكِلابِ ، والدَّجاج ، والحمام . والدِّيَكة ، والعصافير ؛ أطول أعماراً من البغال . ٦٣

وكذلك قالوا : وجدْنا أقلّها أعماراً العصافيرَ . وليس ذلك إلّا لكثْرة سِفادِ العصافير وقلّةِ سِفاد البغال .

وجعل هؤلاء القوم زيادةَ عمر البغل على عمرِ أبويه دليلا على أنّ قول الناسِ : لا يعيشُ أحدٌ فوق عمر أبويه خطأ . وأولئك إنّما عنوا الناسَ دون جميع الحيوان

(النتاج المركب)

وقالوا : قد وجدنا غرمولَ البغل أطول من غرمول الحمار والفرس والبرذون . وهؤلاء أعمامه وأخواله . فقد وجدْنا بعضَ النتاج المركب ، وبعضَ الفروع المستخرجة ، أعظمَ من الأصل . وقد وجدنا الحيوانَ الذى هو [2] أعظمَ من الوَرشان الذى هو أبوه . ومن الحمامة التى هى أمّه . وقد نجده أخذ من عمر الوَرشان شيئا ، ومن عمر الحمامة شيئا ، وخرج صوته من بين صوتيهما ، وصار [illegible] شحيح البغل من [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

ولم يكن ذلك فى أبويه ؛ وخرَج مُثْقَلاً سيِّئَ الهداية . وللوَرَشان هداية ، وإن كان دونَ الحمام ؛ وجاءَ أعظمَ جُثّة من أبويه ؛ ومقدارُ النَّفَس مِن ابتداءِ هَدِيله إلى منقطَعِه ؛ أضعافُ مقدارِ هديل أبويه .

وفَوالجُ البُخْتِ إذا ضرَبت فى إناث البُخْت ؛ لم يخرُج الحُوَارُ إلاّ أدَنّ[1] قصيرَ العُنق ؛ لا ينال كلأً ولا ماءً إلَّا بأنْ يُرْفَعا إليه ؛ فيصيرُ — لمكانِ نُقْصان خلقه — جَزورَ لحم ؛ ولا يكون من اليعمَلات ولا من السابقة ؛ ولو عالُوه وكفَوه مُؤْنة تكلف[2] المأكولِ والمشروب ، ثم بلغَ إلى أنْ يَصيرَ جملاً يمكنُه الضِّراب . وكذلك [الأنثى التى هى] الحائل إلى أن تصيرَ ناقة ؛ فلو ألقحها الفحلُ لجاء ولدُها أقصرَ عنقا من الفيل ، الذى لو لم يجعل اللهُ تعالى له خُرطوما يتناولُ به طعامَه وشرابه ، لمات جُوعا وهُزالا ؛ وليس كذلك العِرَاب . وإذا ضربت الفوالجُ فى العراب جاءت هذه الجوامز[3] والبُخْت الكريمة التى تجمع، عامَّة خصال العراب وخصالِ البُخْت ؛ فيكونُ ما يُخرِج التركيبُ من هذين الجنسين أكرمَ وأفخمَ وأنفس وأثمن . ومتى ضربت فحولُ العرَاب فى إناث البُخْت جاءت هذه الإبل البَهْوَنِيَّة[4] [والصَّرصرانية[5]] فتخرج أقبح منظراً من أبويها ، وأشدَّ أسْراً من أبويها . [وقال الراجز : ولا بهونى من الأباعر]

---

(١) ط : « أتانا » وهو تصحيف عجيب ، أبدلته بما فى ل . والدنن ، محركة : انحناء فى الظهر ، ودنو وتطامن فى الصدر والعنق . وهو أدن ، وهى دناء .

(٢) ط : « تكليف » . (٣) ط : « الجوامين » .

(٤) ط : « اليهوتية » . ل : « اليهونية » وكلاهما تحريف ، وقد جاء فى القاموس « والبهونية من الإبل مابين الكرمانية والعربية ». وجاء فى المخصص ٧ : ١٣٥ واللسان « والبهنوى — بتقديم النون — من الإبل : مابين الكرمانية والعربية ، وهو دخيل فى العربية » .

(٥) فى القاموس والمخصص : « الصرصرانيات : بين البخاتى والعراب : أو الفوالج » وفى الأصل : «وهى الصرصرانية » . وإنما هما ضربان .

Marfat.com

وبعد ؛ فإنّ هذه الشِّهريَّة الخراسانية ؛ يخرج لها أبدانٌ فوقَ أبدانِ أمّهاتِها وآبائِها من الخيل والبراذين ؛ وتأخذ من عِتْق الخيل . ومن وثاجة[1] البراذين ؛ وليس نِتاجها كنتاج البِرذَونِ خالصاً والفرس خالصا .

وما أشبهَ قرابةَ الحمارِ بالرَّمكة والحِجْرِ ؛ من قرابةِ البُخْتِيِّ بقرابةِ القَلوص العربيَّة . ٦٤

(الحمر الوحشية)

ويقال إن الحمرَ الوحشيّة ؛ وبخاصّةٍ الأخطريّة ؛ أمثلُ تخميرِ الحمر وإنما هي من نِتاجِ الأنعدَر ؛ فرسِ كانَ لأُدَيْشِر بن بابك صار وحشيًا فحمَى عِدَّةَ عاناتٍ نضرب فيها . فجاء أولادُه منها أعظمَ من سائر الحمر وأحسن وخرجَتْ أعمارُها عن أعمار الخيل وسائر الحمر على [illegible] أعمارَها تزيد على الأهليّة مرارًا عدّة .

(عير أبي سيارة)

ولا يعرفون حمارًا وحشيًا [illegible] عُمَيلة بن أعزل[3] ؛ فإنهم لا يشكُّون أنّه دفع [illegible]

قال الأصمعيُّ : لم يكن عير أبي سيارة [illegible]

---

(١) ط [illegible]

(٢) ط [illegible]

(٣) ط [illegible]

Marfat.com

(لهج ملوك فارس بالصيد)

وزعموا — وكذلك هو فى كتبهم — أنَّ ملوكَ فارسَ ؛ كانت لهجة بالصيد ؛ إلا أنَّ بهرام [جور] هو المشهورُ بذلك فى العوامّ .

وهم يزعمون أنّ فيروز بن قباذ[1] الملك الفارسىّ ؛ ألحَّ فى طلبِ حمار أخدرى ؛ وقد ذُكِر له ووُصف ؛ فطاوَله عند طلبه والتماسه ؛ وجدَّ فى ذلك ولجَّ به عند طلبه الاغترام ؛ وأخرجته الحفيظةُ إلى أن آلى ألَّا يأخذَه إلا أسراً ؛ ولا يطاردَه إلاّ فرداً ؛ فحمل فرَسه عليه[2] ؛ فحطَّه فى خبَار[3] فجمع جَراميزه وهو على فرسه ووثَب ؛ فإذا هو على ظهره ؛ فتمَص به ؛ فضم فخذيه فحطّم بعض أضلاعه ؛ ثم أقبل به إلى معظم الناس ؛ وهم وقوف ينظرون إليه وهو راكبه .

قالوا : وكان الملك منهم إذا أخذ عَيراً أخْدريًّا وغيرَ ذلك ؛ فإذا وجدَه فتيا[4] وسَمَه باسمه[5] وأرَّخ فى وسمِه يومَ صيده وخلَّى سبيله ؛ وكان كثيراً إذا ما صاده الملكُ الذى يقوم به بعدَه ؛ سار فيه مثلَه تلك السِّيرةَ وخلَّى سبيله ؛ فعرَف آخرُهم صنيعَ أوّلِهم ؛ وعرفوا مقدارَ مقاديرِ أعمارها .

— على فرس عربى أو جمل مهرى لفعل . ولكنه ركب عيرا أربعين عاما ، لأنه كان يتأله اهـ . وقد أفاض الثعالبى فى ثمار القلوب فى الحديث عنه ص ٢٩٥ .

(١) ط : « فيروز بن قبار » وتصويبه من ل .

(٢) ط : « إلا فردا (اقتداراً لخيار الأرض الرخوة) فحمل عليه » بإقحام الجملة الموضوعة بين قوسين كبيرين . وواضح أنها تعليق لأحد الكتاب ، حيث فسر الخبار بأنه الأرض الرخوة ؛ وصحفها آخر فجعلها « خيار » .

(٣) ط : « خيبر » وصوابه فى ل .

(٤) ط : « فتيا » .

(٥) ط : « وسمه باسم » .

Marfat.com

(الحكمة فى تخالف النزعات والميول)

ولولا أنَّ ناساً من كلِّ جيل . وخصائصَ من كلِّ أمَّة . يلهجون ويَكْلَفون بتعرُّف معانى آخرين لدرستْ . ولعلَّ كثيراً من هؤلاء يُزْرى على أولئك ، ويعجَّب الناسَ من تفرُّغهم لما لايجدى . وتركهم التشاغلَ بما يُجْدِى . فالذى حبَّب لهذا أن يرصُدَ عمر حِمار أو وَرَشان أو حيَّة أو ضبّ . هو الذى حبَّب إلى الآخَر أن يكون صيَّاداً للأفاعى والحيَّات . يتتبَّعها ويطلبها فى كلّ واد وموضِع وجَبَلٍ للترياقات . وسخَّرَ هذا ليكون سائسَ الأُسْد والفُهود والنُّمور والببور [1] . وترك من تلقاء نفسه أن يكون راعىَ غنم ! !

والذى فرَّق هذه الأقساماَ . وسخَّر هذه النفوسَ . وصرف هذه العقول لاستخراجِ هذه العلوم من مدافنها . وهذه المعانى من مخابئها . هو الذى سخَّر بَطْليموسَ مع مُلْكه [2] . وفلانا وفلانا للأمور السماوية . وسخَّر النجوم واختلاف مَسير الكواكب . وكلّ ميسَّر لما خُلق له . ولكلّ وجهة هو مولِّيها . وتكمُل المعرفة . وإنما تبقى التيسير لمعلِّمين [3] .

فأما المنازعات فإنما تقصُر لأسباب يعرض لكلّ واحد على أن يكون صيِّراً فيه . فمنهم من [illegible] تقصُر على [illegible] والصادق [illegible]

---

(١) [illegible]

Marfat.com

فى الحساب ؛ وعلى دسِّ المموِّه : تعالى الله عزَّ وجلَّ عن ذلك علواً كبيراً .

(خضوع النتاج المركب للطبيعة)

ولو كان أمرُ النِّتاج وما يحدث بالتراكيب ويخرج من التزاويج ؛ إلى تقدير الرأى وما هو أقربُ إلى الظنِّ : لكانت الأظْلاف[1] تجرى مَجْرَى الحوافر والأخفاف . ألا ترى أنَّ قرابة الضأن من الماعز : كقرابة البُخْت من العراب ، والخيل من الحمير ! !

وسبيل نتائج الظِّلْف على خلافِ ذلك : لأنَّ التيسَ — على شدَّة غُلمته — لا يعرض للنعجة [إلاّ بالقليل الذى لا يُذكر . وكذلك ما يحدث بينهما من الولد كذلك : إمّا ألاّ يتمّ خَلقُه ، وإما ألاّ يعيش[2]] ؛ وكذلك الكبشُ والعنز فضلاً عن أن يكون بينهما نتاج[3] لأنه قد يضرِب الجنسُ فى الجنس الذى لا يُلْقحه ، ولا يكون اللِّقاح إلا بعد ضراب .

وطَلَب التيسِ للنعجة قليل[4] وأقلُّ من القليل : وكذلك الكبش للعنز ، وأقلُّ من ذلك أنْ تتلاقح[5] ولا يبقى ذلك الولد ألبتة[6] .

وقد تجاسَرَ ناسٌ على توليد أبوابٍ من هذا الشكل ؛ فادَّعوا أموراً ؛ وقد يخطئون بالتقريع والتكذيب عند مسألة البرهان ! !

(زعم فى الزرافة)

زعموا أنَّ الزرافة خلقٌ مركب من بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية

---

(١) ... الخفاف .

(٢) ... ولا يعيش .

(٣) ... نتاج .

(٤) ... ويقف على الضراب مائتى نعجة .

(٥) ... تتلاقح : أى تتلاقح صحيحة من ذكور وإناث .

(٦) ... ولا يمنع ذلك التحريف .

Marfat.com

وبين الذِّيخ وهو ذكر الضباع ؛ وذلك أنهم لمَّا رأَوا أنَّ اسمها[1] بالفارسية (أشتر كاو بلنك[2]) : وتأويل « أشتر » بعير ، وتأويل « كاو » بقرة ، وتأويل « بلنك »[3] الضبع ؛ لأن الضباعَ عُرْج ؛ كذلك الذكر والأنثى يكون بها خُمَاع ؛ كما عرض للذئبِ القزَل — وكلُّ ذئبٍ أقزَل — وكما أنَّ كلَّ غرابٍ يحْجِل كما يحجِل المقيَّد من الناس ؛ وكما أنَّ العصفورَ لا يمشي ؛ ومشيُه أن يجمَع رجليه أبداً معاً في كلِّ حركةٍ وسكون . وقولهم للزرافة أشتر كاو بلنك[1] اسم فارسيٌّ ؛ والفُرس تسمِّي الأشياءَ بالاشتقاقات ؛ كما تقول للنعامة : اشتر مرغ ؛ وكأنَّهم في التقدير قالوا : هو طائر وجمل ؛ فلم نجد هنا لاسمٍ أوجبَ أن تكون النعامةُ نتاجَ ما بين الإبل والطير ؛ ولكن القوم لمَّا ٦٦
شبهوها بشيئين متقاربين ؛ سمَّوها بذينك الشيئين . وهم يسمون الشيء المرَّ الحلو تَرْش شيرين ، وهو في التفسير حلو حامض . فجعلَ القوم في تفسير اسم الزرافة [illegible]

[illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

[illegible]

[illegible]

Marfat.com

من النِّتاج الذى ركَّبوا ؛ وزعموا أنَّ ذلك مشهورٌ فى بلاد الحبَشة ؛ وأقاصى اليمن . وقال آخرون : ليس كلُّ خلقٍ مركَّب لا ينسِل ولا يبقَى نجلُه ولا يتلاقَح نسله ؛ على ما حكينا من شأن الوَرشـان والرّاعبى[1] . وهؤلاء وما أشبههم يُفسدون العلم ، ويتَّهمون الكتب ؛ وتغرُّهم كثرةُ أتباعهم ممَّن تجدُه مستهتَراً بسماع الغريب ، ومُغرَماً بالطرائف والبدائع . ولو أُعطُوا معَ هذا الاستهتارِ[2] نصيباً من التثبُّتِ ، وحظًّا من التوقى ؛ لسَلِمت الكتبُ من كثير من الفساد .

(النتاج المركب فى الطيور)

وأنا رأيتُ طائراً له صوتٌ غير حسن ؛ فقال لى صاحب الطيور : إنّه من نِتاج ما بين القُمْرىِّ[3] والفاختة[4] .

وقنَّاص الطيرِ ؛ ومَن يأتى كلَّ أُعجوبة[5] وغيضةٍ فى التماس الصيد ؛ يزعمون أنّ أجناساً من الطير الأوابد والقواطعِ ؛ تلتقى على المياه فتتسافد ؛ وأنّهم لا يزالون يرون أشكالاً لم يروها قطُّ ؛ فيقدِّرون أنَّها من تلاقح تلك المختلفة .

---

(١) من ... الوردانى ... وهو تحريف صوابه ... كتبت كذا فى ص ١٣٧ من هذا الجزء .

(٢) من ... أعطوا بدلا من هذا الاستهتار .

(٣) من ... القمرى : طائر صغير من ...

(٤) ... الفاختة : واحدة الفواخت من ... وهو الحمام الوحشى ... بن سيده : ... من ... وهو ... الحمام ...

(٥) ... أعجوبة : ... وهو تحريف ... صوابه ... يقنص الطير على ...

Marfat.com

(زعم بعض الأعراب فى الحرباء)

وقال أبو زيدٍ النحوىّ . وذكر عمّن لقى من الأعراب أنّهم زعموا أنّ ذكرَ أمّ حُبَين هو الحرباء . قال : وسمعت أعرابيّا من قيس يقول لأمّ حُبين حُبينة . والحُبينة هو اسمها . قال : وقيس تسمّى ذكر الحرباء الأصمّ والوقط . وقال يحيى الأعرج : سمعت عربيّا يقول : لا تجوز في الغلط ما كان ضبًّا مكوّنا . قال : فقلت ما المكوّن ؟ قال : الذكر . والمكوّن والحلّاء والحلّاء . كثّر عليه الأسماء .

(ولد الثعلب من الذئبة)

Marfat.com

وأنشد أبو عبيدة قولَ عبد الرحمن بن الحكم :

ألا أبلغْ مُعاوية بنَ حربٍ مُغلغلَةً عن الرجُل اليمانى
أتغضَبُ أنْ يقال أبوك عَفٌّ وتَرضى أن يُقالَ أبوك زَانى
فأشهد أنّ رِحْمَكَ مِن قُرَيشٍ كَرِحْم الفيل مِنْ وَلَدِ الأَتَانِ (١)

قال كَيسان : ولأى شى قال :

كرحم الفيل من ولد الأتان

إنما كان ينبغى أن يقول : كرِحْم الفِيل من الخنزير . قال أبو عبيدة : أراد هو التبعيدَ بعينه . وأنت تُريد ما هو أقرب .

(زعم بعض المفسرين والأخباريين فى حيوان سفينة نوح)

وزعم بعض المفسّرين وأصحاب الأخبار أنّ أهلَ سفينةِ نوحٍ كانُوا تأذَّوا بالفأر . فعَطَس الأسدُ عَطْسةً فرَمى من مِنْخَريه بزوجِ سنانير ؛ فلذلك السَّنَّورُ أشبهُ شىءٍ بالأسد . وسلَح الفيلُ زوجَ خنازير ؛ فلذلك الخنزيرُ أشبهُ شىءٍ بالفيل . قال كيسان : فينبغى أن يكون ذلك السَّنَّورُ آدمَ السنانير . وتلك السَّنَّورَة حوَّاءَها . [قال أبو عبيدة لكيسان :] ولم تعلمْ أنت أنّ هذا جنس من الحيوان آدم وحواء ؟ ! [وضحك [فضحك] القوم .

---

(١) [illegible] والأبيات فى حيوان ١ : ٣٠ و ٥ : ٢ و ٦ : ٥١٨ بروايات مختلفة [illegible] وعيون الأخبار ٣ : ٢١٣ منسوبة إلى [illegible] وفى الأغانى ١٢ : ٨١ : والناس [illegible] من مقرف لكثرة خؤلة الزبد . وبعده بقية

Marfat.com

(شره سعد القرقرة)

ولمَّا رأى أبو قُردُودةَ سعدَ القرقرة . أكلَ عند النُّعمان مسلوخاً بعظامه قال :

بين النعامِ وبينَ الكلبِ مَنْبِتُه ... وفي الذئاب له ظئر وأخوان[1]

يقول : إنَّ سعداً ضرب في أعراقه نجر النعام[2] الذي يتبع الجمر . ويلتقم الحجارة ، فيطفئ الجمرَ ويميع الصخر[3] . وضرب في أعراقه أنجرَ[4] الكلب الذي يرضُّ كلَّ عظم . ولا يقبض عليه بكفّه إلاّ حرو الذي لا يعجل إلاّ وهو على ثقة من مقدوره[5] . فأمّا الكلب فإنّه لا يريد شيئاً إلاّ ابتلعه بغير مضاغة . عظماً كان أو غيره . [illegible]

ولذلك قال الراجز :

[illegible]

فأبو قردودة هو الذي [illegible]

قال ذلك على لغة [illegible]

الذئاب . [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

الحمَّارين[1] . ونزائع الطُّؤورة . وأشباه الخُوْولة .

وعلَى شبيهٍ بذلك قال سلم بن قُتَيبة[2] لبعض من ذَكره . وهو عند سليمان بن عليٍّ : أيُّها الأمير . إنَّ آلَ فلان أعلاجُ خلقِ الله وأوباشُه . لئامٌ غُدر . شرَّابون بأَنْقع[3] . ثمَّ هذا بعدُ في نفسه . نُطفَةُ خَمَّار في رَحِم حَنَّاجة .

(زواج الأجناس المتباينة من الناس)

وقال لي أبو إسحاق : قال لي أبو العباس — وأبو العباس هذا كانَ ختنَ إبراهيمَ على أخته . وكان رجلاً يَدِين بالنجوم . ولا يقرُّ بشيءٍ من الحوادث إلاَّ بما يجري على الطباع . قال أبو إسحاق : وقال لي مرَّة : أتعرفُ موضعَ الحظوة من خَلْوة النساء ؟ . قلتُ : لا واللهِ لا أعرفه . قال : بل أعلمُ أن لا يكونُ الحظُّ إلاَّ في نِتاج شِكالين متباينين . فالتفاوتُ هو الإكسيرُ المؤدِّي إلى الخلاص : وهو أن تزاوج بينَ هِنديَّةٍ وخراسانيٍّ . فإنها لا تنال إلاَّ الذهبَ الإبريز . ولكن احترس ولدَها : إن كان الولدُ أنثى فاحذَر عليها من شدَّة لِوطِ رجال خراسانَ وزِناء نساء الهند . واعلمْ أن شهوتَها للرجال على قدر حُظوتها عندهم . واعلمْ أنها ستسابق النساءَ على أعراقِ خراسانيَّة . وتَنزِل بالرجال على أعراق الهند . واعلمْ أنه ممَّا يزيد في زِناها ومسابقتها معرفتُها بالمنظرة عند الزُّناة . وبالحظِّ عند السحاقات[4] .

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible] والصحيح [illegible] . والكلام مقلوب . والنقع بالفتح [illegible] فيقال في المثل : إنه لشراب بالنقع . يضرب لمن جرت [illegible] الطرق

(٤) [illegible]

Marfat.com

(مما زعموا فى الخلق المركب)

وقالوا فى الخلق المركَّب ضُروباً[1] من الحقِّ والباطل : ومن الصدق والكذب . فمن الباطِل زعمُهم أنَّ الشَّبُّوط ولد الزَّجْر[2] من البُنِّىّ ، وأنَّ الشَّبُّوط لا يُخْلَق من الشَّبُّوط ، وأنَّه كالبغل فى[3] تركيبه وإنسالِه . ورووا ذلك عن أبى وائِلة إياسِ بنِ معاوية [بن قرّة] .

وزعموا أنَّ أمَّ جعفر بنت جعفر بن المنصور ، حضرت [فى مجلس] فيه فيلم أو بركة كبيرة عندها كثير من الزجر والبُنِّىّ ، وأنها لخلطت بهما غيرهما . فماتت كلُّها وبقيت بقيةٌ كانت لم تصبها فى البركة ، وأن احتمال تغيُّر ذلك الماء لخلط البيض حين [...]

(مصر الطفاوة ... شبابيطها)

Marfat.com

آندفعت بالشبابيط السِّمان الخِدال [1] فطبخوا واشتَوَوا ، وملَّحوا وادَّخَروا .

(غرور أبى وائلة والخليل بن أحمد)

ورووا عن أبى وائلة أنَّه زعمَ أنَّ من الدليلِ على أنَّ الشَّبُّوط كالبغل ،
٦٩ أنَّ الناسَ لم يجدوا فى طولِ ما أكلوا الشبابيطَ فى جوفِها بَيْضاً قطُّ . فإن كان هذا الخبرُ عن هذا الرجُلِ المذكُورِ بشدَّةِ العقل . المنعوتِ بثُقُوب الفِراسة ودِقَّةِ الفطنة صحيحاً ، فما أعظَمَ المصيبةَ علينا فيه ، وما أخلَقَ الخبرَ أن يكون صحيحاً ، وذلك أنّى سمعتُ له كلاماً كثيراً من تصنيف الحيوانِ وأقسامِ الأجناس ، يدلُّ على أنَّ الرجلَ حينَ أحسَنَ فى أشياءَ وَهَمه العُجْبُ بنفسِه أنَّه لا يَروم شيئاً فيمتنعُ عليه ، وغرَّه مِن نفسِه الذى غرَّ الخليل ابنَ أحمد ، حينَ أحسَنَ فى النحوِ والعَرُوض ، فظنَّ أنَّه يُحسِن الكلامَ وتأليفَ اللُّحون ، فكتبَ فيهما كتابَين لا يُشِير بهما ولا يُدلُّ عليهما إلاَّ المِرَّة المحترِقة ، ولا يؤدى إلى مثل ذلك إلاَّ خِذلانٌ من الله تعالى ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يُعجزه شىء .

(بيض الشبوط وتناسله)

والشَّبُّوط — حفظك الله تعالى — جِنسٌ كثيرُ الذكور قليلُ الإناث ، فلا يكون إناثه أيضاً يجمعْن البيض ، وإذا جمعنَ فلو جمعتَ بيضَ عشرٍ منهنَّ

(١) ط : « الخزال » والصواب « الخدال » كما فى ل . والخدال : جمع خدلة ، وهى الممتلئة الأعضاء لحما فى رقة عظام .

Marfat.com

لَمَا كان كشَطْر بَيضِ بُنَيَّةٍ واحدة . وقد رأيتُ بَيْضَ[1] الشَّبُّوط وذقته للتعرُّف فوجدته غيرَ طائل ، ولا مُعجِب . وكلُّ صيَّادٍ تسأله فهو يُذْبيك أنّ له بيضاً ، ولكنَّه إذا كانَ يكونُ ضئيلاً قليلا . لأنَّ الشبابيطَ في أصل العدد من أقلِّ السمك . وكذلك الجنس منه إذا كانت الأنثى منه مذكارا .

(موطن الشبوط)

على أنّه رُبَّ نهرٍ يكونُ أكثرُ سمكه الشَّبُّوط . وذلك مثل [illegible] رَامَهُرْمز . والشَّبُّوط لا يترقى في البحر . [illegible] والأنهار . ويكره الماء الملح ويطلب الأعذب فلا [illegible] الجاري . ولا يكون في الساكن . وسنذكر شأنه في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(رد على ما زعموا في [illegible])

[illegible]

ما قال[2] [illegible]

والسَّلام الغريب أحذق . وصاحبُ [illegible]

وصاحب [illegible] يخلب على [illegible]

الذي [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

الخلق . فالجاموس بالفارسية كاوماش . وتأويله ضأنيّ بقريّ ؛ لأنهم وجدوا فيه مشابهةَ الكبش وكثيراً من مشابهة الثور . وليس أنّ الكِباشَ ضربت فى البقر فجاءت بالجواميس .

(رأى للفرس فى تقسيم الحيوان)

وزعم الفرسُ أنّ الحيوان كلَّه الذى يلد حيوانا مثلَه ممّا يمشى على أربع قوائم . لا تخلو أجناسها من المعز والضأن . والجواميسُ عندهم ضأن البقر . والبُخْت عندهم ضأن الإبل . والبَراذين عندهم ضأن الخيل .

(زعم فى الإبل)

والناس يقولون فى الإبل أقاويلَ عجيبةً : فمنهم مَن يزعمُ أن فيها عِرقا من سفاد الجنّ . وذهبوا إلى الحديث : أنهم إنما كرهوا الصلاة فى أعطان الإبل لأنها خُلِقَتْ من أعنان الشياطين[1] فجعلوا المثلَ وانحاز على غير جهته . وقال ابن ميّادة :

فلما أتانى ما تقولُ مُحارِبٌ تغنَّتْ شياطينٌ وجُنَّ جُنونُها

---

(١) قوله : أعنان ، وهو تحريف صوابه فى ل والمسان وابن الأثير . ذكر ابن منظور أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الإبل فقال : « أعطان الشياطين لا تقبل إلا مولية ... ولا مبركا ... قال ابن منظور : وبهذا أرد أنا على أخلاق الشياطين . وحقيقة لأعطان ... قال ابن الأثير : وإنما قال لأنها لشاكلة قوتها من نزوات الشيطان فى أخلاقه وطباعه . وفى حديث آخر : لا تصلوا فى أعطان الإبل لأنها خلقت من الشياطين » .

Marfat.com

قال الأصمعى : المأثور من السيوف الذى يقال : إنّ الجنَّ عملته .

وهم يسمُّون الكِبر والحُنزُوانةَ والنَّعَرة التى تضاف إلى أنف المتكبّر شيطانا ، قال عمر : حتى أنزعَ شيطانَه ، كما قال : حتى أنزِع النَّعَرة التى فى أنفه[1] . ويسمُّون الحيَّةَ إذا كانت داهية منها شيطانا ، وهو قولهم : شيطان الخَمَاطة[2] . قال الشاعر :

تعالج منّى حَضرمىٌّ كأنه تَعَشُّجُ شيْطان بأى خروعٍ تفُرّ

شبَّه الزّمامَ بالحيَّة . وعلى مثل ذلك قال الشاعر :

شناحيةٌ فيها شناحٌ كأنّ حبابَ بكفّ الشأو من سَمْع حشرّ

والحباب : الحية الذكر . وكذلك لأيم . وقد نهى عن الصلاة عند غيبوبة الشمس . وعند طلوع الفجر إلى أن يرتفع ذلك . وفى الحديث « إنه تطلع بين قرنى شيطان » .

[ضرورة حذق اللغة لعالم ومتكلم]

Marfat.com

معانيهم وإرادتهم . ولتلك الألفاظ مواضعُ أُخَرُ ، ولها حينئذ دَلالات أخر ؛ فمن لم يعرفْها جَهِل تأْويلَ الكتابِ والسُّنَّة . والشاهدِ والمثلِ ؛ فإذا نظَر فى الكلام وفى ضروبٍ من العلم . وليس هو من أهل هـذا الشأْن . هلك وأهلك .

(الإبل الوحشية)

وزعم ناسٌ أنَّ من الإبل وحشيًّا وكذلك الخيل ، وقاسوا ذلك على الحمير والسَّنانير والحمام وغيرِ ذلك[1] ، فزعموا أنَّ تلك الإبلَ تسكنُ أرض وَبَارٍ ، لأنَّها غيرُ مسكونة . ولأنَّ الحيوانَ كلَّما اشتدَّت وحشيَّته كان للخلاء أطلب . قالوا : وربَّما خرجَ الجملُ منها لبعضِ ما يعرِض . فيضرب فى أذن دَجْمةٍ من الإبل الأهلية . قالوا : فالْمَهْرِيَّةُ من ذلك النِّتاج .

وقال آخرون : هذه الإبلُ الوحشيَّة هى الحُوش . وهى التى مِن بقايا إبل وَبَارٍ . فلمَّا أهلكهم الله تعالى كما أهلك الأمَم مثلَ عادٍ وثمودَ والعمالقة وطَسْمٍ وجَدِيسَ وجاسم . بقيَتْ إبلُهم فى أماكنهم التى لا يَطْوِرها إنْسِىٌّ[2] فإن سقَطَ إلى تلك الجِيزة بعض الخلعاء[3] ، أوْ بَعْضُ من أضلَّ الطريق حشَت[4]

(١) ط : « وقاسوا ذلك من حمير والسنانير وما سوى ذلك من الحمير والسنانير والحمام وغير ذلك » . وفى ل : « وقاسوا ذلك على الحمير ، والسنانير وغير ذلك » . وقد أثبت القول كما ترى .

(٢) كذا فى ل . وطار المكان يطوره طوراً وطوران : حام حوله . وفى ط : « لا يرتدها أحد » . قال فى القاموس : « وطردتهم : أتيتهم وجزتهم » فالعبارتان سليمتان .

(٣) ط : « الجزيرة » موضع « الجيزة » و « الخلفاء » موضع « الخلعاء » . وما فى ط : تصحيف . والجيزة : الناحية .

(٤) ط : « حشا » .

Marfat.com

الجنُّ فى وجهِه ؛ فإنْ ألحَّ خبَلته ؛ فضَربَتْ هذه الحوش [١] فى العُمَانيّة ؛ فجاءَت هذه المَهْرِيَّة ؛ وهذه العسجديَّة التى تسمى الذهبيَّة .

وأنشدنى سعدان المكفُوف [٢] عن أبى العميثل قول الراجز [٣] :

ما ذمَّ إبلِى عَجَمٌ ولا عَرَبْ جُلودُها مثلُ طَواويسِ الذَّهَبْ

وقال الآخر [٤] :

إذا اصطكَّتْ بفَيْفِ حَجْرَتاها تلاقى العَسجديّةُ والعَقِيمُ

والعسجد من أسماء الذهب .

قالوا : وإنَّما سُمِّيتْ صاحبةُ يزيدَ بن الطَّثَرِيَّة خوشيّةً على هذا المعنى .

وقال رؤبة :

جرت رحانا فى بلاد الحوش [٥]

---

(١) ط : [illegible]

(٢) ط [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

Marfat.com

(رد على ما زعموا من مطر الضفادع والشبابيط)

وأما الذى زعم أنَّهم مُطِروا الشَّبوط . فإنه لما ظنّ أنَّ الضفادعَ التى تُصابُ بعَقِبِ المطر ، بحيثُ لا ماءٌ ولا وحلٌ ولا عينٌ ولا شريعة — فإنهم ربَّما رأوها وسط الدَّوِّ والدَّهناء والصَّمّان[1] — ولم يشكَّ أنَّها كانت فى السحاب وعلم أنَّها تكون فى الأنهار ومنابع المياه ، وليس ذلك من الذكر والأنثى ، قاسَ على ذلك الظنِّ السمك ، ثم جسَرَ فجعلَ السمكَ شَبُّوطا . وتلك الضفادعُ إنما هى شىءٌ يُخلَق تلك الساعة ، من طباع المـاء والهواء والزمانِ وتلك التُّرْبة ، على مقاديرَ ومقابلات ، وعلى ما أجرى الله تعالى عليـه نشأة الخلق .

(امتناع التلاقح بين بعض الأجناس المتقاربة)

وقد تُصرف القرابةُ التى تكون فى رأى العين بين الشكلين من الحيوان فلا يكون بينهما تسافدٌ ولا تلاقح . كالظِّ أن والمعز ، وكالفأر والجُرْذان ، فليس بالعجيب فى البقر والجواميس أن تكون كذلك . وقد رأينا الخلاسىَّ من الدجاج والدَّيَكة ، وهو الذى تخلَّقَ من بين المولَّدات والهِنديَّات ، وهى تحمل اللحم والشحم .

وزعم لى مسعود بن عيّان . أنه أهدى إلى عمرو بن مَسْعَدة ، دجاجة وزُرِقَ عليها سبعة عشر فطلا بعد طرح الأسقاط وإخراج الحشوة .

ط ... الضمان ، والصواب ... الضمان : كل أرض صلبة ...

Marfat.com

(أثر زواج الأجناس المتباينة من الناس)

ورأينا الخِلاسيَّ من الناس . وهو الذى يتخلَّق بين الحبشىِّ والبيضاء . والعادةُ من هذا التركيب أنّه يخرج أعظمَ من أبويه وأقوى من أصليه ومثمريه . ورأينا البَيْسَرىَّ[1] من الناس . وهو الذى يُخلَق من بين البيض والهند . لا يخرج ذلك النَّتاجُ عن مقدار ضخم الأبوين وقوّتهما . ولكنه يجىء أحسن وأملح . وهم يسمُّونَ[2] الماءَ إذا خالطته الملوحة بيسراً[3] قياساً على هذا ٧٢ التركيب الذى حكَينا عن البيض والمذليّات . ورأينا الخِلاسىَّ من الكلاب وهو الذى يُخلَق بين الدَّلْمُوقىِّ وكلب الراعى . ولا يكون ذلك من الوِلْدان والقاطى[4] . ومن كلاب الدُّور والحرس . وهو يزيد فى الشبه والجسم وفى غيرهما من الخلق على الكلب الذى من أحد الأبوين .

(تحويل الماء الملح عذباً)

[illegible]

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

Marfat.com

(أثر النبيذ فى عمر الإنسان)

وكان عثمانُ ماش ويزال وجذعان[1] . يذكرون أنّهم عدُّوا أربعينَ فتًى مِنْ فتيانِ قريش وثقيف أعذارَ عامٍ واحد فأحصَوْا عشرينَ من قريش، وعشرين من ثقيف . وتوخَّوا المتجاورين فى المحلَّة والمتقاربين فى الدُّور، من الموفَّرين على النبيذ . والمقصورين على التنادُم . وأنّهم أحصَوا مثلَ ذلك العدد وأشباهَ أولئك فى السِّنّ ممّن لا يذوق النبيذَ ولا يعرفُ شراباً إلا المَاءَ . فذكروا أنّهم وجدُوا بعدَ مرورِ دهرٍ عامَّةَ من كان يشرَبُ النبيذَ حيًّا . ومن لا يشربه قد مات عامَّتُهم . وكانوا قد بلغوا فى السنّ . أما عثمان ويزال[2] فكانا من المعمَّرين . وقد رأيتهما جميعاً ولم أسمع هذا منهما ، وسنأتى على هذا الباب فى موضعه من ذكر المعمَّرين . ونميّز الصدقَ فيه من الكذب ، وما يجوز وما لا يجوز إن شاء الله تعالى .

(بعض ما يعرض للخصيان)

وما أكثر ما يعرض للخصيان البولُ فى الفراش وغير ذلك . ولا سيّما إذا بلغت أحلامهم مُنتشئين النبيذ .

ويعرض لهم أيضاً حبُّ الشراب والإفراط فى شهوته وشدّة النَّهم .

ويعرض لهم أيضاً إيثار المُخَنَّس[3] وحبُّ الصَّرْف . وذلك أيضاً

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) ط : [illegible] وفى ب : مخنس . وهى تحريف . المثبت . والمخنس : الذكر الذى قطع إحدى أنثييه .

Marfat.com

ممّا يعرض للنساءِ . والإفراط فى شهوتهنَّ وشدَّة الهمَّة لَهُنَّ والغيرة عليهنَّ . ويحتلمون . ويَجنُبون ويغتسلون . ويرون الماءَ غير الرائق ولا الغليظ . الذى له ريح طلع النُّحَّال[1] .

ويعرض للخصىّ شدَّة الاستخفاف بمن لم يكن ذا سلطان عظيم أو مال كثير أو جاهٍ عريض . حتّى ربمّا كان عند مولاه بعض من عسى أن يتقدَّم هؤلاء المذكورين الذين يكون لخصىٍّ كلفاً بهم ويتعظيمهم . ومُغرَماً بخدمتهم . فى الأدبِ والحسب . وفى بُعْد الهمّة وكثرة الفضيلة . فيعمل عند دخول ذلك الرجل الذى له السلطان وجده ولك إلى مسلك ١٣
هذا الأديب المكرم . والحسيب الشريف . فى [illegible]
غير مخلص بذلك ولا مكترث [illegible]
من فى بعيد . وإن كان ذلك [illegible]
وإن كان يعلم هذا الأديب [illegible]
المؤمن وصاحب [illegible]

القول فى [illegible]

[illegible]

Marfat.com

فذلك جائز ، وسبيلُه سبيل المِيسَم . فَإنّ المِيسم نار ، وأَلمه يجوزُ كلَّ ألم . وقد رأينا إبلَ الصدَقة موسُومة . ووسَمَت العربُ الخيلَ وجميعَ أصنافِ النَّعَم في الإسلام ، على مِثل صنيعِها في الجاهليَّة . وقد كانت القَصواءُ ناقة النبي صلى الله عليه وسلم موسومة . وكذلك العضباءُ .

(أقوال في وسم الحيوان)

وقال آخرون : الخِصاء غيرُ شبيه بالمِيسم ؛ لأنَّ في الخصاء من شدَّة الألم ، ومن المُثْلة ، ومن قطْع النَّسْل ، ومن إدخال النقصِ على الأعضاء ، والنقصِ لمرادِ القِرى ، ما ليسَ في المِيسم وغيرِه ، وهو بقطع الأَلية أشبَه . والسِّمَةُ إنَّما هي لَذْعة ، والخِصاءُ مجاوِزٌ لكلِّ شديدة[1] .

قال القرم : ولا بأسَ بقطع الأليةِ إذا منَعت بِثِقَلِها أو عِظَمِها الشاةَ من الْتحاقِ بالقطيع وخِيف عليها من الذئب . وقطعُ الأليةِ في جواز العقول[2] أشبهُ من الوسم ، لأنَّ المِيسمَ ليس بكبير فيه ، وإنَّما اللحظُ فيه لربِّ الماشية ، وقطعُ الأليةِ من شكل الختان . ومن شكل البَضْع[3] والتصْلِيد ، ومن جنس الرَّجُور والبيضة ، ومن جنس القَدْود[4] والحجامة ، ومن جنس الشكِّ عند الخروج . وقطعُ الجارحة إذا خِيف عليه الأكلة .

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) البضع : [illegible]

(٤) القدود : [illegible]

Marfat.com

(وسم الابل)

قال الأوَّلون : بل[1] لعمرى إنَّ للإبل فى السِّمات لأعظمَ المنافع ؛ لأنَّها قد تشْرَب بِسماتها ولا تُذَاد عن الحوض إكراماً لأربابها ؛ وقد تضِلُّ فتُؤْوَى ؛ وتُصاب فى الهُوَاشات[2] فتُرَدّ .

قالوا : فإنا لانسألكم إلّا عن سماتِ الخيلِ والبغالِ والحمير والغنم . وبعدُ فكيف نستجيز أنْ نَعمَّها بالإحراق بالنار ؛ لأمر عسى ألّا يحتاج إليه من ألفِ بعيرٍ بعيرٌ واحد ؛ ثم عسى ألّا يحتاج [من جميع] ذلك فى جميع عمره [إلّا] إلى شَرْبة واحدة .

وقال القوم : إنّما الميسم فى النَّعم السائمة كالرُّقوم فى ثياب البَزَّاز ؛ ومتى ارتفعت الرقومُ ودُنِعت مياسم . خلطَت لأموال . وإذا اختلطت أمكَن فيها الظلم . ومطلوبٌ بذلُ نفسه دونَ مَعيشته[3] وقضيمة .

وقالوا : ليس قطع لالية كخِصَاءة وكالشىء مصبور . وقد نُهينا عن تحريق الوجوه . وقيل لهم : لاتعذّبوا بعذاب الله تعالى . وليس نار . وقطع الالية من شكل قطع العروق . وصاحبُ الخِصَاءة يقدر أن يرمى إلى ذلك تعلُّم الرماية . شيئ لا يأمن معه على نفسه عن تعذيبه . فى كل ذلك الشىء مصبور من العذاب قد نهينا عن الوجوه .

---

(١) ... (٢) ... (٣) ... (٤) ...

Marfat.com

(القول فى نقص بعض أجزاء الحيوان أو نقضها أو إيلامها)

وقال آخرون : ليس لك أن تُحدِث فى جميع الحيوانِ حدَثاً من نقْضٍ أو نقص أو إيلام ، لأنك لاتملك النشأة [١] ، ولا يمكنك التعويضُ له ؛ فإذا أذِن لك مالك العين ، بل مخترعه ومنشئ ذاته والقادر على تعويضه ، وهو الله عزَّ وجلَّ ، حلَّ لك من ذلك ما كان لايحلّ . وليس لك فى حُجَّة العقل أن تصنعَ بها إلّا ما كان به مصلحةٌ ، كعلاج الدَّبَر [٢] وكالبيطرة .

وقال آخرون : لنا أن نصنعَ كلَّ ما كان يُصنَع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعدَه ، ممّا لم يكن مدفوعا [٣] عندَ بعضِهم ، إلّا أن يكون نَهْيُ ذلك البعضِ من جماعتهم [٤] ، فى طريق الخلافِ والردِّ والمفارقَة ولا يكون عندهم قولًا من الأقاويل ؛ فإنَّ ذلك فى سبيل العلاج بعد أن كان المتكلِّف يَعْرِفُ وجهَ الملام . والمذهب فى ذلكَ معروف [٥] ؛ وإن كان خارجا من ذلك الحدِّ . فقد علمنا أنَّه أُبيح من طريق التعبُّد والمحنة ، كما جعل الله تعالى لنا ما أحلَّ ذبحَه من البهائم . وكما جعَل لنا أن نقتُل القملَ والبراغيثَ والبعوض . وإن لم يكن منها إلّا مقدارُ الأذى فقط . والقتل لايكون قصاصا من الأذى . ولكن لمَّا أباح لنا خالقُ الشىء

---

(١) ب : « الشىء » .

(٢) ط : « كصلاح الدين » وهو تحريف عجيب صوابه فى ل .

(٣) ط : « مرفوعا » وتصحيحه من ل .

(٤) فى ك ط : « عن جماعتهم » .

(٥) ل : « يعرف وجه العلاج فالمذهب ... الخ » .

Marfat.com

والقادرُ على تعويضه قتلَه ، كان قتلُه أسوغَ فى العقل مع الأذى . مِنْ ذبح البهيمة مع السلامة من الأذى .

قال : وليس كل مؤذٍ ولا كل [ذى] أذى[1] حكم الله تعالى فيه بإباحة القتل . والله عزَّ وجلَّ . بمقادير الأمورِ وبحكم المختلِف والمتَّفِق . والقليلِ من ذلك والكثير . أحكَمُ وأعلم .

وقد أمرَ الله تعالى إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام . بذبح إسحاق أو إسماعيل عليهما الصلاة والسلام . فأطاع الوالدُ وطاوع الولد .

والجواب الماضى إنما هو[2] قول من قال بالتعويض . أو هو قول النظَّام . وأكثرُ المتكلِّمين يعترضون عليه فيه .

(منع خصاء الإنسان وإباحته)

ولا يزال [illegible] ٧٥

والبياعة . ويذكرون خصى [illegible]

النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه [illegible]

قالوا : فقد ثبت عنه الصلاة والسلام [illegible]

بأنه خصى . وأنتم تقولون إن خصاء [illegible]

خصيًا ثم زاد على قيمته وهو صحيح . فقد [illegible]

ورغب فيه . وقد ثبت أن الخصاء [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

فهو شريكُ الخاصى فى الإثم ، وأنَّ حالَه كحال المعروفين بالابتياع من اللصوص . وقلتم : وكذلك من شهد القِمار[1] وهِراشَ الكلاب ، ونِطاحَ الكِباش وقتالَ الديوك . وأصحاب المجارحات[2] وحرب الفئتين الضالَّتين . وقلتم : لأنَّ هذه المواضعَ لو لم تحضرها النَّظَّارةُ لما عمِلوا تلك الأعمال ، ولو فَعلوها ما بَلغوا مقدارَ الشَّطر ، لغلَبة الرياءِ والسُّمعة على قلوبِ الناس ، فكذلك الخاصى . والمشترى ، والمبتاع من المشترى ، شركاءُ متعاوِنون ، وخُلَطاءُ مترادفون . وإذا كان المبتاع يَزيد فى السِّلْعة لهذه العلَّة ، والبائع يزيد فى السَّوْم لهذا السبب . وقد أقررتم بأنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قد قَبِل له من المقوقس . كما قبلَ مارية ، واستخدمه ، وجرى عليه ملكُه وأمرُه . فافهمْ — فهّمك الله تعالى — ما أنا مجيبٌ به فى هذه المسألة . والله الموفِّقُ . وعلى الله قَصْدُ السبيل .

أقول : قبلَ كلِّ شىء لايخلو هذا الحديث الذى رويتموه من أنْ يكون مرضىَّ الإسناد ، صحيحَ المخرج ، أو يكونَ مسخوط الإسناد ، فاسدَ المخرج . فإن كان مسخوطاً ، فقد بطلت المسألة ، وإن كان مرضيًّا ، فقد علمنا أنّه ليس فى الحديث أنَّه قَبِله منه بعد أنْ علِم أنَّه خصىٌّ ، وعلى أنَّ قبولَ الهديّة خلافُ الابتياع ، لأنَّ بائعَ الخصىِّ إنّما يحرُم عليه التماسُ الزيادة ، وكذلك المبتاعُ إنّما يحرم عليه دفعُ الزيادة إذا كان لو سلم إليه بذلك الثمن فعلا أجملَ منه وأشبَّ وأخدمَ منه لم يزدْه ، والبائع أيضاً لا يَستام بالفعل سَوْمَه بالخصى . وقبول الهدية . وقبول الهِبَة . وسبيلُ البيع والابتياع

---

(١) ل : « السعايين » .
(٢) ط : « المخرجات » .

Marfat.com

لا بأس به إذا كان على ما وصفنا ؛ وإنَّما هديَّة الخصيِّ كهديَّة الثوب والعِطر ، والدابَّةِ والفاكهة . ولأنَّ الخصيَّ لايحرم مِلكُه ولا استخدامُه ، بل لايحلُّ طرده ونفيُه ، وعتقُه جائز ؛ وجوازُ العِتق يوجب الملك . ولو باعه المالك على غير طلبِ الزيادة ؛ أو لو تاب من الخِصاء أو استحلَّه مما أتى ٧٦
إليه ؛ لَمَا حرم على الخاصي نفسِه استخدامه . والخصيُّ مالٌ ومِلك ، واستخدامه حسَنٌ جميل ؛ ولأنَّ خِصاءه إيّاه لايَعتِقه عليه ، ولا يُزيل عنه ملكه إلا بمثل ما وَجَبَ به مِلكُه[1] .

وأخرى : أنَّ في قَبول هديَّةِ ذلك لمِلكِ . وتلقّى كرامتِه بالإكرام تدبيراً وحكمة . فقد بطلت المسألة . والحمدُ لله كما هو أهله .

وقد رووا مع ذلك أيضا : أنَّ زِنباعاً الجذاميّ . خصَى عبداً له . وأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أعتقَه عليه فيما بلغنا . والله أعلم .

ورُبَّما سألوا عن الشيء وليس لقولٍ فيه يقع في المسألة قولٌ في الخصيّ . وهي خلْق مركَّب . ولكنْ إذا قد تحيَّنا في مسألة كلاميَّة من مسائل الطعْن في النبوّة . فلا بأس أن نضيف إليها أخرى . ولا سيَّما إذا لم تَطُلْ فتزيد في طول الكتاب .

وقد لايزال الطاعن يقول : قد سمعنا أنَّ بعض [illegible] بالفجور[2] وقريش خاصَّة . إلا أنَّ القتل في [illegible] خيراً كان عندهم فجوراً . وثلاث خصال قد [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

Marfat.com

وعلى آله . وهو ابن أربعَ عشرةَ سنةً ، وابن أربعَ عشرة سنة يكونُ بالغا ، وقال : « شَهِدْتُ الفِجارَ فكنْتُ أنبُلُ على عمومتى » .

وجوابنا فى ذلك : أنَّ بنى عامر بن صعصعة . طالبوا أهلَ الحرَم من قريشٍ وكِنانة . بجريرة البرَّاض بن قيس . فى قتله عروة الرحَّال . وقد علموا أنَّهم يُطالِبون مَنْ لم يجنِ ومن لم يعاونْ . وأنَّ البرَّاض بنَ قيس كان قبلَ ذلك خليعاً مطرودا . فأتوَهم إلى حَرَمهم يُلزِمونهم ذنبَ غيرهم ، فدافعوا عن أنفسِهم . وعن أموالهم . وعن ذراريهم . والفاجر لايكون المسْعِىَّ عليه . ولذلك أشهدَ الله تبارك وتعالى نبيَّه عليه الصلاة والسلام ذلك الموقف . وبه نُصروا كما نُصِرت العربُ على فارسَ يومَ ذى قارٍ . به عليه الصلاة والسلام وبمخرجه . وهذان جوابان واضحان قريبان . والله الموفِّق للصواب . وإليه المرجع والمآب .

(محاسن الخصى ومساويه)

ثم رجعَ بنا القولُ إلى ذكرِ محاسِن الخصىّ ومساويه[1] .

الخصىُّ ينْكِحُ ويتّخذ الجوارىَ ويشتدُّ شغفه بالنساء . وشغفُهنَّ به . وهو وإن كان مجبوبَ العضو فإنّه قد بقى له ما عسى أن يكون فيه من ذلك ما هو أعجبُ إليهنّ . وقد يحتلم ويَخرجُ منه عند الوطء ماءٌ . ولكنَّه قليلٌ . متغيِّر الريح . رقيقٌ ضعيف . وهو يباشِرُ بمشقّة . ثم لايمنعه من المعاوَدة الماءُ ٧١ الذى يخرج منه إذْ كان قليل المقدار[2] لايخرجه من القوّة إلى الضعف .

---

(١) انظر المحاسن والمساوى للبيهقى ٢ : ٢٠٧ - ٢١٣ .

(٢) فى الأصول : « إذا كان قليل المقدار » .

Marfat.com

مثل الذى يعترى من يخرج منه شيء يكون من إنسان. وهو أخثرُ . وأكثر. وأحدُّ ريحا . وأصحُّ جوهراً .

والخصىُّ يجتمع فيه أُمنيَّةُ المرأة. وذلك أنّها تبغض كلَّ سريعِ الإراقة. بطيءِ الإفاقة . كما تكره كلَّ ثقيلِ الصدر . وخفيف العَجُز . والخصىُّ هو السريع الإفاقة . البطيء الإراقة. المأمونُ الإلقاح. فتقيمُ المرأةُ معه. وهى آمنة العار الأكبر . فهذا أشدُّ لتوفير لذّتها وشهوتها . وإذا ابتذلن الخصيان . وحَقَرن العبيد . وذهبت الهيبةُ من قلوبهنّ . وتعظيمُ البعول . والتصنُّع للرجال الأقدار باجتلاب الخياء وتكلُّف الخجل . ظهر كلُّ شيء في قوى طباعهنّ وشهواتهنّ . فأمكنهَا التخيير[1] والصياح . وأن تكون مرّة من فوق . ومرة من أسفل . وصحت النفسُ بمكنونها . وانتهرت نفسي عنه .

وقد تجد في النساء من تؤثر النساء . وتجد فيهن من تؤثر الخصيان . وتجد فيهن من تؤثر ولا تخصُّ . وكذلك شأن الرجل في الحب . فمن [illegible] تنازع إلى الخصى لأن أمره [illegible] منه . ولأن ذلك حرمة عليها [illegible] المتناع . وجاذب أقوى كما [illegible] ابن عُبيد[2] : لم أختر [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

وزادها كَلَفاً بالحبِّ أَنْ منعَتْ وحَبُّ شيءٍ إلى الإنسان مامُنِعا[1]

والحرصُ على الممنوعِ بابٌ لايَقْدِر على الاحتجاز منه ، والاحتراسِ من خُدَعه . إلَّا كلُّ مبرِّز فى الفطنة ومتمهِّل [فى] العزيمة ، طويلِ التجارب ، فاضِلِ العقل على قُوَى الشهوات . وبئس الشيءُ القرينُ السوء . وقالوا : صاحب السُّوءِ قِطعةٌ من النار .

وبابٌ من هذا الشكل . فَبِكم أعظَم حاجةٍ إلى أن تعرفوه وتقِفُوا عندَه ، وهو مايصنع[2] الخبرُ السابق إلى السمع ، ولا سيَّما إذا صادفَ من السامع قلَّةَ تجرِبة . فإنْ قرَن بين قلَّة التجربةِ وقلَّةِ التحفُّظِ ، دخل ذلك الخبر السابقُ إلى مستقرِّه دُخولًا سهلًا ، وصادفَ موضعاً وطيئا . وطبيعة قابلة ، ونفسا ساكنة ؛ ومتى صادفَ القلبَ كذلك ، رسَخَ رسوخاً لاحيلة فى إزالته . ومتى أُلقِيَ إلى الفِتيان شيءٌ من أمور الفَتيات ، فى وقت الغَرارةِ ، وعند غلَبةِ الطبيعة ، وشبَابِ الشهوَةِ ، وقلَّة التشاغل ؛ وكذلك متى أُلقِي إلى الفتيان شيءٌ من أمورهنَّ وأُمُورِ الغِلْمان . وهناك سُكْر الشَّباب ، فكذلك تكون حالهم . وإنَّ الشُّطَّار لَيخلُو أحدُهم بالغلام الغَرير فيقول له : لايكون الغلامُ فتًى أبداً حتَّى يصادِقَ فتًى [وإلَّا فهو تِكش ، وتكش عندهم الذى لم يؤدِّبه فتًى ولم يخرِّجه] ، فما الماءُ العذْبُ البارد ، بأسرعَ فى ضياع العطشان ، من كلمته ، إذا كان للغُلام أدنى هوًى فى

---

(١) ط : « أحب » ، وهو المشهور فى الرواية وما فى ل هو مأثبت . وفى عيون الأخبار ٢ : ٣ : « وزده » موضع « وزادها » وصواب الرواية « وزادنى » ؛ فإن البيت لرأحيوص كما فى الأغانى ١١ : ٢٢ . وقبله :

كم من دنى لنا قد صرت أتبعه ونحو صحبى تقلب عنه كان لى تبعا

(٢) ط : « يضع » .

Marfat.com

الفتوَّة[١] ، وأدنَى داعيـةٍ إلى المنالة[٢] . وكذلك إذا خلَت العجوز المدربة[٣] بالجارية الحَـدَثة [كيف تخلبها . وأنشدنا :

فأتتْهـا طَبَّـــةٌ عالمـةٌ تخلط الجِـدَّ بأصنافِ اللعبْ
ترفعُ الصوتَ إذا لانت لها وتَنَاهى عند سَورات الغَضَب]

وقال الشاعر[٤] فيما يشبهُ وقوعَ الْخَبَرِ السابق إلى القلب :

نقِّلْ فؤادَكَ حيثُ شِئْتَ مِنَ الهوى ما الحبُّ إلاَّ للحبيبِ الأوَّلِ
كم منزلٍ فى الأرضِ يألَفُه الفتَى وحنينُه أبدا لأوَّلِ مَنْزِلِ

وقال مجنون بنى عامر :

أتانى هَوَاهَا قَبْلَ أنْ أعرِفَ الهوَى فصـادفَ قلبا خاليا فتمكَّنَا

(أثر التكرار فى خلق الإنسان)

---

(١) فى : ...

(٢) فى : ...

(٣) فى : ...

(٤) فى : ...

(٥) فى : ...

Marfat.com

نفساً . وأوضعَهم حسَباً ، قال لامرأةٍ قد تمكَّنَ من كلامِها ، ومكَّنته من سَمْعِها :
وٱللهِ يامولاتى وسيِّدتى . لقد أسهَرْتِ ليلى . وأرَّقْتِ عَينى ، وشغلْتِنِي عن
مُهِمِّ أمرى . فما أعقِلُ أهلاً . ولا مالاً ، ولا ولداً ؛ لنَقَص طِباعَها ، ولفسَخ
عَقْدَها . ولو كانتْ أبرعَ الخلْقِ جمالاً . وأكملَهم كمالاً . وأملحهم مِلحا .
فإنْ تهيَّأَ مع ذلك مِن هذا المتعشِّق . أنْ تدمَع عينهُ ، احتاجت هــذه المرأة
أن يكون معها وَرَعُ أمِّ ٱلدرداء . ومُعاذة العدويّة . ورابعةَ القيسيَّة ، ،
والشجّاء[1] الخارجيَّة .

(زهد الناس فيما يملكونه ورغبتهم فيما ليس يملكونه)

وإنَّمَا قال عمر بن الخطَّاب رضى ٱلله تعالى عنــهُ : " اضربُوهنَّ
بالعُرْى " لأنَّ الثيابَ هى المدعاةُ إلى الخُرُوج فى الأعراس . والقيامِ فى
المَناحات . والظهورِ فى الأعياد . ومتَى كثُر خروجُها لم يعدَمها أن ترى من
هو من شكل طبعها . ولو كان بعلُها أتمَّ حسنا . وٱلذى رأتْ أنقَصَ حسنا ،
لكان مالا تملكه . أطرفَ ممَّــا تملكُه . ولكان ما لم تنلْه . ولم تستكثر
منهُ . أشدَّ لها اشتغالا وأشد لها اجتدابا . ولذلك قال الشاعر :

٧٩ ولِلعين مَلْهًى بالتِّلاد ولم يقُدْ هوى النفس شيءٌ كاقتيادِ الطرائِف[2]

وقال سعيد بن مسلم : لأَن[3] يرى حرمتى ألفُ رجل على حالٍ تكشَف

---

(١) ن : « الشيخ » وصوابه « الشجاء » كما فى ط . وهذا حديث مع زياد فى الأمالى ٣ : ١٧٤ .
(٢) ط : « ولم يقد » بدل « لم يقد » و « كاقتياد » موضع « كاقتياد » .
(٣) ط : « لئن » .

Marfat.com

منها وهى لا تراهم ، أحبُّ إلىّ من أن ترى حُرْمتِي رجلاً واحـداً غيرَ منكشف .

وقال الأوَّل : لا يضرُّك حُسْنُ من لم تعرف ؛ لأنَّك إذا أتبعتها بصَرك . وقد نقضت طبعك . فعلمْتَ أنَّك لا تصـل إليها بنفسك ولا بكتابك ولا برُسولك . كان الذى رأيت منها كالحلم . وكما يتصور للمتمنّى . فإذا انقضى ما هو فيهِ مِنَ المنى [1] . ورجعت نفسُه إلى مكانها الأوّل . لم يكن عليه من [فقدها إلاّ مثلُ] فقد ما رآه فى النوم . أو مثلُه لـ[illegible] [2] .

(عقيل بن علفة و بناته)

وقيل لعَقِيل بن عُلْفة [3] : لو زوّجت بناتك ! [illegible]

وَضَم إذا لم يكنَّ غانيات ! ! قال : كلا . [illegible]

وأُعْرِيهنّ فلا يظهرْن [4] ! ! فى وقت الحـ[illegible]

وسلّم [illegible] فقلت لأخرى قال [illegible]

وسلّم قال [illegible]

وقد جاء [illegible]

---

(١) ط [illegible]

(٢) ط [illegible]

(٣) ط [illegible]

(٤) ط [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

وقد أتينا على هذا الباب فى الموضع الذى ذكرنا فيــه شأن الغيرة ، وأوَّلَ الفسادِ . وكيف ينبُت ، وكيف يُحصَد .

(بعض ميول الخصيان)

وقد رأيتُ غيرَ خَصِيٍّ يتلوَّط ، ويطلب الغلمان [فى المواضع ، ويخلو بهم ويأخذهم] على جِهة الصــداقة . ويحمل فى ذلك الحديد ، ويقاتل دون السخول [1] ، ويتمشى مع الشطَّار .

وقد كانَ فى قطيعةِ الربيعِ خصىٌّ أثيرٌ عنــدَ مولاه ، عظيم المنزلة عنده ، وكان يثِق به فى مِلْكِ يمينِه ، وفى حُرَمه من بنتٍ وزوجَةٍ وأختٍ ، لا يخصُّ شيئاً دونَ شىء . فأشرَفَ ذاتَ يومٍ على مِرْبَدٍ له ، وفى المِربد غنمٌ صغايا ، وقد شدَّ يدَى شاةٍ وركبها من مؤخَّرها يكُومُها ، فلمَّا أبصره بَرِقَ وَبَعِل [2] وسُقِطَ فى يديه ، وهجم عليه أمرٌ لو يكون رآه من خصىٍّ لعدوٍّ لَهُ [3] لَمَا فارقَ ذلك الخولُ أبداً قلبَه ، فكيف وإنّما عاينَ الذى عاين فيمَن كان يخلُفُه فى نسائه مِن حُرَمه ومِلْكِ يمينه . فبينا الرجلُ وهو واجم [حزين [4]] ، وهو ينظر [5] إليه [وقد تحرَّق عليه غيظاً] إذْ رَفَع الخصىُّ رأسَه ، فلمَّا أثبَتَ مولاهُ مَرَّ مُسرِعاً نحوَ باب الدار ليركبَ رأسَــه ، وكان المولى أقربَ إلى الباب منه ، فسبقه إليه ، وكان الموضعُ الذى رآه منــه

---

(١) ط : « السجون » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط « بعد » ولا وجه له . . وأمّا (بعل) فهى بمعنى دهش وفرق فلم يدر ما يصنع .

(٣) ط : « لعدوه » .

(٤) موطن هذه الكلمة فى ط : « قد برق » .

(٥) ط : « ينظر » وهو تحريف .

Marfat.com

موضعاً لا يُصعَد [إليه]، فحدَثَ لشقائِهِ أمرٌ لم يجد مولاه [معه][1] بُدًّا من صُعودِه ، فلبثَ الخصيُّ ساعةً ينتفِض من حُمَّى كِبته ثم فاظ . ولم يُمسِ إلاَّ وهو فى القبر .

ولفرْط إرادتِهم النساء ، وبالحسرة التى نالتهم . وبالأسف الذى دخلَهم ، أبغَضُوا الفحولَ بأشدَّ مِنْ تباغُضِ الأعداءِ فيما بينهم . حتَّى ليس بين الحاسدِ الباغى وبينَ أصحابِ النِّعَم المتظاهرة ، ولا بين ماشى المعنَّى وبينَ راكب الهِمْلاجِ الفارِه ، ولا بين ملوكٍ صاروا سُوقةً ، وبينَ سُوقةٍ صاروا ملوكا ، ولا بينَ بنى الأعمام مع وقوعِ التنافسِ ، أو وقوعِ الحرب ، ولا بين الجيرانِ والمتشاكلين فى الصناعات ، من التشنُّف والبغضاء ، بقدْرِ ما يتحف عليه الخصيانُ الفحولَ[2] .

ويُبغِضُ الخصىُّ الفحلَ من شكلٍ يُبغِض الخصىُّ الخصىَّ من شكلِ ما يولِّده التنافسُ وتلحقه الخلايات .

(نسك طوائف من الناس)

وللرجال كلِّ فنٍّ وضربٍ من الناس ، ضربٌ من [illegible]
يأخذهم من النزوع ، ودين توارثوه [illegible]
لنا أنَّ كانوا هم الذين خصوه [illegible]
وأشباهها . فظنَّ هذا [illegible]
النزوع لنا كانوا هم الذين خصوهم [illegible]

---

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
[illegible]
(٣) [illegible]

Marfat.com

متطلِّبةً إلى التشفِّى منهم ، فأخرج لهم حبُّ التشفِّى شدَّةَ الاعتزامِ على قتلهم ، وعلى الإنفاقِ فى كلِّ شىءٍ يَبلُغ منهم . ونُسكُ الخراسانىِّ أن يُحجَّ : ونسكُ البنوى[1] أن يَدَع الديوان . ونسكُ المغنِّى : أن يُكثر التسبيحَ وهو يشربُ النبيذ . والصلاةَ على النبى صلى الله عليه وسلم . والصلاة فى جماعة . ونسك الرافضىِّ : إظهارُ تَرْك النبيذ . ونسك السَّوادىِّ تَرْكُ شرب المطبوخ فقط . ونسكُ اليهودىِّ : إقامة السبت . ونسك المتكلِّم : التسرُّع إلى إكفارِ أهل المعاصى . وأنْ يرمَى الناسَ بالجبْر . أو بالتعطيلِ . أو بالزندقة ، يريد أن يوهم أموراً :

منها أنَّ ذلك ليس إلاّ من تعظيمه للدِّين . والإغراق فيه . ومنها أن يقال : لو كان نَطِفا . أو مرتابا . أو مجتنحا على بليَّة[2] . لما رمى الناسَ ، ولرضى منهم بالسلامة . وما كان ليرميَهم إلاّ للعزِّ الذى فى قلبه . ولو كان هناك من ذُلِّ الرِّيبة شىء لقطعَه ذلك [عن][3] التعرُّض لهم . أو التنبيه على ما عسى إنْ حرَّكهم له أنْ يتحرَّكوا . ولم نجدْ فى المتكلِّمين أنْطفَ ولا أكثرَ عيوبا . ممَّن يرمى خصومَه بالكفر .

(أبو عبد الله الجماز وجارية آل جعفر)

وكان أبو عبد الله الجمَّاز ، وهو محمد بن عمرو[4] ، يتعشَّق جارية

---

(١) فى القاموس : « الأبناء قوم من العجم سكنوا اليمن والنسبة أبناوى وبنوى محركة » وفى رسائل الجاحظ ١٥ سمى مايفيد أنهم من خراسان . . وهى فى ط : « جلسى » تحريف . وانظر حواشى البيان ٣ : ١١٤ وفيها تفصيل .

(٢) النطف : « الرجل القريب . . وفى ل : « مختجا » بدل « مجتنحا » .

(٣) زيادة يقتضيها الكلام .

(٤) من أهل البصرة شاعر أديب . كان مجنا خبيث اللسان . دخل بغداد أيام الرشيد =

Marfat.com

لآلِ جعفر يقال لها طُغْيان ، وكان لهم خَصِيٌّ يحفظُها إذا أرادتْ بيوتَ المغنِّين ، وكان الخصيُّ أشدَّ عشقاً لها من الجمَّاز ، وكان قد حال بينَه وبينَ كلامِها ، ٨١
والدنوِّ منها ، فقال الجماز [وكان اسم الخادم سنانا] :

ما للمَقِيتِ سِـنانٍ ولِلظِّبـاءِ المِـلاحِ
لَبِئْسَ زانٍ خَصِيٌّ غازٍ بغيرِ سلاحِ[1]

وقال أيضاً فيه وفيها :

نَفْسِي الفداءُ لظبيٍ يحبُّني وأُحبُّـهْ
من أجلِ ذاكَ سِـنانٌ إذا رآني يَسُبُّـهْ
هَبْـهُ أجابَ سِـنانا يَنيكُهُ أينَ أنْتُهْ

وقال أيضاً فيهما :

ظبيٌ سِـنانٌ شريكي فيـه فبئسَ الشَّريكُ
فلا يَنيكُ سِـنانٌ ولا يَنِيكُ سِـنانُ

(ما قيل من الشعر في الخصاء)

وقال [...] يذكر مخنثاً خصاه الخصيان :

... مُقيمُ ... إن كانت لا ...

---

(١)

(٢)

Marfat.com

[وقال حميد بن ثور يهجو امرأته :

جُلُبَّانةٌ ورهاء تخصى حمارها بفِى من بغَى خيراً إليها الجلامدُ[1]]

وقال مزرِّد بن ضِرار :

[فجاءتْ كخاصى العَيرِ لم تَحْلَ عَاجةً ولا جَاجَةٌ منها تلُوحُ على وَشْمِ[2]

وقال عمرو الحارَكى[3]] :

إذا لامَ على المرد نصيحٌ زادَنى حرصا
ولا والله ما أقْلِـــع ما عمِّرت أو أُخْصىَ

وقال آخر[4] :

رَمَاك اللهُ من أيْرٍ بأفعَى ولا عافاكَ من جَهْد البَلاءِ
جَزَاكَ اللهُ شَرًّا من رفيقٍ إذا بلغت بى رَكَبَ النساء
أجُبْناً فى الكريهة حين نلقى وما تنفكُّ تُنعِظ فى الحلاءِ
فلا والله ما أمسَى رفيقى ولولا البولُ عُوجِل بالحصاء

---

(١) الجلبانة : السخابة السيئة الخلق . والورهاء : الحمقاء .

(٢) فى اللسان : « أبو زيد : الجاجة الخرزة التى لا قيمة لها . غيره : مررأيت عليه عجة ولا جاجة . وأنشد لأبى خراش الهذلى يذكر امرأته وأنه عاتبها فاستحيت وجاءت إليه مستحيية » . وأنشد البيت ثم قال : « يقال جاء فلان كخاصى العير : إذا جاء مستحييا وخائبا أيضا . والعاجة : الوقف من العج تجعله المرأة فى يدها » . والبيت فى ديوان الهذليين ٢ : ١٢٩ . وجاء فى الأصل هكذا :

فجاءت كخاصى العير لم تحل حاجة ولا حجة منها تلوح على وشم

وتصحيحه من اللسان فى مادتى (جوج) و (عوج) ومن التصحيح (جوج) : ومن أمثال الميدانى (١ : ١٥٠) مع نسبته إلى أبى خراش الهذلى : كما فى اللسان .

(٣) ياقوت فى (خرنة) : « منهم الحارَكى الشاعر فى أيام المأمون أو مايقاربها » . والشعر فى معجم المرزبانى ٢١٥ برواية محرفة .

(٤) الأبيات فى المحاسن للجاحظ ١٧٥ .

Marfat.com

وقال بعض عبد القيس :

ما كان قَحذَمٌ ٱبنُ واهِصَة الْخُصى يرجو المناكحَ فى بنى الجارودِ[1]
ومِن انتكاس ٱلدهرِ أن زُوِّجتَها ولكلِّ دهرٍ عَثْرةٌ بجُدُود[2]
لو كان منذرُ إذ خطبت إليهم حيًّا لكان خَصَاك بالمغمود ٩٢

وقال أبو عبيدة : حدَّثنى أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أجدبُ فسقَط فى بئرٍ فذهبت حَدَبته وصار[3] آدَر فقيل له : كيف تجدك[4] ؟ [فقال] : ٱلذى جاء شرٌّ من ٱلذى ذهب !

وأبو الحسن عن بعض رجاله[5] قال : خرج معاويةُ ذات يوم يمشى ومعه خَصِىٌّ له . إذ دخل على يسرى ٱبنة خدل[6] وهى أمُّ يزيد . فاستترت منه فقال : أتستترين منه . وإنما هو مثلُ أمرد ! قالت : أرَى أنَّ المثلة به تُحِلُّ له حرمة ٱللهِ تعالى ؟ !

ذكر ما جاء فى خصاء الدواب

Marfat.com

تعالى عنــه إلى سعد : يَنْهَى عن حذْف أذناب الخيل وأعرافها . وعن خصائها . ويأمره أن يُجْرِىَ من رأس المائتين . وهو أربعة فراسخ .

وسُفيان الثَّورى عن عاصم بن عبد ٱللّٰه بن عمر [1] أنَّ عمر رضى ٱللّٰه تعالى عنه كان ينهى عن خِصَاء البهائم ويقول : هل الإنمــاء إلاّ فى ٱلذكور .

وشَريك بن عبد ٱللّٰه . قال : أخبرنى إبراهيم بن المهاجر . عن إبراهيم النَّخَعى أنّ عمرَ رضى الله تعالى عنه نَهَى عن خصاءِ الخيل .

وسفيان الثورى عن إبراهيم بن المهاجر قال : كتب عمرُ بن الخطاب رضى ٱللّٰه تعالى عنــه لبعض عماله : لا تُجرِيَنَّ فرساً إلاَّ من المائتين . ولا تخصِينَّ فرسا .

قال : وسمعتُ نافعاً يقول : كان عبد الله بن عمر يكرَه خِصاءَ الذكور من الابل . والبقر . والغنم .

وعبيد الله بن عمر عن نافع : أنَّ ٱبن عمر رضى ٱللّٰه تعالى عنهما كان يكره الخصاء ويقول : لا تقطعوا نامية خَلْقِ اللهِ تعالى .

وعبيد الله وأبو بكر ٱبنا نافع عن نافع قال : نهى رسول ٱللّٰه صلى الله عليه وسلم عن أن تُخصَى ذُكورُ الخيلِ . والإبلِ . والبقر . والغنم . ويقول : فيها نشأة لخلق . ولا تصلح الإناث إلاَّ بالذكور .

---

(١) ... عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم ... عن سعد بن عبيد الله ... عن عبد الله ... بن عاصم النخعى ... فى سنة تسعين ... وثلاث ... وأربعين ومائة ... فى تاريخ بغداد ٥ : ١٥٣ ، ١٢ : ٣٠٢ ، وفى أسد الغابة ...

Marfat.com

ومحمد بن أبي ذئب[1] قال : سألت الزُّهريَّ : هل بخِصاء البهائم بأس ؟ قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود . أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين . نهى عن صَبْرِ الروح . قَالَ الزُّهريُّ : والخِصاءُ صبرٌ شديد .

وأبو جعفرَ الرَّازيّ قال : حدَّثنا الرَّبيعُ بن أنس . عن أنس بن مالك في قوله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قال : هو الخِصاء . ١٣

وأبو جرير عن قتادة عن عِكرمة عن ابن عبَّاس نحوه .

أبو بكر الخلَّال قال : سألتُ الحسن عن خِصاء الدوابّ فقال : تسألني عن هذا ؟ لعن الله من خصَى الرجال .

أبو بكر الخلَّال عن عِكرمة في قول الله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قال : خِصاء الدوابّ . قال : وقال سعيد بن جبير : [عن عكرمة] . مثل ذلك .

[1] محمد بن أبي ذئب [illegible]

﴿ فليغيرن خلق الله ﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible]

Marfat.com

فى موضع خطأ الرأى ممَّن يُظَنُّ به الاجتهاد ، وكان ممَّن له أن يقول [. ولو أنَّ إنساناً سمع قولَ الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قال : إنَّما يعنى الخِصاء . لم يقبل ذلك منه ؛ لأنَّ اللفظ ليست فيه دلالةٌ على شىءٍ دونَ شىء . وإذا كان اللفظُ عامًّا لم يكن لأحدٍ أن يقصِد به إلى شىءٍ بعينه[1] إلاَّ أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك مع تلاوةِ الآية . أو يكونَ جبريلُ عليهِ السلام قال ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى لا يضمر[2] ولا ينوى . ولا يخصُّ ولا يعمُّ بالقصد ؛ وإنَّما الدلالةُ [فى] بِنيةِ الكلام نفسِه . فصورة[3] الكلام هو الإرادة وهو القصد ؛ وليس بينه وبين الله تعالى عملٌ آخر كالذى يكون من الناس . تعالى اللهُ عن قول المشبِّهة علوًّا كبيراً .

أبو جرير[4] عن عمار بن أبى عمار[5] أنَّ ابنَ عباسٍ قالَ فى قوله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قالَ : هو الخصاء .

وأبو جرير عن قتادة عن عِكرمة عن ابن عبَّاسٍ مثله .

أبو داود النَّخَعِىّ . عن محمَّدِ بن سعيدٍ عن عبادة بن نسىّ ، عن إبراهيم بن محيريز قال : كان أحبَّ الخيلِ إلى سَلَفِ المسلمين . فى عهد عمر وعثمان . ومعاوية . رضى الله تعالى عنهم . الخِصْيان ؛ فإنَّها أخفى للكَمِينِ والصَّلائع . وأبقى على الجَهْدِ .

---

(١) ط : بعينه فى كل موضع يذكر فيه هذا القول .

(٢) ط : يضمر .

(٣) ن : وصورة .

(٤) ط : جرير فى كل موضع يذكر فيه هذا القول .

(٥) ل : عن عمار بن أبى عمار .

Marfat.com

أبو جرير قال : أخبرنى ابن جُريج عن عطاء أنّه لم يرَ بأساً بخصاء الدواب .

وأبو جرير عن أيُّوبَ عن ابن سيرين . أنّه لم يكن يرى بأساً بالخصاء . ويقول : لو تُرِكت الفحولةُ لأكل بعضُها بعضاً .

وعمرو ويونس عن الحسن : أنّه لم يكن يرى بأساً بخصاء الدواب .

سفيان بن عُيينة عن ابن طاوس عن أبيه : أنّه خصى بعيراً .

[وسفيان بن عيينة عن مالك بن مِغوَل عن عطاء . أنّه سئل عن خصاء البغل فقال : إذا خفت عِضاضه] .

(أقوال فى النتاج المركب)

وتتصل هذه المسألة بمسألة أخرى وهى [...] فقال بعضهم : [...] بأنّه لا يجوز لأجل ما فيه [...] عباس والراقى الكميت :

[...] فيه بأنّه لا يجوز .

[...] والذئب من الضبع]

Marfat.com

كالحيَّةِ لا تعرف العِلَل ، ولا تموتُ حَتْفَ أنفِها ، ولا تموت إلاّ بِعَرَض يَعْرِض لها . ويَزْعمون أنّه لا يَعدو شيءٌ كعدو السِّمع ، وأنّه أسرعُ مِنَ الريح والطَّير .

وقال سهم بن حنظلة يصف فرسه :

فاعْصِ العواذل وارْمِ اللَّيلَ فى عرض
بذى شـــبيب يُقاسِى لَيْلَهُ خَبَبَا
كالسِّمع لم يَنقب البَيْطَار سرّته ولم يَدِجْه ولم يَغمِز له عَصَبَا[1]

وقَالَ ابن كُناسة[2] يصف فرسا :

كالعقاب الطلوب يَضْرِبُها الطْـ ـلُّ وقد صَوَّبَتْ على عِسبار[3]

وقال سؤر الذئب[4] :

هو سِمْعٌ إذا تمطَّرَ شيئـاً وعُقابٌ يُحثُّها عِسْـــبارُ

يقول : إذا اشتدَّ هربُ المطلوبِ الضاربِ من الطالب الجادّ ، فهو أحث للطالب ؛ وإذا صار كذلك صار المطلوبُ حينئذٍ فى معنى من يحثُّ الطالب . لأن عسبارا إفراط من عقابا سببا لإفراط طلب العقاب .

وقال تبط شرًّا[5] . [أو لأبو خراش خلف بن حيّان الأحمر] :

---

(١) ... وضع ... يدجه : عرف فى نطق .
... البرازين ٢ : ٣٤٠ .
(٢) ... أبو كناسة ... وله ترجمة فى ... بن ... ٧ ليبسك .
... ٣٤٠ .
... .
(٣) ... ت ساقطا من ... .
(٤) ... ابن أحمر تبعا لأبى ... والقصيدة فى حماسة أبى تمام (١ : ٣٤١ — ٣٤٧) .

Marfat.com

مُسْبِلٌ بالحىِّ أحوى رِفَلٌّ وإذا يَعْدُو فسِمْعٌ أَزَلُّ

وإنّما قال أَزَلّ وجعَلَه عاديا ووصفهُ بذلك . لأنّه ابن الذئب .

وقال الأصمعى :

يدير عينى لمظةٍ عِسبارَه[1]

وقال فى موضع آخر :

كأن منها طرفه استعارَه[2]

وقال آخر :

تَلقى[3] بها السَّمْعَ الأَزَلَّ الأطلسا

(الديسم ولد الذئب من الكلبة)

وزعموا أنّ ولد الذئب من الكلبة [illegible] يشبه

فى ديسم [illegible] قال :

[illegible]

[illegible]

وقال [illegible]

[illegible]

[illegible]

(١)

(٢)

(٣)

Marfat.com

٨٥ المتلاقِحات مع آختلاف الجنس والصورة . معروفة النتاج مثل الذئاب التى تسفَد الكلابَ فى أرض رُومِيَة . قال : وتتولَّد أيضا كلابٌ سَلوقيةٌ من ثعالبَ وكلاب . قال : وبين الحيوان الذى يسمَّى باليونانيَّة طاغريس[1] وبين الكلب ، تحدث هذه الكلابُ الهندية . قال : وليس يكون ذلك من الولادة الأولى .

[قال أبو عثمان : عن بعض البصريين عن أصحابه قال : وزعموا] أنَّ نِتاجَ الأولَى يخرُج صعباً وحشيًّا لايلقَّن[2] ولا يؤلَف .

(تلاقح السبع والكلبة)

وزعم [لى بعضهم عن رجلٍ من أهل الكوفة من بنى تميم] أنَّ الكلبة تعرض لهذا السبع حتَّى تلقَح . ثم تعرض لمثله مراراً حتى يكون جرو البطن الثالث قليلَ الصعوبة يقبلُ التلقين . وأنَّهم يأخذون إناثَ الكلاب . ويربطونها فى تلك البرارىّ . فتجىء هذه السباعُ وتسفَدُها . وليس فى الأرض أنثى تُجتَمَع على حبِّ سفادها . ولا ذكرٌ يجتمع له من النزوع إلى سفاد الأجناسِ المختلفة . أكثرَ فى ذلك من الكلاب والكلبة .

قال : وإذا ربَطوا هذه الكلابَ الإناثَ فى تلك البرارى ، فإن كانت هذه السباع هائجةً سفِدَتها . وإن لم يكن السبع هائجاً فالكلبة مأكولة . وقال أبو عدنان[3] :

---

(١) كذا فى نهاية الأرب ٩ : ٢٥٦ و ل . وفى ط : طاغويس .

(٢) كذا فى ل ونهاية الأرب . وفى ط : يلقن .

(٣) كذا فى ل . وفى الحيوان ٥ : ٥٥ : « وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدرى بصنوف العلم . وأحسن بيانا من أبى الوزير ، وأبى عثمان المعمرين ، وحدثنى عن أول ما أذكر =

Marfat.com

أيا باكيَ الأطلالِ في رَسْمِ دمنةٍ
تَرُودُ بها عِينُ المَهَا والجآذرُ

وعاناتُ جَوَّال وهَيْق سَفَنَّجٌ وسنداوة فضفاضة وحَضَاجِرُ[1]

ورِمْعٌ خَفِيُّ الرَّزِّ ثِلْبٌ ودَوْبَلٌ
وشَرْمَلَةٌ تعتادها وعَسَابِرُ[2]

وقد سمعنا ما قال صاحبُ المنطق من قبل . وما نفسُ عاقله أن يتكلف على نفسه في الكتب شهادة لأخلائها لامتحان . ولا يعرف صدقَها إلا من العلماء . وما شكلنا في معرفة ما ندّعي إلا هذا القول .

وأما الذين ذكروا في أشعارهم سَمَّع وسُمَيْر . فليس في شيء من كلامهم دليلٌ على ما ذكر صاحبُ [illegible] من هذا التركيب المختلف .

وأما قول [illegible]

أولاد [illegible]

[illegible]

(١)

(٢)

Marfat.com

التى أقامت فى بنى تميم حتى وَلَدت فيهم ، فلمَّا رأتْ برقاً يلمَعُ من شقِّ بلاد السَّعالِى . حنَّت وطارت إليهم ، فقال شاعرهم[1] :

رأى بَرْقاً فأوْضَعَ فوْقَ بَكْرٍ فَلَا بِكِ ما أسَالَ وما أغاما[2]

٨٣ وأنشدنى أن الجنَّ طرقوا بعضَهم فقال[3] :

أتَوا نارى فقُلْتُ مَنُونَ أنتمْ فقالوا الجِنُّ قلتُ عِموا ظَلامًا

فقلتُ إلى الطَّعام فقال منهمْ زعيمٌ نَحْسُدُ الإنسَ الطَّعاما

ولم أعِب الرواية . وإنَّما عبتُ الإيمانَ بها . والتوكيدَ لمعانيها . فما أكثرَ من يَروى هذا الضربَ على التعجُّبِ منه . وعلى أن يجعَلَ الرواية [له] سبباً لتعريفِ النَّاس حقَّ ذلك من باطِلِه . وأبو زيدٍ وأشباهُه مأمونون على النَّاس . إلَّا أنَّ كلَّ من لم يكن متكلِّماً حاذقاً . وكان عند العلماء قدرةً وإمامًا . فما أقربَ إفسادَه ثم من إفسادِ المتعمِّد لإفسادهم !

وأنشدوا فى تثبيتِ أولادِ السعلاة :

تَنَزَّلَ جمعٌ من بُوانَ ووَتِدْ وحَسَنٌ أنْ كَلَّفَتْنِى مَا أجِدْ[4]

[illegible] بأبَانٍ أو أُحُدْ[5] أو ولدِ السِّعلاةِ أو جِروِ الأسَدْ

أو ملكِ الأعجامِ مأسوراً بقِدْ[6]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

Marfat.com

وقال آخر[1] :

يا قاتَلَ اللهُ بَنِي السَّعلاةِ عمراً وقابوساً شرَارَ بناتِ

(ما زعموا فى جرهم)

وذكروا أنَّ جُرهُماً كان من نِتاج ما بين الملائكة وبنات آدم . وكان الملكُ من الملائكة إذ عصى ربَّه فى السماء أهبطَه إلى الأرض فى صورة رجل . وفى طبيعته . كما صنع بهاروت وماروت حين كان من شأنهما وشأنِ الزُّهَرة . وهى أذهبَ ما كان . فلمَّا عصى الله تعالى بعض الملائكة وأهبطَه إلى الأرض فى صورة بشر . تزوَّج امرأة منهم فولدت له جُرهُماً . وإنما قيل لهم جرهم

[illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

سبأ . وكذلك كان ذو القرنين كانت أمُّه فيرى آدميَّة وأبوه عبرى[1] من الملائكة . ولذلك[2] لما سمع عمرُ بن الخطَّاب رضى الله تعالى عنه رجلاً ينادى : ياذا القرنين . فقال : أفرَغْتُمْ من أسماء الأنبياء فارتفعتم إلى أسماء الملائكة ؟ .

وروى المختارُ[3] بن أبى عبيد أنَّ عليًّا كان إذا ذكر ذا القرنين ٨٧ قال : ذلك كان ملك الأمرط .

(ما زعموا فى تلاقح الجن والإنس)

وزعموا أنَّ التناكح والتلاقح قد يقع بين الجنّ والإنس . لقوله تعالى : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ . وذلك أن الجنّيَّات إنَّما تعرض لصَرْع رجال الإنس على جهة العشق وطلب الفساد[4] . وكذلك رجال الجنّ لنساء بنى آدم . ولولا ذلك لعرض الرِّجالُ للرِّجال . والنساءُ للنساء . ونساؤهم للرجال والنساء .

ومن زعم أن الصَّرْعَ من المرَّة . ردَّ قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ . فلو كان الجانُّ لا يفتضُّ

---

(١) فى ل : قبرى بدل عبرى . وهى فى رسائل الجاحظ ٩٧ سامى ، قيرى .
و : عبرى بدل عبرى فى رسائل : قيرى .

(٢) فى و : لذلك كان .

(٣) هو المختار بن أبى عبيد الثقفى من زعماء الشيعة . وكان يقال له كيسان ، وإليه نسب فرقة الكيسانية . توفى سنة ٦٧ .

(٤) فى ل : الفساد وليس بشىء .

Marfat.com

الآدَمِيَّاتِ ، ولم يكنْ ذلك قطُّ . وليس ذلك فى تركيبِه . لمَ قال الله تعالى هذا القَول .

(ما زعموا فى النسناس وغيره)

وزعموا أنّ النَّسْنَاسَ تركيبٌ ما بين الشِّق والإنسان . ويزعمون أنّ خلقًا من وراء السدِّ تركيبٌ من النَّسْنَاس . والناس . والشِّقّ . ويأجوج ومأجوج . وذكروا عن الوَاقواق والدوَاب (١) أنهم نتاجٌ ما بين بعض النبات والحيوان . وذكروا أنّ آدمَ كانت فى الأرض . فأمرَ الله تعالى الملائكة فأخرجوهم . وبلغهم عنهم بقولهم : أتجعلُ فيها من يُفسدُ فيها ويسفكُ الدماء ونحن نُسبِّحُ بحمدك ونقدّسُ لك . وكذلك قال [illegible] وهؤلاء تقربوا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فهبطا على [illegible] وظلما قد كان فى الأرض .

قال [illegible]

عمرو [illegible] :

[illegible]

[illegible]

قال [illegible]

Marfat.com

(قول المجوس فى بدء الخلق)

وزعم المجوس أنَّ الناسَ من ولد مهنة ومهنينة . وأنَّهما تولدا فيما بينَ أرحام الأرَضين . ونطفتين ابتدرتا[1] من عينَى ابن هُرمُز حين قتله هرمز . وحماقات أصحابِ الاثنَين كثيرةٌ فِى هذا الباب . ولولا أنِّى أحببْتُ أن تسمعَ نوعا من الكلام . ومبلغَ الرأى . لتُحدِثَ لله تعالى شكراً على السلامة ؛ لما ذكرتُ كثيراً من هذا الجنس .

(عبد الله بن هلال صديق إبليس وختنه)

وزعم ابن هيثم أنَّه رأى بالمكوفة فتًى من ولد عبد الله بن هلال حميرى[2] . صديق إبليس وختَنِهِ . وأنَّهم كانوا لا يشكُّون أنَّ إبليسَ جدُّه من قِبَل أمَّهاتِه . وسنقولُ فى ذلك بالذى يجبُ إن شاء الله تعالى . وصِلَةَ هذا الكلام تجىءُ بعد هذا إن شاء الله تعالى .

(حوار فى الكلب والديك)

وقلت : ولو تمَّ للكلب معنى السبع وضباعه . لما ألف الإنسانَ . واستوحش من السبع . وكره الغياض . وألِف الدُّور . واستوحَشَ من الوحشى وجانب القفار . وألِفَ المجالسَ والدِّيار . ولو تمَّ له معنى البهيمة

---

(١) ط : ابتدرتا .

(٢) كان فى زمن الجاحظ . وكان صاحب شعبذة وبرجوت . يدعى أن إبليس يتراءى له ويخاطبه ويكلمه . انظر الحيوان ٥/٧ .

Marfat.com

فى الطبع والخلق والغِذاءِ . لما أكل الحيوانَ . وكَلِب على النَّاس . نعمْ حتَّى رُبَّما كلِب وَوَثَبَ على صاحبِه وكلِبَ على أهله . وقد ذكر ذلك طرفةُ فقال :

كُنْتَ لَنَا والدُّهورَ آونةً تَقْتُلُ حالَ النَّعيمِ بالبُؤسِ
كَكَلْبِ ضَمْمٍ وقد تَرَبَّبَه[1] يَعْلُّه بالحَلِيبِ فى الغَلَسِ
ظلَّ عليه يوما يُفَرْفِرُه إلَّا يَلَغ فى الدِّماءِ يَلْتَهِسِ

وقال حاجب بن دينار[2] المازنىُّ فى مثل ذلك :

وكَمْ من عدُوٍّ قد أَتَتْ عليكَ بَدالٌ وسُلْطانٌ إذا سَلَّ خَنْشَلِ
كذِى الكَلْبِ لَمْ تُسْمَنْ لكَلْبٍ رَبَبْتَه

وقال عوف بن الخرع :

فإنَّى وقد كلفتنى كل

وأنشد بن الأعرابى بعضهم :

وكم كنت كلبا كل يأكل بعضه

وقال آخر :

---

[1] ضمم : اسم رجل . وتربيه : تعهده . يعله : يسقيه بعد السقية . الحليب : اللبن . الغلس : ظلمة آخر الليل .

[2] حاجب بن دينار : من شعراء الحماسة .

Marfat.com

وكان رجلٌ من أهل الشام مع الحجَّاج بن يوسف : وكان يحضُر طعامَه . فكتب إلى أهله يخبرُهم بما هو فيه من الخصْب ، وأنه قد سَمِن فكتبت إليه امرأته[1] :

أتُهدِين لى القِرطاسَ والخبزُ حاجَتِي ... وأنتَ على بابِ الأميرِ بَطِينُ
إذا غِبْتَ لم تَذْكُرْ صَدِيقاً وإن تقمْ ... فأنتَ على ما فى يَدَيك ضَنِينُ
فأنت ككَلْبِ السَّوْءِ فى جُوعِ أهلِه ... فيُهْزَلُ أهلُ الكلب وهو سَمِينُ

وفى المثل : « سمن كلب فى جوعِ أهلِه » . وذلك أنه عند الشِّواف[2] يصيب المال . والإخداجِ[3] يعرض للنُّوق ؛ [يأكل الجيفَ فيسمَن[4]] . وعلى أنه حارِسٌ مُحترَسٌ منه ، ومؤنسٌ شديد الإيحاش من نفسه ، وأليفٌ كثيرِ الخيانةِ على إلفِه . وإنما اقتنوه على أنْ ينذِرَهم بتوضع السارق ، ٨٩ وتركوا طَرْده لينبِّههم[5] على مكان المبيَّت . [وهو أسرقُ من كل سارق ، وأدوهُ جِنايةً من ذلك المبيَّت] . ويدلُّ على أنه مسروقٌ عندَهم ، قولُ الشاعر :

أَفِى أنْ سرَى كلبٌ فبيَّت جُلَّةً ... وجَبْجَبَةً نهْضَب لَيْلَى تَطَلَّقُ[6]

---

(١) الخبر والأبيات فى أمالى القالى ٢ : ١٣٦ مع اختلاف فى الرواية .

(٢) ط : « الصوف » ، وإنما هو بالشواف ، كما فى ل . والشواف كالقواب : الناقة فى الإبل .

(٣) الخداج : أن تلد الناقة ولدا ناقصا .

(٤) ضرب المثل بالكلب ، اعتمادا على ما فى نوادر أبى زيد ٢٤٨ . وأشار إليه فى (٢ : ٢٦٣) .

(٥) فى الأصل : « لينبههم » ، ولم يعهد تعدية هذا الفعل بعن . وأثبت ما فى نهاية الأرب ٩ : ٢٥١ .

(٦) فى الأصل : « أفى أن سرى » ، وهو تحريف . وتصحيح البيت من اللسان (جبب) . وروايته : « وجبجبة نهضب ليلى تطلق » . والجلة ، بالضم : ما تشظى من الحوض يوضع فيه التمر ويكنز . والجبجبة ، بفتح جيمين وضمهما : ما يعمد إليه بعض المتاع يزود به فى الأسفار . وقال ابن الأعرابى : هو جلد جلب يعمل ويجعل فيه الزاد الذى يسمى الزميلة ، والزاملة ، وسمى بذلك لأنه يشد ، ثم يشد ما يكون .

Marfat.com

فهو سَرَّاق ، وصاحب بَيات ، وهو نَبَّاشٌ ، وآكلُ لحومِ النَّاس . ألا إنّه يجمعُ سِرقة الليل مع سرقة النّهار . ثم لا تجده أبداً يمشى فى خِزانةٍ . أو مطبَخ . أو عَرْصةِ دار . أو فى طريقٍ . أو فى بَرارىَّ . أو فى ظهرِ جَبل . أو فى بَطْن وادٍ . إلاَّ وخطمُه فى الأرض يتشمَّم ويستروح . وإن كانت الأرضُ بيضاءَ حَصَّاءَ[1] ودَوِّيَّةً ملساءَ . أو صخرةً خلقاء ، حرصا وجشعاً وشرها وضعفا . نعم حتَّى لا تجده أيضا يرى كلبا إلاَّ اشتمَّ استه . ولا يتشمّم غيرهَا منهُ . ولا تراه يُرمَى بحجر أيضاً أبداً إلاَّ رجَع إليه فعضَّ عليه . لأنّه لَمَّا كان لا يكاد يأكلُ إلاَّ شيئا رمَوا به [إليه] صار ينسَى لفرْط شرَهه وغلبة الجشع على طبعه . أنَّ الرامىَ إنّما أراد عقْره أو قتله . فيظنّ لفرْط نسيانه أنّه إنّما أراد بإلقائه إليه الإحسان إليه . كذلك يخيَّل إليه فرْط التّوهم وتولّد الشَّرَه . ولكنّه رغْم ذلك يخمّنه على النّاس عجزا وبلَه . وقد [...]

Marfat.com

أربابها ، وليس مِنْ أحرارها ولا مِنْ عِتاقِها وجوارحها ، ولا ممَّا [١] يطرِب بصوته ويُشجِي بلحنه ، كالقَمارِيِّ والدَّباسيِّ والشَّفَانين [٢] والوراشِين والبلابل والفواخت . ولا ممَّا يُونِق بمنظره ويمتع الأبصارَ حسنُه ، كالطواويس والتَّدارِج . ولا مما يعجِب بهدايته ويُعقَد الذمام بإلْفه ونِزاعه ، وشدَّةِ أُنسه وحنينه ، وتُريده بإرادته لك ، وتَعطِف عليه لَحبِّه إياك . كالحمام ، ولا هو أيضاً من ذوات [٣] الطيران منها . فهو طائرٌ لايطير ، وبهيمةٌ لا يَصيد ، ولا هو أيضاً ممـا يكون صيداً فيمْتِـع من هذه الجهة ويُراد لهذه اللَّذة .

والخُفَّاش أمرَطُ ، وهو جيِّدُ الطيرَان . والدِّيكُ كاسٍ وهو لا يطير .

وأىُّ شىءٍ أعجبُ من ذى ريشٍ أرضىٍّ . ومن ذى جلدةٍ هوائىّ .

وأجمعُ الخلق لخصال الخير الإنسان ، وليس الزِّواجُ إلاّ فى الإنسان وفى الطير ، فلو كان الديك من غير الطير ثمَّ كان ممن لا يزاوج . لقد كان قد مُنِـع هذه الفضيلة وعَدِم هذه المشاكَلَة الغريبة . وحُرم هذا السَّببَ الكريم والشِّبْه المحمود . فكيف وهو لا يزاوج . وهو من الطيرِ الذى ليس الزواجُ والإلْف وثباتُ العهْد . وطلَبُ الذرء وحبُّ النَّسل . والرجوعُ إلى السكن والحنين إلى الوطن — إلاَّ له وللإنسان . وكلُّ شىء لا يزاوج فإنَّما دخله النقصُ وخسِر هذه الفضيلةَ من جهةٍ واحدة . وقد دخل الديكَ النقص

---

(١) ط : « ممن » وكذلك يتكرر هذا الخطأ فى كل موضع أثبت فيه « مما » . وقد جاء على الصواب الذى أثبته ، فى ل .

(٢) ط : « الشغانين » وصوابه بالفاء كما فى ل . وهو جمع شفنين بالكسر ، وقد تحدث عنه الجاحظ فى ٣ : ١٤٦ ، ٥١٦ و ٧ : ٦٩ ، ١٨٧ من الحيوان وكذلك الدميرى .

(٣) فى الأصل : « ذوى » ولا يكون ذلك إلا للعاقلين ، والوجه ما أثبت .

Marfat.com

مِنْ جهتين . ووصف أبو الأخزَر الحِمَّانيُّ الحِمارَ وعَيْر العانةِ خاصَّة[1] ، فإنَّه أمثلُ فى باب المعرفة من الأهْلىّ . فذكر كيف يضرِب فى الأُتُن ، ووصَفَ استبهامَه عن طلب الولد . وجهلَه بموْضِع الذَّرْء . وأنَّ الولدَ لم يجئ منه عن طلبٍ له . ولكن النُّطفة البريئة من الأسقام . إذا لاقت الأرحام البريئة مِن الأسقام حَدَث النِّتاج على الخِلقة . وعلى ما سوِّيت عليه البِنية[2] . وذكر أنّ نزوَه على الأتان . من شكل نَزْوه على العير . وإنَّما ذلك على قدْر ما يحضُره من الشَّبَق . ثمَّ لا يلتفِت إلى دُبرٍ من قُبُل . وإلى ما يَلقَحُ [من مثله مِمَّا لا يُلقَحُ] فقال :

لا مُبْتَغِى النَّضْوْء ولا بالعازِل[3]

يقول : هو لا يريد الولَد ولا يعزل .

ولأشياء التى تُلْقِحُ الناسَ ولا تريد سوءهم . ولا تحتَرِسُ من غيرها .

كالعصفور والخطّاف والكلب والثعلب . وذئب لا يلتفت فيزلقه ولا يعـ

ولا يتقزّع [ ] فى دجنّته ولا مزوقته . ولا يتحرّش [ ] ولا

قطّ أنّ [ ] ولا [ ] على [ ] ولا

لبيضه [ ] ولا [ ] ولا

ولا [ ] ولا [ ]

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

Marfat.com

أبلَهُ لا يعرِف أهلَ دارِه . ومبهوتٌ لا يُثْبِتُ وَجهَ صَاحِبه . وهو لم يُخْلَق إلاَّ عندَه وفى ظلِّه . وفى طعامِه وشرابِه . وتَحْتَ جناحه .

والكلْبُ على ما فيه يعرف صاحبَهُ . وهو والسِّنَّور يعرِفان أسماءهما . ويألَفَان موضعَهما . وإن طُردا رَجعا . وإن أُجيعا صَبَرَا . وإن أُهِينا احتملا .

والديك يكون فى الدار من لَدُنْ كانَ فَرُّوجاً صغيراً إلى أن صار ديكاً كبيراً . وهو إن خرَج من باب الدار ، أوسقط على حائط من حيطان الجيران ، أو على موضع من المواضع ، لم يعرِفْ كيف الرُّجوعُ . وإن كان يَرَى منزلَه قريباً ، وسهل[1] المطلبِ يسيراً . ولا يَذْكُر ولا يتذَكَّر . ولا يهتدى ولا يتصوَّر له كيف يكون الاهتداء . ولو حنَّ لَطَلَبَ . ولو احتاج لالتمس . ولو كان هذا الخبرُ فى طباعه لظَهَر . ولكنَّهَا طبيعةٌ بلهاءُ مستبِدَّة . خامحة[2] وذاهلة . ثمَّ يسفَدُ الدَّجاجةَ ولا يعرفها . هذا مع شدَّةِ حاجته إليهنَّ وحِرصِه على السِّفاد . والحاجةُ تَنتِقُ الحِيلَة . وتَدُلُّ على المعرفة . إلاَّ ما عليه الديك ، فإنَّه مع حِرصِه على السِّفاد ، لا يعرفُ التى يسفَد . ولا يقصِد إلى ولدٍ . ولا يحفَظ بيضاً ولا يعطِفه رَحِمٌ . فهو من هاهنا أحمقُ من الحُبارَى وأعقُّ من الضَّبِّ .

٩١

وقال عثمان بن عفَّان رضى الله تعالى عنه : كلُّ شىءٍ يحبُّ ولدَه حتى الحُبارَى . فإنَّه يضرِب[3] بها المثلَ كما ترى فى الحُمق والغفْلة . وفى الجهل والبَلَه . وتقول العرب : أعَقُّ من الضَّبِّ . لأنَّه يأكلُ حِسْلَه .

---

(١) ط : سهل .

(٢) لعله : خامجة .

(٣) لعله : يضرب بها المثل .

Marfat.com

(أكل الهرة أولادها)

وكرُمَ عند العرَب حظُّ الهرَّة . لقولهم : « أَبَرُّ مِنْ هِرَّة . وأعقُّ مِنْ ضَبٍّ » فوَجَّهوا أكلَ الهرَّةِ أولادَها على شدَّة الحبِّ لها . ووجَّهوا أكلَ الضبِّ لها على شدَّةِ البغْض لها . وليس ينجو مِنْهُ شيءٌ منها إلاّ بشغْلِه بأكْلِ إخْوته عنه . وليس يحرسُها ممَّا يأكلها إلاَّ ليأكلها . ولذلك قال العَمَلَّسُ ابن عَقيل . لأبيه[1] عَقيل بن عُلَّفة :

أكلْتَ بَنِيكَ أكْلَ الضَّبِّ حتى ... وجدتَ مَرارةَ الكلإ الوبيل

فلو أنَّ الأُلَى كانوا شهودا ... منعْتَ فتاةَ بيتك من نجيل

وقال أيضاً[2] :

أكلْتَ بَنِيكَ أكلَ الضبِّ حتَّى ... تركْتَ بناتِك يتَمْنَ عُهْرا

وشبَّه المسيَّبُ بن عَلَس حميريَّ . عائشة رضي الله تعالى عنها في حسنها

خرَجَ يوماً يتثنَّى فيها . يتبرَّزُ حين تأكل ولايدها . فقال :

جاءت به عُنُقاً من آل حمير ... كأنَّ في فيها [illegible]

(رعاية الذئبة لولد الضبع)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

Marfat.com

(رعاية الذئب لولد الضبع)

ويقولون : إنَّ الضبعَ إذا صِيدَت أو قُتلت . فإنَّ الذئب يأتى أولادَها باللحم . وأنشد الكُميت :

كما خَامَرَتْ فى حِضْنِها أمُّ عامرٍ لِذِى الحبل حتى عَالَ أوسٌ عِيالَها (١)

وأوس هو الذئب . وقال فى ذلك :

فى كلِّ يومٍ من ذُؤَالَه ضِغْثٌ يَزيد على إبَالَه

فلأُحْشــأنَّك مِشْقَصاً أوساً أُويسُ من اغباله (٢)

الأوس : الإعطاء . وأويس هو الذئب . وقال فى ذلك اخذلىّ (٣) :

يا ليتَ شعرى عنك والْأَمْرُ أَمَمْ ما فَعَلَ اليومَ أُويسٌ فى الغنمْ

وقال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْت :

وأبو اليتامى كانَ يُحْسِنُ أوبهم ويَحُوضُهم فى كلِّ عامٍ جامدِ (٤)

(حمق النعامة)

ويقولون : « أَحْمَقُ مِنْ نَعَامة » كما يقولون : « أَشْرَدُ مِنْ نعامة » قالوا ذلك لأنَّها تدَعُ الحِضْنَ على بيضِها ساعةَ حاجة إلى الطُّعم . فإن هى

---

(١) ل : « فى حضنها » وفى رواية ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٢ : ٧٩ . وبرواية ابن منظور نسبت فى مادة (ويس) ، قال أوس . وتفسيرها بقوله : « أكل جراءها » لأنه لا سبيل لاستنباط ما استشهد له الجاحظ .

(٢) ل : « فلأحشونك » والصواب ما فى ن . انظر أدب الكاتب ٥١٠ والاقتضاب . وحشأه : رماه . والمشقص : سهم طويل أو عريض . والبيتان لأسماء بن خارجة كما فى ســ (أس) .

(٣) الشعر فى اللسان (وخذ) منسوب إلى عمرو بن ـكلثوم . وهو هذلى كما فى الأغانى .

(٤) ط : « جاحد » . و « عام جاحد » : عام الجدب والقحط والمنع الغيث .

Marfat.com

فى خروجِها ذلك رأتْ بيضَ أخرى قد خرجت للطُّعم، حضَنت بيضَها ونسِيت بيضَ نفسها ، ولعلَّ تلك أن تُصادَ فلا ترجعُ إلى بيضها بالعَرَاء حتَّى تهلِك .

قالوا : ولذلك قال ٱبن هَرْمة[1] :

فإنِّى وتَرْكى نَدَى الأكرَمِينَ وقَدْحِى بكَفَّىَ زَنْدًا شَحَاحا

كتاركةٍ بيضَها بالعَرَاء ومُلبِسةٍ بَيضَ أُخْرَى جناحا

وقد تحضُن الحمامُ على بيض الدَّجاج ، وتحضُن الدَّجاجةُ بيضَ الطاوُس . فأمَّا أن يَدَعَ بَيضَه ويحضُنَ بيضَ الدَّجاجة . أو تَدَعَ الدجاجةُ بيضها وتحضُن بيضَ الطاوس فلا . فأمَّا فَرُّوجُ الدَّجاجة إذا خرج من تحت الحمامة ، فإنَّه يكونُ أكيسَ . وأمَّا الطاوُس الذى يخرج من تحت الدَّجاجة فيكون أقلَّ حسناً وأَبْغَضَ صوتاً .

(الفرخ والفروج)

وكلُّ بيضة فى الأرض فإنَّ [illegible]

إلا بيضَ [illegible]

يجعلون الفَرُّوج [illegible]

لا يجيزونه فى [illegible]

يعدُّون لا [illegible]

أحبُّ [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

وقال الشمّاخ بن ضِرار [١] :

ألا مَنْ مُبلغٌ خاقانَ عنّى تأمَّلْ حِينَ يَضرِبُك الشِّتاءُ
فتجعل فى جنابك من صغير [٢] ومن شيخٍ أضرَّ به الفَناءُ
فراخ دَجاجةٍ يَتْبَعْنَ دِيكاً يَلُذْنَ به إذا حَمِس الوَغَاءُ

[فإنْ] قلت : وأىُّ شىء بلَغَ من قدْر الكلبِ وفضيلةِ الديك ، حتَّى يتفرَّغ لذكر محاسِنهما ومساويهما . والموازنةِ بينهما والتنويه بذكرهما ، شيخان من عِلْيةِ المتكلِّمين . ومن الجلة [٣] المتقدِّمين . وعلى أنَّهما متى أبرما هذا [٤] الحكمَ وأفصحا بهذه القضيَّة ، صار بهذا التدبير بهما حظٌّ وحكمة وفضيلة وديانة ، وقلدَهما كلُّ مَن هو دونَهما ؛ وسيعودُ ذلك عذراً فيما إذا رأيتهما يوازيان بين النَّبَّان [٥] وبناتِ وَرْدانَ ، وبين الخنافس والجُعْلان ، وبين جميع أجناس الهمَج وأصناف الحشراتِ ، والخشاش ، حتَّى البعوض والفَراش والذيدان والقِردان [٦] فإن جاز هذا فى الرأى وتمَّ عليه العمل ، صار هذا الضَّربُ من النظر عِوضاً من النَّظَر فى التوحيد ، وصار هذا الشكلُ من التمييز خلفاً من التعديل والتجوير . وسقَطَ القولُ فى الوعد والوعيد . ونُسِى القياسُ والحكم فى الاسم ، وبطَلَ الردُّ على أهلِ الملل . والموازنةُ بين جميع النِّحَل . والنظرُ فى مراشد الناس ومصالحهم ، وفى منافِعهم ومَرافقهم ؛ لأنَّ قلوبَهم لا تتَّسع للجميع ، وألسنَتهم لا تنطلِق بالكلّ . وإنَّما الرأىُ أن تَبدأ من الفتق بالأعظم . والأخوف فالأخوف .

---

(١) فى (ا ، ب ، ح) أنه شماخ بن أبى شداد .
(٢) فى (ا ، ب ، ح) موضع « جنابك » .
(٣) فى (ا ، ب ، ح) الجلة .
(٤) فى (ا ، ب ، ح) هذا .
(٥) فى (ا ، ب ، ح) وأبناهم يوازنون .. الخ .. فى (ط) القريب موضع « النبان » .
(٦) القردان : جمع قراد ، وهو دويبة تنتشر فى أعطان الإبل .

Marfat.com

وقلتَ : [و] هـذا بابٌ من أبواب الفراغ وشكل من أشكال التطرُّف[1] وطريق من طرق المزاح . وسَبيلٌ من سُبُل المضاحك . ورجالُ الجِدِّ غير رجالِ الهزْل . وقد يحسُن الشيءُ بالشَّبَابِ ويقبُح مثلُه من الشيوخ . ولولا التحصيلُ والموازَنة . والإبقاء على الأدب . والدِّيانة بشدَّة المحاسبة . لما قالوا : لكلِّ مقامٍ مَقال . ولكلِّ زمانٍ رجالٌ . ولكلِّ ساقطةٍ لاقطة . ولكلِّ طعامٍ أكلة[2] .

(تنوع الملكات وقوتها وضرورة ظهورها)

قد زعم أنه ليس في كلِّ النفس فيه آلة مرفِّقة من مرافق . وأداة منفعة[3] من منافع . ولا بدَّ لكلِّ طبيعة من حركة ولكلِّ بطالة . ولا بدَّ للنفس لكدمن من ظهور . ولكلِّ ملكة نافذ بعده . ولا بدَّ [illegible]

[illegible]

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

Marfat.com

[وقال (١)] :

* ولا بدَّ من شَكوَى إذا لم يكنْ صَبر *

ولذلك صارَ طلبُ الحسابِ أخفَّ على بعضهم . وطلبُ الطِّبِّ أحبَّ إلى بعضهم . وكذلك النِّزاع إلى الهندسة ، وشغَفُ أهلِ النُّجوم بالنُّجوم . وكذلك أيضاً ربَّما تحرَّك له بعدالكِبْرَة . وصَرَف (٢) رغبتَه إليه بعد الكهولة ، على قدرقوَّة العِرْق فى بدنه . وعلى قدْر الشَّواغلِ له وما يعترضُ عليه : فتجد واحداً يَلهج بطلب الغِناء واللحون ، وآخر يلهج بشهوة القتال ، حتى يَكْتَتِبَ مع (٣) الجُند ، وآخر يختار [أن يكون] ورّاقا . وآخر يختارُ طلبَ الملك ، وتجِدُ حرصَهم على قدر العلل الباطِنة المحرِّكة لهم . ثمَّ لا تَدْرِى كيف عرضَ لهذا هـذا السّببُ دونَ الآخَرِ إلاَّ بجملة من القول ، ولا تجـدُ اختارَ لبعض هذه الصناعات على بعضٍ يعلَمُ لم (٤) اختارَ ذلك فى جملةٍ ولا تفسير ، إذْ كان لم يَجْرِ منه عَلَى عِرْق ، ولا اختارَه على إرْث .

(من سار على غير طبعه)

وليس العجبُ من رجلٍ فى طباعه سببٌ يَصِل بينه وبينَ بعض الأمور ويتْرُكه فى بعض الجهات . ولكنَّ العجبَ ممَّن يموت مغنِّيا وهو لا طبعَ

---

(١) جعل هذا الشطر والكلام الذى قبله بيت واحدا ، وذلك لايستقيم . والزيادة رأيتها ضرورية لاستقامة الكلام . والذى عجز بيت صاره كما فى البيان ٣ : ٢٢٠و٤ : ٦٣ :

وما كثرة الشاكى بأمر حزامة *

(٢) ط : « وصرف » .

(٣) ل : « يكتب » ، وصوابه ما أثبت من ط . واكتتب : كتب نفسه فى ديوان السلطان .

(٤) ط : « لم » .

Marfat.com

له فى معرفة الوزن، وليس له جِرمٌ حسَن[1] ؛ فيكون إن فاته أن يكون معلِّما ومغنِّيَ خاصَّة أنْ يكون مُطرباً ومُغَنِّيَ عامّة . وآخر قد ماتَ عَلَى أن يُذكَر بالجود ، وأن يسخَّى على الطعام ، وهو أبخلُ الخلق طبعاً . فتراه كالفاً باتِّخاذ الطيِّبات ومستَهتَراً بالتكثير منها ؛ ثمّ هو أبداً مفْتَضِحٌ وأبداً منتقِض الطِباع ، ظاهرُ الخطإِ ، سيِّئُ الجزع عندَ مؤاكلةِ من كان هو الداعىَ له . والمرسِلَ إليه ، والعارفَ مقْدارَ لَقْمِه ونهايةَ أكله .

فإنْ زعمتم أنَّ كلَّ واحدٍ من هؤلاء إنّما هو رهنٌ بأسبابه . وأسيرٌ فى أيدى عِلَله ؛ عذَرتم جميعَ اللئام وجميع المقصّرين . وجميعَ المتعامقين والضالِّين . وإن كان الأمر [إلى] التمكينِ دونَ التسخير . أفليس من أعجبِ العجَب ومن أسوإِ التقدير التمثيل[2] بين الدِّيكة والكِلاب . ٩٥

قَدْ عَرَفْنا قولَكَ . وفَهِمْنا مذهبَكَ .

فأمّا قولُك : « وما بلَغ من خَطَر الديك وفضْل الكلب » فإن هذا وأخوَه كلامُ عبدٍ لم ينتهِهِ عن ربِّه . ولم يعقِل عن سيِّده . لأنّ بقدْر سوءِ العادةِ أو نصْبةِ التى تلى العادة . كذلك . فهذه أيضاً تعرِض . فقد رأينا من الحيّة والعقرَب . والثعبانِ فى خلق القرنفل والكلب . ما قد علمتَ أنّ الثعلب والأسد وكلّ سبُعٍ أبيَنُ فى [ ] عليك . أن الديك [ ] وليس [ ]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

(مصلحة الكون ، فى امتزاج الخير بالشر)

اعلم أنَّ المصلحةَ فى أمرِ ٱبتداء ٱلدنيا إلى انقضاءِ مُدَّتِها امتزاجُ الخيرِ بالشرِّ ، والضارِّ بالنافع ، والمكروهِ بالسارِّ ، والضَّعَةِ بالرِّفعة ، والكَثْرة بالقِلَّة . ولو كان الشرُّ صِرْفاً هلَكَ الخلقُ . أو كان الخيرُ مَحْضاً سقَطت المِحْنة وتقطَّعَتْ أسبابُ الفِكرة ، ومع عَدَمِ الفِكرةِ يكون عَدَمُ الحكمة . ومتى ذهب التخيير ذهب التمييز . ولم يكن للعالِمِ تثبُّتٌ وتوقُّف وتعلُّم ، ولم يكن علم ، ولا يُعرف بابُ التبيُّن . ولا دفعُ مضرةٍ ، ولا اجتلابُ منفعة[1] . ولا صَبْرٌ على مكروهٍ ولا شكرٌ على محبوب . ولا تفاضُلٌ فى بيانٍ ، ولا تنافس فى درجةٍ . وبطلَت فَرحةُ الظَّفَر وعزُّ الغلبة . ولم يكن على ظهرها مُحِقٌّ يجد[2] عزَّ حق ، ومُبْطِلٌ يجد ذِلَّة[3] الباطل . ومُوقِنٌ يجد[4] بَرْدَ اليقين ، وشاكٌّ يجد[5] نقصَ الحَيْرةِ وكَرْبَ الوُجوم ، ولم تكن للنفوس آمالٌ ولم تتشعَّبْها الأطماع . ومَن لم يعرف كيف الطَّمعُ لم يعرف اليأس ، ومن جَهِل اليأسَ جَهِلَ الأمن ، وعادت الحالُ من الملائكة الذين هم صفوة الخلق ، ومن الإنس الذين فيهم الأنبياءُ والأولياء ، إلى حال السَّبُع والبهيمة ، وإلى [حال] الغباوةِ والبلادة ، وإلى حال النجوم فى السُّخْرة ، فإنها أنقص من حال البهائم فى الرُّتْبَة . ومَنْ هذا الذى يسرُّه أن يكون

---

(١) فى ب : « ولا صبر على مكروه ولا شكر على محبوب ولا تفاضل فى بيان ولا تنافس فى درجة ولا بطلت فرحة الظفر وعز الغلبة ولم يكن على ظهرها محق يجد عز الحق ومبطل يجد ذلة الباطل ومتوقن يجد برد اليقين وشاك يجد نقص الحيرة وكرب الوجوم ولم تكن للنفوس آمال ولم تتشعبها الأطماع ومن لم يعرف كيف الطمع لم يعرف اليأس ومن جهل اليأس جهل الأمن وعادت الحال من الملائكة الذين هم صفوة الخلق ومن الإنس الذين فيهم الأنبياء والأولياء إلى حال السبع والبهيمة وإلى الغباوة والبلادة وإلى حال النجوم فى السخرة فإنها أنقص من حال البهائم فى الرتبة ومن هذا الذى يسره أن يكون

(٢) فى ب : « يجد عز الحق » .

(٣) فى ب : « يجد ذل الباطل » وهو تحريف كذلك .

(٤) فى ب : « ومتوقن يجد » وهو تحريف كذلك .

Marfat.com

الشمسَ والقمرَ والنَّارَ والثلج . أو برجًا من البروج أو قطعةً من الغيم ؛ أو يكونَ المجرَّةَ بأسْرها . أو مكيالًا من الماء أو مقداراً من الهواء ؟! وكلُّ شيءٍ في العالم فإنما هو للإنسان ولكلٍّ مختَبَرٌ ومُختَبَر . ولأهل العقول والاستطاعة . ولأهل التبيُّن[1] والرويَّة .

وأين تقعُ لذَّةُ البهيمة بالعَلُوفة . ولذَّةُ السبع بلطْع الدَّم وأكْل اللحم — من سرور الظَّفَر بالأعداء ؛ ومن افتتاح باب النصر بعد إدْمان التقرُّع ؟ وأين ذلك من سرور الشُّرود ومن عزّ الرياسة ؟ وأين ذلك من محل النُّبوَّة والخلافة . ومن عزّها وسناء نورها . وأين تقع لذَّة درك [illegible] من لذَّة [illegible] ومُلاقاة [illegible] والمعصية [illegible] من السرور [illegible]

Marfat.com

الأرواحُ من معانيهـا ، والعقولُ من ثِمارها ، ولعَدِمت الأشـياءُ حظوظَها وحقوقَها .

فسبْحَان من جعل منافعَها نعمةً . ومضارَّها ترجع إلى أعظم المنافع ، وقسّمها بين مُلِذٍّ ومُؤلم ، وبين مؤنِسٍ ومُوحش ، وبين صَغيرٍ حقير وجليل كبير ، وبين عدوٍّ يرصُدُك وبين عقلٍ يحرسك ، وبين مُسَالمٍ يَمْنَعُكَ ، وبين مُعينٍ يعضُدك ، وجعَل فى الجميع تمامَ المصلحة ، وباجتماعها تمّ النعمة . وفى بطلانِ واحدٍ منها بُطلانَ الجميع . قياساً قائما وبرهاناً واضحاً . فإنّ الجميع[1] إنّما هو واحدٌ ضُمّ إلى واحدٍ وواحدٌ ضُمّ إليهما ، ولأنّ الكلَّ أبعاضٌ . ولأنّ كلَّ جُثَّةٍ فمن أجزاء ، فإذا جوَّزتَ رفْعَ واحدٍ والآخرُ مثلُه فى الوزن وله مثلُ علّتِه وحظِّه ونصيبِه ، فقد جوَّزْتَ رفعَ الجميع ، لأنّه ليس الأوّلُ بأحقَّ من الثانى فى الوقت[2] الذى رجوتَ فيه إبطالَ الأوّل . والثانى كذلك والثالثُ والرابع ، حتّى تأتىَ على الكلِّ وتستغرقَ الجميع . كذلك الأمورُ المضمَّنة والأسباب المقيَّدة[3] ، ألا ترى أنَّ الجبلَ ليس بأدلَّ على الله تعالى مِنْ الحصاة . وليس الطاوسُ المستحسنُ بأدَلَّ على الله تعالى مِنْ الخِنزير المستقبح . والنارُ والثلج وإنْ اختلفا فى جِهَة البرودة والسُّخونة ، فإنّهما لم يختلفا فى جهة البرهان والدَّلالة .

وأظنُّك ممّن يرى أنَّ الطاوسَ أكرمُ على الله تعالى من الغراب . وأن

---

(١) من كلمة « قياسا » سقط الكلام فى ل إلى هنا .

(٢) ط : « الوقت » وهو تحريف .

(٣) ط : « المضمنة » مكان « المضمنة » ، و « مقيدة » مكان « مقيدة » وهذا تحريف .

Marfat.com

التُّدْرُجَ[1] أعزُّ على الله تعالى من الحِدَأةِ ، وأنّ الغزالَ أحبُّ إلى الله تعالى من الذئب . فإنّما هذه أمور فرّقها الله تعالى فى عيون الناس ، وميَّزها فى طبائع العباد ، فجعَلَ بعضها بهم أقربَ شبها ، وجعل بعضَها إنسيًّا ، وجعل بعضَها وحشيًّا ، وبعضها غاذِياً ، وبعضها قاتلا . وكذلك الدُّرَّة وَالْحرَزة والتمرة[2] والجمرة .

فلا تَذْهَبْ إلى ما تريك العينُ واذهَبْ إلى ما يريك العقل .

(الاعتماد على العقل دون الحواس)

وللأمور حكمان : حكم ظاهرٌ للحواس . وحكم باطنٌ للعقول . والعقل هو الحجَّة . وقد علمْنا أنَّ خزنَةَ النار من الملائكة . ليس هو بدون خزنة الجنَّة ، وأنَّ ملك الموت ليس بدون ملك السَّحاب . وإن أُتِيَ بغيث وجاب الحيَّات[3] ، وجبريلُ الذى يَنْزِل بالعذاب ، ليس بدون ميكائيل الذى ينزل بالرحمة ، وإنّما الاختلاف فى الطبع والمعنى ، وفى طبقات ذلك ومواضعه . والاختلاف بين الجنة والنار إذا عدته فى المعنى ، فى العقاب ، وإذا عددته فى الطاعة عددته فى الثواب ، وإذا عددته فى عداد الطاعة والمعصية عددته فى الفضائل ، وإذا عددته فى عداد الذى تدور عليه الرحى .

---

(١) ...

(٢) ...

(٣) ...

Marfat.com

(التين والزيتون)

وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ فزعم زَيدُ بنُ أسلم أنَّ التِّين دمشق ، والزيتون فِلَسطين . وللغالية فى هذا تأويلٌ أرغبُ بالعِتْرة عنه[1] وذكرِه . وقد أخرَجَ الله تبارك وتعالى الكلامَ مُخرَجَ القسم . وما تُعرَف دِمَشق إلّا بدِمَشق . ولا فِلَسطين إلّا بفلسطين . فإن كنتَ إنّما تقف من ذكرِ التين على مقدار طعمِ يابسِه ورَطْبه . وعلى لَاكتنانِ بورَقِه وأغصانه . والوَقود بعِيدانه . وأنّه نافعٌ لصاحب السُّلّ . وهو غذاءٌ قويٌّ ويصلُح فى مواضعَ من الدواء . وفى الأضْمدةِ . وأنّه ليس شيءٌ حلو إلّا وهو ضارٌّ بالأسنانِ غيره . وأنّه عند أهلِ الكتاب الشَّجرةُ التى أكَلَ منها آدمُ عليه السلام . وبورقها ستَرَ السَّوءة عند نزولِ العقوبة . وأنّ صاحبَ البواسيرِ يأكله ليُزْلِقَ عنه الثفل . ويسهلَ عليه مخرج الزِّبل[2] . وتقف من الزيتون على زيتِه والاصطباح به . وعلى التأدُّم بهما والوَقود بشجرهما . وما أشبه ذلك من أمرهما — فقد أتيتَ ضَنًّا بالقرآن . وجهلتَ فضلَ التأويل . وليس هذا لمقدارِ عضّهما الله عزّ وجلّ . وأقسَمَ بهما ونوّه بذكرهما .

(التأمل فى جناح البعوضة)

ولو وقفْتَ على جَناحِ بَعوضةٍ وُقوفَ معتبِرٍ . وتأمّلتَه تأمُّلَ متفكّرٍ بعد

---

(١) ط : « أرغب عن التعبير عنه » .

(٢) ط : « الثفل ، موضع الثفل . . . البول يسهل الزبل ، وثبت ما فى ن » .

Marfat.com

أن تكونَ ثاقبَ النَّظرِ سليمَ الآلة ، غوَّاصاً على المعانى ، لايعتريك من الخواطر إلّا على حسب صحّةِ عقلك ، ولا من الشواغل إلّا مازادَ فى نشاطِك ، لملأت ممَّا تُوجِدك العِبرةُ من غرائب الطوامير الطِّوال ، والجلود الواسعةِ الكِبار ، ولرَأَيتَ أنَّ له من كثرة التصرُّف فى الأعاجيب ، ومن تقلُّبه فى طبقات الحكمة ، ولرأَيتَ له من الغُزْر والرَّيع ، ومن الحلَب والدَّرّ والتبَجَّسَ عليك[1] من كوامِنِ المعانى ودفائِنِها . ومن خَفِيَّاتِ الحكمة ٩٨ وينابيعِ العلم . مالا يشتدُّ معه تعجُّبُك ممَّن وقَفَ على مافى الدِّيك من الخصالِ العجيبة . وفى الكلبِ من الأمور الغريبة . ومن أصنافِ المنافع . وفنون المرافق ، وما فيهما[2] من المِحَن الشِّداد . ومع ما أودعا من المعرفة . التى مَتى تجلَّت لك تصاغرَ عندك كثيرٌ مما تستعظم ، وقلَّ فى عينك كثيرٌ ما تستكثر . كأنَّك تظنُّ أنَّ شيئاً وإنْ حسُنَ حالُه فى ثمنِه ومقدارِه . يُ الحكمةَ التى هى فى خِسَّته إنَّما هى على مقدارِ ثمنه ومقداره .

(كلمات الله)

Marfat.com

لو وقَف عليه رجلٌ رقيقُ اللسان صافى الذهن ، صحيحُ الفِكْر تامُّ الأَدَاة ؛ لما بَرِح أن تحسره[1] المعانى وتَغْمره الحِكَمُ .

وقد قال المتكلمون والرؤساء والجِلَّةُ العُظماءُ فى التمثيل بين الملائكةِ والمؤمنين ، وفى فرقٍ ما بين الجنِّ والإنس . وطباعُ الجنِّ أبعدُ من طباعِ الإنس ، ومن طباعِ الديك ، ومن طباع الكلب . وإنَّما ذهبوا إلى الطاعة والمعصية . ويخيَّل إلىَّ أنك لو [كنت] سمعتَهما يمثِّلان مابين الدَّرَج والطاوُس . لَمَا اشتدَّ تعجُّبُك . ونحن نرى أنَّ تمثيلَ ما بينَ خصالِ الذَّرَّة والحمامة . والفيل والبعير . والثَّعلبِ والذيب أعجَب . ولسنا نعنى أنَّ للذَّرَّة ما للطاوس من حسنِ ذلك الريش وتلاوينه وتعاريجه[2] ، ولا أنَّ لها غَناءَ الفرَس فى الحرب والدَّفْعِ عن الحريم ؛ لكنَّا إذا أردنا مواضعَ التدبير العجيبِ من الخلْق الخسيس ، والحسِّ اللطيفِ من الشيء السخيف[3] ، والنَّظرِ فى العواقب من الخلق الخارج من حدود الإنس والجنِّ والملائكة ، لم[4] نذهب إلى ضِخَم البدَن وعِظَم الحجم . ولا إلى المنظر الحسَن ولا إلى كثرة الثمن . وفى القرد أعاجيبُ وفى الدُّبِّ أعاجيب ، وليس فيهما كبير مَرْفِقٍ إلّا بقدْرِ ما تتكسَّب به [أصحاب[5]] القردة . وإنما قصدنا إلى شيئين يَشِيعُ القولُ فيهما . ويكثرُ الاعتبار ممَّا يستخرج العلماءُ من خفِىِّ أمرهما . وارجعْنا بين الدِّيك وبين بعضِ

---

(١) ط : « تحشره » ، ويكون صوابه « تحشر له المعانى » . وأثبت ما فى ل . يقال : حسر البعير : ساقه حتى أعيه .

(٢) يقال ثوب معرج : أى خطط فى نسجه . وفى ل : « تقاريحه » . وانظر ٥ : ١٥٠ .

(٣) ط : « والحس اللطيف فى الشيء السخيف » وهى عبارة مشوهة .

(٤) فى الأصل : « ولم » .

(٥) زيادة يستقيم بها الكلام .

Marfat.com

ما ذكرت ، وبين الكلب وبين بعض ماوصفت ، لانقطع القولُ قبل أن يبلغَ حدَّ الموازنةِ والمقابلة .

وقد ذكرتَ أنَّ بعضَ مادعاك إلى الإنكار عليهما والتعجُّبِ من أمرهما ، سقوطُ قدرِ الكلب ونذالتُه . وبَلَهُ الدِّيكِ وغباوتُه . وأنَّ الكلبَ لابهيمةٌ ٩٩
تامَّة ولا سبعٌ تامٌّ . وما كان ليخرِجَه من شيءٍ من حدود الكلاب إلى حدود الناس . مقدارُ ماهو عليه من الأُنس بهم . فقد يكون في الشيء بعضُ الشبه مِنْ شيء ولا يكون ذلك مُخرِجًا له من أحكامِهما وحدودِهما .

(تشبيه الإنسان بالقمر والشمس ونحوهما)

وقد يشبِّه الشعراءُ والبلغاءُ الإنسانَ بالقمر والشمس . والغيث والبحر ، وبالأسد والسيف . وبالخيَّة وبالنَّجم . ولا يخرجونه بذلك من حدِّ الإنسان . وإذا قالوا : هو كوكب وغيث وبحر . وهو القمر والشمس وهو الثور . وهو النَّرجس . وهو القضيب . وهو الخمر . وهو الجوهر القرنفلي . ثم لا يدخلون هذه الأشياء في حدود الناس ولا يخرجون بذلك الإنسان إلى هذه الحدود . وإنما هي غزلا . وتشبيهات في الخلقة . وفي الوجه . وفي الخدود . وفي القدود . وفي الشعور . وفي الثغور . وفي الخيزران . على ذلك المعنى . وعلى ذلك الوجه . فذكروه لأنه . وفي الناس . وفي

---

(١)

Marfat.com

فصَحَوتَ والنَّمَرىُّ يحسَبُها عَمَّ السِّماكِ وخالةَ النَّجْمِ (١)

ويُروى عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال : « نِعْمَتِ العَمة لَكُم النَّخلة [خُلقت مِنْ فضلة طينةِ آدم] » . وهذا الكلام صحيحُ المعنى . لايَعيبه إلّا مَن لايعرِف مجاز الكلام . وليس هذا ممَّا يطَّرِد لنا أن نقيسَه . وإنَّما نُقدِم على ما أقدَموا . ونُحجم عما أحجموا . وننتهى إلى حيثُ انتهَوْا .

ونراهم يسمُّون الرجلَ جملًا ولا يسمُّونه بعيراً . ولا يسمُّون المرأةَ ناقة . ويسمُّون الرجلَ ثوراً ولا يسمُّون المرأةَ بقرةً . ويُسَمُّونَ الرجل حمارا ولا يسمون المرأة أتاناً ؛ ويسمُّون المرأة نعجةً ولا يسمُّونها شاة . وهم لايضعون نعجةً اسماً مقطوعا . ولا يجعلون [ذلك (٢)] علامةً مثلَ زيد وعمرو . ويسمُّون المرأة عنْزا .

(تسمية الإنسان بالعالم الأصغر)

أوَ ما علمتَ أنّ الإنسان الذى خُلقت السمواتُ والأرضُ وَمَا بينَهما مِن أجْله (٣) كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ سَخَّرَ لَكُمْ مَافى السَّمَوَاتِ وَمَا فى الْأَرْضِ جَميعاً مِنْهُ ﴾ إنّما سمَّوه العالَمَ الصغير سليلَ العالَمَ الكبير . لِمَا وجدوا فيه من جَمع أشكالِ ما فى العالم الكبير . ووجدْنا له الحواسَّ الخمسَ ووجدْنا فيه المحسوساتِ الخمس . ووجدُوه يأكل اللَّحمَ والحَبَّ . ويجمعُ

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) فى الأصل : [illegible] وصوبت اللفظة كما ترى .

Marfat.com

بينَ ما تقتاته البهيمةُ والسبع ، ووجَدوا فيه صَولةَ الجمل ووُثُوبَ الأسد ، وغدْرَ الذئب ، ورَوَغان الثعلب ، وجُبْن الصِّفْرِد ، وجَمْعَ الذَّرَّةِ ، وصنْعةَ السُّرْفة[1] وجُودَ الدِّيكِ ، وإلفَ الكلب ، واهتداءَ الحمام . ورُبَّما وجدوا فيه ممَّا فى البهائم والسباع خُلُقَيْن[2] أو ثلاثة ، ولا يبلغُ أن يكون جملاً بأن يكون فيه اهتداؤه وغيرته ، وصَولته وحِقدُه ، وصبرُه على حَمْل الثِّقْل ، ولا يلزَم شبهُ الذئبِ بقدْر ما يَتَهَيَّأُ فيه من مِثل غدْرِه ومكْرِه ، واستراحِه وتوحُّشه ، وشدَّة نُكْره . كما أن الرجلَ يصيبُ الرأىَ الغامضَ المرّةَ والمرَّتين والثَّلاثَ ، ولا يبلغُ ذلك المقدارُ أن يقال له داهيةٌ وذو نُكراء أو صاحبُ بَزْلاء[3] ، وكما يخطئُ الرجل فيفحُش خَطَؤُه[4] فى المرَّة والمرَّتين والثلاث . فلا يبلغ الأمرُ به أن يقال له غبيٌّ وأبلهُ ومنقوص .

وسمَّوه العالمَ الصغيرَ لأنَّهم وجدوه يصوِّر كلَّ شىء بيده . ويحكى كلَّ صوتٍ بفمه[5] . وقالوا : ولأنَّ أعضاءه مقسومةٌ على بروج الاثنى عشر والنجوم السبعة . وفيه الصفراء وهى من نتاج النار . وفيه الدم وهى من نِتاج الأرض . وفيه البلغم وهو من نتاج الماء . وفيه السوداء وهى من نتاج الهواء . وعلى طبائعه الأربع وضعت الأوتاد الأربعة[6] .

---

(١) ط : وصنعة سرقة ... وجود الديك ...

(٢) فى ط : ... خلقين ...

(٣) ط : ... بزلاء ...

(٤) ...

(٥) ...

(٦) ...

Marfat.com

فجعَلوه العالَمَ الصغير ، إذ كانَ فيــه جميعُ أجزائِه وأخلاطِهِ وطبائعه . ألا تَرَى أنَّ فيه طبائعَ الغضبِ والرضَا ، وآلة اليقين والشكِّ ، والاعتقاد والوقف[1] وفيه طبائعُ الفِطنةِ والغَباوة ، والسلامة والمكر[2] ، والنصيحةِ والغِشِّ ، والوَفاء والغدر ، والرياء والإخلاص ، والحبِّ والبُغْض ، والجِدِّ والهزْل ، والبخْل والجُود ، والاقتصادِ والسّرَف ، والتواضع والكبر ، والأنسِ والوحشة ، والفكرة[3] والإمهال ، والتمييــز والخبْط ، والجبْن والشجاعة ، والحزم والإضاعة ، [والتبذير والتقتير] ، والتبذل والتعزز[4] ، والادِّخار والتوكُّل ، والقَناعة والحِرْص ، والرغبة والزُّهْد ، والسُّخْط والرِّضا ، والصــبر والجزَع ، والذِّكر والنسيان ، والخوفِ والرجاء ، والطَّمَعِ واليأس ، والتنزُّه والطَبَع ، والشكِّ واليقين ، والحياء والقِحَة ، والكِتْمانِ والإشاعة ، والإقرار والإنكار ، والعلم والجهل ، والظلم والإنصاف ، والطلب والهَرَب ، والخَفْد وسرْعة المرضا ، والخِــدَّةِ وبُعْدِ الغضب ، والسُّرور والهمّ ، واللَّذَّةِ والألَمِ[5] والتأميلِ والتمنّي ، والإصرارِ والنَّدَم ، والجِمَاحِ والبَلَدات[6] ، والعيّ والبلاغة ، والنُّطْق والخرَس ، والتصميمِ والتوقف[7] والتغافُلِ والتفاطُن ، والعفــوِ والمكافأة ، والاستطاعة والطبيعة[8] وما لا يحصى عدده[9] ، ولا يُعرَف حَدُّه .

---

(١) ط : ... وحق .

(٢) ط : ... والمكر .

(٣) ... الفكرة ... تصحيح قياسي بالإمهال .

(٤) ... والتبذل والتعزز ... وهو تصحيف ما في ل .

(٥) ط : ... والآلام ... والمثبت ما في ل .

(٦) ... في ل ، وفي ط : ... بلدات .

(٧) ... وتشكك .

(٨) كذا .

(٩) ط : ... عدده .

Marfat.com

فالكلبُ سبع وإن كانَ بالناس أنيساً ، ولا تخرِجُه الخصلة والخَصلتان ١٠١
ممَّا قاربَ بعضَ طبائع الناس ، إلى أن يخرجَه من الكَلْبيَّة . قال : وكذلك
الجميع . وقد عرَفت شبَه باطنِ الكلب[1] بباطن الإنسان ، وشبَه ظاهِر
القرد بظاهر الإنسان : ترى ذلك فى طَرْفِه وتغميضِ عينه . وفى ضِحْكه
وفى حكايته . وفى كفِّه وأصابِعه . وفى رفعِها ووضعِها . وكيف يتناولُ بها .
وكيف يجهز اللُّقمة إلى فيه وكيف يكسِر الجَوْزَ ويستخرج لبَّه[2] وكيف
يَلْقَنُ كل مَا أُخِذَ به[3] وأُعِيدَ عليه . وأنَّه من بين جميع الحيوان إذا سقط
فى الماء غرِق مثلَ الإنسان . ومع اجتماعِ أسبابِ معرفة فيه يغرق . إلاَّ
أن يكتسب معرفةَ السباحة . وإن كان طبعه وفى كل شىء منه من هذه
أنقص وأكلُّ . وكلُّ شىءٍ فيه يسبَح من جميع الحيوانات . ثم يزيد فى معرفة
والفِطنة . ومما يوصَف بالغباوة والبَلادة ، وبين يديه [illegible]

من المقاربة [illegible]

العود إلى الحيوان فى شأن [illegible]

وزعمت [illegible]

محترس [illegible]

والقرد [illegible]

الحُشمىّ . [illegible]

[illegible]

---

(١) ط : [illegible]
(٢) ل : [illegible]
(٣) ط : « يلقن [illegible]
(٤) ط : « إلى » .

Marfat.com

ويقال : إن الشاعر[1] قال هذا الشعرَ فى الفلافس النَّهشَلىّ[2] ، حين ولِىَ شُرطةَ الحارِث بن عبد الله [فقال] :

أقِلِّى علىَّ اللومَ يا ابنةَ مالكٍ ... وذُمِّى زماناً سادَ فيه الفُلافسُ
وساعٍ مع السلطان يَسعَى عليهمُ ... ومُحتَرسٍ من مثلِه وهوحارسُ

وليس يُحكَمَ لِصغار المضارِّ على كبارها[3] بل الحكمُ للغامرِ على المغمور[4] والقاهِرِ على المقهور . ولو قد حكَينا ما ذكر هذا الشَّيخُ من خِصال الكلب وذكَرَ صاحبُه من خصالِ الديك ، أيقنتَ أنَّ العجَلةَ من عمل الشيطان ، وأنَّ العُجْبَ بئس الصاحب .

وقلتَ : وما يبلغُ من قدْر الكلب ومِن مقدارِ الديك ، أن يتفرَّغ لهما شيخان من جِلَّة المعتزِلة ، وهم أشراف[5] أهلِ الحكمة ؟ فأىُّ شىءٍ بلغ ، غفر الله تعالى لك ، من قدْرِ جزءٍ لايتجزَّأ من رمْل عالج ، والجزءِ الأقلِّ من أوَّل قطْع النَّرَّة للمكان السحيق ؟ والصحيفة التى لا عمقَ لها ، ولأىِّ شىء يُعنَوْن بذلك ، وما يبلغ من ثمنِه وقدْرِ حجْمه ، حتَّى يتفرَّغَ للجدالِ فيه الشُّيوخ الجِلَّة ، والكهولُ العِلْية ، وحتَّى يختاروا النَّظرَ فيه على التسبيح والتهايل ، وقراءةِ القرآن وطولِ الانتصابِ فى الصلاة ؟ وحتَّى يزعم أهلُه

١٠٢

---

(١) هو عبد الله بن همام السلولى . ترجم له ابن قتيبة فى الشعراء ٦٣٣ . وانظر عيون الأخبار ١ : ٥٧ ، والمحاسن والمساوى للبيهقى ١ : ١٢٦ .

(٢) قال ابن قتيبة : كان الفلافس هذا على شرطة الكوفة من قبل الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى أخى عمر بن أبى ربيعة . . وخرج الفلافس مع ابن الأشعث وقتله الحجاج .

(٣) ل : « على كبار المنفع » .

(٤) ل : « للغامر على المغمور » وما أثبته من ط أشبه .

(٥) ل : « شراف » .

Marfat.com

أنَّه فوقَ الحجِّ والجهاد . وفوقَ كلِّ برٍّ واجتهاد[1] . فإنْ زعمتَ أنَ ذلك كلَه سواءٌ ، طالت الخُصومةُ معَك ، وشغلْتنا [بهما] عمَّا هو أولى بِنا فيك . على أنَّك إذا عَمَمْتَ ذلك كلَّه بالذمِّ ، وجَلَّلته بالعيب . صارت المصيبةُ فيك أجلَّ ، والعزاءُ عنها أعسر . وإن زعمتَ أنَّ ذلك إنَّما جاز لأنَّهم لم يذهبُوا إلى أثمان الأعيان فى الأسواق . وإلى عظم الحجم . وإلى ما يروقُ العينَ ويلائمُ النفس . وأنَّهم إنَّما ذهبوا إلى عاقبة الأمر فيه . وإلى نتيجته . وما يتولَّد عنه من علم النِّهايات . ومن باب الكلِّ والبعْض . وكان ويكون . ومن باب ما يحيط به العلم أو ما يفضل عنه . ومن فَرق [ما[2]] بين مذهب الدُّهريَّة ومذاهب الموحِّدين . فإن كان هذا العذرُ مقبولاً . وهذا حكمٌ صحيحاً . فكذلك نقول[3] فى الكلاب . لأنَّ الكلابَ ليس له خطر ثمين ولا قَدْر فى الصدر جليل . لأنَّه إن كان كلبَ صيد فقيمته أربعون درهم . وإن كان كلب ضرع فقيمته شاة . وإن كان كلب دور فقيمته [illegible] من تراب . حتَّى على كلِّ من يؤذيه . وحتَّى على صاحب الكلب الذى يقتله . فهذا مقدار ما ظهر لنا [illegible] . وكلُّ من خصمك . ودون خصمك . وأبرهانك على عجيب تدبير رب تعالى ذكره فيه . [illegible] فإنَّك ستجد [illegible] . والتمثيل بينه وبين نظيره .

[illegible] إن كان فيه [illegible]

[illegible] عجيب تدبيره [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

الذى له خلق الله السمواتِ والأرض وما بينهما ، أحقُّ بأنْ يُفكرَ فيه ، ويُحْمَدَ اللهُ تعالى على ما أودَعَه من الحكمةِ العجيبةِ ، والنِّعمة السابغة .

وقلت : ولو كان بدلُ النظرِ فيهما النظرَ فى التوحيدِ ، وفى نفى التشبيه ، وفى الوعد والوعيد ، وفى التعديل والتجوير ، وفى تصحيح الأخبار ، والتفضيلِ بين علم الطبائع والاختيار ، لكان أصوبَ .

(دفاع عن المتكلمين)

والعجبُ أنَّك عَمَدْتَ إلى رجالٍ لا صناعةَ لهم ولا تجارةَ إلاَّ الدعاءَ إلى ما ذكرت ، والاحتجاجُ لما[1] وصفت ، وإلاَّ وضْعُ الكتبِ فيه والولايةُ والعداوةُ فيه ، ولا لهمْ لَذَّةٌ ولا هَمٌّ ولا مذهبٌ ولا مجازٌ إلا عليهِ وإليه ؛
١٠٣ فحين أرادُوا أن يُقَسِّطُوا بينَ الجميعِ بالخِصص ، ويَعْدِلوا بينَ الكلِّ بإعطاء كلِّ شىء نصيبه ، حتَّى يقعَ التعديلُ شاملاً ، والتقسيطُ جامعًا ، ويظهرَ بذلك الخلقُ من الحِكَمِ ، والمستورُ من التدبير ، اعترضْتَ بالتعنُّتِ والتعجُّب . وسطّرت الكلامَ ، وأطلتَ الخطب ، من غير أنْ يكون صوَّبَ رأيَكَ أديبٌ ، وشايَعَكَ حكيم .

(نسك طوائف من الناس)

وسأضرب لك مثلاً قد استوجبتَ أغلظَ منه ، وتعرَّضتَ لأشدَّ منه ولكنَّا نستأنى بك وننتظرُ أوْبَتَك . وَجَدْنَا لجميعِ أهلِ النَّقص ، ولأهلِ كلِّ صِنفٍ منهم نُسُكًا يعتمِدون عليه فى الجَمَال ، ويحتسِبون به فى الطاعة وطلَبِ المثُوبة ، ويفزَعون إليه ، على قدْرِ فسادِ الطِّباع ، وضعفِ الأصل ،

---

(١) فى الأصل : « بما » .

Marfat.com

واضطرابِ الفرْع ، مع خبْث المنشإ . وقلّةِ التثبُّتِ والتوقُّفِ . ومع كثرة التقلُّب والإقدام مَعَ أوّلِ خاطر : فنُسك المَريبِ المرتابِ من المتكلّمين أنْ يتحلَّى برمْى الناسِ بالرِّيبة . ويتزيَّنَ بإضافةِ ما يجدُ فى نفسه إلى خَصمه . خوفاً من أن يكونَ قد فطِن له . فهو يستُرُ ذلك الداءَ برمْى الناس به .

ونُسكُ الخارجيِّ الذى يتحلَّى به ويتزيَّا بجماله . إظهارُ استعظامِ [illegible]

ثم لايَلتفِت إلى مجاوزَة المقدارِ وإلى ظُلْمِ العباد . ولا يقِفُ على أنّ [illegible] لايحبُّ أن يَظْلِمَ أظلمَ الظَّالمين . وأنَّ فى الحقِّ ما وسِعَ الجميع .

ونسْك الخُراسانىِّ أن يَحُجَّ ويَنَاه على نقد . ويعتقد [illegible] ويتهيَّأ للشَّهادة ، ويبسُطَ لسانَه بالخِسّة . وقد قالوا : زِدْ نسَكَ الشريفَ تواضُعَ . وإذا نسَكَ الوضيعُ تكبَّرَ . وتفسيرُه قريبٌ واضح .

ونُسْكُ البَغْوى [2] وخلقٍ ضلّ [illegible]

وإظهارُ مجاهدة نفسه [illegible]

تركُ سَرقة الشعر [illegible]

والصلاةُ على النبى صلى الله [illegible]

ونسك [illegible]

والصوفىِّ منهم [illegible]

---

(١) ط : [illegible]

(٢) ط : [illegible]

(٣) ط : [illegible]

(٤) فى القدسى : [illegible]

Marfat.com

تطرف[1] وأظهر تحريمَ المكاسب، وعاد سائلًا ، وجعل مسألتَه وسيلة إلى تعظيم الناسِ له .

وإذا كان النَّصرانيُّ فسلًا نذْلا مبغِضاً للعمَل، ترهَّب ولَبِس الصُّوف ؛ لأنَّه واثقٌ أنَّه متى لبِس وتزيَّا بذلك الزِّيِّ وتحلَّى بذلك اللِّباس ، وأظهر تلك السِّيما ، أنَّه قد وجَبَ على أهل اليُسرِ والثَّروة منهم أن يعُولُوه ويَكْفُوه ، ثمَّ لا يرضى بأنْ رَبِحَ الكِفايةَ باطلًا حتى استطال بالمرتبة .

١٠٤ فإذا رمى المتكلِّمُ المريبُ أهلَ البراءة ، ظنَّ أنَّه قد حوَّل ريبتَه إلى خَصمه ، وحوَّل براءةَ خصمِه إليه . وإذا صار كلُّ واحدٍ من هذه الأصناف إلى ما ذكرنا ، فقد بلغ الأمنيَّة . ووقَفَ على النِّهاية . فاحذَر أن تكونَ منهم واعلَمْ أنَّك قد أشبهتَهم فى هذا الوجه ، وضارعتَهم فى هذا المذهب .

باب

مما قدَّمْنا ذكرَه ، وبينَه وبينَ ما ذكرنا بعضُ الفرْق .

يقال : أجرأ من الليث ، وأجبَنُ من الصَّفْرِد ، وأسخَى مِنْ لافِظة ، وأصبرُ على الهُونِ[2] من كَلب ، وأحذر من عَقْعَق ، وأزهى مِن غراب ، وأصنَع من سُرفَة[3] وأظلم من خيَّة . وأغدَر من الذئب ، وأخبَث من ذئبِ خمرَ[4] وأشدُّ عداوةً من عقرب . وأروغُ من ثعلب ، وأحمقُ من حُبارى ، وأهدى من قطاة . وأكذَبُ مِن فاختة . وألأمُ من كلبٍ على جيفة .

---

(١) ط : « بين » بدل « من » ، و « بهعض » موضع « يبغض » . وفى ل : « تصوف » موضع « تطرف » .

(٢) ب : « الهوان » وهما بمعنى .

(٣) ط : « واضع من شرفة » . وانظر الحاشية رقم (١) ص ١٠٠ .

(٤) ط : « ضمر » وهو تحريف . والخمر ، بالتحريك : ما وارك من شجر وغيره .

Marfat.com

وأجمَعُ من ذَرّة ، وأضلُّ من حِمار أهلي[١] ، وأعقُّ من ضَبٍّ ، وأبرُّ من هِرَّة ، وأنْفَر من الظليم ، وأضَلّ من وَرَل[٢] وأضلُّ من ضبٍّ . وأضلُّ من الحيَّة .

فيعبِّرون عن هذه الأشياء بعبارةٍ كالعبارة عن الناس . في مواضع الإحسان والإساءة . حتَّى كأنَّهم من الملومين والمشكورين . ثم يعبِّرون في هذا البابِ الآخَر بدونِ هذا التعبير . ويجعلونَ خبرَهم[٣] مقصوراً على ما في الخِلقة من الغريزة والقُوى فيقولون : أبصرُ من عُقاب . وأسمعُ من فرَس . وأطولُ ذماءً من ضبٍّ . وأصحُّ من الظليم .

والثاني يشْبِه العبارةَ عن الحمد والذم . والأوَّل يُشبِه العبارةَ عن الملامة والشكر[٤] . وإنَّما قلنا ذلك . لأنَّ كلَّ مشكورٍ محمود . وليس كلُّ محمود مشكوراً . وكلُّ مذموم مذموم وليس كلُّ مذموم مذموماً . وقد يحمدون البَلدة ويذمّون الأخرى . وكذلك [illegible] . وليس ذلك من جهة اللوم ولا على جهة الشكر . لأنَّ لأحدٍ [illegible] لا يقع إلا على جهة [illegible] والتكلُّف . وإلا على ما لا يكون إلا لمستطيع [illegible] وبمقدورٍ من المعرفة . ولا يقع أن يستحق [illegible] استطاعة . [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

Marfat.com

باب

ما ذكر صاحبُ الديك من ذمِّ الكلابِ وتعدادِ أصنافِ معايبها[1] ومثالبها . مِن لؤمها وجبنها[2] وضعْفها وشرَهها ، وغدْرِها وبَذَائها ، وجهْلها وتسرُّعِها . ونتْنِها وقذَرها ، وما جاء فى الآثار من النَّهْى عنِ اتخاذها وإمساكها . ومن الأمْر بقتْلِها وطردها . ومن كثرةِ جناياتها وقلَّة رَدِّها[3] ومن ضرب المثَل بلؤمها ونذالتها . وقبحِها وقبْحِ معاظلتِها[4] ومِن سماجة نُباحِها وكثرة أذاها . وتقذُّر المسلمين من دنوِّها[5] [وأنّها تأكل لحومَ الناسِ] . وأنّها كانخلْق المركّبِ والحيوان الملفّق : كالبغْل فى الدوابِّ وكالراعِى فى الحمام[6] . وأنّها لاسبعٌ ولا بهيمة ، ولا إنسيَّةٌ ولا جنيَّة . وأنّها من الجنّ[7] دون الجنّ . وأنّها مطايا الجنِّ ونوعٌ من المسْخ . وأنّها تنبش القبورَ وتأكل الموتى . وأنّها يعتريها الكَلَبُ مِن أكلِ لحوم الناس .

فإذا حكَيْنَا ذلكَ حكَينا قولَ من عدَّد محاسنَها ، وصنّف مناقبها ، وأخذنا مِنْ ذكر أسمائها وأنسابها وأعراقها . وتفدية الرجال إيّاها[8]

---

(١) ط : معائبها . بالهمز وهو خطأ صوابه فى ن : ذ المعايب جمع معب أو معبة مثل معيب ، قلبت الياء فى الجمع ألفا لغير علة فلم يصح قلبها همزة . مثلها فى ذلك مثل معيشة ومعايش .

(٢) ط : وسوئها . ن : وسوئها . ذ : وشئها . تحريف .

(٣) ن : وقلة ردها . ذ : وقلة ردها . تحريف .

(٤) ن : معاظلتها . وهو تحريف . ذ : المقاتل . ملازمة فى السفاد من الكلب ونحوه .

(٥) ط : دونها .

(٦) ن : وأنها كالحمى فى الحمام . وهو تصحيف لعله من صوابه فيما سبق .

(٧) ط : الجن . وهو خطأ كما فى ن ، ذ .

(٨) ن : والغيرة الرجال إياها . وهو تحريف .

Marfat.com

واستهتارهم بها ، وذكر كسْبِها وحراستها ، ووفائها وإلْفها وجميعِ منافعها ؛ والمرافقِ التى فيها ، وما أُودِعت من المعرِفة الصحيحةِ والفِطَن العجيبة والحسِّ اللطيف[1] والأدب المحمود . وذلك سِوى صِـدق الاسترواح وجَودَةِ الشمِّ ، وذِكْر حفظها ونَفاذها واهتدائها . وإثباتِها لصُوَر أربابها وجيرانها ، وصبرِها ، ومعرفتِها بحُقوق الكِرام . وإهانتِها اللئام . وذكر صبْرِها على الجَنا ، واحتمالها للجوع . وذكر دِمامتها وشدَّةِ مَنْعِها مَعاقِد الذَّكَر منها[2] ، وذكر يَقَظَتِها وقِلَّة غفلتها[3] وبُعْدِ أصواتها . وكثرة نسْلِها وسرعة قَبولها وإلقاحِها وتصرُّفِ أرحامِها فى ذلك . مع اختلاف طبائع ذكورها والذكور من غير جنسها . وكثرةِ أعدائها وأنواعها . وتردُّدها فى أصناف السِّباع . وسلامتها من أعراق البهائم . وذكر لقَحِها وحكمتِها . وجودة قِسْمِها ومَهْنِها[4] وخِلابتها . وجدِّها ونَشَبِها وجميع أمورها . [illegible]

والأحاديث مأثورة . [illegible]

النَّاس لها وفرِ سَتِهم فيها . [illegible]

وبإخبار المتصيِّرين عنها . [illegible]

ومادَّة حديثها . [illegible]

---

(١) ط : [illegible]

(٢) ل : [illegible]

[illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

Marfat.com

وسياستها ، وعن اللاتى لا تلقَنُ منها[1] وعن أعراقِها والخارجىّ منها[2] وعن أصول مواليدها ومخارج بلدانها .

وذكر صاحبُ الديك ما يحفظ من أكلِ الكلابِ للحُوم النَّاس فقال :

قال الجارود بن أبى سَبْرَة[3] فى ذلك :

ألم تر أنَّ اللهَ ربِّى بحَوْلِه وقوَّتِه أخزى ابنَ عَمْرَةَ مالكا
١٠٦ فمَنْ كانَ عنه بالمغيَّبِ سائلاً فقد صارَ فى أرض الرُّصافةِ هالكا
تظلُّ الكلابُ العادياتُ يَنُشْنَه إذا اجتَبْنَ مُسْوَدًّا مِنَ الليل حالكا[4]

وقال نُفَيع بن صفَّار المحاربى[5] من ولد مُحارِب بن خُصَفة[6] فى حرب قيسٍ وتغلِب :

أفنَتْ بَنى جُشَم بن بكرٍ حَرْبُنا حتى تعادَلَ مَيلُ تَغلِب فاستَوَى
أكَلَ الكلابُ أنوفَهم وخُصَاهُمُ فلتَبْكِ تَغْلِبُ للأنوفِ وللخُصَى

وقال أبو يعقوب الخُرَيمى ، وهو إسحاق بن حسَّان بن قوهى[7] فى قتلى حربٍ ببغداد :

---

(١) ط : الا تلقن منها وهو تحريف .

(٢) ط : الخارجى ، والتصويب من ل ، وهو المقابل للعربق ، كما فى البيان ١ : ٣٠ ، ٩٠ .

(٣) ل : سمرة وهو تحريف . وفى الجاحظ فى البيان ١ : ٣٢٩ ، وكان الجارود بن أبى سبرة — ويكنى أبا نوفل — من أبين الناس وأحسنه حديثا . وكان [illegible] . وكان من رجال الشيعة وممن [illegible] خديج قال : [illegible] توفى سنة ١٢٠ كما فى تقريب التهذيب ص ٣٨ .

(٤) ط : [illegible] وكان [illegible] : الذى يجئ مستورا .

(٥) ط : [illegible] نفيع بن الحسحاس العطاردى ، وأثبت ما فى ل .

(٦) ط : [illegible] خصفة ، كما فى نهاية الأرب ١ : ٣٣٤ .

(٧) ط : [illegible] ، وهو إسحاق بن حسان بن قوهى ، والتصويب ما أثبت من ل ، ومن تاريخ بغداد ٦ : ٣٣٦ . قال الخطيب : وأصله من خراسان من بلاد [illegible] وكان [illegible] بن حسان بن قوهى الخزرى ، وآخر [illegible] ، وقيل كان [illegible] بن خزرج ...

Marfat.com

وهَل رأيتَ الفتيانَ فى باحة الْمعْـــرَكِ مَعفورةً مَناخِـرُها[1]
كلّ فـتًى مانعٍ حقِيقَتَه يشقَى به فى الوَغَى مَساعِرُها
باتَتْ عليه الكلابُ تنهَشُه مخضوبةً من دمٍ أظافِرُها

وقال أبو الشمقمق (وهو مَرْوان بن محمد ، مولى مرْوان بنِ محمَّد ، ويكنى أبا محمَّد)[2] :

يُوسفُ الشاعرُ فَرْخٌ وجَـــدُّوه بالأبْنَه
حَلَقِىٌّ قَـدْ تَلقَّى كامناً فى جَوف جُلَّه[3]
خيَّطوها خشْيَةَ الكلـــبِ عليْهِ بمِسَلَّه

وذُكر لى عن أبى بَكر الهُذَلىّ ، قال : كنَّا عندَ الحسن إذ أقبل وكيع ابن أبى سُود فجلس ، فقال يا أبا سعيد : ما تقولُ فى دم البراغيث يُصيب الثوب : أيصلَّى فيه ؟ فقال : يا عجبا ممَّن يبغ فى دماء المسلمين كأنَّه كلب ، ثم يسألُ عن دم البراغيث !! فقام وكيعٌ يتخلَّج فى مشيته كأنَّه يتقيأ ، فقال الحسن : إنَّ لله فى كلّ عضو من أعضائه نعمة فيستعين به على بعض ، اللَّهمَّ لا تجعلْنا ممَّن يتقوَّى بنعمتك على معصيتك !!

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

(ما أضيف من الحيوان إلى خبث الرائحة)

وقال صاحب الديك : أشياءُ مِنَ الحيوانِ تُضافُ إلى نتْنِ الجُلُود وخُبث الرائحة . كريح أبْدان الحيَّات . وكنتْن التُّيوس وصُنانِ عرَقها ؛ وكنتن جلد الكلب إذا أصابه مطر . وضروبٌ من النَّتن فى سوى ذلك . نحنُ ذاكروها إن شاء الله تعالى ..

وقال رَوح بن زنباع الجُذَامىّ فى امرأته . وضرب بالكلب المثل :

رِيحُ الكرائمِ معروفٌ لَهُ أَرَجٌ ورِيحُها ريحُ كلْبٍ مَسَّهُ مَطَرُ

قال : وكانت امرأةُ رَوح بن زِنباع أمَّ جعفر بنتَ النُّعمان بن بشير ؛ وكان عبدُ الملك زوَّجه إيّاها . وقال : إنَّها جاريةٌ حسناء ؛ فاصبرْ على ١٠٧ ظ
لَذاعِ نسائِها .

وقال الآخر :

وريحُ مَجْروبٍ وريحُ جُنَّه وريحُ كلبٍ فى غَدَاةٍ طَلَّهْ [1]

وأنشد أبو زيد فى ذلك :

كأنَّ رِيحَهُمُ من خُبْثِ طُعْمَتِهِمْ ريحُ الكلاب إذا ما بلّها المطر [2]

ومما ذُكر به الكلبُ فى أكله العَذِرة . قولُ الراجز :

أحرَصُ من كلبٍ على عِقْىِ صَبِى [3]

وقال مثل ذلك حَنْظَلة بن عَرَادة [فى ذكره] لابنهِ السَّرَنْدَى :

---

(١) ط : ذكلة ، وتصحيحه من ب .

(٢) ط : ... مسه ... ، وبيت حسان بن ثابت فى ديوانه ص ٢٣٦ .

(٣) ط : ... سبى ، وتصحيحه بالقاف كما فى ب ، وهو بالكسر : ما يخرج من ...

Marfat.com

مِنَ السَّرَنْدَى أطالَ اللهُ أَيْمَتَهُ خَلَّى أباه بقفر البِيد وادَّلجا (١)

مِجَحٌ خبيثٌ يُعاطِى الكَلْبَ طُعْمَتَهُ وإن رأى غفلةً من جارِهِ ولجا (٢)

رَبَّيْتُه وهو مثلُ الفَرْخِ أَصْرِبُهُ

والكلبُ يلحَسُ من تحتِ استِهِ الرَّدَجا (٣)

يقال للذى يخرُج من بطن أمه حين يخرُج من بطن أمه عِقٌ بكسر العين . ويقال عقَى الصبى يعقِى عَقْيًا . فإذا شدَّ بطنه بالسمن قيل قد ضرب ليسمَن (٤) . والعِقى وهو العَقْيَة الغبية . وإيَّاه عنى بنُ عمر حين قيل له : هلا بايعت أخاك بن الزُّبير ؟ فقال : إنَّ أخى وضع يده فى عَقْيَة (٥) ودعا إلى بَيْعة . إنى لا أنزع يدى من جماعة وأضعها فى فرقة (٦) .

وفى حديث مرفوع : لا يرجع فى هبته كالكلب يرجع فى قيئه . وهذا مثَل فى الكلب .

ويقال : أبخل من كلب على حيفة . وقال بعضهم فى الكلب

الحيفة الحب يبيسه من بحمه ما يلى . والكلب عاد فى حيفه

ويشغر هذا فيصير فى حوف

(

(١

(٣

Marfat.com

وقال صاحب الكلب : إنْ كنتُم إنَّما تستسقطون الكلب[1] وتستسفلونه بهذا وأشباهه ، فالجيفةُ أنتنُ من العذرة ، والعَذرة شرٌّ من القيء ، والجيفة أحبُّ إلى أشراف السباع ورؤسائها من اللحم العبيط الغريض الغضِّ .

(مأكل السبع)

والأسَد سيِّد السباع ، وهو يأكل الجِيفةَ ، ولا يعرِض لشرائع الوحش وافتراس البهائم ، ولا للسابلة من الناس ، ماوَجَدَ فى غريسته فَضْلة . ويبدأ بعدَ شُرْب الدَّم فيبقُر بطنَه ويأكل ما فيه من المغثيثة والثفل[2] والخَشْوة والزِّبل ، وهو يرجع فى قيئه . وعنه[3] ورِث السَّنَّور ذلك .

(ما قيل فى السبع من الأمثال)

وهو المضروبُ به المثلُ فى النَّجدة والبسالة ، وفى شِدَّة الإقدام[4] والصَّولة ، فيقال : " ما هو إلاّ الأسد على براثنه " و " هو أشدُّ من الأسد " و " هو أجرأ من الليث العادى " و " فلان أسدُ البلاد " و " هو الأسد الأسود[5] " . وقيل لحمزة بن عبد المطَّلب أسدُ الله . فكفاك من نُبْل الأسد أنَّه اشتُقَّ لحمزةَ بن عبد المطَّلب من اسمه . ويقال للملك أصْيَد إذا أرادوا

(١) ط : « تستسفلون » وهو تصحيف .
(٢) ط : « القيئة والنفل » وهو تحريف مما فى ل .
(٣) ط : « وعنه » وتصحيحه من ل .
(٤) ط : « وهو فى شدة الاقدام » وكتبها هو « مقحمه » .
(٥) ط : « الشرى » وأثبته « وهو أسد الأسود » .

Marfat.com

أن يصفوه بالكِبْر وبقلّةِ الالتفات ؛ وبأنّ أنفَه فيه أسلوب[1] ولأنّ الأسد يلتفت معاً لأنّ عنقه من عظم واحد . وقال حاتم[2] :

هَلاَّ إذا مَطَرَ السماءُ عليكُمُ[3] ورفعتَ رأسَكَ مثلَ رأسِ الأصْيَدِ

وقال الآخر :

يَذُودونَ كلباً بالرِّماحِ وطَيِّئاً وتَغلِبَ والصِّيدَ النواظرِ من بَكرِ

وقال الآخر :

وكم لي بها من أبٍ أصْيَدٍ كمثلِ أبٍ ماجدٍ أو يَكُدْ[4]

وبعدُ فإنّ الذي يأكل الجيفةَ لم يبعُد من طبع كثيرٍ من الناس ؛ لأنّ من الناس من يشتهي اللحمَ الغابَّ . ومنهم من يشتهي المَنْكُوذ[5] وليس بَيْنَ المَنْكُوذ وبين المنصوب لياس كبيرُ فرق . وإنّما يأخذون للسَّمَكَةِ والبَطِّ والدَّجاجِ والفَرّوجِ من أوّل ليل ؛ ليستوفي خلقه . وذلك أوّل التجييف[6] .

فالأسد أجمع ذلك لخصال من الكلب . [illegible]

وهو أنبهُ ذكراً وأبعد صيتاً .

وأمّا ما ذكرتَ من نتْن جلده ومن سقوط شعره [illegible]

ذلك ما ليس للكلب . وقد شاركه في خلاف [illegible]

شدّة العطش ؛ فإن لا تقل له أكثرُ ذكراً ؛ فقل [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

Marfat.com

وفى توجيــه التيس ببوله إلى حاقٍّ خَيشومه قال الشاعرُ لبعض من يهجُوه :

دُعِيتَ يَزِيدَ كى تَزِيدَ فلم تَزِدْ فعادَ لك المُسْمِى فأسْمَاك بالقحر (١)
وما القَحْرُ إلاَّ التيسُ يَعْتِك بوْلُه عَلَيْهِ فيمذى فى لَبَانٍ وفى نحرِ (٢)

وقال آخر فى مثل ذلك (٣) :

أَعثمانُ بنُ حَيَّانَ بن غَوْمَ عَتُودٌ فى مفارِقِه يَبولُ
ولو أَنِّى أشافِهُه لشالت نَعامَتُه ويفهــم ما يقول

١٠٩ وبعد فما يُعلَمُ من صنيع العنز (٤) فى لبنها وفى الارتضاع من خلفها إلاَّ أقبحَ .

وقال ابن أحْمَرَ الباهلىُّ فى ذلك :

إنَّا وجَدْنا بَنى سَهْمٍ وجامِلَهم كالعنز تعطِفُ روْقَيها وترْتَضِعُ (٥)

وقالتم : هَجَا ابْنُ غادية السلمى (٦) بَعْضَ الكِرام ، حينَ عُزِل عن سَبْىٍ . فقال من ظنَّ أنَّه إنَّما عُزِل لمكانه :

رَكِبوك مُرْتَحِلاً فظهرُك منهمُ ذَبِرُ الخرائفِ والفقارِ مُوقَّعُ
كالكلب يَتْبَعُ خانِقيه وناحِرٍ نَحرَ الذين بهــم يَعِزُّ ويمنعُ

---

(١) ط : بالقحر . وفى المحتبى مثل ب . والقحر أصل معناه البول الفاسد .
(٢) ط : القحر موضع بقحر . وفى ب : يعتك . يقال عتك عليه يضربه . وفى ب : على ثيابى ولبانى وفى نحرى .
(٣) هو عمرو المنقرى . انظر الحيوان ٥ : ٤٠٤ .
(٤) ب : من صنع .
(٥) ب : ... منهم ... : وجامله ... وتصحيحه ما سيأتى فى هذا الجزء ص ٣٥٤ و من عيون الأخبار ٣ : ٧٥ . والجامل : قطيع الإبل معه رعيانه وأربابه .
(٦) ط : السلمى . وفى ب : « عادية » بالعين . وأثبت ما فى س و م .

Marfat.com

وقال ابن هَرْمة الفِهرىّ :

فما عادَت لذِى يمنٍ رءوسا ولا ضَرَّت بفُرْقتها نِزارَا
كعَنْز السَّوْءِ تَنْطَحَ مَنْ خَلاها وتَرْأَمُ مَنْ يُخِدُّ لها الشِّفارَا

وما نعلم الرُّجوعَ فى الجِرَّة ، وإعادةَ الفِرثِ إلى الفم لِيُستقصَى مضغه إلَّا أسمجَ[1] وأقذرَ من الرُّجوعِ فى القَيْء . وقد اختار الله عزّ وجلّ تلك الطبيعةَ للأنعام . وجعل الناسَ ليسوا لشىء من الأرض أشدَّ إنكارًا ولا أشدَّ عَجبًا به منكم[2] . ولا أصلحَ لأبدانهم ولا أثبتَ لهم من لحوم هذه الأنعام أفتائها ومَسانّها .

وقال صاحب المنطق : [illegible] فى الفرث تضحيه وتسيغه . الرجوع فى القىء [illegible] أنتنُ من فى السباع لطول [illegible]

ابن [illegible]

هذا [illegible]

فى [illegible]

(١) ط [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

صاحبه . ألذُّ من السلوى ، وأمتعُ من النسيم ، وأحسنُ موقعاً من الماء البارد من العطشان المسهوم . والريقُ كذلك مالم يزايِل موضعَه ، ومتى زايل فَمَ صاحبِه إلى بعض جِلْده اشتدّ نتْنه وعادَ فى سبيل القىء .

فالرّيق والجِرَّةُ فى سبيلٍ واحد ، كما أنَّ القىء والعَذِرة فى سبيل واحد . ولو أن الكلبَ قَلَسَ حتَّى يمتلئ منه فمه ، ثم رجع فيه من غيرمباينةٍ له ، لكان فى ذلك أحقَّ بالنظافة من الأنعام فى جِرَّتها ، وحشيِّها وأهليِّها . وإنَّ الأرانِبَ لَتَحِيضُ حيضاً نَتِناً ، فما عاف لحمَها أصحابُ التَّقَذُّرِ[1] لمشاركتِها الأنعامَ فى الجِرَّة .

فقال صاحب الكلب : أمَّا ماعبتموه من أكْلِ العَذِرة ، فإنَّ ذلك عامٌّ فى الماشيةِ المتخيَّرِ لحمُها على اللُّحْمان ، لأنَّ الإبل والشياه[2] كلّها جَلّالة وهُنَّ على يابسِ ما يخرُج من الناسِ أحرَصُ ، وعلى أنّها إذا تعوَّدت أكلَ ما قد جفَّ ظاهرُه وداخلُه رطبٌ ، رَجَع أمرُها إلى ما عليه الكلب . ثم الدَّجاج لا تَرْضَى بالعَذِرة ، وربما تَتَقَى من الحبوبِ التى لم يأتِ عليها الاستمراء والهضْم . حتَّى تلتمِسَ الديدانَ التى فيها . فتجمع نوعين من العذرة[3] لأنها إذا أكلت ديدان العَذِرَةِ فقد أتَتْ على النَّوْعين جميعاً . ولذلك قال عبد الرحمن بن الحَكَمَ[4] فى هجائِه الأنصار بخبيث الطعام ،

---

(١) ط و ا : « التقزز » وهو لاشمئزاز . والتقذر من تتقذر شيء : عده قذرا .

(٢) فى الأصل : « الشاة » والوجه الجمع كما صنعت .

(٣) ط : « فيجتمع نوعان » .

(٤) ط : « ابن أم الحكم » والصواب ما أثبت من ل . وعبد الرحمن بن الحكم هذا شاعر إسلامى متوسط الحال فى شعراء زمانه . وكان يهاجى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى فيقاومه ، وينتصف كل واحد منهما من صاحبه . له ترجمة فى الأغانى ١٢ : ٦٩ — ٧٣ . وأما عبد الرحمن بن أم الحكم فهو من ولد الحكم وأمه بها سيرة ، وولاه خاله معاوية عدة أعمال فلمه أهلها ، وتضمر له فعزله واطرحه . الأغانى ١٣ : ٣٢ .

Marfat.com

فضرب المثلَ بالدَّجاج من بين جميع الحيوان ، وتركَ ذِكر الكلاب وهى له مُعْرِضة فقال :

ولَلأَنْصَارُ آكَلُ فى قُرَاها ... لُحِبْثِ الأَطْعِمَاتِ مِنَ الدَّجَاجِ [1]

ولو قال :

وللأَنْصَارُ آكَلُ فى قُرَاها ... لُحِبْثِ الأَطْعِمَاتِ مِنَ الْكِلَابِ

لكانَ الشِّعْر صحيحاً مُرضياً .

وعلى أنَّ الكلابَ متى شبِعت ، لم تعرض للعَذِرة . والأنعامُ الجَلَّالة وكذلك الحافِر . قد جعلت ذلك كالحُمُض إذا كانت لها خلَّة ، فهى مرَّة تتغذَّى به ومرة تتحمَّض . وقد جاء فى نحوه الجلَّالة ما جاء .

(رغبة الملوك والأشراف فى الدجاج)

وهم كانوا يتعيَّشون [illegible] . ولا يرغبون فى شىء من [illegible] فى الدَّجاج . وهم يقدِّمونها على [illegible] . وتصيح [illegible] وعلى الجداء ، لأنَّ لحمها من بين اللحمان [illegible] . وهم يعرفون طبيعة [illegible] . وهم مع ذلك [illegible] من اللحمان .

(شروط جودة السماك)

[illegible] من [illegible] .

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

القريسِ والذَّشوطِ المشَبَّوطُ[1] . وليس فى الماء سمكةٌ رفيعةُ الذكر ولا ذاتَ خمول ، إلَّا وهى أحرصُ على أكْلِ العَذِرة منها . وإنّها [فى ذلك[2]] لَأَشَدُّ طلباً لها من الخنزير فى البرِّ . والجِرِّىُّ فى البحر .

(لحم الخنزير)

وقد علم الناسُ كيفَ استطابةُ أكلِ لُحومِ الخنازير . وأكلُ
١١١ الخنازيرِ لها . وكيف كانت الأكاسرة والقياصرة يقدّمونها ويفضّلونها .
ولولا التعبُّدُ لَجَرى عندنا مَجْرَاه عندَ غيرِنا .
وقد علم النَّاسُ كيف استطابةُ أكلِ الجِرِّىِّ لأذنابها[3] .

(ما قيل فى الجِرِّى)

وفى الجِرِّىِّ قال أبو كَلْدة : هو أذكى الحيوان . وجيِّدٌ فى السكوشان[4] ودواءٌ للكليتين[5] . وصالحٌ لوجَعِ الظهر وعَجْبِ الذَّنَب . وخِلافٌ على اليهود . وغيظٌ على الروافض ؛ وفى أكله إحياءُ بعضِ السُّنَن . وإماتة بعضِ البِدَع . ولم يُفْلِحْ عليه مُكْبِرٌ منه قطُّ . وهو محنة بين المبتدع

---

(١) فى القاموس : حمل قريس : طبخ وعصر فيه صبغ وترك حتى جمد . وفى مبادئ اللغة ٩٩ : « والقريس : لحم يطبخ بخل ثم يبرد » . وهى فى ط : « القريش » وفى ل : « قريص » وهما كلمتان محرفتان . . وأما الذشوط فهى كلمة ساقطة من ط . والذشوط : سمك يقذف فى الماء ميتا .

(٢) التكملة من الحيوان وزيادتنا .

(٣) فى ط : « لأذنابها شغفا » وفى ل : « لأذنابها محسيا ومحسيا ومحشوا كلمتان متحمتان لأسقاطهما . واللام فى « لأذنابها » بمعنى إلى .

(٤) السكوشانُ : طعام لأهل عمان من الأرز والسمك .

(٥) ط : « فى الكليتين » وهو تحريف .

Marfat.com

والسُّنّ ، هلك فيه فِئَتَانِ[1] منذ كانت الدنيا : محلِّلٌ ومحرِّم .

وقال أبو إسحاق : هو قبيح المنظر ، عارى الجلدِ . ناقصُ الدِّماغِ ، يلتهم العَذِرة ويأكل الجرذان[2] [صحاحاً والفأرَ] ، وزَهمُهُ لا يستطاعُ أكلُه إلّا محسيًّا[3] ولا يتصرَّفُ تصرُّفَ السمك . وقد وقع عليه اسم المسْخ ، لايَطيب مملوحاً ولا مقوراً . [ولا يؤكل إكباباً . ولا يُختارُ مطبوخ . وأرمى كلُّه إلّا ذنَبه[4] .

والأصناف التى تعرض للعَذِرة كثيرة . وقد ذكرنا بعضَها فى الأنعامِ والجرَى والشَّبْوطِ من السمك . ويعرض لها من غير ذلك والرَّخَمِ وغيرها .

Marfat.com

(ما قيل من الشعر فى الجُعَل)

ولشدَّة طاب الجعل لذلك قال الشاعر :

يبِيت فى مجلس الأقوام يَربَؤُهم كَأَنَّه شُرَطىٌّ بَاتَ فى حَرَس

وكذلك قال الآخر[1] :

إذا أتَوه بطعامٍ وأكَلْ[2] بَاتَ يعشِّى وَحْدَه ألفَىْ جُعَل

هذا البيتُ يدلُّ على عِظَم مقدار النَّجْو ، فهجاه بذلك ، وعلى أنَّ الجُعَل يقتات البَراز .

وفى مثل ذلك يقول ابن عَبْدَل — إن كان قاله — وإنما قلت هذا لأنَّ الشعر يرتفع عنه .

والشعر قوله :

نِعْم جارُ الخنزيرةِ المرضعُ الغر ثِ إذا ما غدا أبو كلثومِ[3]

ثَوياً قد أصابَ عند صديقٍ من ثَريدٍ ملبَّـقٍ مأدُومِ[4]

ثم أخى بجعره حاجبَ الشمـ ـسِ فألقَى كالمعْذَفِ المهْدُومِ[5]

بضَريطٍ ترى الخنازير منه عاملاتٍ لتلّـهِ المركومِ

١١٢ وقال الراجز [فى مثل ذلك] :

قد دقَّهَ ثَرِدُهُ ، وصَوْمَعَا[6] ثُمَّتَ أَلبَانَ البَخاتِى جَعْجَعَا

---

(١) ط : وقد قال الشاعر ، وهو تحريف .

(٢) هذا البيت ساقط من ل .

(٣) ط : نعم جار الخنزيرة المرضع الغرثى ... وتصحيحه من ل ومن البيان ٣ : ٣١١ .

(٤) ط : ملبق ، تحريف .

(٥) ط : فى جعره ، وهو تصحيف .

(٦) ط : قد دقه ثردة ، وهو تصحيف ما فى ل . فى القاموس : ثريدة مصومعة : مدملكة الرأس .

Marfat.com

جَعْجَعَةَ العَوْدِ ابْتَغَى أنْ يَنْجَعا[1] ثُمَّتَ خوّى بارِكاً واسْتَرْجَعا

* عَن جاثِمٍ يُحْسَبُ كلباً أبقعا[2]

وفى طلب الجُعَل للزِّبْلِ قال الراجز (وهو أبو العصْن الأسَدى) :

ما ذا تلاقى طَلَحَاتُ الحرجه من كل ذات بُخْنُقٍ خَمَنْجَجه[3]

ظَلَّ لها بَيْنَ الحلال أَرَجَه[4] مِنَ الضُّرَاطِ والفَسَاءِ السمجه[5]

فجئتُها قاعِدَةً منشجه[6] تعطيه عنها جعَلاً مُدحرجَه

وقال يحيى الأغرّ : تقول العرب « سَدكَ به جُعَله[7] » . وقال الشاعر :

إذا أتيتُ سُلَيمَى شَبَّ لى جُعَلٌ إنَّ الشقىَّ الذى يُغْرَى به الجُعَلُ[8]

يضرب هذا المثلُ للرَّجل إذا لَصِقَ به من يكره . وإذا كان لا يزال يراه [وهو] يهرُب منه .

قال يحيى : وكان أصله ملازمةَ الجُعَل لمن بات فى المَحْرَث ، فكأنه هو خاجة تتبعه ، لأنّه عنده أنّه يريد الغائط .

(القرنبى)

وفى القرَنْبَى يقول ابنُ مقبل :

---

(١) ط : ... على ...

(٢) فى القاموس : ... وفى ... أبقع ...

لسان : ... وفى ... أبقع ...

(٣) ط : ... بخنق ...

(٤) ...

(٥) ... السمجة .

(٦) ... منشجة .

(٧) ...

أصل ...

(٨) ...

Marfat.com

ولا أطرُق الجارات بالليل قابعاً قبُوعَ القَرَنْبَى أخلفَتْه مجاعره (١)

والقبوع: الاجتماع والتقبض . والقَرَنْبى : دويبَّةٌ فوق الخُنْفَساء ودونَ الجعل . وهو والجعل يتْبعان الرَّجلَ إلى الغائط .

(الهدهد وخبث ريحه)

ومن الضَّير الذى يُضارِع الرَّخمة فى ذلك الهدهدُ ، منتنُ البَدَن وإن لم تجدْه ملطخاً بشىءٍ من العَذِرة ؛ لأنَّهُ يبنى بيته ويصنع أفحوصَه من الزِّبل ، وليس اقتياتُه منه إلاَّ على قدْر رغبتِه وحاجته فى ألاَّ يتَّخذ بيتاً ولا أفحوصاً إلاَّ منه . فخامَرَه [ذلك] النَّتْنُ فعَلِق ببدنه وجرى فى أعراق أبويه ؛ إذ كان هذا الصنيع عامًّا فى جنسه (٢) .

وتعترى هذه الشَّهْوةُ الذِّبان ، حتَّى إنَّها لو رأتْ عسلاً وقذَرا ، لكانت إلى القذَر أسرعَ . وقال الشاعر (٣) :

فَمَا خَلْفَ وَجْهٍ قَدْ أُطِيلَ كأنَّه قفامالِكٍ يُقْصِى الهمومَ على بَشْقِ (٤)

وأعظمُ زهواً من ذُبابٍ على خِرًا (٥) وأبخَلُ من كَلْبٍ عَقُورعلى عَرْقِ (٦)

ويزعمون أنَّ النُّنبورَ فَسْجٌ بصيد الذِّبان ، ولا يكاد يصيده (٧) إلاَّ وهو

---

(١) ط وأمثال الميدانى ٢ : ١٨٠ : خاجره ، وأثبت ما فى ب .

(٢) ط : ، فكان هذا التضييع عاما فى جنسه ، وهو تحريف ما فى ب .

(٣) هو أبو هواس الحسن بن هانئ كما سيأتى وكما فى البيان ٣ : ٢٥٤ وعيون الأخبار ١ : ٣٧٣ والشعر والشعراء ٦٣٠ ، والشعر فى هجاء جعفر بن يحيى البرمكى .

(٤) ب : وقى ، وفى ط : ، فما خلف ما نبعث عليه ، وما فى ب : البق .

(٥) ب : خرا .

(٦) هو فى ب بالنسخ : عقله بعضه ، وبعده ، كل خمسه فعرق ، كذاب — كذا — أو كذوب لا يحبها .

(٧) ب : يصيده .

Marfat.com

ساقطٌ على عذرة لفَرْط شَهْوتِه لها [ولا ستفراغها]، فيعرِف الزُّنبور ذلك ، ١١٣
فيجعل غَفلتَه فُرصة ونُهْزة . قالوا : وإنَّما قلنا ذلك لأنّا لم نجِدْه يروم صيدَه
وهو ساقِطٌ على ثمرةٍ ، فما دونها فى الحلاوة .

(شعر فى الهجاء)

وقال أبو الشَّمقمق فى ذلك :

الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ جاءكمُ الأحـــ ـــمقُ رأس الأنتان والقَذِره
وابْنُ عمِّ الحمارِ فى صورةِ الفيـــ ـــلِ وخالُ الجاموس والبقَره
يمشى رُويداً يريد حَلْقتكم كمشى خِنزيرةٍ إلى عذره[1]

وقال حمّادٌ عَجْرَد فى بشّار بْن بُرْدٍ العُقيلىّ :

ما صوَّرَ الله شِبْهها لَه مِنْ كلِّ مَنْ دِبَّ مِنْ خلقه وصوَّر
أشبَه بالخِنزيرِ وجهاً ولا بالكلب أعرقَ ولا بالحمـ[2]
ولا رأيت أحـــ ـــدثا منه نجس أو أقلس أو أبتر[3]
لو صلّيتْ جنازته على ـــ ـــرِ لنكّست حمالته نعشه[4]
أو طُليت مسكا ذكيّا مِنْ ـــ ـــكِ لحاك مسّاك منه[5]

وقال أبو نُوَاس فى هجاء جعفر بْن يحيى بن خالد بن برمك :

إذا ما مدحتُ فتى من الـ ـــ ـــناس جزلَ الفعل والقول
وقال أعرابىّ مرّة لا يقل له محمود بن الحسن ...

(١) ...
(٢) ...
(٣) ...
(٤) ...
(٥) ...

Marfat.com

إنّى إذا ما عارضى تألّقا[1] ورَعَدت حافته وبَرَقا
أهلكتُ جُلمودَ بنَ أوس غَرَقا كانَ لحمقاء فصارَ أحمَقَا
أخبث شيءٍ عَرَقاً وخِرَقاَ[2] *

وقال حَمَّادُ عَجْرَدٍ فى بَشَّار :

يا ابنَ بُرْدٍ اخْسَأ إليك فمثلُ الـ كلب فِى الخلْق أَنْتَ لا الإنْسَانِ[3]
بَلْ لَعَمْرى لَأَنْتَ شَرٌّ من الكلـ ـب وأولَى مِنْه بكلِّ هَوَانِ
ولَرِيحُ الخِنْزِيرِ أطيَبُ مِنْ رِيـ ـحِكَ يا ابْنَ الطَّيان ذى التُّبَّانِ

وقال بعض الشعراء فى عبد الله بن عُمير :

١١٤ غَزَا ابنُ عُمير غَزْوةً تركَتْ له ثَنَاءً كَرِيحِ الجَوْرَبِ المتخرقِ

وقال حمَّادُ عَجْرَدٍ فى بشّار[4] :

قُلْ لشَقِىِّ الجَدِّ فى رَمْسِه ومَن يفِرُّ الناسُ من رِجْسِه[5]
للقِرْدِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ ولا تَحْفِل برغم القرد أو تَعسه[6]
للقِرْدِ باللَّيْثِ اغترارٌ به فَمَا الَّذِى أدناك من مَسِّه[7]
يا ابنَ استِها فاصبِرْ على ضَغْمةٍ بنَابِهِ يا قِرْدُ أَوْ ضِرْسِه
نهارُه أخبثُ من ليلِه ويومُه أخبثُ من أمسِه

---

(١) ط : « إذا عارضنى ألقا » .
(٢) ط : « أحرقا وعرق » .
(٣) فى ط نقصان كلمة (إليك) وبذلك يختل البيت . و شعر من الخفيف حذف التذييل فى البيت الأول والثالث . وانظر الأغانى ٣ : ٢١ .
(٤) الشعر فى أمالى المرتضى ١ : ٩٣ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٠ .
(٥) ل : « . . . فى رمسه وأمه الشاتمة نرجسة » وهو تحريف .
(٦) ط : « خسه » ولعلها تحسه ، وأثبت ما فى ل .
(٧) ل : « بالذى أدناك » .

Marfat.com

وليس بالمُقْلِعِ عن غَيِّه[1] حتى يُدلَّى القِردُ فى رَمْسِـه
ما خَلقَ اللهُ شبيهاً له من جِنِّـهِ طُرًّا ومن إنْسِهِ
واللهِ ما الخِنزيرُ فى نَتْنِه من رُبْعه بالعُشْرِ أو خمْسِهِ
بل ريحُـه أطيبُ من ريحهِ ومسُّـه ألينُ مِن مسِّـهِ
ووجهُه أحسنُ من وَجهِه ونفسُـه أنبَلُ من نفسه
وعودُه أكرمُ من عُودِه[2] وجِنسُـه أكرمُ من جِنسـهِ

وأنا حفظك الله تعالى أستظرِف وضعَه الخنزيرَ بهذا المكان وفى هذا الموضع . حين يقول : وعُودُه أكْرَمُ من عُودِه .

وأىُّ عودٍ للخنزير[3] ؟! قبَّحه الله تعالى . [وقبح من يشتهى أكله] .

وقال حمَّادُ عجرد فى بشَّارِ بن بُرد :

إنَّ ابنَ بُردٍ رأى رُؤيا فأوَّلَهَا[4] بلا مَشورةِ إنسانٍ ولا فِكَرِ
رأى العمى نِعمـةً لله سابغةً عليه . إذ كان مكفوفاً عن النظر
وقال : لو لم أكُنْ أعمى لكنتُ كما قد كان بُرْدٌ بى فى التضييق والعُسُرِ
أكُفُّ نفسى بالتضيين مجتهداً إذا أجـيرانى إذا غـيرُه فجَرِ
أو كنتُ إنْ أبصرتُ قُبِّعْ بفعلِ أبى قِصَابَ شاءٍ سُقِنَ نحـو الجزرِ
كإخوتى دائبٍ أشقى شقاءهمُ فى خيرٍ وابردهِ ولا لاحَ فى بَشَرِ
فقد كفانى العمى من كلِّ فاحشةٍ وما أبالى إذا غـابَ الورى بصرى

(١) ط : ...
(٢) ط : ...
(٣) ط : ...
(٤) ...
(٥) ط : ...

Marfat.com

١١٥ فصرتُ ذا نَشَبٍ من غير ماطلب إلاَّ بمَسْألتى إذ كنت فى صِغَرِى (١)
أضمُّ شيئاً إلى شيءٍ فأذخره ممَّا أجمِّع من تمر ومن كِسَرِ
مَن كان يعرفُنى لو لم أكن زَمِناً أو كان يبذُل لى شيئاً سِوى الحَجَر ؟!
فقُل له لا هَداه اللهُ مِن رجُلٍ فإنَّها عُرَّةٌ تُربِى على العُرَر (٣)
لقد فضِنتَ إلى شيءٍ تعيش به يا ابنَ الخبيثة قد أدقَقْتَ فى النظر (٤)
يا ابنَ التى نَشَزَت عن شيخ صِبْيَتِها لِأَير ثوبانَ ذى الهامات والعُجَر (٥)
أما يكفُّكَ عن شَتْمى ومنقَصَتى ما فى حِرامِّك من نَتْن ومن دَفَرِ (٦)
نفَتْكَ عنها عُقَيلٌ وهى صادقة فسل أسيداً وسل عنها أبا زُفَرِ (٧)
يا عبدَ أمِّ الظباء المستطبِّ بها من اللَّوَى ؛ لستَ مولى الغُرِّ من مُضَر
بل أنتَ كالكلب ذُلاً أو أذلُّ وفى نَذَالةِ النفس كالخنزيرِ واليَعَر (٨)
وأنتَ كالقردِ فى تشويه منظرِه بل صورةُ القرد أبهى منك فى الصُّوَرِ

ووصف ابنُ أبى كريمة حُشًّا له ، كان هو وأصحابه يتأذَّون بريحه فقال :

ولى كَنِيفٌ بِحَمْدِ اللهِ يطرقنى أرواح وادى خبال غير فتَّار (٩)

---

(١) ط : « لا بمسئلتى إن كنت فى صغر » وهو تحريف .
(٢) ط : « فأحرزه » .
(٣) العرر : المساوى والمثالب . فى ط : « لاهداه الله » .
(٤) ط : « لاقد » وهو تحريف . وفيها « قد وفقت فى النظر » .
(٥) ط : « عن شيخ مبيتها لايرميان يذى » وهو تحريف .
(٦) كذا فى ل . وفى ط : « ذفر » بالذال . وهما بمعنى . فى أدب الكاتب ١٥٧ : نذر : شدة ريح الشىء الطيب والشىء الخبيث » .
(٧) ط : « فسل أسيد أو فاسأل » .
(٨) اليعر . ساكنة العين : الشاة أو الجدى يشد عند زبية الذئب أو الأسد . ومن أمثالهم : « هو أذل من اليعر » . وقد جاء محركا فى هذا الشعر . وفى ط : وفى نذالة النفس والخنزير والنقر .
(٩) كذا فى ل . وفى ط : « وادى خيل » وفى س : « وذى خيل » وفى م : « واد خيل » .

Marfat.com

له بدائعُ نَتْن ليس يَعرِفها[1] من البَرِيَّةِ إلاَّ خازِنِ النَّـارِ
إذا أتانى دَخِيلٌ[2] زَادَنِى بِدَعاً كَأَنَّهُ لَحِجٌ عَمْـداً بإضْرَارِى
قد اجتوانِى له الخُلاّنُ كلُّهُم وباعَ مَسْكَنَه مِن قُرْبِه جارى
فمن أرادَ من البِرْسَـامِ أقتَلَهُ أو الصُّدَاعِ فَرْدْ يدخلَنْ دارى
استكثَفَ النَّتْنُ فى أنفى لكثرتِه فليس يوجدنيه غيرُ إضمارى[3]

(رُوَة المحلول من الشعر)

وقيل للمحلول[4] : ويلكَ ! ما حفظتَ بيتَ شعر قطّ ؟ فقال : بيتاً واحداً شهيته فحفظته . فقيل له : فهاته . فقال : أنا إنى[5] لا أحفظ إلاّ بيتاً واحداً . قيل : فكيف رزق منك هذا البيت ؟ فأنشده . فأنشدهم :

كأنّما نَكَهَتْهَا مُدْنَةٌ تَسِيلُ من مُخْلِصَةٍ مُجَادِدِ

وزعم أصحابه أنّ رجلاً من بنى سعد وكان أتى [illegible]

ناساً من عبد القيس يتحادثونه بحسن دينه . فلقى [illegible]

وقال الزبير[6] يصفه ، وهو يقول :

أقبلتُ من جنبةَ ناعقينْ [illegible]

---

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) [illegible]
(٦) [illegible]

Marfat.com

يَزْوِى له من دَتْنه[1] الجَبينا حتَّى تَرَى لوجهِه غُضُونا
* نُبِّئْتَ عبدَ القيس يَأبِطونا *

قال : ومتَح أعرابىٌّ على بئرٍ وهو يقول :

يارِيَّها إذا بَدا صُنَانِى كأنَّنِى جانى عُبَيْثُرَانِ[2]

وقال آخر :

كأنَّ إبطىَّ وقد طالَ المدى نَفْحَةُ خُرْءٍ مِنْ كَوَامِيخِ القرى[3]

ويقال إنَّهُ ليس فى الأرض رائحةٌ أنتنُ ، ولا أشدُّ على النفس ، من بَخَرِ فمٍ أو نَتْنِ حِرٍ ، ولا فى الأرض رائحةٌ أعصمُ لرُوحٍ من رائحة التفاح .

وقال صاحب الكتاب : فما نرى النَّاسَ يَعافُون تسميدَ بُقولِهم قبل نُجومِها وتفتُّقِ بزورها[4] ولا بعد انتشارِ ورقها وظهورِ موضع اللُّبِّ منها حتَّى رُبَّما ذَرُّوا عليها السَّمادَ ذَرًّا . ثمَّ يُرْسَل عليها الماءُ حتى يَشْرَبَ اللُّبُّ[5] قُوَى العذِرة ، بل مَن لهمْ بالعَذِرة ؟ ! وعلى أنَّهم ما يصيبونها إلاّ مغشوشةً مُفْسَدَة . وكذلك صنيعُهم فى الريحان . فأمَّا النَّخْلُ فإن استطاعوا[6] أن يَطْلُوا بها الأجذاعَ طِلْيًا[7] لفعلوا . وإنَّهم لَيُوقِدون بها

---

(١) ط : من ثمه .

(٢) عبيثران . قال ابن سيده : هو من ريحان البر طيب الريح . قريب الشبه من القيصوم وليس مثل نوره وهو أطيب منه . . . وقيل هو أغبر شبيه بالقيصوم إلا أن له شوكا دقيقا ، عليه نور أصفر شبيه بالذى يكون فى وسط الأقحوان . وربما جعل فى المجالس مع الخمر فوق بعوقه ريحان . وهى فى ط : عبيثرانى .

(٣) نفحة : الدفعة . . وهى فى ط : « لفحة » . وانظر عيون الأخبار ٣ : ٦٣ .

(٤) ل : بذورها . بالنون . وهو بمعنى .

(٥) ط : يشرب موضع اللب . وهو موضع مقحمة .

(٦) ط : يستطيعوا . وهو تحريف ظاهر .

(٧) ط : « طلبا » وهو تحريف ظاهر .

Marfat.com

الحَمَّاماتِ وأتاتينَ المِلاَل[١] ، وتنانير الخبز . ومن أكرم سمادهم الأبعارُ كلُّهَا والأخثاءُ إذا جفَّت . وما بينَ الثَّلط جَافا والخثاء يابساً . وبين العَذِرة جافَّةً ويابسةً فرق . وعلى أنَّهم يعالِجون بالعَذِرة وبخرْءِ الكلاب . من الذُّبحة والخانُوق[٢] فى أقصى مواضع التقزُّز[٣] وهو أقصى الحلق ، ومواضع اللهاة[٤] ، ويضعونَها على مواضع الشَّوكة . ويعالجون بها عُيونَ الدَّوابّ .

(أقوال مسبّح الكناس)

وقال مسبّح[٥] الكناس : إنَّما شُتُقَّ خير من الخرْء . والخرء فى النوم خير . وسَلْحَةٌ مُدرِكَةٌ أنفعُ من كَوْم العروس ليلة العُرس . وقد دخلتْ على بَعْضِ الملوك لبعض الأسباب . وإذ به قُعاصٌ وزكام وثقل رأس . وقد ذلك قد طوله . وقد كان يعنى أنَّه كان يجر بخورها من منعطفه وتين

---

(١) ...

(٢) ...

(٣) ...

(٤) ...

(٥) ...

Marfat.com

المتشبِّث . عَلَى أنّ البقاعَ تتفاوت فى النتن . فهذا قولُ مسبّح[1] الكنَّاس .

(عصبية سلمويه وابن ماسويه)

وزعم لى سَلْمَوَيه وابن ماسَوَيه مُتطبِّبا الخلفاء[2] ، أنَّه ليس على الأرض جِيفةٌ أنتنُ نَتْناً ولا أَثْقَبُ ثُقوباً مِن جيفةِ بعير ، فظننتُ أنَّ الذى وَهَّمهما ذلك عَصَبِيَّتُهُمَا عليه ، وبغضُهما لأربابه ، ولأنَّ النَّبىَّ صلى الله عليه وسلم وعلى آله . هو المذكورُ فى الكتب براكب[3] البعير . [ويقال إن الحجَّاج قال لهم : أىُّ الجِيَفِ أنتن ؟ فقيل : جِيَف الكلاب . فامتحِنَتْ فقيل له : أنتن منها جيف السنانير ، وأنتن جيفها الذكورُ منها . فصلب ابن الزُّبير بين جِيفَتَىْ سنَّورين ذكرين[4]] .

(أطيب الأشياء رائحة وأخبثها)

وأنا أقول فى النتن والطِّيب شيئاً . لعلَّك إن تفقَّدتَه أن توافقَنى عليه وترضى قولى . أمَّا النتن فإنّى لا أشمّ شيئاً أنتنَ من ريحِ حُشَّ مقيَّر ، يبول فيه الخِصيان ولا يُصَبُّ عليه الماء ، فإنّ لأبوالهم المترادفة المتراكبة[5] وريح النفار وريح هواء الحُشّ[6] وما ينفصل إليه من ريح

---

(١) ط : مصبح .

(١) سلمويه هو ابن بسطا ... [illegible] ... ص ١٠٣ ؛ وابن ماسويه ص ٢٥٦ ... ٤١٢ ... [illegible] ... ص ٢٥٥ ... ٤١١ ... [illegible] ... الطيب ... [illegible]

(٣) ... [illegible] ... ريح النفار و ريح هواء الحش ... [illegible]

Marfat.com

البالوعة — جِهةً من النَّتْن ومذهباً فى المكروه . ليس بينــه وبين الأبدان عمل ، وإنَّما يقصِد إلى عين الرُّوح وصميمِ القلب . ولا سيَّما إذا كان الخلاء غيرَ مكشوف ، وكان مغموماً غيرَ مفتوح . فأمَّا الطِّيب فإنى لم أشْمَمْ رائحة قطُّ أحيا للنفس ولا أعصَمَ للرُّوح ، ولا أفتَقَ ولا أضنج . ولا أطيب خمرة من ريحِ عَروس [1] ، إذا أُحكِمت تلك الأخلاط . وكان عَرْف [بادنها] ورأسِها وشعرها سالماً . وإن كانت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . فإنّك ستجد ريحاً نعلمُ أنّهُ ليس فوقَها إلاّ ريحُ الجنة .

(ما قيل فى الطِّيب)

وهذا قالوا فى الثَّنَن . وفى ريح جُعْر الطِّيب خاصّة . قال خالد ابن عَبْدَل :

القيت نفسك فى عروض مشقة
أنت امرؤ فى أرض أنت غريبة
فبحق أنت وفى ذلك حقيقة
لا تأمَنَنَّ من لأديم
إن كان نفسك

(١) ل :

Marfat.com

وقال الربيع بن أبى الحقيق — وذكر الظّربان — حينَ رمى قوماً بأنّهم يَفسُون فى مجالسهم ، لأنّ الظَّربان أنتنُ خلْقِ الله تعالى فَسْوةً . وقد عَرَف الظّربانُ ذلك فجعَله من أشَدِّ[1] سِلاَحِه ، كما عرَفَتِ الحُبارَى مَافى سُلاَحِها من الآلة ، إذا قرب الصقر منها . والظّربانُ يدخل على الضبِّ جُحرَه وفيه حُسوله أو بيضُه ، فيأتى أضيقَ موضعٍ فى الجُحر فيسدُّه بيديه ، ويحوِّل استَه فلا يفسو ثلاثَ فَسَوَاتٍ حتى يُدَارَ بالضبِّ فيخِرَّ[2] سكرانَ مغشِيًّا عليه . فيأكله ، ثم يقيم فى جُحره حتَّى يأتِىَ على آخِرِ حُسوله .

وتقول العرب : إنّه رُبَّما دخَل فى خِلال الهَجْمة فيفسو ، فلا تتمُّ له ثلاثُ فَسَوات حتى تتفرَّق الإبل عن المبْرَك . تتركه وفيه قِرْدان فلا يردُّها الراعى . إلاّ بالجَهْدِ الشديد .

فقال الربيع ، وهجاهم [أيضا] بريح التَّيوس :

قَلِيلٌ غَنَاؤُهُمْ فِى الهِيَاجِ ، إذَا مَا تَنَادَوْا لأمرٍ شَدِيدِ
وأنتمْ كِلاَبٌ لَدَى دُورِكُمْ تهرُّ هريرَ العَقُورِ الرَّصُودِ[3]
وأنتم ظَرَابِىٌّ إذ تجلسونَ وما إنْ لنا فيكمُ من نَدِيدِ[4]
وأنتم تيوسٌ وقد تُعْرَفونَ بريحِ التُّيوسِ وقُبْحِ الخدودِ[5]

قال : ويقال : « أفسى من الظّربان » ويسمّى مفرِّقَ النَّعَمِ ، يريدون من نَتْنِ ريحِ فُسَائه . ويقال فى المثل — إذا وقعَ بين الرجُلين

(١) ط : « أشد » .
(٢) ط : « فخر » وصوابه فى ل وثمار القلوب ٣٣٣ .
(٣) ط : « الصدود » .
(٤) بعده فى ل : « مثل » وفى ط : « مزيد » وهو تحريف وفى ل وثمار القلوب .
(٥) ط : « الخدود » وفى الثمار : « وذل الجلود » .

Marfat.com

شرٌّ فتباينَا وتقاطعَا — : « فسَا بَيْنَهُمَا ظَرِبَان » . ويقال : « أنتَن مِنْ ظربان » لأنَّ الضبّ إنَّما يخدع[1] فى جُحْره ويُوغِل فى سِرْبه لشدَّة طلب الظّرِبان له . وقال الفرزدق فى ذلك :

ولو كنتُ فى نارِ الجحيم لأصبَحَتْ ظَرَابِىٌّ من حِمَّانَ عنِّى تثيرها[2]

وكان أبو عُبيدة يُسمِّى الحِمَّانِىَّ صاحِبَ الأصَمِّ : الظَّرِبان[3] ، يريد هذا المعنى ، كما يسمّى كلّ حِمَّانِىٍّ[4] ظَرِبانا .

وقال ابن عَبدَل :

لا تُلْذِنِ فاكَ من الأدبِرِ وخَه حتّى يداوِىَ ما بأنْفِك أهْرَنْ

إن كانَ للظَّرِبان جُحرٌ مُنتِنٌ فلْجُحر أنفِك يا محمّدُ أنتَنْ

فى شعره الذى يقول :

لَيتَ الأديرَ أضاعنى وشفيقُه من كلّ من يكفى القصيدة يلحنْ

متكلّمٌ يَخْشَى الكلامَ كأنّما بانَتْ مناسِبُه بأهْلِ تُغلبَانْ

دارَى هُمُ سجنى فكانَ أديرهم زادَ الحُسَيبَ من الحُسَيبِ تبيّنَا

قل لابن أكلة العظام محمّد إن كنتَ من حسَبِ الظّرِبان يبيّنَا

ألقيتُ نفسى فى عروض دقيقة وخلصتُ أنتَ إلى عروضٍ ضيّقة

أنت امرؤ فى أىّ أنتَ تقيسُنى

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

Marfat.com

فبحقِّ أمِّكَ وهى منك حقيقةٌ ... بالبرِّ واللَّطفِ الذى لا يُخْزَنُ[1]
لا تُدْنِ فاكَ من الأميرِ ونحِّهِ ... حتَّى يُداوِىَ ما بأنفِك أهْرَنُ
إنْ كانَ للظَّربانِ جُحْرٌ منتنٌ ... فلَجُحْر أنفِك يا محمَّدُ أنتَنُ[2]
فسَلِ الأميرَ وأنْتَ غيرُ موفَّقٍ ... وبَنُو أبِيهِ للفَصاحة مَعْدِنُ
وسَلِ ابْنَ ذَكْوانٍ تَجِدْهُ عالِماً ... بسَايقةِ العُرْب التى لا تحزُنُ[3]
إذْ أنتَ تجعَلُ كلَّ يومٍ عفصةً[4] ... فتجيدُ ما عمِلت يَداك وتحسِنُ
أشبهتَ أمَّكَ غيرَ بابٍ واحدٍ ... أنْ قد خُتِنْتَ وأنَّها لا تُختَنُ
فلَئِن أصبتَ دراهماً فدفنتَها ... وفُتِنت فيها ، وابنُ آدَمَ يُفتَنُ
فبما[5] أراك وأنتَ غيرُ مُدَرْهِمٍ ... إذْ ذاك تَقْصِف فى القِيان وتَزْفِنُ
إذ رأسُ مَالِكَ لُعْبَةً بصريَّةً ... بَيْضاءُ مُغْرِبَةٌ[6] عليها السَّوْسَنُ

وقال ابن عبدل أيضاً :

نَجَرت[7] محمداً ودخانٌ فيه ... كريح الجَمْر فوقَ عَظِينِ جِلْدِ
ركبتُ إليه فى رَجُلٍ أتانى ... كريمٍ يطلبُ المعروفَ عِندى
فقلتُ له ولم أعجَل عليه : ... وذلكَ بعدَ تقريظى وحَمْدى
فأعْرَضَ مُسْكِمَحًّا عنِّى كأنِّى ... أكلِّمُ صَخْرَةً فى رَأْسِ صَمْدِ[8]

---

(١) ط : « لا يخزن » وهو تحريف .
(٢) محمد هذا هو ابن حسان بن سهم الكنانى الأنبارى ٢ : ٢٠٤ طبع دار الكتب وعيون الأخبار ٤ : ٣٠ .
(٣) من البيان والتبيين للجاحظ . وفى ل : « تخزن » .
(٤) ل : « عفصة » .
(٥) ل : « وبما » .
(٦) [illegible] البيان والتبيين . ط : « مغربة » تحريف .
[illegible] عرق . ويقال نجوت قرحه ، إذا استخرجته . وانظر فى نجا (نجو) [illegible] والمسألة فى معجم الأدباء ١٠ : ٢٣٢ — ٢٣٣ .
(٨) الملء [illegible] من أمالى القالى ، وفى ط : « مكلحا » وتصحيحه من ل . والصمد : [illegible] وفى ط : « [illegible] » وفى ل : « صلد » بالضاد وانظر ما أسلفناه .

Marfat.com

أقرّبُ كل آصِرَةٍ(١) ليدنو فما يزْداد منّى غيرَ بُعْدِ
فأقسِمُ غيرَ مستثنٍ يميناً أبا بَخَرٍ(٢) لتتَّخِمَنَّ رَدّى
فلو كنتَ المهذّبَ من تميم لخفتَ ملامَتى ورجوتَ حَمدى
نَجَوتُ(٣) محمداً فوجدتُ ريحاً كريح الكلبِ دانَ قريبَ عَهْدِ
وقد ألْذَعتَنِي(٤) ثُعبانَ نَتْنٍ سيبلغ إنْ سلمْنا أهلَ نَجْدِ
وأدنَى خَطْمَه فوددتُ أنّى قَرَنْتُ(٥) دنوَّه منى ببُعْدِ
كما افتَدَتِ المعاذةُ من جَواهُ(٦) بخِلْعَتِها ولم تَرجِع بزُلْدِ ١٢٠
وفارقَها جواه فاستراحَتْ وكانتْ عندَه كأسيرِ قِدِّ
وقد أدنيتُ فاه إلىَّ حتّى قتلتُ بلذّةِ نفسى غيرَ عمْدِ
وما يدنُو إلى فيه ذُبابٌ ولو طافت كشفْرَةِ [illegible]
يَذُقن حلاوةً ويَخَفْن موتاً [illegible]
فلما فاحَ فوه على لِحاه [illegible]
فقلت له : تنحَّ فليس عندى [illegible]

---

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
[illegible]
(٤) [illegible]
(٥) [illegible]
(٦) [illegible]
(٧) [illegible]
(٨) [illegible]
(٩) [illegible]
(١٠) [illegible]
(١١) [illegible]

Marfat.com

وما هذا بريح طِلاً ولكنْ يفوحُ خِرَاكَ منه غير سَرْدِ(١)
فحدِّثْنى فإنَّ الصِّدقَ أدنى لبابِ الحقِّ من كذِب وجَحْدِ
أبانَ يجولُ فى عَفَجٍ طحور فأعلم أمْ أتاكَ به مُغَدِّى(٢)
[نكِهتَ علىَّ نكهةَ أخدَرىٍّ شتيمٍ أعصلِ الأنياب وَرْدِ]
فإن أهديتَ لى من فيكَ حتْفى فإنِّى كالذى أهديتَ أهدى(٣)
لكم شُرُداً يَسرِن مغنِّياتٍ تكونُ فنونُها من كل فِنْدِ(٤)
أما تخزَى خزِيت فما إذا ما رَوَاها النَّاسُ من شِيبٍ ومُرْدِ(٥)
لأرجُو إن نجوت ولم يُصبْنى جَوًى إنِّى إذن لسعيد جَدِّ
وقلتُ له : متى استطْرفْتَ هذا فقال أصابنى من جَوفِ مَهْدِى
فقلت له : أما داويتَ هذا فتعذِر فيه آمالا بجَهْدِ(٦)
فقال : أما علمت له رِقَاءً فتسليه لنا فيما ستُسْدِى(٧)
فقلت له : ولا آلوه عيا له فيما أمرُّ له وأُبدِى(٨)
عليكَ بقيْنةٍ وبجَعْرِ كَلْبٍ ومثلِ ذاك من نونٍ كنَعْدِ(٩)
وحِنَّاءٍ وكُرَّاثٍ وثُومٍ وعُودَى حَرْمَلٍ ودِماغِ فَهْدِ(١٠)
وحَنْجَرَةِ ابنِ آوَى وابنِ عِرسٍ ووزنِ شَعيرةٍ من بَزْرِ قَتْدِ(١١)

---

(١) ... بالكسر : الخمر . وفى ط : فيه نزر سرد .
(٢) ... : مايتغذى به الشخص بعد الغداة . والطحور : السريع . وفى ط :
بات تجسون فى علج طحون ... فاعلم بذا أتيك به معدى
(٣) ... : فيه ... .
(٤) ... بالكسر : النوع . وفى ط : ... وجه له .
(٥) ... وفى ... : ... رواها الناس والوجه ... وفى ط .
(٦) ...
(٧) ... : من الرقى كعقلى .
(٨) ... وفى ... : ... وأصله ... بالهمز كما فى ... .
(٩) ... : ... وبضمه . وفى ... : ... بفتح الكاف وهو ... وفى ط : ... ابن آوى ثم ذئب » .

Marfat.com

وكَفٍّ ذُرُحْرُحٍ[1] ولسانِ صَقر ومثقالين من صوّان رَقْدِ[2]
يُدَقُّ ويُعجَن المنخول منه ببولٍ آجِنٍ وبجَعْرِ قِرد
وتدفِنُه زماناً فى شعـــيرٍ وترقبه فلا يَبدُو لِبَرْدِ[3] ١٢١
فدخِّن فاكَ ما عتَّقت منــه ولا يعجن بأظفار ونَدِّ[4]
فإنْ حضَرَ الشتاءُ وأنتَ حىٌّ أراك اللهُ غَيَّكَ أمرَ رشدِ[5]
فدَحْرِجْها بنــادِقَ وازدرِدْها متَى رُمْتَ التكلُّمَ أىَ زَرْدِ
فتقذف بالمِصَلِّ على مِصَلٍّ ببلعومٍ وشِدْقٍ مُسْمَعِدِّ[6]
وويْلَك ما لِبَطْنِك مذْ قَعَدْنا كأنّ دوِيَّهُ إرزامُ رَعدِ[7]
فإنَّ لِحكَّةِ الناسور عندى دواءً إن صبرتَ له سيُجدِى
يُميت الدّودَ عنكَ وتشتهيه إن آنتَ سَنَنْتَه سنَّ المُقَلِّدِى[8]
به وطليتَه بأصولِ دِفْلَى وشىءٍ من جنى نصفٍ ورِنْدِ
أظُنُّ ميِّتًا مِنْ نَتْنِ فيهِ أهانَ للهِ من لجاهُ بعُدِ

---

(١) الذرحرح : دويبة حمراء منقطة بسوداء ... وفى ط : ... ذرحرح ...

(٢) رقد : جبل كثير ... وفى ط : ... رقد .

(٣) فى الأصل : ... وفى ط : ...

(٤) ... : ... وفى ط : ...

(٥) ... فى ط : ...

(٦) ... : ... وفى ط : ... مسمعد .

(١) ...

(٢) ...

(٣) ...

(٤) ...

(٥) ...

Marfat.com

(أشعار العرب فى هجاء الكلاب)

وقال صاحب الديك : سنذكُر أشعار العرب فى هجاء الكلب مجرَّدا على وجهه ، ثمَّ نذكُر ما ذمُّوا من خلالهِ وأصنافِ أعماله ، وأموراً من صفاته ، ونبدأ بذكرِ هجائه فى الجملة . قال بشَّار بن بُرْد :

عددتَ سويداً إذ فخرتَ وتَوْلَبًا ... وللكَلْبُ خَيْرٌ من سُويدٍ وتَولبِ

وقال بشَّارٌ أو غيرُه :

أتَذْكُرُ إذ تَرْعَى على الحىِّ شاءَهُمْ ... وأنتَ شريكُ الكلب فى كلِّ مَطْعَمِ

وتلحَسُ مافى القَعْبِ من فَضْلِ سَوْرِهِ ... وقد عاثَ فيه باليدَين وبالفمِ

[وقال ابن الذئبة :

من يجمع المال ولا يَتُمْ به[1] ... ويترك المالَ لِعَامِ جِدْبِه

يهُنْ عَلَى النَّاس هَوَانَ كلبِه] *

وقال آخر :

إنَّ شَرِيبى لَا يغبُّ بوجهه ... كَلومى كأنْ كلباً يُهارِش أكْلُباً[2]

ولا أُقْسِمُ الأعطان[3] بينى وبينَه ... ولا أتوقَّاه وإن كان مُجْرِبا

وهجا [أبو] الأحوص[3] ابناً له فشبَّهه بجرْوِ كَلْبٍ فقال :

أقبحْ به من ولدٍ وأَشْقِحْ ... مثل جُرَىِّ[4] الكلب لم يُفَقِّحْ

---

(١) كذا فى عيون الأخبار ١ : ٢٤٣ : وفى ل : « يشبه » وهو تحريف إملائى . وفى البخلاء ١٥٥ : « يشبنه » وليس بشىء . وانظرهما .

(٢) ط : إن شرابى لاتغيب بوجهه كلوم ، وهو قول محرف صوابه فى ل .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط : الأعكان .

(٤) جرى : مصغر جرو . وفى ل : « جرئ » .

Marfat.com

إن يَرَ سُوءًا مَا يَقُمْ فينَبِحْ[1] بالبابِ عند حاجةِ المستفتِحْ[2]

وقال أبو حُزَابة[3] : ١٢٢

يا ابنَ عليٍّ بَرِحَ الخفاءُ أنتَ لغَيْرِ طَلْحَةَ الفِدَاءُ[4]
قد علمَ الأشرافُ والأكفاءُ أنَّك أنت الناقصُ النَّمَاءُ[5]
لَحَبَّقَ جَدَّعه الرِّعاءُ[6] يغُمُّه المِئزَرُ والرِّدَاءُ
بنو عليٍّ كلُّهمْ سواءُ كأنَّهم زِبنِيَّةٌ جراءُ[7]

وقال عبدُ بنى الحَسْحاس . وذكر قُبْحَ وجهِه [فقال] :

أتيتُ نِساءَ الحارثيِّينَ غُدْوةً بوجهٍ بَرَدْ لله غيرِ جميلِ
فشبَّهنَني كلبًا ولسْتُ بغَوقِه ولا دونه إن كان غيرَ فضيلِ

---

(١) ط : ... يرَ سوءًا ... فينبح .
(٢) ف : « خطة مستفتح » .
(٣) كتب في ل ... وقال ... وقال ... ابن حزابة ... وسكن البصرة ... مدة وعاد ... بواسط ... وقيل ... ويقال ١٠ ؛ ١٥٢ ... ١٥٣ ... وفي صحاح ... صحة الصحاح ... بن حزابة ...
(٤) ... هذا يمدح ... وقبل ... : ... ١٥٣ ...
(٥) ...
(٦) ... خبق ... صفة ... أحمق ... الرعاء ...
(٧) ...
(٨) ...

Marfat.com

وقال أبو ذُبَابٍ السَّعْدىّ[1] فى هَوَان الكلب :

لكِسْرَى كانَ أعقَلَ من تميمٍ ليالىَ فرَّ من أرْضِ الضَّبابِ
وأسكنَ أهلَه ببلاد رِيفٍ وأشجارٍ وأنهارٍ عِذَابِ
فصار بنُو بَنيه لها مُلوكاً وصرنا نحنُ أمثالَ الكِلَابِ
فلا رَحِمَ الإلهُ صدَى تميم فقد أزْرَى بنا فى كلّ باب

وأراد اللّعين[2] هجاءَ جريرٍ — وجَريرٌ من بنى كُليب — فاشتقّ هجاءَه من نسبه فقال :

سأقْضِى بين كلبِ بنى كُليبٍ وبين القَينِ قَينِ بنى عِقالِ
فإنَّ الكلبَ مَطعَمُه خبيثٌ وإنَّ القينَ يَعمَل فى سَفالِ
كِلَا العَبدين — قد علمتْ مَعَدٌّ لئيمُ الأصلِ من عمٍّ وخالِ
فما بُقيا علىَّ تركتمانى ولكنْ خِفتُما صَرَدَ النبالِ

وقال رجلٌ من همْدان . يقال له الضَّحَّاك بن سعد[3] ، يهجو مَرْوان بن محمد بن مروان بن الحكم ، واشتقّ له اسماً من الكلب فجعله كلبا فقال :

لجَّ الفِرَارُ بمرْوانٍ فقلتُ له عادَ الظلوم ظليماً همُّهُ الهربُ[4]
أين الفِرارُ وتركُ الملْك إن قبلت منك الهُوَينَى فلا دينٌ ولا أدبُ[5]

---

(١) أبو ذباب السعدى : صحابى شاعر . من سعد العشيرة . له فى إسلامه خبر ظريف . وهو ممن عرف بكنيته فقط . ترجم له ابن حجر فى الإصابة أول قسم الذال من باب الكنى وهو فى ط : « ابن دب » وفى ل : « ابن دواب » . ولعل صوابهما ما أثبت . وأبيات أعادها الجاحظ فى الحيوان ٦ : ١٠١ ونسبها فى تخيير إلى الأوطان إلى الفرزدق.

(٢) هو مالك بن زمعة المنقرى . من بنى منقر . وكان ممن قضى بين جرير والفرزدق وضربه الشر . قال ابن قتيبة : وكان اللعين هجاء للأضياف قال :

ما زال ينفج كشحيه وحبوته حتى أقول لئن الضيف قد ولدا

(٣) نسبه العسكرى فى ديوان المعانى ١ : ١٩٦ إلى سعيد بن العاصى .

(٤) ط : « عاد الظليم خطل » . والظليم : الذكر من النعام .

(٥) ديوان المعانى : « إذ كشفت عنك » . الطبرى ٩ : ١٣١ : « إذ ذهبت عنك » .

Marfat.com

فَرَاشَة الحلم فِرعونُ العذابِ ، وإن يُطلَب نَدَاهُ فكلبٌ دونَه كَلِبُ

وقال آخر وجعل الكلبَ مثلًا فى اللُّؤم : ١٢٣

سَرَتْ ماسَرَت من ليلِها ثمّ عرّسَتْ على رجلٍ بالعَرْجِ أَلْأَمَ منْ كلْبِ

وكذلك قول الأسود بن المنذر[1] ، فإنّه قال :

فإنّ امرأً أنتمُ حولَه تَحُفُّون قُبَّتَه بالقبابِ[2]

يُهِينُ سراتَكمُ جاهداً ويقتلكم مثلَ قتلِ الكلاب

وقال سحيمة بن نعيم :

ألستَ كليبيًّا لكَلْبٍ وكابِهِ فذا عندَ أطْنَاب البُيوت هَرِيرُ

وقال النَّجْرانىُّ فى ذلك :

من منْزِلى قد أخرجَتْنِى زوجتى تَهِرُّ فى وجهى هريرَ الكلبة

زوَّجتُها فقيرةً من حرْفَتى قلت لها لمّا ارتقتْ جرفى

أمّ هلالٍ أبْشرِى بالخسرةِ وأبشرى منك بقرب النَّقرة

(الفلحس والأرشم)

ويقال للكلب : فلحَس . وهذه من صفات الحرْص والخبث .

ويقال : فلان أسأل من فلْحس . وفلْحسٌ : رجلٌ من بنى تميم[3] كان حريصا خبيثا . وفلحَسَ فلْحَسًا . وكلُّ ملْتمِسٍ شيئه عندهم فلحس .

والأرشم : الخبيث والدنىء . وقد تشتمّ منه الإنسان إذا دنا منه ليشمّه ويتبّع موضعه . قال جرير فى بعضهم :

(١) ... (٢) ... (٣) ... (٤) ...

Marfat.com

لَقَّى حَمَلتْهُ أمُّه وهى ضَيفة فجاءَتْ بيَتْنٍ للضِّيافةِ أرْشَما[1]

وقال جريرٌ فى استِرواح الطعام[2] :

وبنو الهُجَيم سَخيفةٌ أحلامُهم تُطُّ اللِّحَى مُتشابِهُو الألوانِ
لو يَسمَعون بأكلةٍ أو شَرْبةٍ بعُمَانَ أضحى جمْعُهم بعُمانِ
متأبّطين بنيهمُ وبناتِهمْ صُعرَ الخدودِ لريحِ كلِّ دُخانِ[3]

وقال سَهمُ بن حنْظَلَة الغَنَوىُّ فى ذلك :

وآدَ كلابٌ فمَثلُ الكِلا ب لا يُحسِنُ الكلابُ إلَّا هريرَا
وآدَ عُميرٌ فمثلُ البِغا ل أشبَهْنَ آباءهُنَّ الحميرا[4]
١٢٤ وآدَ هِلالٌ فعَطَّارَةُ تَبيع كِباءً وعِطْرًا كثيرا[5]

(بين جرير والراعى)

ومرَّ جريرٌ يوماً بالمِرْبَد ، فوقفَ عليه الراعى وابنه جنْدَل ، فقال له ابنه جندل : إنَّه قد طال وقوفُك على هذا الكلب الكُلَيبىّ ، فإلى متى ؟ ! وضرب بغلَته ، فمضى الراعى وابنه جندل ، فقال جرير : واللهِ لأُثْقِلنَّ

---

(١) ل : « أرسما » مصحف . وفى ط : « رقى » محرفة . والبيت عن الصواب فى اللسان (ضيف ، رشم ، يتن) وأدب الكاتب لابن قتيبة ١٢٧ والاقتضاب ٣٤٦ . وقد نسب فى كل تلك إلى البعيث . ابن منظور (رشم) : قال ابن سيده : وأنشد أبو عبيد هذا البيت لجرير . قال : وهو غلط .

(٢) انظره فى البيان ٣ : ٣٢٠ وعيون الأخبار ٣ : ٢٢٥ .

(٣) البيت ساقط من ل .

(٤) يمتدى هذا البيت والذى قبله فى ل ، بكلمة « وأما » . وهو الفصل بين البيتين بكلمة « وآد » فى ص ، ط : « وأما تميم فمثل البغال » .

(٥) ساقط من ل . الكلب : عود البخور أو ضرب منه . وورد فى ل ، ص « كبا » وهو ما يحرق من الكلأ أو الحطب . والشعر فى كتاب البغال ٣٤٣ .

Marfat.com

رواحلك ! فلما أمسى أخذَ فى هجائه ، فلم يأته ما يريد . فلما كان معَ الصبح انفتَح له القولُ فقال :

فغضَّ الطَّرْفَ إنّكَ من نُميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا

ولو جُعِلت فِقاحُ بنى نُميرٍ على خَبَثِ الحديدِ إذاً لذَابا

ثم وقف فى موقفه ، فلمَّا مرَّ به جندلٌ قبض على عنان فرسه ، فأنشده قوله ، حتى إذا بلغ إلى هذا البيت :

أجندلُ ما تقول بنو نميرٍ إذا ما الأَيرُ فى است أبيك غابا

قال : فأدبَرَ وهو يقول : يقولون والله شرًّا[1] .

وقال الشاعر — وضرب بالكلاب المثلَ فى قُبْح الوجه :

سَفَرتْ فقلتُ ذا صَبَحٌ فتبرقَعَتْ فذكرتُ حين تبرقعت غُبَّارا[2]

وقيل : إنه كان يقول[3]

(الأمثال فى الكلاب)

وقال كعب الأحبار لرجل وقد سقط : إنّ لكلّ رفقة كلبَ أصحابك .

وتقول العرب : أحبُّ أهلى إلىّ كلبهم الخامل ، وقيل : وقع الكلبُ على الكلب فأخذ ذنبا فقال إنما أخذ

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

Marfat.com

« الكلابَ على البَقَر[1] » . ومن أمثالهم فى الشؤم قولهم : « على أهْلِها دلَّتْ بَرَاقِشُ » . وبراقش : كلبةُ قومٍ نبحَت على جيشٍ مرُّوا ليلا وهمْ لايشعُرون بالحىِّ ، فاستباحوهم واستدلُّوا على مواضعهم بنباحها .

قال الشاعر :

ألم تَرَ أنَّ سيِّد آلِ ثورٍ نُباتة عضَّهُ كلبٌ فماتا[2]

(قتيل الكبش وقتيل العنز)

وقال صاحب الكلب : قد يموت الناسُ بكلِّ شىء ، وقد قال عبد الملك بن مروان : ألا تتعجبون من الضحَّاك بن قيس يطلب الخلافة ونطح أباه كبش فوُجِد ليس به حَبَضٌ ولا نَبَض[3] . وقال عَرفجة بن شريك يهجو أسلَم بن زُرْعة — ووطئتْ أباه عنزٌ بالمربد فمات — فقال :

١٢٥ ولم يطع إذ بانَ[4] منّى معشرى مكانَ قتيلِ العنز أنْ أتكلَّما

فيا ابنَ قتيلِ العنز هل أنت ثائرٌ بزُرْعةَ تيساً فى الزَّريبةِ أزنما[5]

وقال أبو الغول يهجو جعفر بن يحيى[6] :

أصبحتُ محتاجاً إلى الضَّرْبِ فى طلَبِ العُرْف إلى الكلْبِ

---

(١) فى الأصل : « الكذاب كل البقر » والمثل معروف . ولصاحب القاموس ، وكذلك الدميرى فى حياة الحيوان كلام كثير فيه . وانظر المزهر ١ : ٦٥ .

(٢) ط : أما ترَ أن سيد آل ثور بنابه عضه كلب فماتا

(٣) فى القاموس : ما به حبض ولا نبض : حراك .

(٤) ط : بات ، وهو تحريف ما فى ل .

(٥) الأزنم : ذو الزنمة ، وهى هنة معلقة فى حلقه تحت اللحية . وفى ط « أزنما » .

(٦) أبو الغول الطهوى شاعر مقل له شعر يبلغ خمسين ورقة . ابن النديم فى الفهرست ١٦٣ ليبسك و ٢٣٢ مصر . وفى ط « أبو الغول » محرفا . والشعر فى الحماسة ١ : ٤٠ والأغانى ٣ : ٣٥١ و سمط عامر بن عبد الرحمن . تاريخ بغداد ٦٦٨٢ والشعر منسوب لإسماعيل بن بشر الأحنف فى الأوراق مصور أخبار الشعراء ص ١٧٣ .

Marfat.com

قد وقَّح السَّبُّ له وجهَه فصار لا ينحاش للسَّبِّ
إذا شَكَا صبٌّ إليه الهوَى قال لهُ مالى وللصبِّ
أعْنِى فتًى يُطعَن فى دينِهِ يشِبُّ مَعَهُ خَشَبُ الصُّلْبِ (١)

قال : وقلتُ لأبى عبيدة : أليس بُقْعُ الكلاب أمثلها ؟ قال : لا .

قلت : ولم قال :

وخِفْتُ هجاءهم لما تَوَاصَوْا
كَخَوْفِ الذِّئبِ من بُقْعِ الكِلابِ (٢) ؟

قال : ليس هكذا قال . إنما قال :

كَخَوْفِ الذِّئبِ من سُودِ الكلاب

ألا ترى أنّه حين أراد الهجاء قال :

كأنّكَ بانتِظارِكَ بعدَ شهرٍ خُوَيْصُ غُمورَ بُقْعُ الكلاب ٣

ويدلّ على ذلك قولُ الجَعْدىّ (٤) :

Marfat.com

فليتَ عطائى كانَ قَسَّمَ بَيْنَهُمْ وكان لى الصَّمَّان والحزْنُ أجمعُ[1]
وكان لهم أجْرى هنيئاً وأصبحَتْ بىَ البازلُ الكَوماءُ بالرمل تَضْبَع
أأجعلُ نفسى عِدْلَ علجٍ كأنما يموتُ به كلبٌ إذا ماتَ أبقَعُ

قال : فقد بيَّن كما ترى أنَّ الأبقَعَ شرُّها .

قال : وقلت : فلم قال الشاعر :

أرسلتَ أسداً على بُقْعِ الكلاب . فقد

أمسى شَريدُهمُ فى الأرض فُلَّلاَ[2]

قال : فكيف يقول ذلك وهو يمدحهم ؟ وإذا صغَّر شأنَ من هَزَموا
١٢٦ فقد صغَّر شأنَ الممدوح . بل إنَّما قال " أرسلتَ أسداً على سود الكلاب " .

قال : وإنَّما جاء الحديثُ فى قتل سُود الكلاب . لأنَّ عُقُرَها أكثرُ ما تكون
[illegible]
. وذلك من غلبه أنفسها .

وليس فى الأرض حيوانٌ من بقرةٍ وثورٍ وحِمارٍ وفرس وكلبٍ وإنسان . إلاَّ والسُّودُ أشدُّها أَسْرًا وعَصَبا[3] . وأظهرُها قُوَّةً وصبْرًا .

وقال أبو سعد المخزومى[4] فى هجائه دِعبلا :

---

(١) ط : « وكان لى الكثبان » .
(٢) فى اللسان : وهم قوم فل : منهزمون . وجمع فول وفلال . وأطال فى هذه الكلمة بحث جيد فى اللسان .
(٣) فى الأصل : « أسرا وعصبا » . وانظر ٢ : ١٥٠ .
(٤) أبو سعد المخزومى لم يعرف بكنيته . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية . وقد ذكر دعبل هذه الهجاة وإقذاع . وقد ذكره الجاحظ فى البيان ٣ : ١٤٧ بأنه دعى بنى مخزوم . وفى ط : « أبو سعيد » والصواب ما فى ل . ويؤيده ذلك قول ابن أبى الشيص فيه (الأغانى ١٨ : ٥٤) :

أنا بشرت أبا سعد فأعطانى البشاره

وقول دعبل :

إن أبا سعد فتى شاعر يعرف بالكنية لا الوالد

Marfat.com

يا ثابِتَ بن أبي سـعيدٍ إنَّها دُوَلٌ وأحْرِ بها بأنْ تتنقَّلا
هلاّ جعلتَ لها كحُرْمَةِ دِعْبِلٍ في است [امِّ] كلبٍ لايساوي دِعبِلا

[وقال ابن نوفل] :

وجئتَ على قَصْواءَ تنقلُ سَوءةً إلينا وكم من سوءةٍ لا تَهابُها [1]
وتزعمُ أنْ لم تخزِ سَلْمُ بنُ جنْدَلٍ وقد خَزِيت بعدَ الرِّجال كلابُها [2]

وقال الحسن بن هانئ يهجو جعفرَ بن يحيى :

قفاً خلف وجه قد أطيل كأنّه قفا مالك يقضي الغريم على بثق [3]
وأعظم زهواً من ذباب على خِرٍ [4] وأبخل من كلبٍ عقورٍ على عظ

وقال أبو الشمقمق :

أهلُ جودٍ ونائلٍ ورفاهٍ شبهه [illegible]
جئته زائراً فأدنى مكاني [illegible]
لا كأهل [illegible]
جئته زائراً فرحّب [illegible]
وتولّى كأنّه أبو [illegible]

وقال أيضاً :

ألا قبّلا [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) [illegible]
(٦) [illegible]

Marfat.com

له بطنٌ يَضلُّ الفيلُ فيه ودُبرٌ مثلُ رَاقود الشَّشوط[1]
وأَيْرٌ عارمٌ لا خيرَ فيه كدَوْرِ سفينةٍ فى بَثْق رُوط[2]
ولحيَةُ حائكٍ من باب قلب[3] مُوَصَّلَةِ الجوانبِ بالخيوطِ
له وجهٌ عليه الفقرُ بادٍ مُرقَّعة جوانبُه بِقوطِ[4]
إذَا نَهَضَ الْكِرَامُ إلَى المَعَالِى تَرَى سَرَّانَ يَسْفُلُ فِى هَبُوط

١٢٧ وقال أيضاً فى ذلك :

يا رازقَ الكلبِ والخنزيرِ فى سعةٍ والطيرِ والوحش فى يهماءَ دوَّيَّهْ[5]
لو شئتَ صيَّرتَه فى حالِ فاقته حتى تُقِرَّ بتلك الحالِ عينيَّه[6]

وقال جرير بن عطية ، يهجو الصَّلَتان العبدىّ[7] :

أقول لذا بيل الدَّمعُ يغسِلِ كُحلَها متى كان حكمُ اللهِ فى كَرَبِ النخلِ

فأجابه الصَّلَتانُ فقال :

تعيَّرنا أن كانت النَّخْلُ مالَنا ووَدَّ أبوك الكلبُ لو كان ذا نَخْلِ

يعيِّره جريرٌ بأنَّه كان هو وأبوه من أصحاب النَّخْل[8] .

---

(١) الراقود : دن كبير أو طويل الأسفل يسع داخله بالقار . والششوط : سمك يمقر فى الماء وملح .

(٢) عارم . من يوم عارم ، نهاية فى البرد . والروط بالضم : النهر ، معرب . وبثق النهر : كسر شطه لينبثق الماء . وفى ل : « زوط » وليس بشىء .

(٣) ل : « قلبه » .

(٤) ط : « بقه ط » وقد كتب هذا البيت تاليا للذى بعده فى ط ، ورددته إلى موضعه سابقا كما فى ل .

(٥) ط : « فى بيت روية » ، وهو تصحيف . وفى ل : « من سعة » .

(٦) ل : « حتى يقر » .

(٧) ل : « فى الصلتان العبدى يهجو جريرا » وهو خطأ صوابه فى ط ، وفى الخزانة ٢ : ١٥٤ ، والشعراء لابن قتيبة ٤١٨ .

(٨) ل : « يعير جريرا وأباه بأنهما كانا أصحاب نخل » ، وهو خطأ انظر له سابقة .

Marfat.com

وقال وضّاحُ اليمن :

وأكتم السِّرَّ غضباناً وفي سكرى ... حتى يكون له وجهٌ ومستمعُ
وأترُكُ القولَ عن علمٍ ومَقْدِرَةٍ ... حتى يكون لذاك النَّجْدِ مُطَّلَعُ [1]
لاقُوَّتي قُوَّةُ الراعي ركائبَه ... يبيتُ يأوي إليه الكلبُ والرَّبَعُ [2]
ولا العَسيفِ الذي تشتدُّ عقْبَتُه ... حتّى يَئُوبَ وباقي نعْلِه قِطَعُ [3]

وقال محمّد بن عبّاد الكاتب مولى بجيلة. وأبوه[4] من سبي دابق وكاتب زهير، وصديق ثُمامة، يهجو أبا سعد[5] داعيَ بني مخزوم، وبعد أن لقي منه ما لقي :

نعلَتْ نزارُ بك الذي ... ستُهلّته نغيا وضَرْبا
فهجوتَ قحطانا لأد ... جُرْهم مكايلةً وزُرْبا [6]
وأردتَ كيما تشتفي ... بهجائهم نهبٌ [illegible]
وشتمتَ [illegible]
كالكلب إن يأبح فلي ... س بضائر إلا مخلّى كلبه
لم تخشَ عيبك وقرَ دكـ ... ـك لا تُلائِمُ شرقا وغربا
واكشفْ قناعَ [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]

Marfat.com

١٢٨ وقال آخر يصف كلباً :

ولَذٍّ كطَعْمِ الصَّرْخَدِيِّ تركتُه بأرضِ العِدَا من خَشية الحَدَثَانِ
ومُبْدٍ لِيَ الشَّحناءَ بيني وبينه دعوتُ وقد طال السُّرى فدعانى

فوصفه كما ترى أنَّه يبدى له البغضاء .

وقال آخر :

سَرَتْ ما سَرَتْ من ليلها ثم عرَّست عَلَى رجُلٍ بالعَرْجِ ألأمَ من كلْبِ

وقال راشد بن شِهاب اليشكُرىُّ :

فاستُ إذا هبَّتْ شَمالٌ عَرِيَّةٌ بكَلْبٍ على لحم الجزورِ ولا بَرَمْ

وقال كُثَيِّر بن عبد الرحمن . وهو يصف نعلاً من نِعال السكرام[1] :

إذا طُرِحَتْ لم يَطَّبِ المِسكَ رِيحُها وإن وُضِعت فى مجلس القَوم شُمَّتِ

وقال الأعين فى بعض أضيافه[2] . يخبر أنّه قراه لحمَ كلب . وقد قال ابن الأعرابى : إنما وصف تيساً :

فقامتْ لعَبْدَىَّ اقْتِلا دَةً بضَبْعِه وأعفاجِه اللائى خنَّ زوائلُ[3]
فجاءا بخِرشاوَى شَعِير عليهما كَرَادِيسُ من أوصال أعقَدَ سافِدِ

وقال خالد عَيْنَين[4] وهو يهجو جرير بن عطية ويردّ عليه :

وعيَّرتَنا بالنخل أن كان مالنا وودَّ أبوك الكلب لو كان ذا نخل

---

(١) للبغدادى كلام فى البيت الآتى . خزانة ٤ : ١٤٧ بولاق . وهو مع بيتين سابقين له فى البيان ٣ : ١٠٩ . ونُسِبَ مثل هذا المعنى إذ يقول :

إذا وضعت فى مجلس القوم نعلها تضوع مسك ما أصابت وعنبرا

وروايته فى اللسان (نعل) : له نعل . وقال : حرك الخلق للقافية ما قبله .

(٢) انظر ترجمة الأعين ص ٢٥٦ .

(٣) فى هذا البيت إقواء . وقد روى بيقوت فى معجم البلدان برسم (خرشاوى) سبعة أبيات من قصيدة الأعين هذه . الثلاثة منها مضمومة القافية يليها خمسة مكسورات القوافى . وهذا البيت هو الرابع فى روايته . وقد روى صدره هكذا :

وأعفاجه العظمى ذوات البرائد

(٤) هو من ولد عبد الله بن دارم ، وكان ينزل أرضا بالبحرين يقال لها « عينين » فنسب إليها . وقد أجازه زياد لخاصة طريفة . الشعر ٤٣٤ .

Marfat.com

وقال دِعبل بن علىّ :

ولو يُرزَق الناسُ عن حيلة لما نال كفًّا من التُّرْبَهْ
ولو يشربُ الماءَ أهلُ العفا ف لما نال من مائهم شَرْبَهْ
ولكنَّه رزقُ مَنْ رِزْقُه يعمُّ به الكلبَ والكَبَهْ

باب

(ذكر من هُجِىَ بأكلِ لحوم الكلاب ولحومِ الناس)

قال سالم بن دَارة الغطَفانىّ (١) :

يافَقْعَسِىُّ لِمْ أكلته لِمَهْ لو خافَكَ اللهُ عليه حرَّمه
فما أكلتَ لحمَه ولا دَمه

وقال الفرزدق فى ذلك :

إذا أسديٌّ جاع يوما ببلدة ... [illegible]

وقال مساور بن هند :

إذا أسديّة ... [illegible]
يخرّمها ... [illegible]
ترى الشعر ... [illegible]
فهذا الشعر ... [illegible]

ليسا ... وأن ... [illegible]

وقال مساور بن ... [illegible]

إنى أسد أن ... [illegible]

(١) ... [illegible]
... [illegible]
١٩٨ ... [illegible]
(٢) ط : ... [illegible]
(٣) ... [illegible]

Marfat.com

وقال شرَيح بن أوس يهجو أبا المهوّش الأسدى[1] :

وعيَّرْتنا تمرَ العراق وبُرَّه وزادُك أير الكَلْب شيَّطه الجمْرُ

(أكل لحوم الناس وما قيل فى ذلك من الشعر)

وقال معروفٌ الدُّبيرىّ[2] فى أكلِهم لحومَ الناس :

إذا ماضِفْتَ يوماً فتقمسيًّا فلا تَطعَمْ له أبدا طعاما

فإنَّ اللحم إنسانٌ فدَعْهُ وخيرُ الزَّادِ مَا مَنَع الحرادا

وقد هُجِيت هـذيلٌ وأسـد وبَلعَنْبَر وباهلة بأكلِ لحوم الناس ؛

قال حسَّان بن ثابت يذكر هذيلا :

إنْ سرَّك الغَدْرُ صِرفاً لامِزَاجَ له فأت الرجيع وسل عن دارِ لِخْيانِ

قومٌ تواصَوا بأكل الجار بينهم فالكلبُ والشَّاةُ والإنسانُ سِيَّانِ

وقال الشاعر فى مثل ذلك فى هذيل :

وأنتمْ أكلتمْ شحمة بن مخدَّم زباب فلا يأمنْكمُ أحدٌ بعدُ[3]

تداعَوا له من بين خَمسٍ وأربعٍ وقد نصل الأظفارُ وانسبأ الجِلْدُ[4]

---

(١) أبو المهوش الأسدى : هو حوط بن زيد ، أو ربيعة بن وثاب ، من المخضرمين الذين أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم ولم يروه . وانظر الخزانة ٣ : ٨٦ بولاق ، والإصابة ٣ : ٢٠١ ، وفى ط : المهوس ، وصوابه فى الخزانة و ل : المهوش ، بالشين .

(٢) ط : الأسدى ، وأثبت ما فى ل والبخلاء ١٩٩ .

(٣) ل : شحمة بن مخدم ، وفى البخلاء ١٩٨ : محفة بن مخدم ، وفى ط : زباب ، موضع زباب ، والزباب : ضرب من الذُّرة ، وهو مما يهجى به . قال :

وهبه زباباً حائراً لا تسمع للأذن زعلا

(٤) ط : نسل ، وليس بشىء ، وصوابه فى ل والبخلاء .

Marfat.com

ورَفَّعتم جُردَانَه لرئيسكم مُعاوية الفلحاء يالكَ ما شُكُد[1]

وقال الشاعر فى ذلك فى باهلة :

إنَّ غفاقاً أكلتْه باهله تمشَّشوا عظامَه وكاهلَه

وأصبحتْ أم غفاق ثا كِلَه[2]

وهجا شاعر آخر بَلْعَنبر، وهو يريد ثَوْبَ بن شَحْمَة[3]. وكان شريفاً وكان ١٣٠
يقال له مجير الطير. فأمَّا مجير الجراد فهو مدلج بن سويد بن مرشد بن خيبرى[4]

فعيَّر الشاعرُ ثوب بنَ شحمة[3] بأكل الرجلِ العنبرىّ[5] ثم المرأة إلى أن نَفَى
ثوبٌ[6] من الجبَل فقال :

عجِلتُمُ ما صادَكم عِلاجْ من العُنُوق ومن النِّعاجْ

حتى أكلتمْ ضَفْلَةً كالنعاجْ

فلما عيَّره قال ثوب[7] :

يا بنتَ عمِّىَ ما أدراكِ ما حسبى إذ لا تجنُّ خبيثَ الزاد شلاَّلُ

إنِّى لذو دِرَّةٍ تخشَى بوادِرُه عند الصِّياح بنصل السَّيف قرَّاع

ومن ظريف الشعر قول أبى علاثة[8] :

---

(١) ط : ...

... وانصوب فى ...

(٢) ط : ... فى ...

(٣) كذا فى ... ١٥ ... ثوب ...
بن شحمة ... فى ...
ولا يقصد ... ٣٥٥ .

(٤) ط : ...
... ١٣٥) .

(٥) ط : ...

(٦) ط : ...

(٧) ط : ...

(٨) ط : ...
من ...

(٩) ...

Marfat.com

فما كلبة سوداءُ تفرى بنابِها عُراقاً من الموتى مِرَاراً وتَكدِمُ (١)
أتيح لها كلبٌ فضنَّتْ بعَرْقِها فهارشَها وهى على العَرْق تَعْذِمُ (٢)

فقفْ على هذا الشعر فإنّه من أعاجيب الدنيا .

وقال سُنَيح بن رباح شار الزِّنجى (٣) :

مَا بالُ كلبِ بنى كُليبٍ سبَّنا أن لم يُوازِنْ حَاجِبا وعِقالا

(قتيل الكلاب)

وتنازع مالك بن مِسْمَع وشقيق بن ثور . فقال له مالِك : إنّما رفعك قبرٌ بتَسْتَر (٤) فقال شقيق : حينَ وضعَك قبرٌ بالمشقَّر ، يا ابن قتيلِ النساء وقتيل الكلاب !! .

قال : وكان يقال لمسمع بن شيبان قتيلُ (٥) الكلاب ، وذلك أنّه لجأ فى الردة إلى قومٍ من عبد القيس . فكان كلبُهم ينبحُ عليه فخاف أن يدلَّ على مكانه فقتَلَه فقُتِلَ به .

(أمثال أخرى فى الكلاب)

قال : والعرب تقول : « أنزَعُ من لُحَمَةِ كلبٍ أنفه » . ويقال :

---

(١) ط : « تفرى بنابها » وهو تحريف . وفيها « مرداً وتكدم » وصوابهما فى ل.
(٢) تعذم : تعض أو تأكل بجفاء .
(٣) ط : « وقال الشاذرجى » ل : « وقال الشارزنجى » وهذا تحريف كتبت بدله فى رسائل الجاحظ ٦١ سنيح . وفى الكامل ٥١٠ لبيسك « ريح بن سنيح الزنجى » وانظر الرسائل ٦٢ والكامل لابن الأثير ٤ : ١٦١ .
(٤) ط : « بتشير » .
(٥) فى ثمار القلوب ٣١٨ : « مسمع بن سنان » .

Marfat.com

« أحرصُ من لَعْوة » وهى الكلبة ، وجمعها لِعاء[1] . وفى المثل : « ألأم من كلبٍ على عَرْق » ، و « نَعِم كلبٌ فى بؤس أهله . وفى المثل : « اصنع المعروف ولو مَعَ الكلب » .

(رؤيا الكلاب وتأويلها)

وقال ابن سِيرِين : الكلبُ فى النوم رجلٌ فاحش . فإن كان أسود فهو عربىٌّ ، وإن كان أبقعَ فهو عجَمىّ .

وقال الأصمعىّ عن حمّاد بن سلمة عن بن أخت أبى بلال مِرْداس ابن أُدَيَّة[2] قال : رأيتُ أبا بلال فى النوم كأنه تلزف عليه . وقال : يا حُوَّلنا بعدكم كلابٌ من كلاب النار .

قال : ولما خرج عُمر بن ذى الجوشن [الضبابى] لقتال حسين بن على رضى الله تعالى عنهما . فرأى حسينٌ فيما يرى النائم أن كلبا أبقع يلغ فى دمائهم . فأوّل ذلك أن يقتلهم[3] عمر بن ذى الجوشن ، وكان الكلب برَصاً[4] .

قال : ومن رأى كأنهم يسحبون كلبا فإنه [...]

---

(١) فى ... لعوة ...

(٢) ...

(٣) ...

(٤) ...

(٥) ...

Marfat.com

(شعر فى تشبيه الفرس بضروب من الحيوان ليس بينها الكلاب)

وقال صاحب الديك : صاحب الكلب[1] يصِفُه بالسُّرعةِ فى الحُضْر ، وبالصّبر على طول العَدْو ، وبسَعة الإهاب ، وأنَّه إذا عدا ضَبَع وبسَط يديهِ ورجليه حتى يمسَّ قَصَصُهُ الأرْض ، وحتى يشرط أذنيه بشَبَا[2] أظفاره ، وأنَّه لا يحتشِى ريحاً مع ما[3] يصيب الكلاب من اللَّهَث . فإن كان كما تقولون فلم وصفت الشعراءُ الفرسَ وشبّهته بضروب من الخلق ، وكذلك الأعضاءَ وغير ذلك من أمره ، وتركوا الكلب فى المَنْسَأ[4] لا يلتفت أحَدٌ لِفْتَهُ[5] ؟ !

وقال أبو دُواد الإيادِىُّ فى ذلك :

عن لسانٍ كجُثَّة الوَرَل الأحـــمر مجَّ النَّدى عليه العَرارُ[6]

ولم يذكره فى شىء . وقال خالد بن عجرة الكلابى[7] :

كأن لسانَه وَرَلٌ عليه بدار مضية مج العرار

وقال امرؤ القيس :

وخدٌّ أسيلٌ كالمِسَنِّ وبِرْكَةٌ كجُؤجؤ هَيقٍ دَفُّه قد تموَّرا

---

(١) ط : « لصاحب الكلب » وصوابه فى ل .

(٢) شبا : جمع شباة : وهى الحد . وفى ط : « بسباء » محرف .

(٣) ل : « لايحتشى ريحـــا مع ما » ، و ط : « لايحتشى ريحا ما » وسويت النقـــول كما ترى .

(٤) المنسأ : المزجر . وفى ل : « المنسى » وفى ط : « المسا » .

(٥) لفته : جهته . وفى ط : « لايلتفت إليه أحد » .

(٦) الورل : ضرب من الوزغ . قال ابن منظور : « ولون الورل إلى الصهمة . وهى غبرة مشربة سواداً وإذا سمن اصفر صدره » . وروى البيت برواية : « كجثة الورل الأصفر » ونسب البيت إلى عدى بن الرقاع .

(٧) ط : « حمـــاد عجرد الـــكلابى » . والبيت فى النوادر لأبى زيد ١١٦ غير منسوب وبهذه الرواية :

كأن لسانه ورل عليه بدار مضنة مج العرار

وفى ل : « لدى رمضيه » .

Marfat.com

ولم يذكره فى شىءٍ. وقال عُقْبة بن سابق :

عريض الخدِّ والجبهَـــــةِ والصَّهوةِ والجنبِ

ولم يذكره فى شىء . وقال امرؤ القيس :

وسامعتان تعرِف العتقَ فيهما كسامعتَى مذعورة وسطَ ربرب

ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك . وقال عقبة بن سابق :

ولها بِركةٌ كجؤجؤ هَيقٍ ولَبانٌ مضرّجٌ بالخضابِ

ولم يذكره فى شىء . وقال خُفاف بن نَدبة :

عَبل الذِّراعين سليم الشَّظا كالسَّيدِ يومَ القِرَّة انصارد

[ولم يذكره فى شىء من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

سليم الشَّظا عبْل الشَّوى شنِج النَّسا أقبَّ كتيسِ الخُلَّب المتفاقِ

ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك . وقال عقبة بن سابق .

وأرساغ كأعناق ظباء أطِلَّ خُشُب

ولم يذكره فى شىء من ذلك . وقال خفاف :

كأن تماثيل أرسغه وقُبٌّ وثُفُون لسن مـ

ولم يذكره فى شىء من ذلك . وقال امرؤ القيس :

لها مشكتان خطتا كأنَّ على

ولم يذكره فى شىء من ذلك . وقال أيضاً :

(١) ط :

(٢)

١٢٣ .

Marfat.com

يمشى كمشى نعامتَينِ تُتابِعانِ أشقَّ شاخِصْ

ولم يذكره فى شىء من ذلك . وقال ابن الصَّعِق [1] :

بمجنَّبٍ مثلِ العُقا بِ تخالُه للضُّمرِ قِدْحا [2]

ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك .

وقال رَبيعة بن جُشم [النمرى] . ويروى لامرئ القيس [3] :

وساقانِ كعباهما أصمَعَا نِ لحمُ حَمَاتَيهما منبتِرْ

ولم يذكره فى شىء من ذلك .

وقال عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصارى :

كأنَّ حَمَاتَيْهِما أُرنبانِ تقبَّضتا خيفةَ الأجدلِ [4]

ولم يذكره فى شىء من ذلك .

وقال خالد بن عبد الرحمن فى مثل ذلك [5] :

كأنَّ حَماتَها كردوسُ فحْلٍ مقلَّصةٌ على ساقَى ظليمِ

ولم يذكره فى شىء من ذلك .

وقال الأعشى :

أنَا إذا استقبلتَه فكأنَّه جِذْعٌ سَمَا فوقَ النَّخيلِ مشذَّبُ

وإذا تصفَّحَه الفوارسُ معرضاً فتقولُ سِرحانُ الغَضَا المتصوِّبُ [6]

أما إذا استدبرته فتسوقُه ساقٌ يقمِّصها وظيفٌ أحدَبُ

---

(١) هو يزيد بن عمرو بن حويلد . له ترجمة فى الخزانة ١ : ٣٨٨ .

(٢) المجنب : المعوج الساقين . وفى : ط « بمجنب » وليس بشىء .

(٣) جملة « ويروى لامرئ القيس » ساقطة من ل . وانظر ديوان امرئ القيس أول قصيدة منه .

(٤) حماة : غضون الساق . وفى ط : « كأن حماتها » وهو تحريف . والأجدل : الصقر .

(٥) جملة « خالد بن عبد الرحمن فى مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٦) ط : « وإذا تصفحه الفوارس مغضبا » .

Marfat.com

منــهُ وجاعرة كأنّ حماتها لما كشفت الجُلَّ عنه أرنبُ (١)

ولم يذكره فى شيءٍ من ذلك . وقال الأسعر الجُعْفى (٢) :

أما إذا اســـتقبلْتَه فكأنّه بازٍ يكفكِفُ أن يطيرَ وقد رأى

أما إذا استعرضتَه متمطِّرا فتقول هذا مثلُ سِرحان الغَضا

أمّا إذا اســـتدبرته فتَسُوقه ساقٌ قُوصُ الوَقْعِ عاريةُ النَّسَا ١٣٣

ولم يذكره فى شيءٍ . وقال أبو دواد :

كالسِّيد ما استقبلتَه وإذا ولَّى تقول مُلَمْلَمٌ ضَرِبُ (٣)

لأمٌ إذا استعرضتَه ومشَى متتابعاً ما خانَه عَقِبُ

يمشِى كشىِ نعامةٍ تبِعتْ أُخرى إذا هى راعَها خطِبُ

[ولم يذكره فى شى من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

له أيطلا ظَبى وساقا نعامة وإرخاءُ سِرحان وتقريبُ تتفل

[ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك] . وقال ابن سنان العبْدى :

أما إذا ما أقبلت فمُطارةٌ كالجذع شُذِّبَ فوقَ الشجر

أما إذا ما عرضَتْ فنَبيلة فخمٌ مكان خزيها وسِتارُ

أما إذا تثنتْ فهى نعامةٌ تنفى مسابكَها صلاب حصاً

(قول أبى عبيدة فى تشبيه الفرس بضروب من الحيوان)

قال أبو عبيدة : وشبه خلقه من خلق الأدمى قال وشبهه

(١) الجل : ...

(٢) الأبيا : ...

(٣) الململم : ...

(٤) ظ : ...

(٥) ن : ...

Marfat.com

ساقيها وعُرى نَسَيها[1] . ومِمَّا يشبه من خلقه خلْقَ الأرنب صِغَر كعبَيها . ومِمَّا يشبه من خلْقه خلْق الحمار الوحشىّ غِلظ لحمه ، وظمأ فصوصِه وسَراتِه ، وتمحص عصَبِه[2] ، وتمكُّن أرساغه ، وعَرض صهوته .

قال صاحب الكلب : قد قال أبو عبيدة : إنّ مما يشبه من خلقه خلْقَ الكلب هَرَت شدقِه ، وطول لسانه ، وكثرة ريقه ، وانحدار قصَّه[3] ، وسبوغ ضُلوعِه ، وطول ذراعيه ، ورُحْب جلده ، ولحوق بطنه .

وقال طُفيل الغَنَوىّ ، يصف الخيل :

تبارِى مَراخِيها الزِّجاج كأنّها ضِرَاءٌ أحسَّتْ نبأةً من مكلَّبِ[4]

وقال طُفَيل أيضاً :

كَأَنَّ عَلَى أعطافِهِ ثوبَ مائِحٍ وإن يلق كلب بين حَيه يَذْهَبِ[5]

وقال صاحب الديك : وأين يقع البيتُ والبيتان والثلاثة ، من جميع أشعار العرب ؟ !

وقال صاحب الكلب : لعلّنا إن تتبَّعنا ذلك وجدناه كثيراً ، ولكنك تقدَّمت فى أمر ولم تُشْعِر بالذى تعنى . فَنَلتقط[6] من الجميع أكثرَ مما التقطت . والإنسان شريف الأعضاء وقد تشبه مواضعُ منه مواضع من الفرس العتيق . وما حضرنا من الأشعار إلّا قوله : ١٣٤

---

(١) ط : « نسجها » وليس بشىء .

(٢) تمحص العصب : شدته . وفى ط : « تمحيص » .

(٣) القص والتقصص : الصدر . ل : « قصبه » ط : « قصه » محرفتان .

(٤) يقول : إن هذه الخيل تبارى مراخى — وهن المسرعات واحدها مرخاء — تبارى الزجاج : جمع زج ، أى تتكلف تسبق ما يحمله أربابها من سلاح . ومثله قول لبيد :

يصرد الزج يبارى ظله يأسيل كالسنان المنتحى

وفى ط ، ل : « تبادى » . وفى ط « مراحيها » . وذلك تحريف . انظر الحيوان (٢ : ٨١) .

(٥) المائح : الذى ينزل البئر فيملأ الدلو . والمائح : الذى يجذب الدلو ليخرجها . وفى ل « كأن على أعطافها ثوب مائح » وفى ط : « كأن على أعطافه ثوب مائح » . وانظر أدب الكاتب ٨٧ والاقتضاب ٢٣٦ .

(٦) فى الأصل : « فتلتقط » .

Marfat.com

وترى الكعبتَ أمامَه وكأنّه رجلٌ مُغاضِبْ ١٣٤

وقال الشاعر فى ذلك :

خُوصٌ تَرَاحَ إلى الصراخ إذا غدت فِعْلَ الضَّرَاءِ تَرَاحَ للكَلّابِ (١)

وقد شبهوا بالكلب كلَّ شىء .

وكان اسم فرس عامر بن الطفيل . الكلب . والمزنوق . والوَرد .

(شعر فى وصف الناقة ونشاطها)

قال صاحب الديك : قد قال أوس بن حجر . ووصف الناقة ونشاطها والذى يَهيجها فقال :

كَأَنَّ ذِرًا جَنِيباً عند مَفْرِضها ... [و] تَزورَتْ عنه كأن بادفَّها ... يثقب ضلعها بالأخمة (٣)

وقال الأعشى :

جَلالة سَرْح كأنّ بدفّها ... يثقب ضلعَ ذى أخمة

وقال عنترة بن شداد العبسى :

وكأنّها يثنى بجانب دفّها ... وحشى من هزج العشىّ مؤوّد

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

Marfat.com

هرٌّ جَنيبٌ كلّما عطَفَتْ له غَضْبَى اتقاها باليدين وبالفمِ [1]

وقال المثقِّب العَبْدىّ :

فسلِّ الهمَّ عنك بذاتِ لَوْثٍ عُذَافِرةٍ كَمِطْرَقةِ القُيُونِ

وبِصادقةِ الوَجِيفِ كأنّ هرًّا يُبارِيها ويأخُذُ بالوَضِين [2]

قال صاحب الكلب : إنما يذكرون فى هذا الباب السِّباعَ المنعوتة بالمخالب وطولِ الأظفار ، كما ذكر الهرَّ وابن آوى . والكلبُ ليس يوصف بالمخالب ، وليس أنَّ الهر أقوى منه . ألا ترى أنّ أوسَ بن حجرٍ قال فى ذلك :

كأنّ هرًّا جَنِيباً عِنْدَ مغْرِضِها

فذكر الموضع الذى يوصف بالحلْبِ والخدْش والحمش والتظفير ، فلما أراد أن يفرِّعها ويشرِّفها ، شبّهها بالهرّ حتى تذهب جافلة فى وجْهِها [3] ، أو نادَّة ، أو كأنّها مجنونة من حاقِّ المرح والنشاط [4] قال :

والتفَّ دِيكٌ برجلَيْها وخِنزِير [5] .

وقال أبو النجم :

لو جُرْشَنٌ وسطها لم تُجْفِلِ [6] من شهوةِ الماءِ ورِزٌّ معضل [7]

ويروى : تخفل . ولو قال أوس :

---

(١) ط : « التقاها » .

(٢) ط : « وصادقة الوجيف » وانظر المفضليات ٢٤٠ .

(٣) ن : « وجهه » وهو تحريف .

(٤) حاق المرح : صادقه . وفى ط : « حال المرح » .

(٥) البيت لأوس بن حجر كما سبق قريباً . وصدره :

كأن هرا جنيبا عند مغرضها

(٦) ط : « لو جرشن خلفها لم يخفل » .

(٧) البيت ساقط من ل . والرز : الصوت . وعنى به الوجع . كما فى اللسان (رزز) عند إنشاد الرجز . وفى الأصول : « رزء » ، تحريف .

Marfat.com

* والتفّ شَنٌّ برِجليها وخِنزير *

لكان جائزاً ، لولا يُبْس الشنِّ وقحُوله ؛ وأنّه ليس مما يلتوى على رجليها . وقال آخر :

كأنَّ ابنَ آوى مُوثَقٌ تحت غرْزِها إذا هو لم يَكْلِمْ بنابَيهِ ظَفَّرِ

وقال صاحب الديك : حديث عمرو بن شعيب عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يَحِلُّ لرجلٍ [أَنْ][1] يُعطِيَ عَطِيَّةً ويرجِع فيها . إلاّ الوالد فيما يعطى ولده . ومثل الذى يُعطى العطيَّةَ ثم يرجِعُ فيها كمثل الكلب يأكل . حتى إذا شَبِع قاءَ ثم عاد فى قيئه »[2] .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يرجع فى هِبَته إلاّ الوالد من ولده . والعائِد فى هبته كالعائد فى قيئه » .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر . أنّ أبا بكر بقتل الكلاب . قال عبد الله بن جعفر : وكانت لى خالة فى آل أبى بكر ، وكان جروٌ فى بعض سريره[3] فقمت له : يا أبت ، واللهِ لأقتلنّ هذا الجرو . فقال : لا تقتلوا كلبَ ابنى . ثمّ أشار بإصبعه إلى الكلب الذى فى أسفل السرير وأنا لا أدرى . فقتل .

وإسماعيل بن أميّة قال : أقتلنا من بيوتنا الكلاب والحيّات .

ابن المبارك قال : إذا عرف الرجل قدر نفسه لم يكن أذلّ من الكلب .

---

(١) ليست فى الأصل .

(٢) فى الأصل « فقاءه ثم عاد فى قيئه » .

(٣) فى الأصل « فى بعض السرير » .

Marfat.com

(لؤم الكلب)

قال صاحب الديك — وذَكَرَ الكلب فقال —: من لؤمِه أنَّه إذا أسمنْتَه أكلك ، وإن أجعْتَه أنكرك . ومن لؤمه اتّبَاعه لمن أهانه ، وإلفُه لمن أجاعَه ؛ لأنه أجهلُ من أن يأنس بما يؤنس به[1] وأشره وأنهَمُ وأحرصُ وألجُّ من أن يذهب بمطمعته[2] ما يذْهَب بمطامع السباع .

ومن جهله أيضا أنّا لم نجدْه يحرُس المحسنين إليه بنباحه ، وأربابَهُ الذين ربّوه وتبنّوه[3] إلا كحراسته لمن عَرفه ساعةً واحدة ، بل لمن أذلّه وأجاعَه وأعطشه . بل ليس ذلك منه حراسةً ، وإنّما هو فيه من فضل البَذَاء أو النُّحْش ، وشدّة التحرُّش والتسرُّع . وقد قال الشاعر فى ذلك :

١٣٦ إذا تَخازَرْتُ وما بى من خَزَرْ ثم كسَرت العينَ من غير عَوَر[4]
أبْدَى إذا بُوخِيت من كلْبِ بَكَرْ[5] أسودَ قَزّاحٍ يُعوِّى فى السَّحَر[6]

وإنّما ذلك شكل من شكل الجبن ، وكالذى[7] يعترى نِساءَ السِّفْلة من تصخّب .

(جبن الكلب)

والكلب جبانٌ وفيه جرأة ولؤم . ولو كان شجاعاً وفيه بعض التهيُّب

---

(١) ل : « منه » .
(٢) مطمعته : ضمعه . وفى ط : « بمضمعه » .
(٣) ط : « واسود » والوجه ما فى ل .
(٤) ب : « الطرف » موضع « العين » .
(٥) بكر : من البكور . ط : « بزى إذا بوزيت » صوابه فى ل . وانظر الأمثال (١ : ٩٦) وأمثال الميدانى (٢ : ١٢٧) . والرجز منسوب إلى عمرو بن العاص فى نهاية الأرب للنويرى (١ : ٤١٠) .
(٦) قزاح : الذى يدفع ببوله دفعا . وفى ط : « قرع » . وفى ط : « تعوى فى السحر » وفى ب : « يغط فى السحر » .
(٧) ط : « والذى » وهو تحريف .

Marfat.com

كان أمثل . ومن فرط الجبن أنَّه يفزَع من كلِّ شيء وينبحَه .

والبرذون ربَّما رمَح البرذونَ مبتدئا ، وقلق وصهل صَهِيلا فى اختلاط ؛ وليس ذلك من فضْل قوَّةٍ يجدُها فى نفسه على المرموح ، ولكنَّه يكون جبانا ، فإذا رأى البِرذون الذى يظنُّ أنَّه يعجِز عنه أراه الجبنُ أنَّه واقعٌ به ، فعندها يقلَق وإذا قلِق رمَح . وهذه العلَّة تعرض للمجنون ؛ فإنَّ المجنونَ الذى تستولى عليه السَّوداء ، ربما وثَب على من لايعرفه . وليس ذلك إلاَّ لأنَّ المِرَّة أوهمتْه أنّه يريده بسوء ، وأنّ الرأى أن يبدأه[1] بالضرب . وعلى مثال ذلك يرمى بنفسه فى الماء والنار .

(مما حدث للنظام)

فأمَّا الذى شهدت أنا من أبى إسحاق بن سيَّار النظَّام . فإنَّا خرجنا معه

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

Marfat.com

ولا تنكر قولى وحكايتى عنه بقولٍ ملحون . من قولى : « إن كنت سَبْع » ولم أقلْ « إن كنت سبعاً » !

(إفساد الإعراب لنوادر المولدين)

وأنا أقول : إنّ الإعرابَ يفسد نوادر المولَّدِين ، كما أنّ اللحنَ يُفْسِد كلام الأعراب[1] ؛ لأنّ سامعَ ذلك الكلام إنّما أعجبتْه تلك الصورة[2] وذلك المخرَج ، وتلك اللغة وتلك العادة ؛ فإذا دَخَلْت على هذا الأمر — الذى إنما أضحك بِسُخْفِه وبعضِ كلام العجميَّة التى فيه[3] — حروفَ الإعراب والتحقيق والتثقيل[4] وحوَّلتَه إلى صورةِ ألفاظ الأعراب الفصحاء ، وأهلِ المروءة والنجابة[5] انقلب المعنى مع انقلاب نظْمِه ، وتبدَّلتْ صورته .

ثم قال أبو إسحاق : إنْ أطعمَه اللصُّ بالنهار كسرةَ خُبْزٍ خلاّه ، ودارَ حوله ليلا . فهو فى هـذا الوجه مرتشٍ وآكلُ سُحت ؛ وهو مع ذلك أسمجُ الخلْقِ صوتاً ، وأحمق الخلق يقَظَةً ونوما ، ينام النَّهارَ كله على نفس الجادَّة ، وعلى مدقِّ الحوافر ، وفى كل سوقٍ وملتقَى طريق ، وعلى سبيل الحمُولة[6] وقد سهر الليلَ كله بالصياح والصَّخَب ، والنَّصَب والتَّعب ، والغيظ والغضب ، وبالمجىء والذَّهاب ، فيركبه من حبِّ النوم

---

(١) ل : « يفسد كلام المولدين كما أن لحن يفسد نوادر كلام الأعراب » . وانظر البيان ١ : ١٤٥ .

(٢) ل : « أضحكته » بدل « أعجبته » .

(٣) ط : « فيها » والوجه ما فى ل .

(٤) ط : « والتخفيف والتثقيل » والوجه ما فى ل .

(٥) ل : « والنجابة » .

(٦) الحمولة بالفتح : « ما احتمل عليه القوم من بعير وحمار ونحوه . وفى الأصل : « الخمولة » بالخاء ، مصحفة .

Marfat.com

على حسب حاجته إليه . فإن وطئته دابَّةٌ فأسوأ الخَلْقِ جزَعاً وألأمه لؤما ، وأكثره نُباحا وعُواءً . فإن سلم ولم تَطَأهُ دابَّةٌ ولا وطئه إنسان . فليست تتمُّ له السلامة ؛ لأنّه فى حالِ متوقَّعٍ للبليَّةِ . ومتوقَّعُ البليَّةِ فى بَليَّة . فإنْ لم يسلم فليس على ظهرها مبتلى أسوأ حالاً منه ؛ لأنّه أسوَؤهم جزَعاً ، وأقلُّهم صبرا . ولأنّه الجانى ذلك على نفسه . وقد كانت الطُّرق الخالية له معرضة . وأصول الحيطان مباحة .

وبعد فإنّ كلَّ خَلْقٍ فارقَ أخلاقَ الناس فإنّه مذموم . والناس يأوون بالليل الذى جعله الله تعالى سكَنا . وينتشرونَ بالنّهار الذى جعله الله تعالى لحاجات الناس [1] مَسْرحا .

قال صاحب الكتاب : لو شئنا أن نقول : إنّ مرور الفيل ونومه بالليل خصْلَة ملوكيَّة لقلنا . ولو كان خلاف ذلك لكان الكلب [illegible] أولى . وأمَّا الذى أشرتَ به من النوم فى الطرق الخالية . [illegible] نومه على شارعات الطُّرق والسِّكَكِ العامرة [2] وفى الأسواق [illegible] فكلُّ امرئ أعلم [بشأنه] . ولولا أنّ الكلب [illegible] والسُّفهاء وصبيان الكتّاب . من رفض عظامه [illegible] طريق خال ليس فيه رجال يرمونه [3] . [illegible] السفهاء . وأنّ ذلك لا يتريه فى جامع الأشراف [illegible] رقد فى الأسواق . وعلى أنّ هذه الخلقة [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]

Marfat.com

أتى فى الأسواق مأواها ومنازلها .

وبعد فمن أخطأُ وأظلمُ ممَّن يكلِّف السباعَ أخلاقَ الناس وعادات البهائم ! ! وقد علمْنا أنّ سباعَ الأرض عن آخرها إنَّما تَهيج وتَسرح وتلتَمس المعيشةَ وتتلاقى على السفاد والعظال ليلاً ؛ لأنها تبصر بالليل .

(سبب اختيار الليل للنوم)

وإنما نام الناسُ بالليل عن حوائجِهم ، لأنّ التمييز والتفصيل والتبيُّن[1] لايمكنهم إلاّ نهارا . وليس للمتعَب المتحرِّك بدٌّ من سكون يكون جَماماً له . ولولا صرفُهم[2] التماسَ الجمام إلى الوقت الذى لو لم يناموا فيه والوقتُ مانع ١٣٨ من التمييز والتبيُّن[3] . لكانت الطبائعُ تنتقض . فجعلوا النَّوم بالليل لضربين : أحدهما لأنّ الليلَ إذ كان من طبعه البرد والرُّكود والخُثورة . كان ذلك أنزَعَ إلى النوم وما دعا إليه ؛ لأنّه من شكله . و [أمّا][4] الوجه الآخر فلأنّ الليلَ موحِشٌ مخُوف الجوانب من الذوامّ والسباع ؛ ولأنّ الأشياء المبتاعةَ والحاجات إلى تمييز الدنانير . والدراهم ؛ والحبوب ؛ والبزور ؛ والجواهر ؛ وأخلاط العطر . والبَرْبَهار[5] وما لا يحصى عدده . فقادتهم طبائعهم وساقتهم غرائزهم إلى وضعِ النوم فى موضعه ؛ والانتشار

---

(١) ط : والتفصيل والتبيين ، وفى وجه مثل ب .

(٢) ل : ، فصرفهم .

(٣) ط : ، التمييز .

(٤) زيادة يقتضيها الكلام .

(٥) البربهار : الأدوية التى تجلب من الهند من الخشيش والعقاقير ونحوها . يقول البحرية والذى فى البصرة فلفل وبربهار . انظر المعانى ٧١ . وانظر ماسيأتى فى حواشى ٣ : ٤٣٥

Marfat.com

والتصرف[1] فى موضعه على ماقدَّر الله تعالى من ذلك وأحبَّه . وأمَّا السباع فإنها تتصرَّف وتبصر بالليل ، ولهـا أيضاً عللٌ أخرى يطول ذكرُها .

(نوم الملوك)

وأمَّا ماذكرتموه من نوم الملوك بالنّهار وسهرهم بالليل . فإنّ[2] الملوكَ لم تجهلْ فضلَ النوم بالليل والحركةِ بالنهار ، ولكنَّ الملوك لكثرة أشغالها فضلَت حوائجها عن[3] مقدار النهار ولم يتّسع لها ، فلما استعانَت بالليل ولم يكن لها بدٌّ من الخلوة بالتدبير المكتوم والسرِّ المخزون . وجمعت المقدارَ الفاضلَ عن اتّساع النهار إلى المقدارِ الذى لابدَّ للخلوة بالأسرار منه ، أخذتْ من الليل صدراً صالحاً . فلمَّا طال ذلك عليها أعانها الهِران[4] . وخفّ ذلك عليها بالدُّربة .

وناسٌ منهم ذهبوا إلى التناول من الطعام ليلا وإلى أن يجعلوا لطعامهم الحسن مما يزيد فى المُنَّة . ويكون مادَّة للقوة . وعلموا أنّ المعدة إذا [illegible] لاتتناول الشَّرابَ ولا تتكلّف الهضمَ على هذا المعنى . أن [illegible]

وقولها سيكفيك . فرأوا أنّ بين [illegible] وأحبوا أن يجعلوا [illegible]

وقال الراجز :

[illegible]

وقالوا فى مثل : [illegible]

---

(١) ط : [illegible]

(٢) ف لا [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

(٧) [illegible]

Marfat.com

(تلهى المحزون بالسماع)

وما زالت ملوكُ العجَم تلهِّى المحزون بالسماع ، وتعلِّل المريض، وتَشغله عن التفكير ؛ حتَّى أخذت ذلك ملوكُ العرب عن ملوك العجم . ولذلك قال ابن عَسَلة الشيبانى[1] :

وسماعِ مُدْجنةٍ تعلِّلُنا حتَّى نَنَامَ تناوُمَ العُجْمِ
فصحوت والنَّمَرِىُّ يحسَبُها عَمَّ السِّماكِ وخالةَ النَّجْمِ[2]

النجم : واحد وجمع . وإنَّما يعنى فى البيت الثريَّا . ومدجنة : يعنى سحابةً دائمة .

(قول أم تأبط شرا فى ولدها)

وفيما يحكى عن امرأةٍ من عقلاء نساء العرب — وإذا كان نساءُ العرب لجملة أعقلَ من رجال العجَم . فما ظنُّكَ بالمرأةِ منهم إذا كانت مقدَّمة فيهم[3] — فرووا جميعاً أنَّ أمَّ تأبَّط شرًّا قالت : «والله ماوَلَدْتُه يَتْناً ، ولاسقَيته خَتْلاً ولا أبتُّه على مَأْقة » .

فأمَّا اليتن فخروج رِجل المولود قبلَ رأسِه . وذلك علامة سُوءٍ ، ودليلٌ على الفساد . وأمَّا مَقِ الفَيْل . فارتضاع ابن الحبـلى . وذلك

١٣٩

---

(١) سبق ذكره فى ص ٢١٢ ، ٢٨٤ ، وسبقت ترجمة ابن عسلة .
(٢) صواب روايته : فصحوت ، كما سبق فى حواشى ٢ ، ٣ .
(٣) لم : خالفه .

Marfat.com

(ماينبغى للأم فى سياسة رضيعها حين بكائه)

وأما قولها فى المأقة ، فإنَّ الصبىَّ يبكى بكاءً شديداً متعباً موجعاً . فإذا كانت الأمُّ جاهلةً حرّكته فى المهد حركةً تورثه الدُّوار ، أو نوّمته بأن تضرب يدَها على جنبه . ومتى نام الصبىُّ وتلك الفزْعةُ أو اللَّوعة أو المكروه قائمٌ فى جوفه ، ولم يعلَّلْ ببعضِ مايلهيه ويُضحكه ويسرُّه . حتى يكون نومه على سرورٍ . فيسْرِى فيه ويعمَل فى طباعه . ولا يكون نومه على فزعٍ أو غيظ أو غمٍّ . فإنَّ ذلك ممَّا يعمل فى الفساد . والأمُّ الجاهلة والمرقِّصة الخرقاء . إذا لم تعرف فرقَ ما بين هاتين الحالتين . كثُر منها ذلك الفساد . وترادَفَ . وأعان الثانى الأولَ والثالثُ الثانىَ حتَّى يخرج الصبى مائقا . وفى المثل : صاحبى مشقِّ وأنا تلقٌ . يضرب ذلك المثل للرجل الأحمق الرفيق والزميل . وقد استفرغه الشاعر بقوله [illegible] شىءٍ يكون فى ذلك المثل من ملكه ودله يختصه [illegible] لامتلائه من ضوْل ماقاسى من مكروه الطفل .

(مايحتاج إليه المولود)

فاحتاج خلْق المولود [illegible] بالمتاع الحسن ، ويشغله من متعلقه [illegible] حركة المهد ، وقد حركه [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

فى مِكيال الدم ، زائداً فى الحركة المولِّدة للسرور . هذه صفةُ الملوك . وعليه بنوا أمرَهم ، جهل ذلك مَنْ جهله ، وعَلِمه من علمه .

وقال صاحب الكلب : أمَّا تركُه الاعتراضَ على اللِّصِّ الذى أطعمه أيَّامًا وأحسنَ إليه مِراراً ، فإنَّما وجب عليه حفظُ أهله لإحسانهم إليه ، وتعاهدهم[1] له . فإذا كان عهده ببرِّ اللص أحدَثَ من عهده ببرِّ أهله[2] ، لم يكلَّف الكلبُ النظرَ فى العواقب ، وموازنة الأمور[3] . والذى أضمر اللصُّ من البَيات غَيْبٌ قد سُتِر عنه ؛ وهو لايَدرى أجاء ليأخذَ أم جاء ليعطىَ ، أوهم أمرود أو هو المتكلِّف لذلك ؛ ولعلَّ أهله أيضاً [أن] يكونوا قد استحقُّوا ذلك منه بالضَّرب والإجاعة ، وبالسبِّ والإهانة .

وأمَّا سماجة الصَّوت فالبغل أسمجُ صوتاً منه ، كذلك الطاووس على أنَّهم يتشاءمون به . وليس الصَّوت الحسنُ إلاَّ لأصناف الحمام من القَمارىِّ والدَّبَاسىِّ . وأصناف الشفانين[4] والوراشين . فأمَّا الأسد والذئب ؛ وابن آوى والخنزير ، وجميعُ الطير والسِّباع والبهائم فكذلك . وإنَّما لك أن تذمَّ الكلبَ فى الشىء الذى لايعمّ . والناس يقولون : ليس فى الناس شىءٌ أقلُّ من ثلاثةِ أصناف : البيان الحسن ، والصوت الحسن ، والصورة الحسنة ؛ ثمّ النَّاس بعدُ مختلِطون ممتزجون . وربَّما كان مِنَ الناسِ بل كثيراً ما تجدُه وصورته أقبحُ من صوت الكلب ، فلم تخصُّون الكلبَ بشىءٍ عامَّةُ الخلق فيه أسوأ حالاً من الكلب ؟ !

وأمَّا عُوَاؤه من وَطْء الدَّابَّة وسوء جزَعه من ضرب الصِّبيان ، فجزعُ

(١) ب : « وتعهدهم له » وهو بعد .

(٢) ط : « فإذا كان عهده بين اللص وبينه أحدث من عهده ببيته وبين أهله » وأثبت مثل ل ، مع تبديل « بيته وبين » بكلمة « ببر ».

(٣) ط : « وموازنة الأمور » .

(٤) ط : « الشفانين » وهو تحريف سبق التنبيه عليه ص ١٩٤ .

Marfat.com

الفرَس من وقْع عذبَة السَّوط ؛ أسوأ من جزَعه من وقع حافر برذون .
وهو فى هذا الموضع للفرس أشدُّ[1] مناسبةً منه للحمار .

على أنَّ الدِّيكَ لايُذكَر بصبرٍ ولا جزَع .

(نوادر ديسيموس اليونانى)

قال صاحب الديك : حدَّثنى العُتْبى[2] قال : كان فى اليونانيين مرور له نوادرُ عجيبة ، وكان يسمَّى ديسيموس[3] . قال : والحكماء يروون أكثرَ من ثمانين نادرة [مامنها] إلاَّ وهى غُرَّةٌ وعينٌ من عيون النوادر : فمنها أنَّه كان كلَّ خرجَ من بيته مع الفجر إلى شاطئ البحر ليغتسل والطهور . ألقى فى أصل باب داره وفى دوره حجر . فإن لامسه الباب ، فيحتاج إلى معالجة فتحه . وإن دفعه كلَّ رجع من حيث جاء . وكان كلَّما رجع[5] لم يجد حجرا فى موضعه . ووجد الباب مفتوحا . وكان له فى بعض الأيام[6] يرى هذا الذى يصنع[7] ما يصنع . فلما هو فى انتظاره إذ أقبل رجل حتى تناول حجرا . فلما جاء ليدفع الباب

(١) ..... (٢) ..... (٣) ..... (٤) ..... (٥) ..... (٦) ..... (٧) .....

Marfat.com

البابُ . فقال له : مالَك وهذا الحجر ؟ ومالك تأخذه ؟ فقال : لم أعلمْ أنَّه لك . قال : فقد علمتَ أنَّه ليس لك !

قال : وقال بعضهم : مابال ديسيموس يعلِّم الناسَ الشِّعرَ ولا يقول الشعر ؟ قال : ديسيموس كالمِسَنِّ الذى يشحَذ ولا يقطع .

ورآه رجلٌ يأكل فى السُّوق فقال : أتأكل فى السوق ؟ فقال : إذا جاع ديسيموس فى السُّوق أكلَ من السوق .

قال : وأسمعه رجلٌ كلاما غايظا وسطَا عليه . وفحش فى القول ، وتحلَّم عنه فلم يجبه . فقيل له : مامنعك من مكافأته وهو لك مُعرِض ؟ قال : أرأيتَ لو رمحَك حمارٌ أكنتَ ترمحُه ؟ قال : لا . قال : فإن ينبح عليك كلب تنبح[1] عليه ؟ قال : لا . قال : فإنَّ السفيهَ إمَّا أن يكون حماراً ، وإما أن يكون كلبا ، لأنَّه لايخلو من شَرارَةٍ تكون فيه أو جهل ، وما أكثر مايجتمعان فيه[2] .

(أمثال أخرى فى الكلاب)

وقال صاحب الديك : يقال للسفيه إنَّما هو كلب ، وإنَّما أنت كلبٌ نبَّاح . وما زال ينبَح علينا منذ اليوم ، وكلبُ مَن هذا ؟ ويا كلب ابن الكلب ، واخسأْ كلباً[3] .

وقالوا فى المثل : « احتاج إلى الصُّوف مَنْ جزَّ كلبَه » . و « أجِعْ كلبَك يتبَعْك » . و « أحبُّ شىء إلى الكلبِ خانقهُ » . و « سمِّن كلبَك يأكلك

---

(١) ب : « تكون تنبح عليك الكلب » الخ .

(٢) ط : « من يجتمعان فيه » والوجه ما فى ب .

(٣) ن : « ويا كلب ابن الكلبة واخسأ كلبا » .

Marfat.com

و « أجوَع من كَلْبة حَومَل »[1] . و « كالكلب يربِض فى الآرِىِّ فلا هو يأكل ولا يدَع الدابَّة تعتلف » .

(براقش)

وفى أمثالهم فى الشؤم : « على أهلها دلَّت بَراقِشُ » .

وبَراقش : كلبة نبحتْ على جيشٍ مرُّوا فى جوف ليل وهم لايشعرون بموضع الحىِّ . فاستدلُّوا عليهم بنباح الكلبة فاستباحوهم[2] .

(الجن والحن)

وقال صاحب العين : روى إسمعيلُ الملائىُّ عن أبى عُبيدة المطاردى قال : سمعت ابن عباس يقول : الشَّيطان من الكلاب الحَنُّ . وهو الذى يتبع الحائض . ويقال إنَّ الحنَّ ضعفة الجنِّ . كما أنَّ الجنَّ ضعفة الملائكة . وقيل الشيطان . وإن قوى فهو الجنِّى . وإن زاد فهو العفريت . وإن زاد فهو [illegible] فاتل فى الحرب وقاده وهو [illegible] . وإن زاد فهو [illegible] . وقيل [illegible] . وقيل [illegible] . وقيل

أبيتَ أهوِى فى شياطينَ ثُرِنّ مختلفٍ نجارُهم حِنٌّ وجنّ

(ماورد من الحديث والخبر فى قتل الكلاب)

وعن أبى عنبسة[1] عن أبى الزبير عن جابر : [2] قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب . حتى أن المرأة لتقدم بكلبها من البادية فنقتله . ثم نهانا عن قتلها وقال : « عليكم بالأسود البهيم ذى النكتتين على عينيه . فإنه شيطان » .

وعن أبى الزبير عن جابر قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب . فكنا نقتلها كلها حتى قال : « إنها أمة من الأمم . فاقتلوا البهيم الأسود ذا النكتتين على عينيه . فإنه شيطان » .

١٤٢ وعبدالله وأبو بكر ابنا نافع[3] عن ابن عمر . ونافع عن أبى رافع قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن أقتل الكلاب . فكنا نقتلها . فنهيت إلى ظاهر بنى عامر . وإذا عجوز مسكينة معها كلب وليس قربها إنسان[4] فقالت : ارجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره أن هذا الكلب يؤنسنى . وليس قربى أحد . فرجع إليه فأخبره . فأمر أن يقتل كلبها فقتله . وقال فى حديث آخر[5] : إنه لما فرغ من قتل كلاب المدينة وقتل كلب المرأة قال : الآن استرحت . قالوا : فقد صح الخبر عن قتل جميع الكلاب ، ثم صح الخبر بنسخ بعضه وقتل الأسود البهيم منها . مع الخبر بأنها من الجن والجن . وأن أمتين مسختا . وهما الخيّات والكلاب .

---

(١) ب : « ويحيى بن أبى أنيسة » .

(٢) فى ب بعد هذا زيادة : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم » . على أبى الزبير عن جابر . كما أن الحديث الآتى فى ن روى بعد الذى بعده هنا .

(٣) والصواب : أبو بكر نافع . (٤) فى ب : « يقربها إنسان » .

(٥) ن : « قالوا وفى حديث » .

Marfat.com

ثم روى الأشعث عن الحسن قال : ما خطَب عثمان خُطبةً إلاّ أمرَ بقتْل الكلاب وذبح الحمام .

وعن الحسن قال : سمعت عثمانَ بن عفّانَ يقول : اقتلوا الكلابَ واذبحوا الحمام .

قال : وقال عطاءٌ : فى قتل كَلْب الصيد إذا كان صائداً أربعُون درهماً ، وفى كلب الزرع شاة .

(ما ورد من الحديث والخبر فى دية الكلب)

والحسن بن عمارة عن يعلى بن عطاء عن إسماعيل بن حسان عن عبد الله بن عمر[1] قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلب الصَّيد بأربعين درهما . وفى كلب الغنم بشاة ، وفى كلب الزرع بعشرة من طعام[2] . وفى كلب الدار بقفيز من تراب . حتى لا يقال أن يأخذه . وحُق على صاحب الدار أن يقبضه .

قال : والتراب لا يكون مقدّراً إذا كان فى دار الخوارق .

وفى قوله : وحُق على صاحب الدار أن يقبضه . دليلٌ على [illegible] على أحد قولى الشافعى فى أن ثمن الكلب [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

(ما ورد من الحديث والخبر فى شأن الكلاب)

قال : وسئل عن الكلب يكون فى الدار وفى الدار مَن هو له كاره .

ابن أبى عَروبة عن قَتادة عن أبى الحكم : أنّ ابنَ عمر سئل عن ذلك فقال : المأثَمُ على ربِّ الدّار الذى يملكها .

وعن ابن عُمر قال : من اتَّخذ كلباً ليس بكلب زَرْع ولاضَرْع ولاصَيد نقص من أجره كلَّ يوم قيراط . فقال رجل : فإن اتخذه رجلٌ وهو كاره ؟ قال : إنّما إثمه على صاحب الدار .

وصَدَقة بن طَيْسَلة[1] المازنىّ قال : سألت الحسن قلت : إنَّ دورَنا فى الجبّان[2] وهى مُعْوِرة وليس عليها أبواب . أفترى أن نتّخذ فيها كلابا ؟ قال : لا لا .

وعن ابن أبى أُنَيْسة[3] عن سالم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اقتنى كلباً إلاّ كلب صيدٍ أو كلب ماشية ، نقص من أجره كلَّ يوم قيراطان » .

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من اقتنى كلبا[4] فإنّه ينقص من عمله كلَّ يوم قيراط » .

ويونس عن أبيه عن إسحاق[5] قال : حدثنا هُنَيدَةُ بن خالد[6] الخزاعى قال : انطلقت مع نفرٍ من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . نعودُ رجلاً من

---

(١) ط : « طياسة » وأثبت ما فى ل .

(٢) جبان : الجبانة : المقبرة والصحراء . وفى ط : « الجدن » وهو تحريف .

(٣) [illegible] ماعدا ل : « ابن أبى شيبة » تحريف .

(٤) [illegible] من أمسك كلبا . .

(٥) [illegible] يونس عن أبى إسحاق وإسرائيل بن يونس عن أبى إسحاق قال : حدثنا أبو إسحاق قال : حدثنا هبيرة . .

(٦) ط : « هبيرة » . وهو تحريف صوابه فى ل والإصابة ٩٠١٠ .

Marfat.com

الأنصار . فلمَّا انتَهوا إلى باب الدار ثارت أكلُبٌ فى وجوه القوم . فقال بعضهم لبعض : ما يُبقى هؤلاءِ من عمل فلانٍ شيئا . كلُّ كلبٍ منها ينقص قيراطاً فى كل يومٍ .

هشام بن حسان عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليــه وسلم قال : « من اتخذ كلباً ليسَ بكلبِ صيدٍ ولا زرْع ولا ضَرْع . فإنه ينقص من أجره كلَّ يوم قيراطٌ . والقيراطُ[1] مثلُ جبل أحُد » .

يونس عن أبى إسحاق[2] عن مجاهد[3] قال : أقبل عبد الله بن عمرو بن العاص حتَّى نزل ناحية مكَّة . وكانت امرأةُ عمِّه تهاديه . فبعث كانت ذاتَ يوم قالت له : لو أرسلتَ إلىَّ الغنمَ فستأنستُ برعائها وكلامهم فقد نزلتُ قاصية ! فقال : لولا كلابُها لفعلتُ . إنَّ الملائكة لا تدخلُ دارا فيها كلب .

الثورىُّ عن سماك بن حرب . أنَّ بنى [illegible] قال بل دبر بعضهم : [illegible] الكلاب من الحىِّ [illegible] وإنَّ الحىَّ من ضعفة [illegible] . فألقوا إليها شيئا [illegible] .

وهشيم عن المغيرة عن إبراهيم قال : [illegible] عن [illegible] للعب ونحنُ غلمان [illegible] إلاَّ الكلاب .

قال صاحب [illegible] وقى إبراهيم [illegible] ابن [illegible] عن [illegible] قال [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

Marfat.com

عُمر بديكين ، فأمر عمر بالديكة أن تُقْتَل[1] فأتاه رجلٌ من الأنصار فقال : أمرتَ بقتل أمَّةٍ من الأمم تسبِّح الله تعالى ؟ ! فأمر بتركها .

وعن قَتادة أنّ أبا موسى قال : لا تتَّخذوا الدَّجاج فى الدُّور فتكونوا أهل قرية ، وقد سمعتم ماقال الله تعالى فى أهل القرى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ .

وهذا عندى من أبى موسى ليس على ما يظنُّه الناس ، لأنّ تأويله هذا ليس على وجه ، ولكنّه كرِه للفُرسان ورجالِ الحرب[2] اتخاذَ ما يتّخذه الفلاَّح وأصحابُ التعيُّش ، مع حاجته يومئذ إلى تفرُّغِهم لحروب العجم . وأخْذهم فى تأهُّب الفَرسان وفى دُرْبة رجال الحرب . فإن كان ذهب إلى الذى يظهَرُ فى اللفظ فهذا تأويلٌ مرغوب عنه .

١٤٤ وقال صاحب الكلب لصاحب الديك : فقد أمر عُمَر بقتل الدِّيَكة ولم يستثن منها شيئاً ، ونهى أبو موسى عن اتخاذ الدجاج ولم يستثن منها شيئاً دون شىء ، والدِّيكةُ تدخل فى هذا الاسم ، واسم الدَّجاج يجمعها جميعا . ورويتم فى قتل الحمام مثلَ روايتكم فى قتل الكلاب ، ولم أركم رويتم أنّ الحمام مِسْخ ، ولا أنَّ بعضَه من الجن وبعضه من الجن . ولا أنَّ أمتين مسختا وكان أحدهما الحمام . وزعمتم أنَّ عمر إنَّما[3] أمر بقتل الدِّيكة حين كره الفراش بها والقمار بها . فعلَّ كلابَ المدينة فى تلك الأيَّام كثُر فيها العُقُور[4] وأكثر أهلُها من الفراش بها والقمار فيها . وقد علمتم أنّ ولاة المدينة ربَّما دَمَروا على صاحب الحمام[5] إذا خيف قِبَلَه

---

(١) ط : القتل ، وهو تحريف .

(٢) ب : ورجال .

(٣) فى ب : إنما كان ، والوجه ما كتبت .

(٤) ب : العقور ، وهو جمع عقور .

(٥) دمروا عليه : دخلوا عليه وهجموا فجأة .

Marfat.com

القِمار[1] وظنُّوا أنه الشَّرَف[2] ؛ وذكروا عنه الرَّمْىَ بالبُندق وخديعةَ أولادهم بالفراخ . فما بالكم لم تُخرِّجوا للكلابِ من التأويل والعذْر ، مثلَ الذى خرَّجتم للحمام والديكة .

(المسخ من الحيوان)

ورويتم فى الجرَّىّ[3] والضِّباب أنهما كانتا أمَّتين مُسختا . وروى بعضهم فى الإرْبيانة أنَّها كانت خيَّاطة تسرق السُّلوك ، وأنَّها مُسخت وترك عليها بعضُ خيوطها لتكون علامة لها ودليلا على جنْس سرقتها . ورويتم فى الفأرة أنَّها كانت ضحَّانة . وفى سُهيل أنَّه كان عشَّارًا باليمن[4] وفى الحيَّة أنَّها كانت فى صورة جمَل . وأنَّ الله تعالى عاقبها حتى لا صقها بالأرض . وقسم عقابَها على عشرة أقسام . حيث [illegible] دخولَ إبليس فى جوفها حتَّى وسوس إلى آدم من فيها . وقلتم فى [illegible] وفى الحكأة [illegible] ما قلتم . وزعمتم أنَّ الإبل خلقت من أعين الشياطين ، وتأوَّلتم فى ذلك أقبحَ التأويل . وزعمتم أنَّ الكلاب أمَّة من جملة مُسخت . والذئب [illegible] بأن يكون شيطانا من الكلاب . لأنه [illegible] وبه يُضرب

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

Marfat.com

المثل فى التعدّى . والكلب ألوفٌ وصاحبُ دِيار ، وبه يُضرَبُ المثل . والذئب خَتُور غدّار ، والكلب وفىٌّ مناصح . وقد أقام الناسُ فى الدِّيار الكلابَ مُقامَ السَّنانير للفأر[1] . والذئب مضرَّةٌ كلُّه . والكلبُ منافعه فاضلةٌ على مضارِّه . بل هى غالبة عليها وغامرة لها ، وهذه صفة جميع هذه الأشياء النافعة .

والناس لم يُطبِقوا على اتّخاذها عبَثاً ولاجهْلا ، والقضاة والفقهاء والعبّاد والوُلاة والنُّسّاك . الذين يأمرون بالمعروف وينهَون عن المنكر . والمحتَسِبة وأصحاب التكلُّف والتسليم جميعا . لم يطبقوا على ترك النَّكِير على[2] ما يشاهدونه منها فى دورِ مَنْ لا يعصيهم ولا يمتنِع عليهم إلاّ وقد عَلِموا أنّه قدْ كان لقتلِ الكلاب بأعيانها فى ذلك الدَّهر . معنى . وإلاّ فالنَّاسُ فى جميع أقطارِ الأرض لا يجمعون على مسألةِ أصحاب المعاصى ، الذين قد خلعوا عُذُرَهم وأبرزوا صفحتَهم[3] . بل ما ترى خصماً يطعن على شاهدٍ عند قاض بأنّ فى داره كلباً . ولا ترَى حَكَماً يردُّ بذلك شهادة . بل لو كان اتّخاذ الكلاب مأموراً به . لَما كان إلاّ كذلك .

ولو أنّكم حملتم حكم جميع الهدادين على حكم هدهد سليمان ، وجميعَ الغربان على حكم غُراب نوح ، وجميعَ الحمام على حكم حمامة السفينة[4] ، وجميعَ الذئاب على حكم ذئب أُهبان بن أوس . وجميعَ الحمير على حكم حمار عُزَير . لكان ذلك حكماً مردوداً .

---

(١) ل : « من الفأر » .

(٢) فى الأصل : « وعلى » والواو مقحمة .

(٣) ط : « صحتهم » وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : حمامة السفينة ، وهو تحريف . انظر الحيوان ٢ : ٣٢١ والآثار ٣٩٧ .

Marfat.com

(ما لا يحدث إلا فى دهر الأنبياء ونزول الوحى)

وقد نعرِض لخصائص الأمور أسبابٌ فى دهر الأنبياء ونزول الوحى ، لا يعرض مثلُها فى غير زمانهم : قد كان جبريل عليه السلام يمشى فى الأرض على صورة دِحيةَ الكَلبىّ ، وكان إبليس يتراءى فى السِّكاك[1] فى صورة سُرَاقة المُدْلِجِى ، وظهر فى صورة الشيخ النَّجْدى . ومثل هذا كثير .

(ما يسمى شيطانا وليس به)

فإنْ زعمتم أنّ النبى صلى الله عليه وسلم نظر إلى رجل يتبع رجلا فقال : « شيطانٌ يتبع شيطانا » . وخبّرونا عن [illegible] من بين جميع سكان الآفاق وقائلة [illegible] من بين [illegible] إلى من دونهم . أتزعمون أنهم شياطين على الحقيقة . أم أنهم من الشياطين . أو تزعمون أنهم كانوا [illegible] لذلك الرجل شيطان . على مثل قولهم [illegible] قول عمر : لأنا عن [illegible] فإذا أتانى [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

وقد قال مَرَّةَ أبو الوجيه العُكْلى : « وكان ذلك حين ركبنى شيطانى » قيل له : وأىَّ الشياطينِ تعنى ؟ قال : الغضب .

والعرب تسمِّى كلَّ حيّةٍ شيطانا . وأنشد الأصمعى :

تُلاعب مثنى حَضْرَمىٍّ كأنَّهُ تعمُّج شيطانٍ بذى خِرْوَعٍ قَفْرِ (١)

وقالت العرب : ما هو إلاّ شيطانُ الحَمَاطة . ويقولون : «ماهو إلاّشيطان» يريدون القبح ؛ و « ما هو إلاّ شيطان » ، يريدون الفِطنة وشدَّة العارضة .

وروى عن بعض الأعراب فى وقعة كانت : والله ما قتلْنا إلاَّ شَيطَانَ بَرِصاً (٢)

١٤٦ لأنَّ الرجل الذى قاتلهم كان اسمه شيطان . وكان به برص .

وفى بنى سعد بنو شيطان . قال طفيلٌ الغنوى :

وشيطان إذ يدعوهم ويُثَوِّب (٣)

وقال ابن مَيَّادة :

فلمـــا أتانى ما يُقَوِّل محاربٌ تغنَّت شياطينى (٤) وجُنَّ جُنونُها

وقال الراجز :

إنّى وإن كنتُ حديثَ السِّنّ وكانَ فى العين نُبوٌّ عنّ

فإنَّ شيطانى كبيرُ الجِنّ

وقال أبو النَّجم :

إنّى وكلَّ شاعرٍ من البَشَرْ شَيطانُه أنثى وشَيطانِى ذَكَرْ

وهذا كلُّه [منهم] على وجه المثل . وعلى قول منظور بن رَوَاحَة :

أتانى وأهلى بالدِّماخ فغَمْرَةٍ مسبٌّ عُويفِ اللؤم حىَّ بنى بَدْرِ (٥)

---

(١) تعمج : تلوى . وفى ط : « تنعج » وهو تحريف . وانظر ص ١٥٣ .

(٢) ل : « شيطانا برصا » والوجه ما فى ط .

(٣) شيطان هو ابن الحكم . فارس الخذواء . وصدر البيت كما فى اللسان (شطن ، شيط ، خذا) :

وقد منت الخذواء منا عليهم

(٤) ط : « شياطين » وصوابه فى ل . وانظر ص ١٥٢ وثمار القلوب ٥٧ .

(٥) ط : « بالرمح ... بالدماخ » . وانظر ياقوت (دماخ ، غمرة) . ل : « حى بنى بدر » .

Marfat.com

فلمـا أتانى ما يقولُ ترقَّصتْ شياطينُ رأسى وانتشَيْنَ من الخمْر

(خرافةُ العذرىُّ)

وقد رويتم عن عبد الله بن فايد بإسنادٍ له يرفعه قال : خرافة رجل من بَنِى عذرة استهوته الشياطين ، فتحدَّث رسول الله صلى الله عليه وسلم [يوما] بحديث فقالت امرأةٌ من نسائِه : هذا من حديث خرافة قال : " لا وَخُرَافَة حقٌّ " .

(حديث عمر مع الذى استهوته الجن)

ورويتم أنَّ شريك بن خُناسة دخلَ الجنَّة وخرج منها ومعه وَرَقٌ من وَرَقِهَا . (١) وأنَّ عمر سأل الرجل المفقود الذى استهوته الجنُّ فقال : ما كان طعامهم (٢) ؟ قال : الفُجْل والزَّنْجَبِيل (٣) وسأل عن شرابهم فقال : الخَلُّ (٤) وقال الأعشى :

وإنى وقد (٥) كلفتمونى ذميمَكم لأعلمَ من فى الجنِّ أمِّ من الخمر

لكالمُثْبِد الحَرْبَى يضرب ظهرُه [...]

(١) [...]

(٢) [...]

(٣) [...]

(٤) [...]

(٥) [...]

Marfat.com

(من خنقته الجن ، ثم عود إلى الحوار)

وزعمتم أنَّ الجنَّ خنقت حرْبَ بن أمية ، وخنقت مِرداسَ بن أبي عامر ، وخنقت الغَريض المغنّى ، وأنّها قتلت سعد بن عبادة . واستهوت عمرو بن عدى واستهوت عمارة بن الوليد . فأنتم أمْلياءُ بالخرافات[1] أقوياءُ على ردِّ الصحيح وتصحيح السقيم . وردِّ تأويل الحديث[2] المشهورِ إلى أهوائكم . وقد عارضْناكم وقابلناكم وقارضْناكم .

وقالوا : في الحديث أنّه « من اقتنى كلباً ليسَ بكلْب زرْعٍ ولا ضرْع ولا قَنص فقد أثِم[3] » . فهاتوا شيئاً من جميع الحيوان يصلح للزرْع والضَّرْع والقنص . وبعد فهل اتخذوا كلبَ الضَّرْع إلاّ ليحرسَ الماشيةَ وأولادَها من السباع ؟ وهل عند الكلابِ عند طُروق الأسد والنمر والذئاب وجميع ما يقتات الإنسانَ من رؤساء السباع ، إلاَّ صياحَه ونباحَه وإنذاره ودلالته . وأنْ يشغلَها بعضَ الشَّغْل ، ويُهجهِج بها بعض الهجهجة ، إلى أن يلحق بها من يحميها . ويتوافى إليها[4] من يذود عنها . إذ ليس في هذا القياس أنا متى وجدنا دهراً تكثُر فيه اللصوص ويفشو فيه السُّرَّاق ، وتظهر فيه النُّقوب . ويشيع فيه التسلُّق ، ممَّن إذا أفضى إلى منزلِ القوم لم يرضَ إلا بالحربية[5] ليس دونها شيء ، أو يأتي على الأنفس ، وهو لا يصل إلى ما يريدُ حتى يمرَّ على النساء مكشَّفات . ومَن عسى إذا أخذ المرأةَ أخذَ يدٍ ألاَّ يرضى أن يتوعَّد بذبح الأولاد [و] أن يُتَّقى بالمال ، [6] حتَّى يذبح ،

(١) ل : « ملآن بالخرافات » وهذا بمعنى .
(٢) ط : « ورد بتأويل المتأولين و تحريف » والصواب في ل .
(٣) ط : « فهو آثم » .
(٤) ب : « إليه » .
(٥) حربية : السلاح الذي يعيش به الإنسان ، أو المال الذي يسلب منه . وفي ط : « إلا حربية » .
(٦) ب : « وإن لم يتق بالمال » والوجه ما في ط .

Marfat.com

ومن عسى إن تمكّن شيئاً أو أمِنَ قليلا ، أن يركب الحَرَم بالسَّوءة العظمى وبالتى لاشَوَى لها[1] . فهذا الحال أحقُّ بالحِراسة من تلك الأحوال .

وبعد فلِمَ صار نساءُ الحرمَين يتزاوَرْن ليلا ؛ ونساء المصرَين[2] يتزاورن نهاراً ، ونساء الحرمين لايرين نهاراً ، ونساء المصرَين[2] لا يُرَيْن ليلا ؛ إلّا للمكابرات ولمكانِ كثرةِ من يستقفى ويتحوّب[3] للتقب والتسلُّق . وإذا كان الأمر كذلك فأىُّ الأمورِ أحقُّ بالتحصين[4] والحياطة . وأيُّهما أشبه بالتغرير والإضاعة : اتّخاذ الكلاب التى لاتنام عنك نوم من قد دأب نهاره ؛ أو ترك اتّخاذها ؟ ويقظة السُّرّاق على قدر نوم المسروقين .

وعلى أنّا لو خلّينا[5] بين حَرس الأسواق وما تشتمل عليه من حرائب الناس[6] . وبين اتّخاذ الكلاب . لامتنع من ضمان خرسة . ولادّعى كلُّ محروس من عطائهم[7] ذلك لأجرة . ولرجح بهم من ذلك من الغنم وأجود القَرص[8] . أوَ ما تعلمون أنّ هذه حرية . وهذه حرية[9] . وأنّ العقائل من الأدوين[10] . أحقّ بالمنع وبحراسة ، وبالدفع عنها بكلّ حيلة . حفظ الغنم وحريم الزرع وحراسة الأجير ؟!

وبعد فإنّ الكلب لايجتمع على تضييع دجاجة ، ولاعلى حرف من لقمة السَّلّة وخطفة[11] . ولاسلاب ، ولاختلاس ، ولاعلى ما يقع في حرائب

---

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) [illegible]
(٦) [illegible]
(٧) [illegible]
(٨) [illegible]
(٩) [illegible]
(١٠) [illegible]

Marfat.com

١٤١ التجار وفى منازل أهلِ اليسار يأتيها من العدد والعُدَّة ، ومن نُجب أصحاب النجدة ، من يحتملها بحذافيرها ، مع ثقل وزنها وعظم حجمها ، ثمّ يجالدون دون ذلك[1] بسيوف الهند وبالأذرع الطوال . وهم من بين جميع الخليقة لَولَا[2] أنّهم قد أحسّوا من أنفسهم الجراءة وثباتَ العزيمة ، بما ليس من غيرهم ، لكانوا كغيرهم ، ولولا أنّ قلوبَهم أشدُّ من قلوب الأسْد لما خرَجوا ، على أنّ جميع الخلقَ يطالبونهم ، وعلى أنّ السلطانَ لم يُوَلَّ[3] إلّا لمكانهم . و [الكلابَ لم تُتَّخَذْ إلا لِ] الإنْذَارِ بهم ، وعلى أنّهم إن أُنذرَ بهم قاتلوا قتالَ من لاينجيه إلّا القِتال ، وعلى أنّهم إذا أُخذوا ماتوا كراما .

ولعلَّ المدينةَ قد كانت [فى] ذلك الدهر مأمونةً عليها من أهل الفساد[4] وكان أكثرُ كلابها عَقورا . وأكثرُ فِتيانها من بين مُهارشٍ أو مقامرٍ . والكلبُ العَقورُ والكلْبُ الكلبُ أشدُّ مضرَّةً من الذئب المأمورِ بقتله .

وقد يعرض للكلاب الكلَب والجنون لأمور : منها أن تأكلَ لحوم الناس ، ومنها كالجنون الذى يعرِض لسائر الحيوان .

(قتل العامة للوزغ)

وجُهّالُ النّاسِ [اليوم] يقتلون الوَزَغ . على أنّ آباءها وأمهاتها[5] كانت تنفخ على نار إبراهيم ، وتنقل إليها الحطب . فأحسَب أنّ آباءها

---

(١) ط : « عن ذمك » .
(٢) ل : « أولى » والصواب فى ط .
(٣) ط : « يوهل » .
(٤) ل : « مأمونة من أهل الفساد » وأثبت ما فى ط .
(٥) ط : « آباءه وأمهاتها » والوجه ما فى ل .

Marfat.com

وأمَّهاتِها قد كنَّ يعرفن فصْل[1] مابين النبيِّ والمتنبِّى ، وأنَّهن اعتقدْن عداوةَ إبراهيم ، على تقصيرٍ فى أصل النظر ، أو عن معاندة بعد الاستبانة حتَّى فعلنَ ذلك — كيف جاز لنا أن نَزِر وازرةٌ وِزْرَ أخرى ؟ ! إلَّا أن تدَّعوا أنَّ هذه التى نقتلها هى تلك الجاحدة للنبوَّة ، والكافرة بالربوبيَّة . وأنَّها لاتتناكح ولا تتوالد .

وقد يستقيم فى بعض الأمر[2] أن نقتلَ أكثر هذه الأجناس ، إمَّا من طريق المحنة والتعبُّد[3] وإمَّا إذ[4] كان الله عزَّ وجلَّ قد قضى على جماعتها الموت . أن يجرىَ ذلك المجرى على أيدى الناس . كما أجرى مدَّة جميع الناس على يد ملك واحد . وهو ملك الموت .

وبعد فنحن لم نجد النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال هذا القول ، ولا نعلم أحدا من الصحابة ، ولا من التابعين ، ولا من الفقهاء ، ولا من المتكلمين ، ولا من أهل الحديث ، ولا من أهل الفقه ، ولا من أهل الكلام ، ولا من أهل الأخبار ، ولا من أهل الآثار ، ولا من أهل الرأى ، ولا من أهل الاستحسان ، ولا من أهل القياس ، ولا من أهل الاستدلال ، ولا من أهل الاستنباط ، ولا من أهل الاستخراج ، ولا من أهل الاعتبار ، ولا من أهل التمييز ، ولا من أهل التفريق ، ولا من أهل التأليف ، ولا من أهل التصنيف ، ولا من أهل التدوين ، ولا من أهل الجمع ، ولا من أهل الحفظ ، ولا من أهل الضبط ، ولا من أهل الإتقان ، ولا من أهل التحقيق ، ولا من أهل التدقيق ، ولا من أهل التنقيح ، ولا من أهل التهذيب ، ولا من أهل التحرير ، ولا من أهل التقرير ، ولا من أهل التبيين ، ولا من أهل التوضيح ، ولا من أهل الشرح ، ولا من أهل البيان ، ولا من أهل الإفصاح ، ولا من أهل الإبانة ، ولا من أهل الإظهار ، ولا من أهل الكشف ، ولا من أهل الإيضاح ، ولا من أهل التفسير ، ولا من أهل التأويل ، ولا من أهل الترجمة ، ولا من أهل التعريف ، ولا من أهل التسمية ، ولا من أهل الوصف ، ولا من أهل النعت ، ولا من أهل الصفة ، ولا من أهل الحد ، ولا من أهل الرسم ، ولا من أهل الاسم ، ولا من أهل الكنية ، ولا من أهل اللقب ، ولا من أهل النسب ، ولا من أهل الحسب ، ولا من أهل الشرف ، ولا من أهل الفضل ، ولا من أهل الكرم ، ولا من أهل الجود ، ولا من أهل السخاء ، ولا من أهل الشجاعة ، ولا من أهل الحلم ، ولا من أهل العلم ، ولا من أهل الفهم ، ولا من أهل العقل ، ولا من أهل الأدب ، ولا من أهل اللغة ، ولا من أهل النحو ، ولا من أهل الصرف ، ولا من أهل العروض ، ولا من أهل القافية ، ولا من أهل الشعر ، ولا من أهل الخطابة ، ولا من أهل الكتابة ، ولا من أهل الحساب ، ولا من أهل الهندسة ، ولا من أهل الفلسفة ، ولا من أهل المنطق ، ولا من أهل الطب ، ولا من أهل النجوم ، ولا من أهل الكيمياء ، ولا من أهل السحر ، ولا من أهل الشعبذة ، ولا من أهل الحيل ، ولا من أهل الصناعات ، ولا من أهل الحرف ، ولا من أهل الزراعة ، ولا من أهل التجارة ، ولا من أهل الصيد ، ولا من أهل الرعى ، ولا من أهل الفلاحة ، ولا من أهل البناء ، ولا من أهل النجارة ، ولا من أهل الحدادة ، ولا من أهل الخياطة ، ولا من أهل الصباغة ، ولا من أهل الدباغة ، ولا من أهل الحياكة ، ولا من أهل الغزل ، ولا من أهل النسج ، ولا من أهل الطبخ ، ولا من أهل الخبز ، ولا من أهل العجن ، ولا من أهل الطحن ، ولا من أهل الحصاد ، ولا من أهل الدراس ، ولا من أهل الذرو ، ولا من أهل الكيل ، ولا من أهل الوزن ، ولا من أهل العد ، ولا من أهل الحساب ، ولا من أهل الجمع ، ولا من أهل القسمة ، ولا من أهل الضرب ، ولا من أهل الطرح ، ولا من أهل الجبر ، ولا من أهل المقابلة ، ولا من أهل الهندسة ، ولا من أهل المساحة ، ولا من أهل الفلك ، ولا من أهل النجوم ، ولا من أهل الكيمياء ، ولا من أهل السحر ، ولا من أهل الشعبذة ، ولا من أهل الحيل ، ولا من أهل الصناعات ، ولا من أهل الحرف ، ولا من أهل الزراعة ، ولا من أهل التجارة ، ولا من أهل الصيد ، ولا من أهل الرعى ، ولا من أهل الفلاحة ، ولا من أهل البناء ، ولا من أهل النجارة ، ولا من أهل الحدادة ، ولا من أهل الخياطة ، ولا من أهل الصباغة ، ولا من أهل الدباغة ، ولا من أهل الحياكة ، ولا من أهل الغزل ، ولا من أهل النسج ، ولا من أهل الطبخ ، ولا من أهل الخبز ، ولا من أهل العجن ، ولا من أهل الطحن ، ولا من أهل الحصاد ، ولا من أهل الدراس ، ولا من أهل الذرو ، ولا من أهل الكيل ، ولا من أهل الوزن ، ولا من أهل العد ، ولا من أهل الحساب ، ولا من أهل الجمع ، ولا من أهل القسمة ، ولا من أهل الضرب ، ولا من أهل الطرح ، ولا من أهل الجبر ، ولا من أهل المقابلة ، ولا من أهل الهندسة ، ولا من أهل المساحة ، ولا من أهل الفلك ،

Marfat.com

وقد رويتم [فى الفواسق ما قد رويتم فى[1] الحيَّة والحدأة والعقربِ والفأرة والغراب ، ورويتم] فى الكلب العَقور . وكيف يُقتلنَ[2] فى الحِل والحرَم . فإنْ كنتم فُقهاءَ فقد علمتم أنَّ تسميةَ الغراب بالفِسق ، والفأرة بالفُويسِقة ؛ أنّ ذلك ليس من شكل تسمية الفاسق[3] ، ولا من شكل
١٤٩ تسمية إبليس .

وقد قالوا : مافجرها إلَّا فاجر . ولم يجعلوا الفاجر اسماً له لايفارقه . وقد يقال للفاسق من الرجال : خبيث . وقد قال صلى الله عليه وسلم : " من أكَلَ من هذه الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ[4] فَلاَ يَقْرَبَنَّ مُصَلَّانَا " وهو على غير قوله عزّ وجلَّ ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ . وقد قال بعضُ الرُّجَّاز وذكر ذئباً :

أما أتاكَ عَنِّى الْحَدِيثُ إذْ أنَا بالغَائِطِ أَسْتَغِيثُ
والذئبُ وَسْطَ غَنَمِى يَعِيثُ وصِحْتُ بِالْغَائِطِ يَاخَبِيثُ

وهذا الباب كثير . وليس هذا موضعه . وقد ذكرناه فى كتاب الاسم والحكم .

وقد يشبه الاسمُ الاسمَ فى صورةِ تقطيع الصوت . وفى الخطِّ فى القرطاس . وإن اختلفت أماكنُه ودلائله . فإذا كان كذلك فإنَّما يعرف فضلُه بمتكلِّمين به . وبالحالات والمقالات . وبالذين عَنَوا بالكلام . وهذه جملة . وتفسيرها يطول .

---

(١) ف : ما قد رويتم من ا .
(٢) ف : يقتلن ، وما أثبته موافق ل .
(٣) ف : الفاسق ، ب : الفاسق ، وما أثبته موافق ل .
(٤) قال ابن كثير : يريد الثوم والبصل والكراث .

Marfat.com

(القتل والقصاص)

وقالوا : قد أُمِرْنا بقتل الحيَّة والعقرب ، والذئب والأسد . على معْنًى ينتظم معنَيْين[1] : أحدهما الامتحان والتعبُّد بمكر القلب وعمل الجارحة ، لا على وجه الانتقام والعقوبة . وأُمرنا بضرب الباغي بالسيف إذا كانت العَصَى لاتُغني فيه على جهة الدَّفْع وعلى جهة العقاب . ولم نؤمَرْ بالقصد إلى قتله ، وإنَّما الغاية في دفع بأسه عنا . فإن أتى إلى ذلك مقدور عليه . كان كسارقٍ مات من قطع يده . وقاذفٍ مات عن جَلد ظهره[2] . وقد أُمِرْنا بالقصد إلى قتْل الحيَّات والعقارب وإن لم تعرض لنا في ذلك الوقت . لأنَّ جنسَها الجنسُ متلف متى هممْ بذلك . وليس لنا أن نضرب الباغيَ بالسَّيف إلَّا وهو مقبلٌ غير مدبر . ولا أن نقتل حيَّة مقبلة ومدبرة . كما يُقتل الكافرُ مقبلا ومدبرا . إلَّا أنَّ قتل الكافر يجمع الامتحان والعقوبة . وليس في قتل حيَّة إلَّا الامتحان . وقد كان يجوز أن نمتحن بحبس[3] والاحتيال لمنعه . دون قتله . وإذ قد أبيح لنا قتل الباغي من غير أن [illegible] يريد الرجوع إلى فئة . فحكمه لا [illegible] حبس إلى [illegible] النزوع . وسبيل الحيَّات والسباع وذوات السموم من الهوام والحشرات . القتلُ مقبلة ومدبرة . وقد أبيح لنا قتل [illegible] من الحشرات .

Marfat.com

من جناياتها علينا الخدش ، فضلاً عن الجرح والقتل ، كالبعوض والنمل ، والبراغيث والقمل .

والبعيرُ قتلهُ فسادٌ ، فإن صال على الناس كان قتلُه صلاحًا . والإنْسان قتله حرام ، فإن خيفَ منه كان قتلُه حلالا .

(طائفة من المسائل)

والحديث عن مسخ الضَّبِّ والجِرِّيِّ ، وعن مسخ الكلاب والحَكَأَةِ وأنَ الحمامَ شيطان . من جنس المُزاح الذى كنَّا كتبنا به إلى بعض إخوانِنا[1] ممَّن يدَّعى علمَ كلِّ شىء ، فجعلنا هذه الخرافات وهذه الفطنَ الصغارَ . من باب المسائل .

فقلنا له : ما الشِّنِقْناقُ والشَّيْصَبانُ[2] وتنكوير[3] ودركاذاب[4] ومَن قائل امرأة ابنِ مقبل ؟ ومن خانق الغريض[5] ؟ ومن هاتف سعد[6] ؟

---

(١) هو أحمد بن عبد الوهاب الذى صنع فيه الجاحظ رسالة « التربيع والتدوير » .

(٢) الشنقناق والشيصبان — زعموا — : رئيسان عظيمان من الجن ، وسيتحدث عنهما الجاحظ فى الجزء السادس . وانظر الفهرس ص ٥٥ . وفى ب : الشيصبان محرفة .

(٣) ل : « تنكوير » وفى رسائل الجاحظ ١٠٦ : « بركوير » .

(٤) ب : « دركاذات » وفى الرسائل : « دركاذاب » .

(٥) الغريض هو عبد الملك ، كان مولدا من مولدى البربر ، وولاؤه لمغنى صاحبة عمر بن أبى ربيعة ، وكان من رؤساء الغناء أخذ عن ابن سريج . وانظر حديث قتل الجن له فى رسائل ٢ : ١٤٣ .

(٦) [illegible] بن عبدة بن [illegible] بن حارثة الخزرجى ، صحابى كان سيد الخزرج ، وكان يلقب فى الجاهلية بالكامل ، لمعرفته الكتابة والرمى والسباحة . توفى سنة ١٥ وزعموا أن [illegible] قتله بقول :

[illegible] الخزرج [illegible] بن عبادة
[illegible] بسهمين فلم نخط فؤاده

Marfat.com

وخبّرنا عن بنى أُقيش[١] وعن بنى لبنى ، ومَن زَوْجُها ؟ وعن بنى غَزْوان ومن امرأته ؟ وعن سملقة وزَوبعة[٢] ، والميدعان[٣] ، وعن النقار ذى الرقبة[٤] وعن آصف ، ومن منهم أشار بأصفر سليم[٥] ، وعن أطيقس اسم كلب أصحاب الكهف ، وكيف صارت الكلابُ لاتنبح من سمّاه[٦] ؟ وأين بلغ كتابُ شَرطهم ؟ وكيف حدَّثوا عن ابن عباسٍ فى الفأر والقرد والخنزير والفيل والأرنب والعنكبوت والجرِّىّ ، أنَّ بنَ كلّهنّ مِسخ [وكيف خصَّت هذه بالمسخ ؟] وهل يخلُّ لنا أن نُصدِّق بهذا الحديث عن ابن عبَّاس ؟ وكيف صارت الضباءُ ماشيةَ الجنّ ؟ وكيف صارت الغِيلان تُغيِّر كلَّ شىء إلَّا حوافرَها ؟ ولم ماتت من ضربةٍ وعاشتْ من ضربتين[٧] ؟ ولم صارت الأرانب والكِلاب والنَّعامُ مركبَ الغيلان ؟ ولم صارت الرقيبة دون السَّرحر ؟ وبأى شىء رَوّح أذنابَ السَّعلاة من بينها ؟ وما فرق ما بينه وبين عبد الله بن هلال ؟ وما فعلت الفتاة التى كانت تحيت بصير على يد سحر

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

وأبى منصور[١] ؟ ولم غضب من ذلك المذهب ؟ ولم مضى على وجهه شفشف[٢] ؟ وما الفرق بين الغيلان والسّعالى ، وبين شيطان الحضراء[٣] وشيطان الحَمّاطة ؟ ولم عُلّق السمك المالح بأذنابه [والطرىّ بآذانه][٤] وما بالُ الفراخِ تُحمَل بأجنحتها والفراريج بأرجلها ؟ وما بال كلّ شيء أصلُ لسانه ممّا يلى الحلق[٥] وطرفه ممّا يلى الهواء ، إلّا لسان النميل ؟ ولم قالت الهند : لولا أنّ لسانه مقلوب لتكلّم ؟ ولم صار كلُّ ماضغٍ وآكلٍ يُحرّك فكّه الأسفل . إلا التمساح [فإنه[٦]] يحرّك فكّه الأعلى ؟ ولم صار لأجفان الإنسان الأشفار . وليس ذلك للدواب إلّا فى الأجفان العالية ؟ وما بالُ عين الجرادة وعين الأفعى لاتدوران ؟ وما بيضة العُقْر[٧] وما بيضة الديك ؟ ولم امتنع بيض الأنوق ؟ وهل يكون الأباق العقوق[٨] وما بال لسانِ سمكِ البحر [عديما] ؟ وما بال الغريقِ من الرّجال يطفو على قفاه ، ومن النساء ١٥ على وجهه[٩] ؟ ولم صار القتيل إذا قُتل يسقط على وجهه ثم يقلبه ذكرُه ؟

---

(١) ل : « تسمية تصير على يد جرمى . . . الخ » .

(٢) ل : « سفسف » .

(٣) ط : « الخضر » .

(٤) ط : « المليح بأذنابه » . وتعليق السمك الطرى بآذانه عبارة تهكمية . فليس للسمك أذن ظاهرة .

(٥) ط : « مما يلى الفم » ل : « مما يلى داخل » .

(٦) حرف يحتاج إليه المتكلم .

(٧) ل : « العصفور » وهو تحريف . وبيضة العقرقير هى التى تمتحن بها المرأة عند الاقتضاض أو أول بيضة للدجاجة . أو آخرها ، أو بيضة الديك يبيضها فى السنة مرة .

(٨) ل : « الطير التى فيها سواد وبياض » وهو تحريف . والعقوق : الحامل أو الخالى ، وهى التى لا يكون الذكر أبى .

(٩) ل : « يظهر على قفاه » ط : « ومن النساء على وجهها » .

Marfat.com

وأين تذهب[١] شِقشِقة البعير وغُرمول الحمار [والبغْل] وكبِدُ الكركِيّ بالنهار ، ودَمُ الميت ؟ [ولم انتصب خَلْق الإنسان من بين سائر الحيوان]؟ وخبِّرنى عن الضفادع ، لم صارت تنقُّ بالليل[٢] وإذا أُوقدت النارُ أمسَكَت[٤] ؟ .

وقالوا : قد عارضنا كم بما يجرى مجرى الفساد والخرافة . لنردَّكم إلى الاحتجاج بالخبَر الصحيح المخرج للظاهر[٤] .

فإن أعجبتك هذه المسائلُ . واستطْرَفتَ هذا المذهب ، فاقرأ رسالتى إلى أحمد بن عبد الوهاب الكاتب . [فهى مجموعةٌ هنالك] .

(أصناف الكلاب)

والكلاب أصنافٌ لايحيط بها إلا من أطال الكلام . وهى ذلك أنَّ ما كان منها للصيد فهى الضَّرِيَة . وهى جنسٌ قسرية[٦] . وهى الجوارح والكواسب . ونحن لانعرفها إلا السَّلوقيّة . وهى من أحرار الكلاب وعتاقها[٧] . والخلاسية[٩] دخيلها وهجانها . والكلاب [ ]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

[illegible]

(٤) [illegible]

[illegible]

(٦)

(٧)

(٩)

Marfat.com

وكرديها فهى كرادتها[1] .

وقد تَصيد الكلابُ غيرُ السَّلوقيّة ، ولكنَّها تقصّر عن السَّلوقيّة بعيداً . وسَلوق من أرض اليمن كان لها حديدٌ جيِّد الطبع ، كريم العنصر حرُّ الجوهر . وقد قال النابغة[2] :

تَقِدُّ السَّلوقيَّ المضاعَفَ نسجُه وتوقِد بالصُّفَّاح نارَ الحُباحِبِ

وقال الأصمعىّ : سَمعتُ بعضَ الملوك وهو يركض خلفَ كلْبٍ وقد دنا خَطْمه من عَجْب ذنب الظبى[3] وهو يقول : إيه فدتكَ[4] نفسى ! !

وأنشد لبعض الرجاز[5] :

* مفدَّيات وملعَّنات[6] *

قال صاحب الديك : فلمَّا صار الكلبُ عندهم يجمع خصالَ اللؤم والنَّذالة . والحرصِ والشَّرِه[7] ، والإباء والتسرُّع وأشباه ذلك ، صاروا يشتقّون من اسمه لمن هجَوه بهذه الخصال . وقال بشَّار :

واستغْنِ بالوجَبات عن ذَهبٍ لم يَبقَ قبلَك لامرئٍ ذَهبُهْ[8]

يَرِدُ الحريص على متالفه والليثُ يبعثُ حَيْنَه كَلَبُهْ

---

(١) كذا وفى ل : « حوادبها ومحامرها » .

(٢) ط : « الشاعر » . والبيت من قصيدة النابغة الذبيانى التى مطلعها :

كليني لهم يا أُميمة ناصب وليل أقاسيه بطىء الكواكب

(٣) ط : « الظباء » وهو تحريف .

(٤) ل : « فديها » .

(٥) ط : « الرجال » .

(٦) ط : « مفديات ومخميات » .

(٧) فى الأصل : « الشده » ، وإنما هو الشره قرين الحرص .

(٨) المرتضى فى أماليه ٢ : ٢٩ قبل ذكر هذا البيت : « قال ابن السكيت : يقال ورن يأكل الوجبة إذا كان يأكل فى اليوم والليلة وجبة واحدة . وفى ل : « الوجنات » وهو تحريف .

Marfat.com

(ما اشتق من اسم الكلب)

قال صاحب الكلب : لمّا[1] اشتقّوا من اسمه للأشياء المحمودة أكثر .

قال عامر بن الطفيل [2] :

ومدجّجٍ يسعى بشكّتِه محمرّةٍ عيناهُ كالكلْبِ [3]

ومن ولد ربيعة بن نزار كلب[4] بن ربيعة . وكلاب بن ربيعة . ومكالب بن ربيعة . ومكلبة بنو ربيعة [بن نزار] . وفيهم من السباع أسد ، وضبيعة . وذئب . وذؤيب . وهم خمسة عشر رجلا ثمانية من جميع السباع . ومن الثمانية أربعة مشتقّة من اسم الكلب . ومن هذا الباب كليب[5] بن يربوع . وكلاب بن ربيعة . وكلب بن وَبرة . ومنه بنو الكلبة . قال الشاعر :

مَكْفِيلك من بني نزار بنو الكلبة ضربٌ لأثاجع [6]

والكلبة لقب دبّة بنت علاج بن شحمة بن عبرين . وبنوها بنو الكلبة

الذين سمعت بهم تزوّجها خزيمة بن [illegible] من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار . فهن أمّهم . وفيها يقول شاعر من عزّة [illegible]

(١) في الأصل [illegible]

(٢) في الأصل [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

(٧) [illegible]

Marfat.com

صاحب الغريب — وكان شِيعيًّا من الغالية [١] ، فصار خارجيًّا من الصُّفرية — :

بنو كلبةٍ هرَّارة وأبُوهُمُ خُزَيمةُ عبدٌ خاملُ الأصل أوكَسُ

وفى مَيَّة [الكلبة] يقول أبوها، وهو عِلاج بن شحمة [٢] :

إنْ تكُ قد بانت بميَّةَ غربة فقد كان مِمَّا لا يُمَلُّ مَزَارُها [٣]

دعتْها رجالٌ من ضُبَيعة كَلْبةً وما كان يُشكى فى الخول جِوارُها [٤]

ومما اشتقَّ له من اسم الكلب من القُرى والبُلدان والناس وغير ذلك ، قولهم فى الوقْعة التى كانت بإرم الكلبة [٥] . ومن ذلك قولهم : حين نزلنا من السَّراة صرنا إلى نجد الكلبة .

وكان سبب خروج مالك بن فَهم بن غَنْم بن دَوس إلى أزد شنوءة من السراة [٦] أنّ بنى أخته قتلوا كلبةً لجاره ، وكانوا أعَدَّ منه [٧] فغضب ومضى . فسمّى ذلك النجد الذى هبط منه نَجْد الكَلْبة .

[وبطَسُّوج بادُوريا نهر يقال له : نهر الكلبة] .

ويقولون : كان ذلك عند طلوع كركب الكلب . ومن ذلك قولهم :

= وشبيل هذا من خطباء الخوارج وعلمائهم . وله قصيدة فى الغريب ، وكان أولا رافضيا ثم انتقل إلى الشراة وبرئ من الروافض ، ومات بالبصرة . هذه ترجمة ابن النديم له . وهى تشبه ترجمة الجاحظ .

(١) ط : « من كبار الشيعة » ومثله فى ص .

(٢) ل : « شحمة » .

(٣) ط : « ميل ... وهو تحريف .

(٤) « ... فى الخول » .

(٥) « إرم الكلبة : موضع قريب من النبج بين البصرة وخجاز ، وتعرف فيه يوم قتل ... بين ... ثلاثين سنة . قاله قدامة الرياحى . معجم البلدان » .

(٦) « ... من أزد شنوءة السراة » .

(٧) أعد منه : أكثر عددا . وفى ل : « ... » وفى ط : « جارهم » موضع « جاره » .

Marfat.com

عبَّاد بن أنْف الكلب . ومن ذلك أبو عُمَرَ الكلبُ الجَرميّ النحوى[1] .
وكان رجلا من العِلية عالماً . عَروضيًّا [نحويّا] نرضيًّا . وعَلُّويه[2] كلب المطبخ .
وكان أشربَ الناس للنبيذ . وقد راهنوا بينه وبين محمَّد بن عليّ .

والكلب : كلب الماء . وكلب الرحى[3] والنصبة التى يقال فيها الكلاب .
وكذلك الكُلْبة والكَلْبتان . والكُلاّب والكَلُّوب .

وقال راشد بن شِهاب فى ذلك المعنى :

أمكِّن كُلاَّب القنا من ثغورها وأخضِب دايباه من استاهها بِدَمْ

[وقال] :

فسوفَ يرى الأقواهُ دينى ودينَكم إذا كلْبتا قَيْنٍ ومِقْراضُه أزَمّ

وقال الراجز :

مازالَ منْ كانَ غلاماً يستر[illegible] له على العَير إكافٌ وثفِرْ
والكَلْبَتانِ والعلاةُ والوَتِرْ

وقال أشهب بن رُمَيلة . وكان أوّل من [illegible] ١٥٣
ياعجبا هل يركبُ القَيْنُ الفرسْ وعرَقُ القَيْن على حُرِّ الحرسْ
وإنّما أدناه إذ [illegible]

وكان اسم المزعّق فرس [illegible] من الطفيل : الكلب .

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) [illegible]
(٦) [illegible]

Marfat.com

وقد زعمت العلماء أنَّ حرب أيَّام هَراميت[1] إنَّما كان سببه كلب .

قال صاحب الديك : قد قيل للخوارج : كلاب النار ، وللنوائح : كلاب النار .

وقد قال جَندلُ بن الراعى [لأبيه] فى وقوفِه على جرير : مالكَ تَطبل الوقوفَ على كلبِ بنى كليب ؟ !

وقال زفر بن الحارث :

يا كلبُ قد كَلِبَ الزَّمانُ عليكُمُ ... وأصابكمْ مِنَّا عذابٌ مُرسَلُ

إنَّ السَّماوة لاسماوةَ فالحقى ... بمَنابتِ الزَّيتونِ وابْنِى بَخْدلُ[2]

وبأرض عكَّ فى السواحلِ إنَّها ... أرضٌ تذوبُ بها اللِّقاحُ وتَهزَلُ

وقال حُصين بن القعقاع[3] يرثى عُتيبة بن الحارث :

بكَرَ النّعىُّ بخيرِ خِندِفَ كلِّها ... بعُتيبةَ بنِ الحارثِ بن شِهابِ

قتلوا ذؤاباً بعد مقتلِ سَبْعةٍ ... فشفَى الغليلَ وريبة المرتابِ

يوم الحليس بذى الغُبَارِ كأنَّه ... كَلِبٌ بِضرب جماجِم ورِقابِ

وقال آخر[4] :

لله درُّ بنى الحَدّاءِ مِنْ نَفَرٍ ... وكلُّ جارٍ على جيرانه كَلِبُ

إذا غَدوْا وعِصِىُّ الطَّلْحِ أرجُلُهم ... كما تنَصَّبُ وسَطَ البِيعة الصُّلُبُ

وإذا كان العُود سريع العُلوق فى كلِّ زمانٍ أوْكلِّ أرض[5] ، أو

(١) يوم الهراميت كان بين الضباب وجعفر بن كلاب ؛ وهو من أيام العرب فى الإسلام . وكان فى زمن عبد الملك بن مروان . معجم البلدان (هراميت) والعمدة لابن رشيق ٢ : ١٦١ . والحرب مؤنثة ، وقد تذكر . القاموس .

(٢) ط : بجدل وكذلك فى ب . وأثبت ما فى س والأغانى ١٧ : ١١٣ .

(٣) ط : حصين بن القعقاع .

(٤) هو بشر بن أبى خازم كما فى البيان ٣ : ١٥ . وانظر كلام الجاحظ فى هذا الشعر .

(٥) فى الأصل : « وكل أرض » والوجه ما أثبت .

Marfat.com

فى عامَّة ذلك قالوا : ما هو إلاَّ كلب .

وقالوا : قال النبى صلى الله عليه وسلم [فى وزَرِ بن] جابر [1] حين خرجَ من عنـــدِه واستأذنه إلى أهله : « نعم إن لم تدركه أمُّ كلْبـــة يعنى الحمَّى .

وممَّا ذكروا به العضو من أعضاء الكلب والكلابة والخلق منهما أو الصفة الواحدة من صفاتهما . أو الفعل الواحد من أفعالهما . قال رؤبة :

لاقيت مَطْلاً كَنَعَاسِ الْكَلْبِ [2]

يقول : مطلا مُقَرْمَضاً [3] دائما . وقال الشاعر فى ذلك :

يكون بها دليـــلَ القوم نجمٌ كعينِ الكلب فى هِيَقٍ قَبَاعِ [4]

قال : هذه أرضٌ ذات غبرة من جدب [5] لا يبصر القوم فيها نجما يهتدى به إلاَّ وهو كأنَّه عين كلب . لأنَّ الكلب أبدا مغمض غير مطبق لجفون ولا مفتوحها . وقيل : شبَّه جحوظ الكلب به . وجمع [illegible] مثل غازٍ وغزَّى . والتبع : [illegible] القنفذ وما أشبهه من حجرة . وأنشد لابن مقبل :

ولا أفرق [illegible]

والقبوع : [illegible]

Marfat.com

(شعر فى الهجاء له سبب بالكلب)

وقال الآخر فى صفة بعض ما يعرض له من العيوب :

ما ضَر تغلبَ وائلٍ أهجوتَها أم بُلتَ حيثُ تناطَحَ البحرانِ
إنّ الأَراقم لا ينالُ قديمَها كلبٌ عَوَى متهتِّم الأسْنانِ [1]

وقال الشاعر فى منظور بن زَبَّان :

لبئس ما خَلَّفَ الآباءُ بعدَهُمُ فى الأُمَّهاتِ عِجَانُ الكَلْبِ مَنْظورُ

ومن هذا الضرب قول الأعرابى [2] :

لقد شَانَ صغرى والياها وزَيَّنَا لصغرى فتًى من أهلها لا يَزينها
كلاب لعاب الكلب [3] إن ساق هَجْمة
يعذِّب فيها نفسَه ويُهينُها

وقال عمرو بن معديكرب [4] :

خا اللهُ جَرْمًا كلَّما ذَرَّ شارِق وجوهُ كِلابٍ هارشَتْ فازبأرَّتِ

وقال أبو سفيان بن حرب :

ولو شئتُ نجَّتنى كُميتٌ طِمِرَّةٌ ولم أجْعَل النَّعماءَ لابن شَعوب
ومازال مُهرى مَزْجَرَ الكلبِ منهمُ لدنْ غدوةً حتّى دنَتْ لِغُروبِ

وقال عبد الرحمن بن زياد :

---

(١) ... ل يبلى قديمها ... والشعر بفروق كما فى البيان ٣ : ٢٤٨ . وقد سبق ... ات ١٣ .

(٢) من هنا يبتدئ سقط كبير فى ل ، وسنشير عن نهايته .

(٣) كذا

(٤) قد ترجمة فى الخزانة ٢ : ٣١٨ - ٣٢٠ وأثبت من أبيات فيها . وانظر تنبيه البكرى ٤٢ ، حماسة أبى تمام ١ : ٤٣ ومعجم البكرى ٢٠ - ٢٥ .

Marfat.com

دعَتْه بمسرُوق الحديث وظالعٍ من الطرف حتى خاف بَصبصةَ الكَلبِ

وقال شريح بن أوس [1] :

وعيَّرْتَنا تمْرَ العراقِ ونخْلَه وزادك أير الكَلبِ شيَّطه الجمرُ

وقال آخر [2] وهو يهجو قوما : ١٥٥

فجاءا بخرشَاوَى شعيرٍ عَلَيْهما كرَاديسُ من أوصال أعقدَ سائد

وقال الحارث بن الوَليد :

ذهب الذين إذا رأوني مُقبلاً هَشُّوا وقالوا : مَرحباً بالمقبل

وبقيتُ في خَلْف كأنَّ حديثهم وَلَغُ الكلاب تهارشتْ في منْهَل

وقال سَبْرة بن عمرو المقعسيّ . حين ارتشى فمَسْرة النهشلي . ونفر

عباد بن أنف لكعب الصيادي [3] فقال سبرة :

يا فمَسْ كيف حكمتَ أقبحَ هبلٍ وخبكمْ مَسْئول به متعمّد

أحفظتَ عهداً أم رَعيت أمانة أم هل سمعتَ بمثلهم لا يشعر

شنعاء فاقرة تجلّ نهشلاً شنعاء يرتشي بها وتشجر

إنّ الزنوق أذل حكمك حبّهم فيك الفقاء وذل كعب مصعر

فضح العشيرة وسطها كذبه كذب يعصبهن وهو مخطر

لا شيء يعرف وهو كلّ دهمه حرف تقتّد ليس فيه الأبتر

جد عمان يحسن ملكه يفيئه هو ناشد على الذي هو ناشد

وقال مزاحم بن [illegible]

[illegible] (١)

[illegible] (٢)

[illegible] (٣)

Marfat.com

وليتَ الذى ألقى فناؤك رحلَه لتَقرِيَه بالتْ عليــه الثَّعالبُ

وهذان البيتان من باب الاشتقاق لامن باب الصفات وذِكْرِ الأعضاء .

وقال :

ياسَــبْرُ ياعبدَ بنى كِلابِ يا أيرَ كلبٍ مُوثَقٍ ببابِ

أكان هــذا أوَّلَ الثَّوابِ يا وَرَلاً رَقْرَقَ فى سرابِ

* لا يَعْلقَنَّكمُ ظُفرى ونَابى

وقال الآخر (١) :

كأنّ بنى طُهَيَّةَ رهطَ سَلْمَى حجارةُ حارئٍ يَرمى الكِلابَا

١٥٦ وقال صاحب الكلب : ومما اشتقَّ من اسم الكلب فى موضع النباهة ، كليب بن ربيعة . هو كليب وائلٍ . ويقال إنّه قيل فى رجلين من بنى ربيعة مالم يُقَالْ فى أحدٍ من العربْ . حتَّى ضُرب بهما المثل . وهو قولهم : « أعزُّ من كليبِ وائل » ، والآخر : « لا حرَّ بوادى عَوْف » .

قالوا : وكانت ربيعة إذا انتجعت معه لم توقد ناراً ولم تخوِّضْ حوضاً . وكان يحمى الكلأ ولا يُتَكلَّمُ عندَهُ إلاَّ خفضا ، ويجير الصيد ويقول : صيدُ أرضِ كذا وكذا فى جوارى لايباح . وكان له جرو كلب قد كتعه (٢) فى بما قذف به فى الروضة تعجبُه . فيحميها إلى منتهى عوائه . ويلقيه بحريم حوض فلا يرده بعير حتَّى تصدُرَ إبله .

---

(١) هو جرير . ديوانه ٢ : ٢٥٠ . وسيأتى حديث فيه . وانظر شعر النقائض ٣٩٥ .

(٢) كتعه معى سدّه أنفه . وانظر أمثال ميدانى ١ : ٤٤٣ ، وشعر ١١ .

Marfat.com

(ما قيل من الشعر فى كليب)

وفى ذلك يقول معبَد بن شعبة التميمى [١] :

أظنَّ ضِرارٌ أنَّنى سأُطيعه وأنِّى سأُعطيه الذى كنتُ أمنعُ

إذِ اغرورقت عيناه واحمرّ وجهُه وقد كادَ غيظاً وجهُه يتبضَّعُ [٢]

تقدَّم فى الظلم المُبيَّن عامِداً ذراعاً إذا ماقُدِّمَتْ لك إصبع [٣]

كفعلِ كُليبٍ كنت أنبئت أنَّه يخلط أكلاءَ المياه ويَمنع [٤]

يُجير على أفناءِ بكرِ بن وائل أرانب ضاح والظباءَ فترتع

وقال دريد بن الصمة :

لعمرُكَ ما كُليبٌ حين دُقَّ بحبل كلبه فمن يقيع [٥]

بأعظمَ من بنى سفيان بَغْيا وكلٌّ عادوهم منهم مريع

وقال العبّاس بن مرداس :

كما كان يبغيها كليبٌ بظلمه من العزّ حتى طاح وهو ذميم

على وائل إذْ يُنزل الكلب دُخْلها وإذ يمنع الأدنين منها حميم

وقال عباس أيضاً لكليب بن ربيعة التغلبى :

---

(١) هو يلقب السفاح فى ...

(٢) فى ... يتبضع .

(٣) ... إذا ما قدمت ...

(٤) ... (يخلط) ...

(٥) ... كليب ...

(٦) فى ...

(٧) فى ...

(٨) فى ... فى ...

Marfat.com

أكُليبُ إنَّكَ كلَّ يوم ظالمٌ والظلمُ أنكدُ وجْهُه ملعونُ
تبغِى بقَومِك ما أرادَ بوائل يومَ الغديرِ سَمِيُّكَ المطعونُ
وإخالُ أنَّك سوفَ تَلْقَى مثلَها فى صَفْحتَيك سنانُه المسنونُ[1]

١٥٧ وقال النابغة الجعدى :

كليبٌ لَعمرى كان أكثرَ ناصِراً وأيسرَ ذنباً منك ضُرِّجَ بالدَّمِ
رَمَى ضَرْع نابٍ فاستمر بطَعْنةٍ كحاشيةِ البُرد اليمانى المسهَّم

وقال قَطِران العبشَمىُّ ، [ويقال العبشى[2]] :

ألم تر جسَّاسَ بن مُرَّة لم يَرِدْ حِمَى وائلٍ حَتَّى احتداه جَهولُها[3]
أجرَّ كليباً إذ رمى الناب طعنةً جدَت وائلاً حتَّى استخفَّت عقولها[4]
بأهون مما قلت إذ أنت سادرٌ وللدَّهرِ والأيَّامِ والٍ يُدِيلها[5]

وقال رجل من بنى هلال بن عامر بن صعصعة[6] :

نحن أبَسْنَا تغلبَ ابنةَ وائلٍ بقتل كُليبٍ إذ طغى وتَخيَّلا[7]
أبأناه بالنَّابِ التى شقَّ ضَرعها فأصبَحَ موطوءَ الحِمى متذلِّلا[8]

وقال رجل من بنى سَدوس :

وأنت كليبىٌّ لسكابٍ وكلبةٍ لها حولَ أطنابِ البيوتِ هَريرُ

---

(١) ل : « سنانها مسنون ».
(٢) كذا . ولعله « العبسى ».
(٣) ط : « اعتداه ».
(٤) ط : « جدت وائلا ».
(٥) ط : « دال ».
(٦) فى الأغانى ١٤ : ١٤١ : « وقال رجل من بنى بكر بن وائل فى الإسلام ، وهى تنسب للأعشى ».
(٧) أبسنا : قهرنا وأذلنا . وفى ط : « تحوز النساء » وهو تحريف .
(٨) أبأناه : جعلناه عبلا فقتلناه بها . وفى ط : « أثابته بالناب » وليس بشىء .

Marfat.com

وقال ابن مقبل العَجلانى :

بكتْ أمُّ بكرٍ إذْ تبدَّدَ رهطُها وأَنْ أصبحوا منهم شَريد وهالك
وإنَّ كلا حيَّيكِ فيهم بقية لوَ انَّ المنايا حالُهـا متماسك[1]
كلاب وكعب لايبيت أخوهم ذليلاً ولا تَعيى عليه المسالك[2]

وقال رجل من بنى كلاب من الخوارج[3] ، لمعاوية بن أبى سفيان :

قد سِرتَ سَيْرَ كُليبٍ فى عشيرتِه لو كان فيهم غلامٌ مثلُ جسَّاسِ
الطاعن الطعنة النجلاء عانِدُها كطرّة البرد، أعيافتقها الآسى[4]

(أهون من تبالة على الحجاج)

وقال أبو اليقظان فى مثل هذا الاشتقاق : كان أوّل عمل ولِيه الحجّاج بن يوسف تَبالة ، فلما سار إليها وقرُب منها قال للدليل : أين هى ، وعلى أىّ سمت هى ؟ قال : تسترك عنها هذه الأكمة . قال : لا أرانى أسير إلاَّ على موضع تستترى منه أكمة ، أهونُ بها علىّ ؟ ! وكرّ راجعا . فقيل فى المثل : « أهْوَنُ منْ تَبَالَةَ علَى الحَجاج » .

والعامة تقول : هو أهون علىّ من لاعراب على [illegible]

---

(١) ل : [illegible]
(٢) ل : [illegible]
(٣) فى [illegible]
(٤) العبارة : [illegible]
[illegible]
بهذا يتضح [illegible]
النسخة ص .
(٥) كذا .

Marfat.com

(الحجاج والمنجّم حينما حضرته الوفاة)

قال : ولمّا حضرت الحجاجَ الوفاةُ وقد ولىَ قبل ذلك ما ولىَ ، وافتتح ما افتتح ، وقتل من قتل ، قال للمنجِّم : هل ترى مِلكًا يموت ؟ قال : نعم ولستَ به ، أرى مِلكا يموتُ اسمه كُليب ، وأنتَ اسمُك الحجَّاج قال : فأنا والله كليبٌ ، أمِّى سمّتْنى به وأنا صبىّ . فمات . و [كان] استخْلَفَ على الخراج[1] يزيد بن أبى مسلم ، وعلى الحرب يزيد بن أبى كبشة .

(ما كان العرب يسمّون به أولادهم)

قال : والعرب إنّما كانت تسمِّى بكلب ، وحمار ، وحجر ، وجُعَل ، وحنظلة ، وقرد ، على التفاؤل بذلك . وكان الرجل إذا وُلد له ذكر خرج يتعرّض لزجر الطير والفأل ، فإن سمع إنساناً يقول حجراً ، أو رأى[2] حجراً سمَّى ابنَه به وتفاءل فيه الشدَّة[3] والصلابة ، والبقاء والصبر ، وأنّه يحطم ما لقى . وكذلك إن سمع إنساناً يقول ذئباً أو رأى ذئبا ، تأوَّل فيه الفطنة والخِبَّ والمكرَ والكسب . وإن كان حماراً تأوَّل فيه طولَ العُمر والوقاحة والقرَّة والجَلَد . وإن كان كلباً تأوَّل فيه الحِراسة واليَقَظة وبُعْدَ الصوت ، والكسبَ وغير ذلك .

---

(١) فى الأصل : « الخوارج » ، وهو تحريف . انظر المعارف لابن قتيبة ٤١٧ . وقد زدت كلمة « ابن » ليستقيم الكلام .

(٢) فى الأصل : « ورأى » .

(٣) لعلها « بالشدة » فإن الفعل يتعدى بالباء . وانظر الاشتقاق ٤ — ٦

Marfat.com

،ولذلك صوَّر عبيد الله بن زياد فى دِهليزه كلباً وكبشاً وأسداً، وقال : كلب نابح ، وكبش ناطح ، وأسد كالح . فتطيَّر إلى ذلك فطارت عليه .

وقال آخر : لو كان الرجل منهم إنَّما كان يسمِّى ابنَه بحجر وجبل ، وكلب ، وحمار ، وثور ، وخنزير ، وجُعَل ، على هذا المعنى فهلاَّ سمَّى بِبِرْذون[1] ، وبغل ، وعُقاب ، وأشباه ذلك ؛ وهذه الأسماء من لغتهم .

قال الأوّل : إنَّما لم يكن ذلك ، لأنَّه لا يكاد يرى بغلا وبرذونا ، ولعلَّه لا يكون رآهما قط ، وإن كانت الأسماء عندهم عتيدة لأمورٍ لعلَّهم يحتاجون إليها يوما ما .

قالوا : فقد كان يسمع بفرس وبعير . كما كان يسمع بحمار وثور ، وقد كان يستقيم أن يشتقَّ منهما اشتقاقات محمودة . بل كيف صار ذلك كذلك ونحن نجده يسمّى بنجم ولا يسمّى بكوكب ! إلاَّ أنَّ بعضَهم قد سمّى بذلك عبدا له ، وفيه يقول :

كَوْكَبٌ إنْ ذُمْتُ فَهْىَ مِنّى لا مُتَّ لا مِدْ يا كَوْكَبُ

ووجدناهم يسمون بجبل وسند ، وصخر[2] ، ولا يسمّون بحجر ، وأجا وسلمى وزرقاء ، وصُلَيْد وصُلَيم[3] ، ولا يسمّون بحجارة ، وكذلك منهج من حيث ، ويسمون بالمسك ولا يسمّون بالعنبر ، ويسمون بالشمس على جهة التشبيه أو على جهة التفاؤل ، ولا يسمّون بالقمر إلاّ على ما وصفنا ، وقد يسمّون بالكوكب

(١) فى الأصل : [illegible]

(٢) فى ط [illegible]

(٣) [illegible]

Marfat.com

من حجر ، وطودا[١] أجمع من صخر . وتركوا أسماء جبالهم المعروفة .

وقد سمّوا بأسد وليث وأُسامةَ وضِرغامة[٢] . وتركوا أن يسمُّوا بسبع وسبعة . [وسبع][٣] هو الاسم الجامع لكلِّ ذى ناب ومخلب .

قال الأوّل : قد تسمَّوا أيضاً بأسماء الجبال ، فتسمَّوْا بأبَان وسَلْمَى .

قال آخرون : إنَّما هذه أسماء ناسٍ سمَّوا بها هذه الجبال ، وقد كانت لها أسماءٌ تركت لثقلها ، أو لعلَّة من العلل ؛ وإلاَّ فكيف سمَّوا[٤] بسلمى وتركوا أجأ ورَضوى .

وقال بعضهم : قد كانوا ربَّما فعلوا ذلك على أن يتَّفق لواحدٍ وَلودٍ ولمعظَّمٍ جليل ، أن يسمع أو يرى حمارا ، فيسمِّى ابنه بذلك ؛ وكذلك الكلب والذئب ، ولن يتفق فى ذلك الوقت أن يسمع بذِكر فرس ولا حِجْر أو هواء أو ماء ؛ فإذا صار حمار ، أو ثورٌ ، أو كلب اسمَ رجل معظَّم ، تتابعت عليه العرب تَطِيرُ إليه ، ثم يكثُر ذلك فى ولده خَاصَّةً بعده . وعلى ذلك سمَّت[٥] الرعية بنيها وبناتِها بأسماء رجال الملوك ونسائهم ؛ وعلى ذلك صار كلُّ علىٍّ يكنى بأبى الحسن ، وكل عُمَر يكنى بأبى حفص ، وأشباه ذلك.

فالأسماء ضروب ، منها شىء أصلىٌّ كالسَّماء والأرض والهواء والماء والنار . وأسماءٌ أخَرُ مشتقَّاتٌ منها على جهة الفأل ؛ وعلى شكل سمِ الأب . كالرجل

---

(١) فى ط : « والثور » وهما بمعنى .

(٢) الضرغام والضرغامة والضرغم كجعفر : الأسد .

(٣) زيادة يقتضيها الكلام .

(٤) ط : « يسموا » وصوابه فى س .

(٥) فى الأصل : « سميت » وهو تحريف ما أثبته .

Marfat.com

يكون اسمه عمر فيسمى ابنَه عميرا ، ويسمِّى عميرٌ ابنَه عِمران ، ويسمِّى عمرانُ ابنَه مَعْمَرًا. وربَّما كانت الأسماء بإسماء الله عزَّ وجلّ مثل ما سمى الله عز وجل أبا إبراهيم آزر ، وسمَّى إبليس بفاسق ، وربّما كانت الأسماء مأخوذةً من أمورٍ تحدثُ فى الأسماء ؛ مثل يوم العَرُوبة سمِّيت فى الإسلام يوم الجمعة . واشتقَّ له ذلك من صلاة يوم الجمعة .

(ما ترك الناس من ألفاظ الجاهلية)

وسنقول فى المتروك من هذا الجنس ومن غيره ، ثم نعودُ إلى موضعنا الأوَّلِ إن شاء الله تعالى .

ترك النّاسُ مما كان مستعملاً فى الجاهلية أموراً كثيرة . فمن ذلك تسميتهم للخَراج إتاوة ، وكقولهم للرشوة وما يأخذه السُّلطان : الحملان والمكس .

وقال جابر بن حُنَيّ[1] :

أفى كلّ أسواق العراقِ إتاوةٌ ... وفى كلّ ما باع امرؤ مَكْسُ دِرهم

وكما قال المتلمّس فى الجاروذ[2] :

أيا ابن المعلّى خيلنا ... حسبة ...

---

(١) فى ...
فى اللغة ...

(٢) العبد ...
... وأصل ...
... وقال ...

(٣) ...

Marfat.com

١٦٠ وكما تركوا انْعَمْ صباحاً، وانْعَمْ ظلاما، وصاروا يقولون: كيف أصبحتم؟ وكيف أمسيتم ؟

وقال قيس بن زُهير بن جذيمة، ليزيد بن سنان بن أبي حارثة: انعَمْ ظَلاماً أبا ضَمْرة ! قال : نعمتَ فمن أنت ؟ قال: قيس بن زهير .

وعلى ذلك قال امرؤ القيس :

ألا عِمْ صَباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالِي وهَلْ يَعِمَنْ مَن كان فى العُصُر الخالِي

وعلى ذلك قال الأوَّل (١) :

أتوْا نَارِى فقلتُ مَنُونَ قالوا سَرَاة الجنِّ قلتُ عِمُوا ظَلاَما

وكما تركوا أن يقولوا للملك أو السَّيِّد المطـاع : أبيت اللعن ، كما قيل (٢) :

مَهْلاً أبيتَ اللّعنَ لا تأكُلْ مَعَهْ

وقد زعموا أن حُذَيفةَ بنِ بدرٍ كان يُحَيَّا بتحيَّة الملوك ويقال له : أبيت اللَّعن . وتركوا ذلك فى الإسلام من غير أن يكون كفراً .

وقد ترك العبْد أنْ يقول لسيده ربِّى ، كما يقال ربُّ الدار ، وربُّ البيت . وكذلك حاشيةُ السيِّد والملِك تركوا أن يقولوا ربّنا . كما قال الحارث بن حلّزة :

ربُّنا وابننا وأفضَلُ مَنْ يمـ ـشِى ومَن دُونَ مَا لدَيهِ الثّناءُ

---

(١) لبيت لشمير (أو سمير) بن الحارث الضبى كما فى النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب ٣ : ٣ بولاق .

(٢) البيت لمبيد من أبيات هنا خبر فى الأغانى (١٤ : ٩١ - ٩٢).

Marfat.com

وكما قال لبيد حين ذكر حُذَيفة بن بدر :

وأهلكْنَ يوماً ربَّ كِنْدَةَ وابنَه وربَّ معَدٍّ بين خَبْت وعَرْعَرِ

وكما عيّر زيدُ الخيل حاتماً الطائىّ فى خروجه من طيِّئ ومن حرب الفساد ، إلى بنى بدر ، حيث يقول[1] :

وفرَّ من الحَرْبِ الحَوانِ ولم يكُنْ بها حاتم طَبًّا ولا متطبِّبا

وريب حصنا بعْدَ أن كان آبياً أُبُوّة حِصْنٍ فاستقالَ وأعتبَا

أقِمْ فى بنى بدر ولا ما يهمنا إذا ماتقضَّت حربُنا أنْ تطربا

وقال عوف بن محلِّم[2] ، حين رأى الملك : إنّه ربى ورب الكعبة .

وزوجُه أمُّ أناس بنت عَوف .

وكما تركوا أن يقولوا لقُوّام الملوك السَّدَنة وقالوا الحَجَبَة[3] .

وقال أبو عُبيدة مَعْمر بن المثنّى عن أبى عبد الرحمن يونس[4] بن حبيب النحوى حين أنشده شعر الأسدىّ :

ومركضة صريخى أبوها تهان له نعالة وشراكُ[5]

---

(١) حرب الفساد كانت فى [illegible]

١٠٨ والأغانى ١١ : ١٢٨ [illegible]

(٢) هو [illegible]

من [illegible]

قدس [illegible]

[illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

قال: فقلت له : فتقول : للجارية غلامة ؟ قال : لا ، هذا من الكلام المتروك، وأسماؤُه زالت مع زوال معانيها، كالمِرباَعِ والنَّشيطة وبقى [1] الصَّفايا ؛ فالمرباع : رُبع جميع الغنيمة الذى كان خالصاً للرئيس ، وصار فى الإسلام الخمس ، على ماسنَّه الله تعالى . وأما النَّشيطة فإنَّه كان للرئيس أن ينشِط عند قِسمة المتاع العِلْقَ النفيسَ يراه إذا استحلاه . وبقى [1] الصَّفِىّ وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مَغْنم ، وهو كالسيف اللَّهذَم [2] والفرسِ العتيق ، والدرع الحصينة ، والشىء النادر .

وقال ابن عَنَمة الضبّى [3] حليف بنى شَيبان ، فى مرثيته بِسطام ابن قيس :

لك المِرباعُ منها والصَّفايا وحُكْمُك والنَّشِيطَةُ والفُضولُ

والفُضول : فضول المقاسم ، كالشىء إذا قسم وفضَلت فَضلةٌ استهلكت ، كاللؤلؤة ، والسيف ، والدِّرْع ، والبيضة ، والجارية ، وغير ذلك .

(كلمات إسلامية محدثة)

وأسماءٌ حدثت ولم تكن ، وإنَّما اشتقَّت لهم من أسماءٍ متقدِّمة ، على التشبيه . مثل قولهم لمن أدرَكَ الجاهليَّة والإسلام مُخَضرم كأبى رجاءٍ العُطاردىّ [4] . بن سلمة [1] . وشقيق بن سالمة ؛ ومن الشعراء النابغة الجعدىُّ

(١) كذا ولعلها : بقى .

(٢) س : « الضرام » وهما بمعنى .

(٣) ط : « ابن غنمة » وصوابه فى س . وابن عنمة هذا هو عبد الله ، وهو من شهد القادسية ، والبيت من أبيات ثمانية رواها أبو تمام فى الحماسة ١ : ٤٢٠ .

(٤) تأتى ترجمته فى الإصابة ج ٧ : ٧٢ واسمه عمران بن ملحان أو ابن تيم .

Marfat.com

وابن مقبل ، وأشباههم من الفقهاء والشعراء . ويدلُّ على أنَّ هذا الاسم أحدث فى الإسلام ، أنَّهم فى الجاهليَّة لم يكونوا يعلمون أنَّ ناساً يسلمون وقد أدركوا الجاهليَّة ، ولا كانوا يعلمون أنَّ الإسلام يكون .

ويقال إنَّ أوَّلَ من سمَّى الأرضَ التى لم تُحفَر قطُّ ولم تحرثْ إذا فعل بها ذلك مظلومة ، النابغةُ حيث يقول :

إلّا الأوارىَّ لأْيًا ما أبيِّنُها والنؤىَ كالحوضِ بالمظلومةِ الجَلَدِ

ومنه قيل سِقاءٌ مظلوم إذا أعجل عليه قبل إدراكه . وقال الخادرة :

ظلَمَ البِطاحَ له انهلالُ حَرِيصةٍ فصفَا النِّطافُ له بُعَيْدَ المقلَعِ

وقال الآخر :

قالتْ له مىُّ بأعلَى ذِى سَلَمٍ لو ما تَزُورُنَا إذ الشِّعبُ لَمْ

ألا بلى يا مىُّ وليومٌ ظلم

يقول ظلم حين وضع الشىء فى غير موضعه . وقال الآخر : ١٦٧

أنا أبو زينب وليوم ظلم

وقال ابن مقبل :

عاد الأذلَّة فى دا وكان بهم

وقال آخر :

وصاحب صادق

وقال آخر :

لايَظلِمون إذ

(١)
(٢)

Marfat.com

وظلم الجزور : أن يعرقبوها ، وكان فى الحقِّ أن تنحر نحراً . وظلمهم الجزُر[1] أيضا أن ينحروها صِحاحا سماناً لاعلَّة بها .

قال : ومن ذلك قولهم : الحرب غَشوم ؛ وإنَّما سمِّيت بهذا لأنَّها تنال غير الجانى .

قال : ومن ذلك قولهم : « مَنْ أَشْبَهَ أباه فما ظَلَم » ، يقول : قد وضع الشبه فى موضعه .

ومن الحدَثِ المشتقِّ ، اسم منافق لمن رَاءَى بالإسلام واستسرَّ بالكفر أُخذ ذلك من النافقاء والقاصعاء والدامَّاء[2] . ومثل المشرك والكافر ، ومثل التيمُّم . قال الله تعالى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ أى تحرَّوْا ذلك وتوخَّوْه . وقال : ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ فكثُر هذا فى الكلام حتَّى صار التيمُّم هو المسح نفسُه . وكذلك عادتهم وصنيعهم فى الشىء إذا طالتْ صحبتهم وملابستهم له[3] .

وكما سمَّوا رَجيع الإنسان الغائط ، وإنَّما الغيطان البطون التى كانوا ينحدرون فيها إذا أرادوا قضاءَ الحاجة للستر .

ومنه العَذِرة . وإنَّما العذِرة الفناءُ . والأفنية هى العَذِرات ، ولكن لما طال إلقاؤهم النَّجْو والزِّبل فى أفنيتهم ، سمِّيت تلك الأشياء التى رَموا بها ، باسم المكان الذى رميت به . وفى الحديث : « أَنْقُوا عَذِرَاتكم » . وقال ابن الرقيَّات :

رَحِمَ اللهُ أَعْظُمًا دَفَنُوها بِسِجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ[4]

---

(١) فى ناصر : « بجزور » والوجه الجمع .

(٢) هى من أسماء جحرة اليربوع السبع . انظر اللسان (دمم) .

(٣) فى ناصر : « صحبته وملابسته له » .

(٤) طلحة الطلحات ، هو طلحة بن عبد الله الخزاعى ، أحد أجواد العرب توفى سنة ٦٥ . انظر ص ٢٥٥ .

Marfat.com

كان لايحجُبُ الصديقَ ولا يه تَلُّ بالبخلِ طيِّبَ العَذِرَاتِ

ولكنَّهم لكثرةِ ما كانوا يُلقون نجوَهم فى أفنيتهم سموها باسمها .

ومنه النّجو : وذلك أنّ الرجل كان إذا أراد قضاءَ الحاجةِ تستَّر بنجوة. ١٦٣

والنّجو : الارتفاع من الأرض ، قالوا من ذلك : ذهب يَنْجُو ، كما قالوا ذهب يتغوّط إذا ذهب إلى الغائط لذلك الأمر ، ثمَّ اشتقوا منه فقالوا إذا غسل موضع النجو قد استنجى .

وقالوا : ذهب إلى الخَرَج ، وإلى المتوضَّأ ، وإلى المذهب . وإلى الخلاء . وإلى الحُشّ . وإنّما الحشّ القطعةُ من النَّخل وهى الحِشّان . وكانوا بالمدينة إذا أرادوا قضاء الحاجة دخلوا النخل ، لأنَّ ذلك أستر . فسموا المتوضّأ الحشّ ، وإن كان بعيداً من النخل ، وكلّ ذلك هربٌ من أن يقولوا ذهب فالخَرْء ، لأنَّ الاسم الخرء . وكلّ شىء سوّده من [1] ورجيع وما أشبه ذلك فكله كناية .

ومن هذا الباب [illegible] وهذا عند الأصمعى خطأ .

ومن هذا الشكل الرديء [illegible] فسمّيت المزدة باسم [illegible] والحديث رديء

[illegible] قولهم [illegible]

(١) فى الأصل [illegible]

Marfat.com

حين كانوا يدفعون فى الصَّدَاق إبلا ، وتلك الإبل يقال لها النافجة. وقال شاعرهم :

وليس تِلادى من وِراثةِ والدى ولا شادَ مالِى مُستَفاد النوافِجِ

وكانوا يقولون : تَهنِيك النافجة . قال : فإذا كانوا يدفَعون الصَّدَاقَ عينا ووَرقا فلا يقال ساق إليها الصَّداق .

ومن ذلك أنَّهم كانوا يضربون على العروس البناءَ ، كالقبَّة والخيمة والخيام[1] ، على قدر الإمكان ، فيقال بنى عليها ، اشتقاقاً من البناءِ ، ولا يقال ذلك اليومَ . والعروس إمَّا أن تكون مقيمةً فى مكانها أَوْ تتحوّل إلى مكان أقدم من بنائها .

قال : ومن ذلك قولهم فى البَغىّ المكتسِبة بالفُجور : قَحْبة ، وإنَّما القُحَاب السعال . وكانوا إذا أرادوا الكناية عن من زنَتْ وتكسَّبت بالزنى ، قالوا قحبت أى سعلت ، كناية . وقال الشاعر :

إنَّ السُّعَالَ شُوءُ القُحَاب

[وقال[2]] :

وإذا ما قحَبت واحـــدةٌ جاوبَ المبعِدُ منها[3] فَخَضَفْ

وكذلك كان كنايتهم فى انكشاف عورة الرجل ، يقال كشف علينا متاعَه وعَورته وشواره . والشَّوار : المتاع[4] . وكذلك الفرج وإنَّما [يعنون[5]] الأير والحِرَ والاسْت .

---

(١) كذا فى ط ، س ، م .
(٢) زيادة يقتضيها الكلام .
(٣) ط : « فقحب » وأثبت ما فى س و م . ومعنى خضف فرط .
(٤) فى القاموس : « والشوار مثلثة : متاع البيت » .
(٥) زيادة يقتضيها الكلام .

Marfat.com

(كلمات للنبى صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد)

وكلمات النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدَّمْه فيهنَّ أحد[1] : من ذلك ١٦٤
قوله : « إذًا لاينتَطِح فيها عَنْزان » . ومن ذلك قوله : « ماتَ حتْف أنفه » .
ومن ذلك قوله : « ياخيلَ الله اركَبى » ومن ذلك قوله : « كلُّ الصيدِ
فى جَوفِ الفَرا » ، وقوله : « لايُلسَعُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين » .

(شنشنة أعرفها من أخزم)

وقال عُمر رضى الله تعالى عنه : « شِنْشِنَةٌ أعرفها من أخزمَ » . يعنى شبه
ابن العبَّاس بالعبَّاس . وأخزَم : فحل معروف بالكرم .

(مايكره من الكلام)

وأما الكلام الذى جاءت به كراهية من طريق [illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لايقولنَّ أحدكم [illegible]
ولكن ليقلْ لقِسَمت نفسى » . كأنه كره صلى الله عليه وسلم أن يضاف [illegible]
الطاهرُ إلى نفسه الخبث والنفساء إلى الجهد .

وجاء عن عمر وجماعة من غيرهما النهى عن قول [illegible]
بفُلان ، بل يقال ذات فلان . ويقال [illegible]
بكذا وكذا .

---

(١) [illegible] البيان ٢ : ١٥ [illegible] ٢٢٣
(٢) [illegible] : ٢٠١ [illegible] ٢٠٩ .

Marfat.com

قال النَّخَعيّ : كانوا يكرهون أن يقال : قراءة عبد الله، وقراءة سالم وقراءة أُبَيّ ، وقراءة زيد . وكانوا يكرهون أن يقولوا سنَّة أبي بكر وعمر ، بل يقال سنَّة الله وسنَّة رسوله ، ويقال فلان يقرأ بوجْه كذا ، وفلان يقرأ بوجه كذا .

وكره مجاهد أن يقولوا مُسيجِد ومُصيحِف ، للمسجد القليل الذَّرْع ؛ والمصحف القليل الورق . ويقول : هم وإن لم يريدوا التصغير فإنَّه بذلك شبيه .

(وجوه تصغير الكلام)

وربَّما صغَّروا الشيء من طريق الشَّفَقة والرِّقَّة ، كقول عمر : أخافُ على هذا العُريب . وليس التصغير بهم يريد . وقد يقول الرجل : إنَّما فلانٌ أُخَيّ وصُدَيِّق ، وليس التصغير له يريد . وذكر عمرُ ابنَ مسعود فقال كُنَيْفٌ مُلِئ علما[1] . وقال الحباب بن المنذر[2] يوم السَّقيفة : أنا جُذَيْلها المحكك ، وعُذَيقُها المرجَّب . وهذا كقول النبيّ صلى الله عليه وسلم لعائشة : الحُميراء . وكقولهم لأبي قابوسَ الملك : أبو قُبَيس . وكقولهم : دبَّت إليه دويْبَّة الدهر . وذلك حين أرادوا لطافة المدخل ودقة المسلك .

---

(١) كنيف : تصغير كنف ، بالكسر ، بمعنى الوعاء .

(٢) في الأصل : سلمة بن سلامة بن وقش ، وقائل القول الآتي هو الحباب بن المنذر كما هو معروف ، وكذا كتبه الجاحظ في البيان ٣ : ٢٩٦ في حديث يوم السقيفة . وانظر تاريخ الطبري ١ : ٢٥٣ .

Marfat.com

ويقال إنَّ كلَّ فُعيل فى أسماء العرب فإنَّما هو على هذا المعنى . كقولهم المُعَيْدِىّ ، وكنحو سُليم ، وضُمَير ، وكليب ، وعُقير ، وجُعيل ، وحُميد ، وسُعيد ، وجُبير ؛ وكنحو عُبيد ، وعُبيد الله ، وعُبيد الرماح [1] . وطريق التحقير والتصغير إنَّما هو كقولهم : نُجَيل ونُذَيل . قالوا : وربَّ اسمٍ إذا صغَّرْته كان أعلأَ بالصَّدْر . مثل قولك أبو عبيد الله ، هو أكبر فى السماع من أبى عبد الله .
وكعب بن جُعَيل ، هو أفخم من كعب بن جعل . وربَّما كان التصغير خِلقة ١٦٥
وبنية ، لايتغيَّر ، كنحو الحُمَيَّا والشُّكَيْتِ ، وجُنَيدة ، والقطيع ، والمريطاء ، والسُّميراء ، والمليساء — وليس هو كقولهم القُصَيْرى ، وفى كبيدات السماء والثريا .

وقال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : دققت الباب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من ذا ؟ فقلت : أنا ، فقال : أنا ! كأنَّه كرهه وقال أنا .

وحدَّثنى أبو على الأنصارى ، وعبد الكريم بن [illegible] قالا : حدَّثنا عيسى بن حاضر قال : كان عمرو بن [illegible] يجلس فى داره ، وكان لايُدَع بابَه مفتوحا ، فإذا قام عنه [illegible] الباب يوما فقرعته فقال : من ذا ؟ فقلت : [illegible] فقال : [illegible] يسمّى أنا ، فإن قال شيئا وقف [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

Marfat.com

خراسان فقرَع الباب ، فقال عمرو : مَن هذا ؟ فقال : رجلٌ غريبٌ تِدم عليك ، يلتمس العلم . فقام له ففتح له الباب . فلمَّا وجدْتُ فرجةً أردت أن ألجَ الباب ، ندفَع البابَ فى وجهى بعنُف ، فأقمتُ عنده أيَّاما[1] ثم قلت فى نفسى : والله إنِّى يومَ أتغضَّب على عمرو بن عُبيد ، لَغَيرُ رشيدِ الرأى . فأتيتُ البابَ فقرعته عليه فقال : من هذا ؟ فقلت : عيسى بن حاضر . فقام ففتح لى الباب .

وقال رجل عند الشَّعبى : أليس الله قال كذا وكذا ! قال : وما علَّمَك ؟

وقال الربيع بن خُثَيم : اتَّقُوا تكذيب الله ، ليتَّق أحدكم أن يقولَ قال الله فى كتابه كذا وكذا ، فيقول الله كذبتَ لم أقلْه .

وقال عمر بن الخطَّاب رضى الله تعالى عنه : لايقل أحدُكم أهريقُ الماء ولكن يقول أبول .

وسأل عمرُ رجلا عن شىءٍ ، فقال : الله أعلم . فقال عمر : قد خزِينا إن كُنَّا لانعلم أنَّ الله أعلم ، إذا سُئِلَ أحَدُكم عن شىءٍ فإن كان يعلمه قاله ، وإن كان لايعلمه قال : لاعلم لى بذلك .

وسمعَ عمر رجلاً يدعو ويقول : اللهمَّ اجعلْنى من الأقلِّين ! قال : ماهذا الدعاء ؟ قال : إنِّى سمعت الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ وقليلٌ مِنْ عِبادِىَ الشَّكُورُ ﴾ وقال : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ ﴾ . قال عمر : عليك من الدعاء بما يُعرَف .

وكره عمر بن عبدالعزيز قولَ الرجل لصاحبه : ضعْه تحت إبطِك ، وقال :

---

(١) كذا .

Marfat.com

هلاً ،قالتَ تحت يدِك وتحت مَنكِبك ! وقال مَرَّةً — وراثَ فرسٌ بحضْرة سليمان —[1] فقال : ارفَعوا ذلك النَّثِيل . ولم يقل ذلك الرَّوث .

وقال الحجَّاج لأمِّ عبد الرحمن بن الأشعَث[2] : عَمَدْتِ إلى مَالِ الله فوَضَعْتِه تحْتَ . كأنَّه كره أن يقول على عادة النـاس : تحت استك . ١٦٦ فتلجلج خوفاً من أن يقول قَذَعاً أو رَفَثا ، ثمَّ قال : تحتَ ذيلك .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لايقولَنَّ أحدُكم لمملوكه عَبْدى وأمَتى . ولـكنْ يقول : فتَاىَ وفتاتى . ولا يقول المملوك ربِّى وربَّتى . ولـكن يقول سيِّدى وسيِّدتى .

وكره مُطرِّف بن عبد الله . قولَ القائل للمكاتب : اللَّهمَّ أخْزه .

وكره عِمران بن الحُصين . أن يقولَ الرَّجلُ لصاحبه : أنْعَم الله بك عيناً . وإلا أنْعَمَ الله بك عينا .

وقد كرهوا أشياء ثم جاءت فى الرويات لا تعرف وجوهها . [illegible] أصحابنا : لايكرهونها . ولا نستطيع الرد عليهم . وقد سمع منهم فى ذلك أكثر من الكراهة . وهو كذلك بدون الأدب مع علمه وعلمائنا . ولـكن أكثر الرويات مجردة . وقد قصد [illegible] دون حكاية العلة . ودون الإحسان من [illegible] الرغبة مشاهدة وحدد .

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

قال ابن مسعود وأبو هريرة : « لا تسمُّوا العِنَب الكَرْم ؛ فإنَّ الكَرمَ هو الرجلُ المسلم » .

وقد رفعوا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

وأمَّا قوله : « لا تسُبُّوا الدَّهرَ فإنَّ الدهر هو الله » فما أحسن ما فسَّر ذلك عبد الرحمن بن مهدى[1] قال : وجهُ هذا عندَنا ، أنَّ القوم قالوا : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ﴾ فلما قال القوم ذلك . قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : «ذلك الله». يعنى أنَّ الذى أهلك القرونَ هو الله عزَّ وجلَّ . فتوهم منه المتوهِّم أنَّه إنَّما أوقع الكلام على الدهر .

وقال يونس : وكما غلطوا فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لحسَّان : « قُلْ ومَعَك رُوح القُدُس » فقالوا : قال النبى صلى الله عليه وسلم لحسَّان : قُلْ ومَعَك جِبريل ؛ لأنَّ روح القدس أيضاً من أسماءِ جبريل . ألا ترى أنَّ موسى قال : «ليتَ أنَّ رُوحَ الله مع كلِّ أحد». وهو يريد العصمة والتوفيق . والنصارى تقول للمتنبِّى : معه روح دكالا[2] ؛ ومعه روح سيفرت[3] . وتقول اليهود : معه روح بَعلزَبول[4] . يريدون شيطانا . فإذا كان نبيا قالوا : روحه روح القدس . وروحه روخ الله . وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ . يعنى القرآن .

---

(١) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدى بن حسان العنبرى البصرى . من أئمة حفاظ الحديث . قال الشافعى : لا أعرف له نظيراً فى الدنيا . توفى بالبصرة ١٩٨ .

(٢) فى رسائل الجاحظ ٤ : ١٠٠ : « دكالا » .

(٣) فى الرسائل : « سيفرة » .

(٤) فى الأصل : « بعربوث » وصححناه من يحيى متى ١٠ : ٢٥ و ١٢ : ٢٤ ومرقس ٣ : ٢٢ ولوقا ١١ : ١٥ . وهو رئيس الشياطين . وفى الرسائل : « بعد بوث » .

Marfat.com

وسمع الحسن رجلاً يقول : طلع سُهيل وبَرُد الليل . فكره ذلك وقال : إنّ سهيلاً لم يأتِ بحرٍّ ولا ببردٍ قطُّ . ولهذا الكلام مجازٌ ومذهب . وقد كره الحسنُ كما ترى .

وكره مالك بن أنس أن يقولَ الرجُلُ للغيم وللسحابة : ما أخلقها للمطر ! وهذا كلام مجازه قائم . وقد كرهه ابن أنس . كأنّهم من خوفهم عليهم العودَ في شيءٍ من أمر الجاهليّة . احتاطوا في أمورهم . فمنعوهم من الكلام الذي فيه ١٦٧ أدنى متعلّق .

وروَوا أنّ ابنَ عبّاسٍ قال : لا تقولوا والذي ختَمه على فمي . فإنّما يختِم الله عز وجل على فم الكافر . وكره قولهم : قومس قزَح . وقال : قزح شيطان . وإنّما ذهبوا إلى التعريج والتلوين . كأنّه كره ما كانوا عليه من عادات جاهليّة . وكان أحَبّ أن يقال قومس لله . فيرفع من قدره . كما يقال بيت لله . وزوّار لله . وأرض لله . وعبده لله . وأسماء لله .

وقالت عائشة رضي الله عنها : قولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين . ولا تقولوا : لا نبيَّ بعده . قولاً تكون به بأس . بل نقول كما قال فلا نعرف له وجهاً إلاّ أن تكون قالت لا تعبّره بسعتهم . وهذا كما قال لكم . والقطة مثله سواء .

وكره ابن عمر رضي الله عنهما قول القائل : سمعت في كلامه وقول : ليس لإسلامه إلاّ الله في وحال . وهذا كلام مجازه

(١)

Marfat.com

وكره ابنُ عبَّاسٍ رضى الله عنهما قولَ القائل : أنا كسلان .

وقال عمر : لا تسمُّوا الطريق السِّكَّةَ .

وكره أبو العالية قول القائل : كنت فى جِنازة ، وقال : قل تبِعت جنازة. كأنّهُ ذهب إلى أنّه عنى أنّه كان فى جوفها ، وقال قل تبعت جنازة . والناس لا يريدون هذا ، ومجاز هذا الكلام قائم ، وقد كرهه أبو العالية ، وهى عندى شبيهٌ بقول من كره أن يقول : أعطانى فلان نصف درهم . وقال : إذا قلت : كيف تكيل الدقيق ؟ فليس جوابه أن تقول : القَفِيز بدُنَينير ، ولكن يتناول القفيز ثم يكيل به الدقيق ، ويقول : هكذا الكيلة . وهذا من القول مسخوط !

وكره ابن عبَّاس قول القائل : الناس قد انصرفوا ، يريد من الصلاة . قال بل قولوا : قد قضَوُا الصلاة ، وقد فرَغوا من الصلاة ، وقد صلَّوْا ؛ لقوله : ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ قال : وكلام الناس : كان ذلك حين انصرفنا من الجنازة . وقد انصرفوا من السَوق . وانصرف الخليفة ؛ وصرف الخليفةُ الناسَ من الدار اليومَ بخير . وكنت فى أوَّل المنصرفين . وقد كرهه ابن عبّاس . ولو أخبرونا بعلّته انتفعنا بذلك .

وكره حَبيب بن أبى ثابت . أن يقال للحائض طامِث . وكره مجاهد قول القائل : دخل رمضان ، وذهب رمضان . وقال : قولوا شهر رمضان ، فلعلّ رمضان اسم من أسماء الله تعالى .

قال أبو إسحاق : إنما أتى من قِبل قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى

Marfat.com

أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ فقد قال النـاس يوم التَّروية . ويوم عَرَفة ولم ١٦٨
يقولوا عرفة .

(رأى النظَّام فى طائفة من المفسرين
وصور من تـكلُّفهم فى التأويل)

كان أبو إسحاق يقول : لاتسترسلوا إلى كثير من المفسرين . وإن نسبهم أنفسَهم للعادَة . وأجابوا فى كلِّ مسألة ؛ فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس . وكلَّما كان المفسِّر أغربَ عندَهم كان أحبَّ إليهم . وليكن عندكم عِكْرِمةُ . والكلبيُّ . والسُّدِّى . والضَّحاك . ومقاتل بن سليمان . وأبو بكر الأصمّ . فى سبيل واحدة . فليكن أثقل تفسيرهم (١) وأسكن ... صوابهم . وقد قالوا فى قوله عزَّ وجلَّ : ... وجلَّ لم يعن بهذا الكلام ومساجدنا التى نصلى فيها ... ما سجد الناس عليه : من بلر وحجر . ... وقالوا فى قوله تعالى : ... ليس يعنى الجبال والشعر . وإنما يعنى السحاب .

وإذا سئلوا عن قوله : ... وجعلوا ذلك أن تشرب ... الناس فيتروه . قوله تعالى : ... من قبلكم .

(١) ...

Marfat.com

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ﴾ قالوا : يعنى أنّه حَشَرَهُ بِلاَ حجَّة .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ : الويل وادٍ فى جهنم . ثم قَعَدُوا يصِفون ذلك الوادى . ومعنى الويل فى كلام العرب معروف ، وكيف كان فى الجاهليَّة قبل الإسلام ، وهو من أشهر كلامهم !

وسئلوا عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ قالوا : الفلق : وادٍ فى جهنم ، ثمَّ قعدوا يصِفونه . وقال آخرون : الفلق : المِقْطَرة[1] بلغة اليمن .

وقال آخرون فى قوله تعالى : ﴿ عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً ﴾ قالوا : أخطأ من وصَلَ بعض هذه الكلمة ببعض . قالوا : وإنّما هى : سَلْ سبيلاً إليها يا محمد . فإن كان كما قالوا فأين معنى تسمَّى ، وعلى أىِّ شىءٍ وقع قوله تسمَّى فتسمّى ماذا . وما ذلك الشىء ؟

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ قالوا الجلود كناية عن الفروج . كأنه كان لا يَرَى أنّ كلام الجِلد من أعجب العجب !

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ ﴾ : إنّ هذا إنّما كان كنايةً عن الغائط . كأنه لا يرى أنّ فى الجوع وما ينال أهلَه من الذِّلَّة والعجز والفاقة . وأنّه ليس فى الحاجة إلى الغذاء — ما يُكتَفَى بِه فى الدّلالة على أنّهما مخلوقان . حتّى يدَّعىَ على الكلام ويدّعى له شيئاً قد أغناه الله تعالى عنه .

---

(١) فى القاموس : المِقطرة : المجمرة ، وخشبة فيها خروق على قدر سعة رجل المحبوسين .

Marfat.com

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ : إنّه إنما عنى قلبه . ١٦٩

ومن أعجب التأويل قول اللّحيانى : (الجبّار) من الرجال يكون على وجوه : يكون جبّاراً فى الضّخم والقوّة ، فتأوّل قوله تعالى : ﴿ إنّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ ﴾ قال : ويكون جبّاراً على معنى قتّالا . وتأوّل فى ذلك : ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ . وقوله لموسى صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنْ تُرِيدُ إِلاّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِى الْأَرْضِ ﴾ أى قتّالاً بغير حقّ . والجبارُ : المتكبّر عن عبادة الله تعالى . وتأوّل قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً [1] ﴾ . وتأوّل فى ذلك قول عيسى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّاراً شَقِيّاً ﴾ أى لم يجعلنى متكبّراً عن عبادته . قال الجبّار : المسلّط القاهر . وقال : وهو قوله : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ أى مسلّط فتقهرهم على الإسلام . والجبّار : الله .

وتأوّل أيضاً (الخوف) على وجوه . وهو واحد فى اللّفظ ، وكان الفرّاء يقول : الخوف على الشّىء وجهه . وكذلك الخَشْية . وهذه كلّه ترجع إلى معنى واحد ، إلاّ أنّه لا يجوز أن يوصف به إلاّ الله عزّ وجلّ .

(تكلّف بعض القضاة فى أحكامهم)

وقال رجل لعبيد الله بن الحسن القاضى : إنّ لى على رجل ألف درهم فى الخصوص . قال : ذهب فاشتر به خيلا . فقال الرجل : أيّ الخصوص ! قال : أما سمعت قول الشّاعر :

Marfat.com

ولقد علمتْ على تجنُّبِيَ الرَّدى[1] أنّ الحصونَ الخيلُ لا مَدَرُ القُرَى

فينبغى فى مثل هذا القياس على هـذا التأويل ، أنّه ما قيل للمدن والحصون حصون إلاّ على التشبيه بالخيل .

وخبَّرنى النُّوشِروانىّ قال : قلت للحسن القاضى : أوصى جدِّى بثلث ماله لأولاده . وأنا من أولاده . قال : ليس لك شىء . قلت : ولم ؟ قال : أو ما سمعت قول الشاعر[2] :

بنُـونا بنو أبنائِنا وبنـاتُنا بنُوهُنَّ أبناءُ الرِّجالِ الأباعِدِ

قال : فشكوت ذلك إلى فلان فزادنى شرًّا .

وقالوا فى قوله : مَاسَاءَكَ وَنَاءَكَ : [ناءك] : أبعدك . قالوا : وساءك[3] أرضاك . قال : لقوله تعالى : ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ . وبئس التكلُّف .

وقال ابن قَمِيئة[4] :

وحمّال أثقال إذا هى أُفرِضت على لأصل لا يَستطيعُها المتكلِّفُ

وقال الله وهو يخبر عن نبيِّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وليس يُؤتَى القوم إلاّ من الطمع ، ومن شدّة إعجابهم بالغريب من التأويل .

---

(١) فى ط : « الورى » وهو تحريف مافى س .

(٢) هذا البيت لا يُعرف له قائل ، كما صرح بذلك العينى ، والسيوطى فى شرح شواهد المغنى ٢٨٧ . ولكن وجدته البغدادى فى الخزانة ١ : ٤٠٢ قد نقل عن الكرمانى أن قائله هو الفرزدق .

(٣) ط : « ماساءك وناءك » وتصحيحه من س . وقد زدت الكلمة التى بين معكفين ليستقيم الكلام . وفى ط : « برصك » وصوابه فى س .

(٤) ط : « ابن قمئة » وصوابه : « ابن قميئة » والبيت فى البيان ٢ : ١٨ .

Marfat.com

(رأى فى أبى حنيفة)

وسئل حَفص بن غِياث ، عن فقه أبى حنيفة ، فقال : أعلم الناس بما لم يكنْ ، وأجهلُ الناس بما كان[1] !

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عن النَّعيم ﴾ قالوا : النعيم : الماءُ الحارُّ فى الشتاء ، والبارد فى الصيف .

(الضَّرورة)

ومن الأسماء الحادثة التى قامت مقامَ الأسماء الجاهليَّة ، قولهم فى الإسلام لمنْ لم يحجّ : ضَرورة .

وأنتَ إذا قرأتَ شعارَ جاهليّة وجدتَه [illegible] خلافِ هذا الموضع ، قال بعضُ المقرونة الفصحى[2] :

لو أنها عرضت لأشمط راهب [illegible]

لدنا[3] ببهجتها ، وحسن حديثها [illegible]

والضرورة عندهم ما دعا [illegible] اسمٌ لما لم يجزْ قطّ [illegible] كما ترى .

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

Marfat.com

(ألفاظ القرآن الكريم)

فإذا كانت العرب يشتقُّون كلاماً من كلامهم وأسماءً من أسمائهم ، واللغة عاريَة فى أيديهم ممَّن خلقَهم ومكَّنهم وألهمهم وعلَّمهم ، وكان ذلك منهم صواباً عند جميع الناس ؛ فالذى أعارهمْ هـذه النِّعمةَ أحقُّ بالاشتقاق وأوجبُ طاعةً . وكما أنَّ له أن يبتدئَ الأسماءَ ؛ فكذلك له أن يبتدئها ممَّا أحَبَّ . . قد سمَّى كتابَه المنزلَ قرآناً ، وهذا الاسم لم يكنْ حتى كان ، وجعل السجودَ للشمس كفراً ، فلا يجوز أن يكون السجود لها كفراً إلاّ وترك ذلك السجود بعينه يكون إيماناً . والترك للشيء لا يكون إلاّ بالجارحة التى [1] كان بها الشيء ، وفى مقداره من الزمان ، وتكون بدلاً منه وعَقِبا . فواحدةٌ أن يسمَّى السجود كفراً ، وإذا كان كفراً كان جحوداً وإذا كان جحودا كان شركاً ، والسجود ليس بجَحْد ، والجحد ليس بإشراك إلاَّ أن تصرفه إلى الوجه الذى يصير [به[2]] إشراكا .

(ما اشتق من نباح الكلابِ وما قيل من الشعر فيه)

وقال طُفيل الغَنَوِىّ[3] :

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مُقامةٍ ولم تَرَ نَاراً تِمَّ حَولٍ مجرَّمِ

وإنَّما أخذ ذلك للجميع من نباح الكلاب .

---

(١) فى الأصل : حتى .

(٢) كلمة يحتاج إليها القول .

(٣) البيت فى الشعراء لابن قتيبة ٢٨٠ منسوب إلى ابن مقبل . وفى ثمار القلوب ٤٦٢ :

عوازب لم تسمع بنوح حمامة .

Marfat.com

وذكروا أن الظّبىَ إذا أسنَّ ونبتَتْ لقرونه شُعَبٌ نَبَح . وهو قول أبى دُوَاد[1] :

وقصرَى شَنِج الأَنْسَاءِ نبَّاح من الشعب

يعنى من جهة الشعب . وأنشد بعضهم :

وينبَحُ بينَ الشعبِ نبحًا كأنّه نَبَاحُ سَلُوقٍ أبصَرَتْ ذِئبَها ١١١

وبَيَّضها الهُزْل المسوِّدُ غَيْرَها كما ابيضَّ عن حَمْضِ المَراحِ نَبِيُّها[2]

لأن الظّبىَ إذا هُزِل ابيضّ . والبعير يَشِيب وجهُه من أكل الحمْض .

وكذلك قال ابن لَجَأ[3] :

شابَتْ ولمّا تدْنُ من ذَ كَاءِ[4]

كما قال الآخر :

أكلْن حمضًا فالوُجُوه شِيبُ شُرْبن حتّى نَزِح القليبُ

وقد تصير النّاقة حمراء إذا أكلت حبشيّة . ولذلك قال الشاعر :

حمراء لاحبَشيّة لآه

وما أشبه ذلك بقول العبدىّ[5] :

وِدَاوِيتها حتّى شَتِتْ حبشيّة ذَنَبٍ [illegible]

---

(١) فى الأصل : [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

والدَّواء : اللبن ، فلذلك تصير الفرس إذا ألقت شعرها وطرّت ، تستديل هذا اللون .

وقال خالد بن الصَّقْعب النَّهدى[1] :

هَبَطْنَا بعدَ عهدِك بَطْنَ خَبْتٍ تَظَلُّ حمامُه مثلَ الحُصُومِ
كأنَّ عرينَ أيكتِه تَلاقَى به جُمَّانِ من نَبَطٍ ورُومِ[2]
نُباحُ الهدْهدِ الحَوْلِىِّ فيه كَنَبْحِ الكَلْبِ فى الأَنَسِ المقيمِ[3]

ويقال إنّ الهدهد ينبَحُ . وربّما جعلوا الهُدْهُدَ . (الذى ينبح) . حمامَ الذكر . قال الشاعر — وهو يصف الحمام الذَّكَرَ كيف يصنع فيها — :

وإذا استترن أَرَنَّ فيها هُدْهُدٌ مثلُ المَدَاكِ خَضَبْتَهُ بِجِسادِ[4]

وقال طُفَيل فى النُّبوح والنجاءات[5] :

وأشْعَثَ تَزْهَاه النُّبوحُ مُدَفَّعٍ عنِ الزَّادِ مِمَّا جَلَّفَ الدهرُ مُحْثَلِ[6]

وقال الجعدى[7] :

فلما دَنَونا لِصَوْتِ النُّباحِ وَلا نُبْصِرُ الحىَّ إلاّ التَّماسَا

وقال ابن عبدل :

آنَيْتُ إذ آليتُ مجتهِـدًا ورفعتُ صوتًا مابه بَحَحُ
لايُدْرِكُ الشـعراءُ منزلتى فى الشعرِ إنْ سكَتُوا وإنْ نَبَحُوا

١٧٢ وقال عمرو بن كلثوم :

---

(١) قصيدة هذا الشعر رواها ابن الشجرى فى حماسته وفسرها (٢٨٩ — ٢٩١) .
(٢) فى الأصل : « عريك » و « تلاع » و « قبط » وتصحيحه من الحماسة .
(٣) هذه فى ط ، وما بعدها فى س .
(٤) ط : « وإذا استترن » . والمداك : حجر يسحق عليه الطيب . والجساد : الزعفران .
(٥) فى الأصل : « الجاعات » .
(٦) المحثل : « سيئ الحال » . وروية نسخة : « من حرف الدهر » . وفى الأصل : « حلف الدهر » . صوابه بالجيم كما فى المخصص ٢ : ١٣٠ .
(٧) هو للنابغة الجعدى . وانظر الأغانى (٤ : ١١٥) .

Marfat.com

وَقَدْ هَرَّتْ كلابُ الحَىِّ مِنَّا وشَذَّبْنَاَ قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا

وقال بعض العلماء : كلاب الحىّ شعراؤهم ، وهم الذين ينبحون دونهم ويحمون أعراضهم . وقال آخرون : إن كلابَ الحَىِّ كلُّ عقورٍ . وكلُّ ذى عُيون أربع [1] .

وأما قوله [2] :

لَعَمْرُكَ ماخَشِيتُ على أُبَىٍّ رِماحَ بنى مقيادةِ الحمارِ [3]

ولكنِّى خَشِيتُ على أُبَىٍّ رِماحَ الجنِّ أو إيَّاكَ حارِ [4]

فالطَّواعين [5] هى عند العرب رماح الجن . وفى الحديث : إن الطاعون وَخْزٌ من الشيطان .

وقال أبو سعدى [6] :

لابدَّ للمَرْءِ من أُرْدِحِ ... ومن سَفِيهٍ دائمِ النُّباحِ

ومن عَدِيدٍ يَتَّقِى بالرَّمْحِ

وقال الأعشى :

مثلَ أيادٍ لنا نعرفُها ... هرَّ كلابِ الناسِ فيها نبيحْ

لأن لأحلامٍ فى مجسِّمٍ ... ذى كاشحٍ فى الحىِّ ذى

---

(١) ...

(٢) ...

(٣) ...

(٤) ...

(٥) ...

(٦) ...

Marfat.com

وقال :

سيَنْبَحُ كلبى جاهدًا مِن ورائكم وأغنى غَنَائى عنكمُ أن أُؤنَّبا

وقال أبو ذؤيب :

ولا هَرَّها كَلبى ليبعد تعْرها[1] ولو نَبَحَتْنِى بالشَّكاةِ كلابُها

كلابها : شعراؤها ، وهو قول بشر بن أبى خازم :

وإنِّى والشَّكاةَ لآلِ لأْمٍ كذاتِ الضَّغْنِ تَمشى فى الرِّفاقِ

وقال أبو زُبَيْد[2] :

ألم تَرَنى سكَّنْتُ لأيًا كلابَهُمْ وكفكفت عنكم أكلُبى وَهى عُقَّرُ

(هجاء ضروب من الحيوان)

١١٣ قال صاحب الكلب : قد علمنا أنّكم تتبَّعتم على الكلب كلَّ شىءٍ هُجِى به . وجعلتم ذلك دليلا على سقوط قدْره وعلى لؤم طبعه ؛ وقد رأينا الشعراء قد هَجَوا الأصناف كلَّها . فلَمْ يُفلت منهم إنسان ولا سبع ، ولا بهيمةٌ ولا طائر ولا هَمَج ولا حشَرة . ولا رفيع من الناس ولا وضيع .

---

(١) هر . كع : صلح . وفى ط : تعرها ، تحرقا .

(٢) هو أبو زبيد الطائى . واسمه حرملة بن المنذر . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ولكن لسنه فصيحة بليغة الوصف ؛ وصف الأسد بحضرة عثمان وصفاً بلغ فيه الغاية . الأغانى ١١ : ٢٣ - ٢٥ . وقد ترجمه البغدادى فى الخزانة ٤ : ١٤٣ والسجستانى فى المعمرين ٩٨ لندن . وابن حجر فى الإصابة ٤٨٠ قسم الكنى وزبيد بهيئة التصغير .

Marfat.com

إلاّ أن يَسلم بعضُ ذلك عليهم بالحمول ، فكفاك بالحمول دِقَّةً ولُؤماً وقِلَّة ونَذالة . وقال أميَّة بن أبى عائذ لإياس بن سهم :

فأبْلِغْ إياساً أَنَّ عِرضَ ابنِ أُختِكمْ
رِداؤُك فاصطَنْ حسنه أو تبذَّلِ (١)
فإن تكُ ذا طوْلٍ فإنى ابنُ أُختكم
وكلُّ ابنِ أختٍ من نَدَى الخال مغتلِى (٢)
فكنْ أسداً أو ثعلباً أو شبيَهه
فمهما تكنْ أُنسَبْ إليك وأشكل
فما ثعلبٌ إلاَّ ابن أخت ثُعالة (٣)
وإنَّ ابنَ أختِ اللَّيثِ ريبالُ أشبُلِ
ولن تجد الآسادَ أخوالَ ثعلب إذ كانت أشيجَ تعوذُ غيضل

فهذا من الثعلب . وقال مزرّد بن ضرار (٤) :

وإنّ كناز اللحم من بكراتكمْ تهزّ عليها شكّكمْ وتلاتب
وليتَ الذى أبقى فناؤك وحده لتقريبه بانتْ وفيه الكتائب

فقد وضع الثعلب كما ترى بهذا الموضع الذى تضعه به بنات آوى والضباع ؛

فما عادت بذى يمن أكفّه ولا خطّت لغيرك

---

(١) فى لسان العرب : معتلى .
(٢) فى لسان العرب : ...
فى ديوان الأدب : ...
(٣) فى ديوان الأدب : ...
(٤) فى ط : ...
(٥) فى الأصل : ...

Marfat.com

كعنْزِ السَّوءِ تنطَحُ من خلاها[1] وتَرْأَمُ من يُحِدُّ لهـا الشِّفَارا

وهذا قول الشاعر فى العنز . وقال ابن أحمر :

إنا وجدْنَا بنى سهْمٍ وجامِلَهم كالعنْزِ تَعْطِف رَوقيها فترتَضِعُ

وقال الفرزدق :

على حينَ لم أترك على الأرضِ حَيّة ولا نابحاً إلا استقرَّ عَقُورها

وكان نُفَيع إذ هجانى لأهْلِه كباحثةٍ عن مُدْيةٍ تستثيرُها

فهذا قولهم فى العنز . ولا نعلم فى الأرض أقلَّ شرًّا ولا أكثر خيراً من شاة .

وقال الُخرَيمىُّ[2] :

يا لَلرجال لقومٍ قد مَلِئْتُهم أرى جِوارَهمُ إحدى البليَّات

١٧٤ ذئبٌ رضيع وخِنزير تُعارِضُها عَقارِبٌ وُجِنَتْ وَجْنًا بِحَيَّاتِ[3]

ما ضَنَّكم بأناس خَيْرُ كسبهمُ مُصَرَّح السُّحتِ سَمَّوه الأَمَانات

فهذا قولهم فى العقارب والحيَّاتِ والضِّباع والخنازير .

وقال حماد عَجْردٍ فى بَشَّار :

قد كان فى حىٍّ غزالةَ شاغِلٌ للقرد عن شَتْمى وفى ثوْبَانِ

أو فى سميعةَ أُختِها وشِرادِها لجونها مع سِفْلة المُجّانِ

أو بيت ضيق عرسه وركوبها شرّ البِغاءِ بأوكَسِ الأثمانِ[4]

---

(١) ط : « فلاها » وتصحيحه من س . والشعر سبق فى ص ٢٣١ .

(٢) فى الأصل : « الخزيمى » وهو « الخريمى » كما سبق التنبيه فى ص ٢٢٤ .

(٣) أصل الوجن : الدق ، ومنه ميجنة القصار ، وجعله الشاعر هنا للخلط .

(٤) فى الشعر تحريف .

Marfat.com

، هذا قول حماد فى القرد . وقال حمَّاد فى بشَّار بن بُرد أيضاً :

ولـكنْ مَعاذَ اللهِ لستُ بقاذِفٍ بَريئاً لسوَّاق لِقَومٍ نوائحِ
وما قلتُ فى الأعمى لِجَهلٍ وأمّه ولـكِنْ بأمرٍ بيِّنٍ لىَ واضحِ
سأُعرِضُ صفحاً عن حُصينٍ لأمِّه ولست عن القِرد ابن برْدٍ بصافِحِ

وقال الآخر :

لمـا أتيت ابنَى يزيدَ بْن خَثْعَمٍ أرى القردَ والخنْزِيرَ مُحْتَبِيانِ
أمَامَ بُيوتِ القومِ من آل خَثْعَمٍ وراءَ قَبِيحاتِ الوجوه بطانِ

وقال العتَّابى :

سْجدْ لقِرْد السَّوءِ فى زَمَانِه وإن تلقَّاك خَنْزوانِه[1]
لا سيَّما دام فى سلطانه

وقال أبو الشمقمق :

بن رياحَ اللُّؤم من شحمه[2] لا يشبَع خنزير فى مَنْجِله
كفّاه قُفل مال مفتحة قد يئس الخلّاق من فتحه

وقال خلف بن خليفة[3] :

فسبحان من رزقه واسع يعم به القرد والقرده

(١) ...
(٢) ...
(٣) ...

Marfat.com

وهذا كثير . ولعمرى لو جُمِع كلُّه لكان مثلَ هِجاء الناس للكلب، وكذلك لو جمع جميعُ ما مُدِح به الأسدُ فما دُونه ، والأمثالُ السائرةُ التى وقعت فى حَمد هذه الأشياء، لمَا كانت كلُّها فى مقدارِ مديح الكلب . فهذه حُجَّتُنا فى مَرتبةِ الكلب على جميع السباع والبهائم .

١٧٥ ولما قال معبدٌ فى قتل الكلب ، وتلا قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾ قال أبو إسحاق : وإن كنتَ إنَّما جعلتَ الكلب شرّ الخلق بهذه العلَّة . فقد قال على نسق هذا الكلام : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ فالذى قال فى الإبل والبقَر والغنَم أعظم، فأَسْقِطْ من أقدارها بقدر معنى الكلام . وأدنى ذلك أن تُشرِك بين الجميع فى الذمّ فإنَّك متى أنصفتَ فى هذا الوجه . دعاك ذلك إلى أن تُنْصِفها فى تتبُّع مالها من الأشعار والأمثال والأخبار والآيات . كما تتبَّعت ما عليها .

Marfat.com

(الشرف والخمول فى قبائل العرب)

وقال صاحب الكلب : سنضرب مثلا بيننا يكون عَدلا : إذا استوى القبِيلان فى تقادم الميلاد ثم كان أحد الأبوين كثير الذرء[1] والفُرسان والحكماء والأجواد والشعراء ، وكثيرَ السادات فى العشائر ، وكثيرَ الرؤساء [فى] الأرحَاء[2] وكان الآخر قليل الذَّرء[1] والعدد ، ولم يكن فيهم خير كثيرٌ ولا شر كثير ، خملوا أو دخلوا فى غمار العرب ، وغَرِقُوا فى معظم الناس[3] ، وكانوا من المغمورين ومن المنسيِّينَ ، فسَلموا من ضروب الخجاء ومن أكثرِ ذلك ، وسلموا من أنْ يُضرَبَ بهم المثل فى قِلَّة ونذالة إذا لم يكن شرٌّ ، وكان محلُّهم من القلوب محلّ من لايَغْبِط الشعراءُ[4] ، ولا يحسدهم الأكفاءُ ؛ وكانوا كما قال حُميد بن ثور :

وقُولا إذا جَاوزتما أرْضَ عامرٍ ... وجاوزتما خيفَيْ نَهًى وَلُحَيْمَا

نَزيعانِ من جَرْمِ بن رَيَّانَ إنَّهم ... بَنُو الخَيْرِ يَبْقَى ذِكْرُهُ لِلْمُخَضْرَمِ[5]

وإذا تقادم الميلاد ولم يكن الذَّرْء[1] وكان فيهم خير كثير وشر كثير ، ومثالب ومناقب ، لم يَسلموا من أن يُضرَبَ بهم المثل ، ولعلّ أيضا أن تتفق فيهم أشعار تتصل بمحبة الناس لهم ، ومثل هذه

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

العلماء ، فيصيرُ حينئذٍ من لاخير فيه ولا شرَّ ، أمْثلَ حالًا فى العامَّةِ ، ممَّن فيه الفضلُ الكثيرُ وبعضُ النقص . ولا سيَّما إذا جاوَروا من يأكُلهم
١٧٦ وحالَفوا من لاينصفهم ، كما لقيت غَنِيّ أو باهلة .

ولو أنَّ عبْسًا أقامت فى بنى عامر ضِعفَ ما أقامت ، لذهب شَطْرُ شرفها ؛ ولكنَّ قيسَ بن زُهير لمَّا رأى دلائل الشرِّ قال لأصحابه : الذلُّ فى بنى غَطفَان خير من العزِّ فى بنى عامر !

وقد يكون القوم حُلولًا مع بنى أعمامهم ، فإذا رأوا فضْلهم عليهم حَسدوهم وإن تركوا شيئا من إنصافهم اشتدَّ ذلك عليهم وتعاظَمَهم ، بأكثر من قدره ، فدَعاهم ذلك إلى الخروج منهم إلى أعدائهم . فإذا صاروا إلى آخرين نهكوهم وحملوا عليهم ، فوقَ الذى كانوا فيه من بنى أعمامهم ، حتى يدْعُوَهم ذلك إلى النَّدم على مفارقتهم ، فلا يستطيعون الرُّجوع ، حميةً واتقاء[1] ، ومخافَة أن يعودوا ثم إلى شىء مما كانوا عليه ، وإلى المقام[2] فى حلفائهم الذين يرون من احتقارهم ، ومِن شدَّة الصَّولة عليهم .

(بكلِّ وادٍ بنو سعد)

وقد خرج الأضبَطُ بن قُريع السَّعْدِىُّ من بنى سعد ، فجاوَرَ ناساً ، فلما رأى مذْهبَهم وظُلمهم ونَهْكهم[3] ، قال : « بكلِّ وادٍ بَنُو سعد ! » فأرسلها مثلا .

---

(١) لعلها : « حمية وإبقاء » .
(٢) فى الأصل : « ولا المقام » .
(٣) فى الأصل : « وتهكمهم » وهو تحريف .

Marfat.com

وقد كان عبَّاس بن ريطة الرِّعلى سيِّد بنى سُليم ، وقد ناله ضيم فى بعض الأمر ، فأبى الضَّيم ، فلما حاولَ مفارقتَهم [إلى] بنى غَنْم عزَّ عَلَيْهِ[1] فقال فى كلمة له :

وأُمُّكم تُزْجِى التؤام لبَعْلِها وأمُّ أخِيكم كزَّةُ الرِّحْم عاقِرُ

وزعموا أنَّ أبا عمرو أنشد هذا الشعر[2] ، وخبّر عن هذه القصّة فى يوم من أيامه ، فدمعت عينُه ، فحلف شُبَيل بن عَزرة[3] بالطلاق : إنَّه لَعَرَبىٌّ فى الحقيقة لغِيَّةٍ أو لرِشْدة !

(قبائل فى شطرها خير كثير

وفى الشطر الآخر شرف وضعة)

فمن القبائل المتقادمة فى الميلاد التى فى شطرها خير كثير ، وفى الشطر الآخر شرف وضَعة ، مثل قبائل غطفان وقيس عيلان ، ومثل فزارة ومرّة وشعبة ، ومثل عبس وعبد الله بن غطفان ، ثم غنىّ[4] وبغيضة ، وذبيان والحُطَم ، فالشرف والخطر فى عبس وذبيان ، ومثل وائل وتغلب وبكر وعدىّ والنمر ، مثل[5] باهلة وغنىّ ، فمَا نَبَتَ من صرائب هذه الشعوب ، وحتى كأنه آلة[6] لمدارج الأقدام ، يتعلّب فيه كلّ سبع ، ويعتصر فيه كلّ فرس .

---

(١) فى الأصل : [illegible]

(٢) فى الأصل : [illegible]

(٣) فى الأصل : [illegible]

(٤) فى الأصل : [illegible]

(٥) فى الأصل : [illegible]

(٦) [illegible]

Marfat.com

وربّما ذكروا اليعسوب والطفاوة ، وهاربة البقعاء[١] وأشجَع الجنثى ببعض الذِّكر . وذلك مشهور فى خصائص العلماء ولا يجوز ذلك صدورَهم . وجلُّ معظم البلاء لم يقع [إلَّا][٢] بغنىٍّ وباهلة ، وهم أرفع من هؤلاء وأكثر فضولًا ومناقب ، حتى صار من لاخير فيه ولا شرَّ عنده أحسنَ حالا ممَّن فيه الخير الكثير وبعض الشرّ ، وصار مثلهم كما قال الشاعر[٣] :

١٧٧ اضرب نَدَى طَلْحَةِ الطَّلْحَات مبتدئا

بِبُخْلٍ أشْعثَ واستَثْبِتْ وكُنْ حكما[٤]

تخرج خُزاعة من لؤم ومِن كرمٍ

ولا تعُدَّ لها لؤمًا ولا كرمًا[٥]

وقد ظرف فى شعره فظلم خُزاعةَ ظُلما عبقريًّا .

وقال فى مثل ذلك الأشعر الرَّقَبان[٦] الأسدىّ :

---

(١) هاربة البقعاء هى هاربة بن ذبيان ، انظر القاموس (هرب) ومعجم البلدان (الهاربية) مع المعارف لابن قتيبة (نسب ذبيان بن بغيض) ص ٣٧ .

(٢) حرف يصلح به الكلام .

(٣) هو دعبل بن على الخزاعى كما فى الأغانى ١٨ : ٤٤ ، ٤٨ ، وزهر الآداب ٤ : ٢٠٦ .

(٤) فى ط : « بذى طلحة » ، وتصحيحه من س ، ومن الأغانى . والرواية فيها :

« بلؤم (مطلب) فينا وكن حكما »

والمطلب الذى يعنيه هو ابن عبد الله بن مالك . كان واليا على مصر . وقد كان ولى دعبلا عن أسوان . فلما سمعه يهجوه بهذا الشعر المتقدم عزله عنها .

(٥) فى الأصل : « ولا تغركها » وليس بشىء وصوابه فى الأغانى .

(٦) فى ط : « وقال فى ذلك الشعر الرقيان » وفى س : « وقال فى مثل ذلك الشعر الرقبان » وتوجه ما أثبت . والأشعر لقب للرقبان . وهو شاعر جاهلى . والشعر فى نوادر أبى زيد ٧٣ وعيون الأخبار ٢ : ١٩٥ ، ٣ : ٢٦٨ وأمالى القالى ٢ : ٢١١ . وانظر لسان وتاج العروس (ضرر ، مسخ) .

Marfat.com

يحسْبِك فى القوْمِ أن يعْلموا بأنّك فيهم غنىٌّ مُضِر
وأنت مليخ كلحْم الحُوَارِ فلا أنت حُلْوٌ ولا أنت مُرّ

وكما قال الشاعر فى علباءَ بن حبيب حيث يقول :

أرى العِلباء كالْعِلْبَاءِ لا حـــلوٌ ولا مُرّ
شُيَيْخٌ من بنى الجـارو دِ لا خـــير ولا شرّ

فهذا ونحوه من أشدّ الهجاءِ .

والخمول اسمٌ لجميع أصناف النَّقْصِ كلِّها أو عامَّتها . ولكنَّه كالسِّرْو عند العلماء . وليس ينفعك العامَّة إذا ضرّتك الخاصَّة .

ومن هذا الضرب تميم بن مرّ . وثور وعُكْل ، وتيم ومزينة . ففى عُكْل وتيم ومزَينة من الشرف والفضل . ما ليس فى ثور . وقد سلم ثور إلّا من الشىء اليسير ، مما لا يروِيه إلّا العلماء . ثم حلّت البليّة وبركة الشرّ ، والتحف الهجاء على عُكْل وتيم . وقد شعّثوا بين مزينة شيئا . ولكنهم حبّبهم إلى المسلمين فاضلة ما تبيّن لهم من الإسلام . حين قلّ حظّ تيم ومزينة وقد نالوا من فضلة . مع ما فى فضلة من خصال الشريعة . لأن ذلك من نقص ولدُد فى العلم عن دائه الذى قعد بكثير الآخرين لكل فضيلة .

حتى يروا تسليم فرائض الله حظّ من حظّ له ، وخصال من خصال فى الذوائب ، وحتى يرى ذلك فى بعض الفضلة ، ولا [illegible] والدخلاء . ثم لا يجدون من ذلك بدّا [illegible] فالمتباحدهم . فإنه لن تعمل [illegible]

---

(١) فى الأصل : [illegible]

Marfat.com

وقد أعان غيلان[1] على الأحنف بكلمة ، فقال الأحنف : عبدٌ في الجاهليَّة ، أتباعٌ في الإسلام .

فإن هربوا تفرّقوا فصاروا أشلاءً في البلاد ، فصار حكمُهم حكم من درج ، وحكمُ أبيهم كحكم من لم يُعقِب . وإن هم حالفوا القرباء فذلك حيث لا يرفعون رءوسهم من الذلّ والغرم .

(الحلف عند العرب)

والحِلْف[2] ضربان : فأحدهما كانضمام عبس وضبَّة . وأسد وغطفان فإنَّ هؤلاء أقوياءُ لم يُنهكوا كما نُهكت باهلة وغنىّ ، لحاجةِ القوم إليهم ، ولخشونة مسِّهم إن تذكّروا[3] على حال ؛ فقد لقِيت ضبَّةُ من سعدٍ ، وعبسٌ ١٧٨ من عامر ، وأسدٌ من عيينة بن حصن ما[4] لقُوا .

وقد رأيت مشقَّةَ ذلك على النابغة ، وكيف كرِه خروج أسد من بني ذبيان .

وعيينةُ بن حصن وإن كان أسود من النابغة رأشرف ، فإنَّ النابغةَ كان أحزم وأعقل .

---

(١) لعلها : « عال غيلان » بمعنى جار وجاوز الحد . فإن غيلان هذا هو غيلان بن خرشة . انظر حديثه مع الأحنف في البيان ٢ : ٨٨ و ٣ : ٩٨ .

(٢) ط : « الخلف » وصوابه في س .

(٣) كذا .

(٤) في الأصل : « ها » .

Marfat.com

وقد سلمت ثور وابتُليت عُكل وتيم ، ولولا الربيع بن خُثَيم [١] وسُفيان الثَّورى ، لما علمت العامَّةُ أنَّ فى العرب قبيلةً يقال لها ثور . ولَشَريفٌ واحدٌ مِّمَّن قَبَلت [٢] تيم أكثرُ من ثور وما ولد .

وكذلك بَلْعَنبر ، قد ابتُليت وظلمت وبُخست ، مع ما فيها من الفُرسان والشُّعراء ، ومن الزُّهاد ، ومن الفقهاء ، ومن القضاة والوُلاة ، ومن نوادر الرِّجال إسلاميِّين وجاهليِّين .

وقد سلمت كعب بن عمرو ؛ فإنه لم ينلها من الخجاء إلَّا الخمش [٣] والنُّتف .

وربَّ قومٍ قد رضُوا بخمولهم مع السلامة على العافية ، فلا يشعرون حتَّى يصبَّ الله تعالى على قممِ رءوسهم حجارةَ القذف . بأبيات يسيرة شاعر ، وسوطَ عذابٍ يسير به الراكبُ والماشى . كما قال الشاعر :

إن مَنافا فقحة [٤] لا ترد [٤] كل الثغاء فقحة لا ترد

وقال الشاعر [٥] :

وجَدْنا الخمرَ من شَرِّ المطايا كذلك خيرُ ما ركب الرجال

فما اليسع فى جنب البعير ، بأحق من بعض الشعر .

---

(١) فى الأصل : [illegible]

(٢) فى الأصل : [illegible]

(٣) الخمش [illegible]

(٤) فى الأصل : [illegible]

(٥) [illegible]

Marfat.com

(أثر الشعر فى نباهة القبيلة)

وإذا كان بيت واحد يربطه الشاعر فى قوم لهم النباهة والعَدد والمَعال ، مثل نُمير ، يصير أهلُه إلى ما صارت إليه نُمير وغير نمير ، فما ظنُّكَ بالظُّلَيم وبمناف وبالحَبِطات ، وقد بلغ مضرَّةُ جرير عليهم حيثُ قال :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِن نُمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

إلى أن قال شاعر آخر وهو يهجو قَوْمًا آخَرين :

وسَوفَ يزيدُكم ضَعةً هِجَائى كما وضعَ الهِجاءُ بَنِي نُمَيْرِ

وحتّى قال أبو الرُّدَيْنى :

أتُوعِدُنى لِتَقْتُلَنِي نُمَيْرٌ مَتى قَتَلَتْ نُمَيْرٌ مَنْ هَجَاهَا

(بكاء العرب من الهجاء وذكر بعض من بكى منهم لذلك)

ولأمر مَّا بكت العربُ بالدموع الغِزار من وقعِ الهجاء ، وهذا من أوَّل كرمها ، كما بكى مخارقُ بن شِهاب[1] ، وكما بكى عَلقمة بن عُلاثة ، ١٧٩ وكما بكى عبد الله بن جُدعان من بيتٍ خُداش[2] بن زهير . وما زال يهجوه من غير أن يكون [رآه ، ولو][3] كان رآه ورأى جماله وبهاءه ونبله [و][4] الذى يقع فى النفوس من تفضيله ومحبته [و[4]] من إجلاله والرقة عليه — أمسك . ألا

---

(١) اسمه بكاء هو مخرز بن الشكعر العنبرى ، وانظر الحديث فى البيان ٤ : ٤١ — ٤٢ .
(٢) فى الأصل : « خرائش » .
(٣) زيادة يقتضيها الكلام وليست بالأصل .
(٤) ليس بالأصل .

Marfat.com

ترى أن النَّبيت وغسَّان بن مالك بن عمرو بن تميم [١] ، ليس يعرفهم بالعجز والقلَّة إلاَّ دَغفل بن حنظلة [٢] ، وإلاَّ النخَّار العُذرىّ وإلا الكيِّس النمرىّ [٣] . وإلاَّ صُحار العبدى ، وإلاَّ ابن سَرِيَّة وأبو السَّطَّاح [٤] وأشباههم ومن شابه طريقهم والاقتباس من مواريثهم ؛ وقد سلموا على العامة وحصلوا نسب العرب فالرجل منهم عربى تميمى ، فهو يعطى حق القوم فى الجملة ولا يقتضى ما عليه وعلى رهطه فى الخاصّة . والحرمان أسوأ حالا فى العامة من هذه القبائل الخاملة وهم أعدّ وأجلد .

(ماتبتلى به القبائل فيصيبها بالخمول)

ودليَّة أخرى : أنْ يكون القبيلُ متقادم الميلاد . فيبقى ذلك فيهم السيادة . وتهيَّأ أن يصير فى ولد إخوتهم الشرف الكامل والعدد التامّ . فيستبين لمكانهم منهم من قدمهم وضعفهم لكل من تقدمهم وسبق إليه أضعافُ الذى هم عليه لو لم يكن لهم إلا شرف إخوتهم .

ومن شؤم الإخوة أنّ شرفهم معهم يحتمهم ، ومن أين لأولاد أولادهم شرفهم شرفٌ من قبلهم من آبائهم ومن بعدهم من ولادهم [illegible] وجرير بن دارم . فهو أنّ المتقدم [illegible] خير آله .

---

(١) فى الأصل : [illegible]

(٢) فى الأصل : [illegible]

(٣) فى الأصل : [illegible]

(٤) فى الأصل : [illegible]

Marfat.com

ولقد ضعضعتْ قُريش — لما جاءتْ به من الخصال الشريفة التامّة ؛ مِنْ أركان كنانة — سَنامَ الأرض وجبلها[1] وعينَها التى تبصر بها ، وأنفَها التى بها تعطس ، فما ظنُّك بمن أبصر بنى زيد بن عبد الله بن دارم ، وبنى نهشل بن دارم ، وبنى مجاشع بن دارم ، ثمَّ رأى بنى فقُيم بن جرير ابن دارم ؟ !

وكذلك كلُّ أخوَين إذا برَع أحدُهما وسبق وعلا الرِّجال ؛ فى الجود والإفضال ، أو فى الفُرُوسة[2] أو فى البيان ، فإن كان الآخر وسَطاً من الرجال ، قصدُوا بحسن مآثره فى الطبقة السفلى لتَبين البراعةُ فى أخيه ، فصارت قرابُته التى كانت مفخرةً هى التى بلغت به أسفَل السافلين . وكذلك عَنَزَة بن أسد فى ربيعة . ولو كان سودد ربيعة مرَّةً فى عَنَزَة ومرّة فى ضُبَيعة أضْجَمَ ، لكان خيراً لهم اليوم ، ولودَّ كثير من هؤلاء القبائل التى سامت على الشعراء أو على العوامِّ أن يكون فيهم شَطْرُ ماللعنزيِّين من الشرف ، ولو أنَّ الناس وازنوا بين خصال [هذه[3]] القبائل خيرها وشرِّها لكانوا سَوَاءً[4] .

١٨٠ وقال صاحب الكلاب : ذكرتَ عيوبَ الكلاب فقلتَ : الكلب إذا كان فى الدار مَحَق أُجُور أهل الدَّار حتى يأتىَ على أقصاها ، لأنَّ الأجور إذ أُخِذ منها كلَّ يوم وزنَ قيراط ، والقيراط مثل أحد ، لم يلبث على ذلك أن يأتىَ على آخرها . وقلتَ : فى الكلب أشدُّ الأذى على الجار والضيف

---

(١) كذا .
(٢) الفروسة والفروسية : الحذق بركوب الخيل .
(٣) ليست بالأصل .
(٤) فى الأصل : « سعداء » وليس بشىء .

Marfat.com

والدخيل ، يمنعه النَّومَ ليلاً والقائلَة نهاراً ، وأن يسمَعَ الحديث . ثمّ الذى على سامع النُّباح من المؤنة من الصوت الشديد .

ولو لم يكن فى الكلب ما يؤذى بشدَّة صوتِه إلاَّ بإدامة مجاوبة الكلاب لكانَ فى ذلك ممّا ينغِّص العيش ، ويمنع من الكلام والحديث .

(شعر فى النباح والاستنباح)

وقال أرطاة بن سُهَيّة فى بعض افتخاره :

وإنِّى لَقَوَّام إلى الضّيف موهنا ... إذا أغدف السِّترَ البخيلُ الموكلُ[1]

دعَا فأجابَتْهُ كلاب كثيرَةٌ ... على ثقةٍ منّى بما أنا فاعلُ

وما دونَ ضيفى . من تلادٍ تحوزُه ... يدُ الضيف . إلاَّ أنْ تصان نخالُ

وقال ابن هَرْمة :

ومستنبح نبَّهتُ كلبى لصوته ... وقمت له قبل الصباح فجاوب

فجاءَ خَفِىّ الصوتِ قد دسَّ نفسَه ... بضرَّبةِ دسّاسِ العرانين ذائب

فرحَّبت واستبشرت حتّى بسطته[2] ... وقلت له قولى يا كليب لصاحب

وقال آخر :

ومجمنأ عليـــه وهو يبكعه كلبه

ى الكلب يفزع ، ثم الكلب

---

(١) ط : ... وسنه ... فى ص .

(٢) قال المرتضى فى أمالية ٣ : ١١٢ ...

فقال عليه ...

ما بكى فى ...

وقال مزرِّد بن ضرار :

نشأتُ غلاما أَتَّقى الذمَّ بالقِرى إذا ضاف ضيفٌ من فزارةَ راغبُ

فإن آبَ سارٍ أسمَعَ الـكلبَ صوتَه

أتى دون نَبْحِ الـكلبِ ، والـكلب دائبُ

وقال بشَّار بنُ برْد :

سقَى الله القِباب بتلِّ عبدى وبالشرقين أَيَّامَ القِبابِ[1]

وأياماً لنا قَصُرَتْ وطالتْ على فُرعان نائمةَ الـكلابِ

١٨٠ وقال رجل من بنى عبد الله بن غَطفان[2] :

إذ أنتَ لم تستَبْقِ وُدَّ صحابةٍ على دَخن أكثرت بثَّ المعاتِبِ[3]

وإنِّى لأستبقى امرأ السَّوءِ عُدَّةً لعدْوَة عِرِّيضٍ من الناس جانبِ[4]

أخاف كلابَ الأبعدين ونبحها إذا لم تجاوبْها كلابُ الأقارِب

وقال أُحيحة بن الجُلاح[5] :

ما أحْسَنَ الجِيدَ من مُليكةَ واللاَّ بَّاتِ إذ زانها ترائبُها

يا ليتنى ليلة إذَا هجع النَّا سُ ونامَ الـكلابُ صاحبُها

وقلتَ : وفى الـكلب قذارةٌ[6] فى نفسه، وإقذاره أهله لـكثرة سُلاحه وبوله . على أنّهُ لا يرضى بالسُّلاح على السطوح . حتّى يحفر ببراثنه وينقب بأظافره . وفى ذلك التخريب .

---

(١) فى الأصل : « أثار القباب » ، صوابه من ديوان بشار ١ : ٢٤٩ .

(٢) نسب فى حماسة البحترى ٣٩٤ إلى النعمان بن حنظلة العبدى .

(٣) الدخن : الحقد وسوء الخلق ، ومعناه قريب من الدخل .

(٤) العريض، كسكيت : الذى يتعرض للناس بالشر .

(٥) انظر الشعر فى الخزانة ٣ : ٣٢١ .

(٦) فى الأصل : « قذرة » .

Marfat.com

ولو لم يكن إلاّ أنّهُ يكون سبب الوكف ، وفى الوكف من منع النّوم ومن إفساد حُرِّ المتاع ؛ ما لا يخفى مكانه ، مع ما فيه من عضِّ الصبيان وتفزيع الوِلدان ، وشقِّ الثياب ، والتعرُّض للزوّار ، ومع مافى خلقه أيضاً من الطبع المستدعى للصبيان إلى ضربه ورجْمه وتهييجه بالعبث ، ويكون سبباً لعقْرهم والوثوبِ عليهم [1] .

وقلت : وبئس الشيء هو فى الدار . وفيها الحُرَم والأزواج ، والسِّتر رحمةً والحظِيَّات المعشوقات ؛ وذلك أن ذكره أيسرُ ظاهر الحجم . وهو إذا اتّسع وإمّا قائم ، وليس معه ما يواريه . وربما [illegible] وأغلظ خشرتهن . [illegible] يكنَّ مُغيبات [3] أو محتاجات إلى ما يخرج إليه النساء عند غيبة [illegible] عجزَ عن أن يعفّهن .

(وفد قرحان)

وقد روى [illegible] الذى كان يسمّى قرحان [4] ، [illegible] فى ذلك عثمان بن [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

Marfat.com

كان مما يكون ويجوز ويُخافُ مثلُه ، لَما بلغ منه عثمانُ ما بلغ ، حتّى مات في حبسه[1] . وفي ذلك يقول ضابئ بن الحارث :

تَجشَّم نَحوى وَفْدُ قُرحانَ شُقَّةً تَظَلُّ بها الوَجناءُ وهى حَسِيرُ
فزوّدتُهم كلباً فراحوا كأنما حَباهم بتاجِ الهرمزان أميرُ[2] ١٨٢
فأمّكم لا تتركوها وكلبَكم فإنَّ عقوقَ الوالداتِ كبيرُ
إذا عَثَّنَتْ من آخر الليل دُخْنَة يبيت له فوقَ السريرِ هَرِيرُ[3]

(قصص تتعلق بالكلاب)

وزعم اليقطرىُّ أنّهُ أبصرَ رجلاً يكُومُ كلبةً من كِلاب الرعاء ؛ ومرَّ بذلك الزُّبِّ العظيمِ في ثغرها — والثَّفرُ منها ومن السبع ، كالحِرِ من المرأة والظَّبْية من الأتان والحِجر ؛ والحياء من الناقة والشاة — فزعم أنّها لم تعقِد عليه ؛ ولا ندرى أمكّنته أم اغتصبَها نفسَها .

وأما النَّاس ففى مُلح أحاديثهم : أنّ رجلاً أشرفَ على رجل وقد ناك كلبةً فعقَدت عليه ، فبقى أسيرا مستخْزِيا[4] يدور معها حيث دارت . قال : فصاح به الرجل : اضربْ جَنبَيها . فأطاقته ، فرفَعَ رأسه إليه ، فقال : أخزاه الله أىُّ نيَّاكِ كلْباتٍ هو !

---

(١) كتب مصحح الطبعة الأولى من الحيوان : « اتفق أهل الأخبار أن ضابئاً كسر ضلع عثمان يوم الدار وأن الحجج قتل ضابئاً لما ولى العراق » .

(٢) فى الخزانة والنقائض : « بتاج الهرمزان » . وفى الأصل : « بتاج المرزبان » ، والتاج لايكون إلا للملك وما المرزبان إلا رئيس من الرؤساء . وفى الطبرى ٥ : ١٣٧ : « بيت المرزبان » .

(٣) عثنت : دخنت . وفى الأصل : « عاينت » وصوابه فى الخزانة والنقائض .

(٤) ط : « مستحذيا » وصوابه فى س .

Marfat.com

، وخبّرنى من لا أردُّ خبره ، أنّه أشرفَ من سطحٍ له قصير الحائط ، فإذا هو بسَوادٍ فى ظِلِّ القمر فى أصل حائط ، وإذا أنينُ كلبة ، فرأى رأسَ إنسان يدخل فى القمر ، ثم يرجع إلى موضعه من ظِلّ[1] القمر ، فتأمَّل فى ذلك[2] فإذا هو بحارس يذيك كلبة . قال : فرجمتُه وأعلمته أنّى قد رأيته ، فصبَّحنى من الغد يقرَع الباب علىّ . فقلت له : ما حاجتك ؟ وما جاء بك ؟ فلقد ظننتُ أنّك ستركب البحر أو تمضى على وجهك إلى البرارى . قال : جُعِلتُ فِداك ، أسألك أن تستُر علىّ . ستَرَ الله عليك . وأنا أتوب على يديك ! قال : قلت ويلَك . فما اشتهيت من كلبة ؟ ! قال : جُعلت فداك ، كلُّ رجلٍ حارسٍ ليس له زوجةٌ ولا نجل[3] . فهو يذيك إناثَ الكلاب[4] إذْ كنَّ عِظامَ الأجسام . قال : فقلت : فمَ يخاف أن تعضَّه ؟ قال : لو رَامَ ذلك منها غيرُ الحارس التى هى له وقد بتُّ معه فأدخلها فى كِسائه فى ليالى البرد والمطر . لما تركته . وعلى أنّه إن أراد أن يوقعه كلَّه لم تستقرّ له . قال : ونسيتُ أن أسأله : فهل تعقد على أيور النّاس كما تعقد على أيور الكلاب ؟ فلقيته بعد ثلاثين سنة . فقلت : لا أدرى لعلّها لا تعقد عليه . لأنّه لا يدخل فيها فى أصله . وهل ذلك إلّا إنّما هو شىءٌ يحدث بين الكلب والكلبة . وقد حدثنى من يثق بالتحام . قال : فقلت : فطيّبُ هو ؟ قال : قد ذكرت ذلك لبعض أخيواناتى فوجدتُهن كلهنّ أطيب من النساء . قلت : وكيف ذلك ؟

(١) فى الأصل : « حصة » وما أثبتناه من ب .

(٢) فى الأصل : « فى ذلك » وما أثبتناه من ب .

(٣) كذا .

(٤) ط : « إناث الكلاب » .

(٥) « حدثنى من يثق » من ب .

Marfat.com

ما ذاك إلاّ لشدَّة الحرارة . قال : فطال الحديث حتى أَنِس فقلتُ له : فإذا
١٨٣ دار الماء فى صُلْبك وقُربَ الفراغ ؟ قال : فربَّما التزمتُ الكلبةَ
وأهوَيت إلى تقبيلها . ثم قال : أمَا إنَّ الكلابَ أطيبُ شيءٍ أفواهاً ،
وأعذَبُ شيءٍ رِيقا ؛ ولكن لايمكن أنْ أنيكها من قُدَّامٍ ، ولو ذهبتُ
أن أنيكها من خلف وثَنيتُ رأسَها إلى أنْ أقبِّلها ، لم آمَنْ أنْ تظنَّ بى أنى
أريدُ غيرَ ذلك فتُكدِّم فمى ووجهى . قال : فقلت : فإنِّى أسألُك بالذى
يستُرُ عليك . هل نَزَعت عن هذا العمل مُنْذُ أعطيتَنى صفقةَ يدِك بالتَّوبة ؟
قال : ربَّما حنَنتُ إلى ذلك فأَحتبسُ[1] بعهدك . قال : وقلتُ : وإنَّك
لتحنُّ إليها ؟ قال : والله إنى لأَحِنُّ إليها ، ولقد تَزوَّجتُ بعدَك امرأتين .
ولى منهما رجالٌ ونساء . ومن تعوّد شيئاً لم يكد يصبِرُ عنه ! قال :
فقلت له : هل تَعرف اليومَ فى الحُرّاس مَن ينيك الكلبات ؟ قال : نعم ،
خذ محمويه الأحمر . وخذ يشجب الحارسُ . وخذ قفا الشاة . وخذ فارسا
الحَمّامىّ فإنّ فارساً كان حارساً وكان قيِّمَ حَمّام ، وكان حَلَقيًّا ، فزعم أنّه
نالَ الكلابَ خمسين سنة ، وشاخ وهُزِلَ وقبُح وتشنَّج ، حتّى كان
لا يُنيكه أحد . قال : فلم يزَلْ يحتالُ الكلب عندَه حتى ناكه . قال :
وكان معه بخير حتّى قتله اللصوص . ثمَّ أشرفَ على فارسٍ[2] ، هذا المحتسِبُ
الأحدبُ . وهو ينيك كلبةً فرماه بحجر فدمَغَه[3] .

قال : فالكلاب كما ترى تُتَّهم بالنساء . وينيكها الرجال ، وتنيك
الرجال . وليس شيءٌ أحقّ بالنفى والإغراب والإطراد وبالقتل منها . ونحن

---

(١) لعلها : « فأحبس » .
(٢) فى الأصل : « فارس » وصوابه مانثبت .
(٣) دمغه : أصاب دماغه .

Marfat.com

من السباع العادِيَة الوحشيَّة فى راحة ، إلاّ فى الفَرْط[1] فإنّ لها عُرامًا على بعض الماشية ، وجنايةً على شرار العامَّة[2] وكذلك البهائم . وما عسى أن يبلغ من وطْءِ بعير ونطح كبش ، أو خمش سِنّورٍ أو رَمْح حمار ، ولعلّ ذلك يكون فى الدهر المرّةَ والمرّتين ، ولعلَّ ذلك أيضاً لا ينال إلاَّ عبداً أو خادماً أو سائسا ، وذلك محتَمل . فالكلاب مع هذه الآفات شركاءُ الناس فى دورْهم وأهاليهم ! !

قال صاحب الكلب : إنْ كنتم إلى الأذى بالسِّلاح تذهبون ، وإلى قَشرِطين السطوح بالبراثن تميلون ، وإلى نتن السِّلاح وقلة المأكول والمشروب تقصدون ، فالسِّنَّورُ أكثر فى ذلك . وقد رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك أنّه قال : هُنَّ من الطَّوّافات عليكم ، فإذا كان ذلك فى السنانير مغتفراً ، لانتفاعهم بها فى أكل الفأر ، فنافع الكلاب أكثرُ ، وهى بالاعتقاد أحقّ . وفى إطلاق ذلك فى السِّنَّور دليلٌ على أنّه فى الكلاب أجْوَز .

وأمّا ما ذكرتم من إتلافه ، فلعمرى إنّه ما ينبغى تغييرُ ما أقرّه فى من ولا البيوتون والبغالَ والحميرَ والتيوس فى مواضع التى تراد للنسل ، وذلك فى ذلك أحسنُ حالا ، وقد كره ناس إدخال [illegible] والبغلَ خاصة ، لأنّ له عند السفاد [illegible] فهذا [illegible]

فضلا عن تيوس الضأن [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

Marfat.com

وعلى أنّ للحمام[١] خاصَّةً من الاستشارة[٢] ، والكَسْم بالذنب ، والتقبيل الذى ليس للناس[٣] مثلُه ، ثمَّ التقبيل والتغزّل والتَّنَفُّش[٤] ، والابتهاج بما يكون منه بعدَ الفراغ ، وركوب الأنثى للذكر و [عدم][٥] إمكانها لغير ذكرها ، ما يكونُ أهيجَ للنساء ممَّا ذكرتم[٦] . فلم أفردتم الكلب بالذِّكر دونَ هذه الأمورِ ، التى إذا عاينت المرأة غُرمُولَ وَاحِدٍ منها ، حقَرت بعلَها أو سيِّدَها ، ولم يزل ظلُّ ذلك الغرمول يعارضها فى النوم ، وينبِّهها ساعةَ الغفلة ، ويُحدِث لها التمنِّىَ لما لا تقدر عليه ، والاحتقارَ لما تقدر عليه . وتركتم ذكر ما هو أجلُّ وأعظمُ إلى ما هو أخسُّ وأصغر ؟!

فإنْ كنتم تذهَبون فى التشنيع عليه إلى ما يعقر من الصبيان[٧] عند العَبث والتعرُّض ، والتَّحَكك والتهييج[٨] والتحريش ، فلو أنّ الذى يأتى صبيانُكم إلى الكلب ، من الإلحاح بأصنَاف العَبَث — والصِّبيان أقسى الخلْقِ وأقلهم رحمةً — أنْزَلُوهُ بالأحنف بن قيس ، وقيس بن عاصم ، بل بحاجب بن زُرارة وحِصن بن حُذَيفة ، لَخَرَجُوا[٩] إلى أقبَحَ ممَّا يخرج إليه الكلب . ومَن ترك منهم الأخذَ فوق يدِ ابنه ، فهو أحقُّ باللائمة .

---

(١) ط : « الحمام » وصوابه فى س .

(٢) الاستشارة : إظهار الحسن . من استشارت الإبل : سمت وحسنت .

(٣) فى الأصل : « الناس » .

(٤) فى الأصل : « والتنفس » .

(٥) زيادة يقتضيها الكلام وليست فى الأصل .

(٦) ط : « ماذكرتم » وصوابه فى س .

(٧) س : « يعقره الصبيان » ط : « يعقرن الصبيان » والوجه ماأثبت .

(٨) فى الأصل : « والتهيج » ، والوجه : « التهييج » .

(٩) ط : « يخرجوا » وصوابه فى س .

Marfat.com

وبعدَ فما وجدْنَا كلباً وثبَ على صبيٍّ فعقَره مِنْ تلقاءِ نفسه . وإنّه ليتردَّد عليه وهو فى المهد، وهو لحمٌ على وضَم . فلا يشَمُّه ولايدنو منه . وهو أكثرُ خلقِ الله تعالى تشمُّماً واستراوحا ؛ وما فى الأرضِ كلبٌ يلقى كلباً غريباً إلاَّ شمّ كلُّ واحدٍ منهما استَ صاحبِه ، ولا فى الأرضِ مَجوسىٌّ يموت فيُحْزَن على موتِه ويحمل إلى الناوُوس إلاَّ بعد أن يُدنى منه كلبٌ يشَمُّه . فإنّه لا يخفَى عليه فى شمِّه عندَهم . أحىٌّ هو أم ميِّتٌ ؛ للطافةِ حِسّه ، وأنّه لا يأكل الأحياءَ[1] . فأمَّا اليهود فإنّهم يتعرَّفون ذلك من الميّت . بأن يدهنوا استَه . ولذلك قال الشاعر[2] وهو يرمى ناساً بدين اليهودية :

إذا مات منهم ميِّتٌ مَسَحُوا اسْتَهُ ... بدُهنٍ وحَفُّوا حَوْلَه بقُرُود

(جنايات الديك)

وقالوا : فإذ ذكرتم جنايات الكلاب . فهل عندكم فى جنايات الديك ما هو أعظمُ من جنايات الكلاب . لأنّ عبد الله بن عمر بن الخطّاب . يرى أنّ ديةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . إنّما هى دية شاة . لأنّه مات من نقرة ديك فى دير على عينه فكان سببَ موته . فقتلُ الديك لعقرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . أعظمُ من كثير ممّا تستعظمونه من جنايات الكلاب .

وقد نقر ديك عين [illegible]

(١) ط : « الأحياء ».

(٢) هو [illegible]

[illegible]

(٣) فى الأصل : [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

Marfat.com

وقد نقر ديك عين ابن الريان بن أبى المسيح وهو فى المهد فاعورّ ، ثمّ ضربته الحُمرة فمات .

ووثبَ ديك فطعن بصيصَتِه عينَ[1] بنتٍ لثُمامة بن أشرس ، قال ثمامة : فأتانى الصّريخ . فوالله ماوصلتُ إليها حتى كَمَد وجهها كلُّه واسوَدَّ الأنفُ والوَجْنتان وغارت العينان . وكان شأنُ هــذا الديك — فيما زعم ثمامة — عجباً من العجب : ذكر أنَّ رجلا ذكر أنَّ ديكاً عند بقّالٍ لهم ، يقاتل به الكلاب ، قال : فأتيت البقّال الذى عنده فسألتُه عن الديك ، فزعم أنّه قد وجّه به إلى قتال الكلاب . وقد تراهنوا فى ذلك . فلم أبرحْ حتى اشتريْتُهُ . وكنتُ أصونُه وجعلته فى مَكَنّة . فخرجت يوماً لبعض مصلحةٍ وأقبلت بنتى هذه لتنظر إليه . فــكان هذا جزائى منه !

قال : وديكٌ آخر أقبل إلى رأس زيد بن عمر ، حتّى وطئ فى ذؤابته ثمّ أقبلَ ينقُرُ دِماغه وعينيه . فقال رجلٌ من قريش ، لمن حضر ذلك من أخلامه :

طَرِدُوا الديكَ عن ذؤابة زيد طالما كان لاتَطَاهُ الدَّجاجُ[2]

(نفع الكلب)

والكلب إن كان كما يقول ، فإنَّ له يداً تشجُّ[3] وأخرى تأسُو ، بل مايدفَعُ اللّصّ بحراسته ويجلب من المنافع بصيده[4] أكثرُ وأغمر ، وهو

---

(١) فى الأصل : « فى عين » .

(٢) جاء هذا البيت فى الأصل كلاما منثورا . وانفرد فى الكامل ٧١٠ ليبسك . وفى الأصل « لاتطؤها » وتصحيحه من الكامل .

(٣) فى ط : « تسبح » وهو تحريف مافى س .

(٤) فى ا : « بعيده » وتصحيحه من س و م .

Marfat.com

الغامرِ لا المغمور ، والفاضل لا المفضول . والديك يفقأ العُيونَ وينقُر الأدمغة ويقتل الأنفس ، ويشُجُّ ولا يأسو ؛ فشرُّه صِرف وخيره ممزوج . إلاّ أنْ يزعموا أنّه يحرس من الشيطان ، فيكون هذا من القول الذى يحتاج إلى البرهان.

و [من[1]] عارض منافعَ الكلاب وحراستَها أموالَ الناس من اللصوص . ومنعَ السِّباع من الماشية ، وموضعَ نفع الكلب فى المزارع — وذلك عيان ونفعه عامٌّ وخطبه عظيم — بما يُدَّعَى من حراسة الدِّيكة لشيطان ، لم يكايل ولم يُوازِن ولم يَعرف المقايسة ، ولا وقَف قطُّ على معنَى المقابلة[2] ودَلَّ بذلك على أنَّ مبلغَ رأيه لا يجوز رأىَ النساء .

(الهواء وما قيل من الشعر فيه)

ويكون العُواء للكلب والذئب والفصيل . وقال النابغة[3] :

ألم أكُ جارَكم فتركتمونى لكلبى فى ديارِكمُ عُواء

وقال الشاعر :

وإنّى امرؤٌ لا تشعرُ ذئبَ بيتى من الذئب بعدى والغراب غرابُ

وقال الشاعر[4] :

وتستنبح استكشافَ ريح بأنفها مخافةَ ما فى الريح من أمِّ عامرِ

(١) أثبتنا ما بين القوسين [ ] ليستقيم المعنى.

(٢) فى الأصل ...

(٣) ...

(٤) ...

Marfat.com

عَوى فى سوادِ الليل بعدَ اعتسافِه لينبَحَ كلبٌ أو ليفزَعَ نُوّمُ
فجاوبَهُ مستسمِعُ الصوتِ للقِرَى له مع إتيان المُهبِّينَ مَطْعَمُ
يَكادُ إذا ماأبصر الضيفَ مُقْبِلاً يكلِّمهُ من حبِّهِ وَهوَ أعجَمُ

وقال ذو الرُّمَّة :

به الذئب محزوناً كأنَّ عواءَه عواءُ فصيل آخرَ الليلِ مُحْثَلِ

وقال آخر :

ومنهلٍ طامسة أعلامُـــه يَعوِى به الذئْبُ وتَزقُو هامُه

وقال عَقيل بن عُلّفة يهجو زبَّان بن منظور .

لا بارِكَ اللهُ فى قومٍ يسودهمُ ذئبٌ عَوى وهومشدود على كُورِ
لم يبقَ من مازنٍ إلاَّ شرارُهُم فوقَ الحصَى حولَ زبّان بنِ منظورِ

وقال غَيلان بن سلمة[1] :

ومعرِّس حين العشاء به الحبس فالأنواء فالعقل[2]
قد بثَّه وهنـاً وأرّقنى ذئب الفلاةِ كأنّه جِذلُ
فتركته يعوِى بقَفرتِه ولكلِّ صاحِب قفرةٍ شكلُ
بتَنُوفةٍ جـرداءَ يجزعها لِحَب يلوحُ كأنّه سَحْل[3]

وقال مغلّس بن لقيط[4] :

عوى منهُمُ ذئبٌ فطرَّب عادياً على فعليات مُسْتَشارٍ سخيمها[5]

---

(١) كان من حكماء العرب فى الجاهلية وحكامهم . انظر الإصابة ٦٩١٨ والأغانى ١٢ : ٤٣-٤٧ .
(٢) كذا فى الأصول .
(٣) يجزعها : يقطعها . وفى ط : « لجب » وصوابه بالحاء كما فى س و م .
(٤) مغلس بن لقيط : شاعر من شعراء الجاهلية ، له ترجمة فى الخزانة ٢ : ٤١٩ بولاق .
(٥) ط : « مستشار » .

Marfat.com

إذا هُنَّ لم يلحَسْنَ من ذى قرابةٍ دماً هُلِسَتْ أجسادُهـا ولحومُها [1]

وقال الأحيمرُ السعديُّ [2] : ١٨٧

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى

وصوَّتَ إنسانٌ فكِدتُ أطيرُ

وقال آخر [3] :

وعاوٍ عوَى واللّيْلُ مستحلس الندى

وقد زَحَفَتْ للغور تالية النَّجم [4]

وذلك أنَّ الرجلَ إذا كانَ باغياً أو زائرا . أو ممّن يلتمس القِرَى . ولم ير بالليل نارًا . عوى ونبح . لتجيبَه الكلاب . فيهتدى بذلك إلى موضع الناس .

وقال الشاعر :

ومُستَنبِحٍ أهلَ الثّرى يَلتمس القِرى

إليّ وعُمسه من الأرض [illegible]

وقال عمرو بن الأهتم :

ومستنبح بعد الهدوّ دعوته وقد حنّ من سارى الثقاء عرود

فهذا من عواء الفصيل والذئب والكلب .

---

(١) فى معجم المرزوقى ٣٩١ [illegible]

(٢) ط : « الأحمر » وهو [illegible]

(٣) البيت حميد الأرقط [illegible]

(٤) ط : « [illegible] » وهو [illegible] ٢٠٠ . المستحلس الندى : [illegible]

Marfat.com

(ما قالوا فى أنس الكلب وإلفه)

وقال صاحب الكلب : وممَّا قالوا فى أنس الكلاب وإلفه ، وحبِّه لأهله ولمن أحسَنَ إليه قول ابن الطَّثريّة [1] :

يا أُمَّ عمرٍو أنجِزِى الموعودا ... وارعَىْ بذاكِ أمانةً وعُهُودا
ولقد طرقْتَ كلابَ أهلِكِ بالضُّحَى ... حتَّى تركتُ عَقُورَهُنَّ رُقُودا
يضرِبْنَ بالأذنابِ مِن فرحٍ بنا ... متوسِّداتٍ أذرُعاً وخدودا

وقال الآخر [2] :

لو كُنْتُ أحملُ خمرًا يومَ زرتُكمُ ... لم يُنكِرِ الكلبُ أنِّى صاحب الدَّارِ
لكنْ أتيتُ وريحُ المِسْكِ يفعمنى ... والعنبرُ الوَرْدُ أذكيه على النار [3]
فأنكر الكلاب ريحى حين أبصرنى ... وكان يعرف ريح الزِّقِّ والقار

وقال أبو الطَّمَحان القينىّ فى الإلف . وهو يمدح مالك بن حمار الشَّمْخى [4] :

سأمدَحُ مالكاً فى كلِّ رَكب ... نقيتُهمُ وأترُكُ كلَّ رَذْلِ

---

(١) فى الأصل : « وقال ابن الطثرية » والوجه ما أثبت . والشعر فى البخلاء ٢٠٣ .

(٢) الشعر فى البيان ٣ : ٣١١ منسوب إلى بعض الحجازيين ، وانظر البخلاء ٢٠٢ . وهو فى الحماسة ٢ : ٢٣٣ منسوب إلى مالك بن أسماء الفزارى ، وهو شاعر إسلامى غزل ، وأخته عمرة بنت أسماء زوج الحجاج ، وهو من عرف بالجمال فى العرب . ترجم له أبو الفرج فى أغانيه ١٦ : ٤٠ — ٤٦ .

(٣) فعمه الطيب وفغمه : ملأ خياشيمه . وفى الأصل : « ينعمنى » ، وصوابه فى البخلاء ٢٠٢ . وفى الحماسة ٢ : ٢٣٣ : « يفغمنى » بالغين ، وفيها « وعنبر الهند أذكيه » .

(٤) هو قيس خفاف بن ندبة . وله أخبار فى الأغانى والاشتقاق ١٧٢ .

Marfat.com

فما أنا والبكارَةُ من مخاضٍ عِظامٍ جِلَّةٍ سُدُسٍ وبُزْلِ
وقد عرَفَتْ، كلابُهمُ ثيابى كأنِّى منهمُ ونسيتُ أهلى
نَمَتْ بك من بنى شَمْخٍ زِنَادٌ لها ما شئتَ من فرعٍ وأصلِ

وقال الشاعر فى أنَس الكلاب وإلفها ، يذكر رجلا : ١٨٨

عنيف بتَسْواقِ العِشارِ ورَعْيِها ولكنْ بتَلْقَام الثَّرِيد رفيقُ
سَعِيد يظَلُّ الكلب يمضَغُ ثوبَه له فى ديارِ الغانيات طَريقُ

وقال الآخر :

بات الحويرثُ والكلاب تَشَمُّه وسَرت بأبيضَ كالهلال على الطَّوَى

وقال ذو الرمة :

رأتنى كلابُ الحى حتَّى أَلِفْتنى وظَلَّت تُسَبِّح العنكبوت على رحلى

وقال حسَّان بن ثابت :

أولاد جَفْنَة حولَ قبرِ أبيهمُ قبرِ ابنِ مارِيَةَ الكريمِ المِفْضَالِ
بِيضُ الوجوهِ نقيَّةٌ حُجزاتُهم شُمُّ الأُنوفِ من الطِّرازِ الأوَّلِ
يُغشَوْنَ حتَّى ما تهِرُّ كلابُهم لا يسألون عن السَّوادِ المقبلِ

وفى هذا المعنى قال الشاعر :

وبوّأت[٣] بيتك فى دعم ... ...
كفيت العُقدة كلاب تقدس ... ...

---

(١) ...
(٢) ...
(٣) ...
(٤) ...

Marfat.com

تَرَى دَعْس آثَارِ تلك المطىِّ أخادِيدَ كاللَّقم الأفيَحِ
ولو كُنْتَ فى نفق زائغٍ لكُنْتَ على الشرك الأوضَح(١)

وفى مثل ذلك ، وليس فى ذكر إلف الكلاب ، ولكِنَّه مما ينبغى أن يكون مجموعاً إلى هذه الأشعار ، وبك إلى ذلك حاجة شديدة ، قال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْت :

لا الغيايَاتُ مُنتـــواكَ ولكنْ فى ذُرَى مُشْرِفِ القُصورِ ذرَاكا

وقال البزَّار الحلِّىّ ، فى المعنى الأول :

أَلِفَ النَاسَ فما ينبَحُهُمْ مِنْ أسيف يبتغى الخيرَ وحُرّْ(٢)

وقال عِمران بن عصام :

١٨٩ لِعَبْدِ العزِيزِ على قَوْمِه وغَـــيرهِمُ مِنَنٌ غامِرَهْ(٣)
فبابك ألينُ أبوابهـــم ودارُك آهـــلةٌ عامـــرهْ
وكلبُك آنس بالمعتفِين من الأُمِّ بابنتها الزَّائرهْ
وكفُّك حين ترى السائلي ن أندَى من اللَّيلةِ الماطرهْ
فِنَاكَ العَطَاءُ ومنَّا الثَّنَاءُ بكلِّ محـــبَّرةٍ سائرهْ

وقال هلال بن خثعم(٤) :

إنّى لَعَفٌّ عن زيارةِ جارَتى وإنِّى لَمَشْنوءٌ إلىّ اغتيابُها

---

(١) ط : « ولو كنت فى نفع » والوجه ما فى س و م .
(٢) فى الأصل : « فيما » ولا يستقيم بذلك معنى الوزن ووزنه ، صوابه فى البخلاء ٢٠٢ مع نسبة الشعر فيه إلى المزار الحمانى .
(٣) الشعر فى الأغانى ١ : ١٢٩ منسوب إلى نصيب . وعبد العزيز هذا هو ابن مروان.
(٤) كذا نسب الشعر فى البخلاء ٢٠٢ . ويروى لقيس بن الخطيم . وقد رواه ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٣ : ١١٣ وكذا ابن الشجرى فى الحماسة ١٣٥ لبشار بن بشر .

Marfat.com

إذا غابَ عنها بعلها لم أكنْ لها زَءُوراً ولم تأنَسْ إليَّ كلابُها
وما أنَا بالدَّارِى، أحاديثَ سِرِّها ولا عالِمٍ مِنْ أىِّ حولٍ ثِيابُها (١)
وإنّ قِرَابَ البطنِ يكفيك ملؤهُ ويَكفيك سوءَات الأمور اجتنابُها

وقال حاتم الطائى ، وهو حاتم بن عبد الله . ويكنى أبا سَفَّانة . وكان أسره ثوب بن شَحمة العنبرىّ مُجير الطير (٢) :

إذا ما بخيلُ النَّاس هَرَّتْ كلابُه وشَقَّ على الضَّيفِ الغريبِ عَقُورُها
فإنِّى جبانُ الكلب بيتى موطَّأٌ جَواد إذا ما النَّفسُ شَحَّ ضميرُها
ولكن كلابى قد أُقِرَّت وعُوِّدت قليل على مَن يعتريها هَريرُها

(هجو الناس يهجو كلابهم)

وقال صاحب الكلب : إنَّ كثيراً من هجاء الكلب ، إنما يريد به هجاء رجل . فيجعل الكلب وصلة فى الكلام ليبلغ ما يريدُ من شتمه . وهذا أيضاً مما يتفق الناس به من سبب الكلاب . ولذلك قال الشاعر (٣) :

مِن دون سيبك لون ليل مظلم وخفيف ذفحة وسب لئيمة
وأخوك مختمن عليك ضغينة ونسيفُ قومك لامه لا يحمد

---

(١) فى الأصل : حول ...

(٢) فى الأصل ...

(٣) هو الحسين ...
ج ١٢ ، ديوانه ص ٢ ...

(٤) الصحة ...
من البيت الذى ...

Marfat.com

والضّيفُ عِنْدَكَ مثلُ أسودَ سالخ لا بلْ أحبُّهما إليك الأَسودُ

فهذا قول الشاعر . وقال الآخر :

وما يكُ فىَّ مِن عيبٍ فإنّى جَبَانُ الكلبِ مَهْزولُ الفصيلِ

فهو لم يردْ مدحَ الكلب بالجبن ، وإنّما أراد نفسه حين قال :

وحفيف نافجة وكلب موسد[1]

فإن كان الكلبُ إنما أسرَه أهلُه ، فإنّما اللوْم على من أسرَه . وإنما هذا الضّرب كقوله[2] :

قوم إذا استنبَحَ الأَضيافُ كلبهمُ قالوا لأُمّهمُ بُولى على النَّارِ

ومعلوم أنّ هذا لا يكون ، ولكن حقَّر أمرهم وصغَّرهم .

وقال ابن هَرْمة :

وإذا تنوَّرَ طارِق مستنبِح ، نبحَتْ فَدَلَّتْهُ علىّ كلابى[3]

وقال ابن مهيبة :

جَلبنا الخيلَ من شُعَبَى تَشَكَّى حوافِرَها الدوابرَ والنُّسورا
فلما أنْ طَلَعن بعين جعدى وأهل الجوف ان قتلوا غرورا
ولم يكُ كلبُهم ليفيق حتَّى يُبارِشَ كلبُهم كلبا عَقورا

ومعلوم أنَّ هذا لا يكون ، إنما هو مثل . وقال أعرابىّ :

---

(١) فى الأصل : « نافحة » ، وانظر التنبيه السابق .
(٢) البيت للأخطل يهجو به جريرا . وفيه قالت بنو تميم : « ماعجينا بشعر هو أشد علينا من هذا البيت ! » . ديوان المعانى ١ : ١٧٥ .
(٣) فى الأصل : « كلاب » .

Marfat.com

أذو ثقةٍ قَدْ يحسبُ المجدَ فُرصةً إلى أهله أو ذِمَّةً لا تُخَفَّرُ
حبيبٌ إلى كلبِ الكريمِ نباحُه كريهٌ إلى الكوماءِ والكلبُ أبصَرُ

وقال ابن هَرْمة :

وفرحة من كلابِ الحيِّ يتبَعُها شَحمٌ يَزِفُّ به الداعِي وتَرعِيبُ

فهذا قول هؤلاءِ . وقال الآخر :

هَجَمْنَا عليه وهو يَكعَمُ كلبَه

دَعِ الكلبَ يَنْبَحْ إنَّما الكلبُ نابحُ (١)

وقال الآخر :

وتَكْعَمُ كلبَ الحيِّ من خَشيةِ القِرَى

ونَارُك كالعَذْراءِ من دُونها سِتْرُ (٢)

وقال أعشى بنى تغلب :

إذا احتلَّت معاوية بن عمرو على لاضوء خنَّمت الكلابا

فالكلب مرّة مكعوم (٣) . ومرّة مخنوق . ومرّة موسد ومحرّش . ومرة يجعله جبانا . ومرّة وثّابا . كما قال النابغى فى خطيئة :

ألا قبّح الله خطيئة إنّه على كلّ حيّ صيّف ضاف فهو سابح
وقعنا إليه وهو يخنق كلبه ومن الكلاب ينبح الكلب نابح

ووقف أعشى بنى تغلب :

---

(١) ط ... س ... ...

بكَيْتَ على زادٍ خبيثٍ قرِيتَه ألا كلُّ عَبْسىٍّ على الزادِ نابحُ[1]

وقال الفرزدق :

ولا تنزع الأضياف إلّا إلى فتًى إذا ما أبَى أن ينبَحَ الكلبُ أوقدا

(وقال الآخر :

* دَعِ الكلبَ ينبَحْ إنّما الكلبُ نابحُ *

وقال الآخر :

* ألا كلُّ كلبٍ لا أبالَكَ نابحُ *

وقال الفرزدق :

* إذا ما أبى أن ينبَحَ الكلبُ أوقَدَا[2]) *

ومتى صار الكلب يأبى النباح ؟ ! فهذَا يدُلُّ على أنّهم يتشفّون بذكر الكلب ، ويرتَفِقُونَ به ، لا على أنّ هذا الأمرَ الذى ذكروه قد كان على الحقيقة :

وقال الآخر ، وهو جرير[3] :

ولو كنت فى نَجْرَانَ أو بِعَمَايةٍ إذن لأَتانى من رَبيعة راكبُ[4]

---

(١) البيت فى العمدة ٢ : ١٥١ منسوب إلى الراعى . وقد رواه تاليا للبيت السابق ، برواية :

* ألا كل عبسى على الزاد نائح *

وانظر البخلاء ٢٠٣ .

(٢) ماوضع بين قوسين هو تكرار لأعجاز أبيات سابقة ، وأنت أدرى لم أعيدت .

(٣) « وهو جرير » : الأرجح أن تكون مثل هذه الزيادة من أقلام الناسخين أو القارئين . والأبيات فى ديوان جرير ص ٤٢ طبع ١٣٤٥ .

(٤) نجران : مخلاف باليمن . وعمايه : جبل بالبحرين . ورواية الديوان : « ولو كنت فى غمدان » .

Marfat.com

يُثير الكلابَ آخرَ اللّيلِ وَطؤُه كضَبِّ العرَادِ خَطْوُه متقارِبُ (١)

فباتَ يُمَنِّينَا الربيعَ وصَوْبَه ويَنْظُرُ من لُقَّاعةٍ وهو كاذب (٢)

فذكر تقارُبَ خطوه ، وإخفاءَ حركته ، وأنَّه مع ذلك قد أثار (٣) الكلاب من آخر الليل ، وذلك وقت نومها وراحتها ، وهذا يدلُّ على تيقُّظها ودِقَّة حسِّها .

وفيما ذكروا من حالة الكلاب لسبب القرى من البرد ، والذى يلقى ، وكيف الشأن فى ذلك ، قال أعشى باهلة :

وأجْحَرَ الكلبَ مُبْيَضُّ الصَّقِيعِ به وآخرَ حَيَّ من تفّاحه الحَجَرُ (٤)

---

(١) العرد : شجر صلب العود منتشر الأغصان ، ومعنى تقول : قد نضب الماء ورد ، فقل :

أصبح قيس عرد يشتر ...

ولا عرد عرد ...

وعلك ...

وفى لأعرابى : ... العرد ... وفى الديوان .

(٢) اللقاعة : ... وفى الديوان ...

(٣) ...

(٤) ...

Marfat.com

وقال الحطيئة :

إذا أجْحر الـكلبَ الصَّقِيعُ اتَّقَيْنَه
بأثباجِ لا خُورٍ ولا قَفِراتِ[1]

وقال ابن هَرْمة :

وسلِ الجارَ والمعصِّب والأضـ ياف وَهْناً إذا تحيَّوْا لديّا[2]
كَيف يَلْقوْنَنى إذا نبَحَ الـكلـ بُ وراءَ الـكُسُورِ نَبْحاً خَفِيّا
ومَشَى الحالبُ المُبِسُّ إلى النَّا بِ فلم يَقر أصفر الحىّ ريّا
لم تَـكُنْ خارجيَّةً من تراثٍ حادثٍ ، بل وَرِثتُ ذاكَ عَلِيَّا

وقال الأعشى :

وتَبُرد بَرْدَ رِداءِ العَرو
سِ فى الصَّيْفِ رَقرقتَ فيه العبيرا[3]
وتسخن ليلـةَ لا يستَطيـ ـعُ نُباحاً بها الكلب إلا هريراً

وقال الهذلى[4] :

وليلةٍ يَصطَلى بالفَرثِ جازِرُها يختصُّ بالنَّقَرى المُثرِينَ داعيها
لا ينبَحُ الـكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ من الشِّتاءِ ولا تَسرِى أفاعيها

---

(١) أجحره وجحره : أدخله فى الجحر . وفى ط : « أحجر » وصوابه فى س ، والبيت من قصيدة فى ديوان الحطيئة ٥٦ .

(٢) فى ط : « أصل الجار » ، وصوابه فى س و م ، والحيوان ٢ : ٧٢ . المعصب : الذى يتعصب بالخرق جوعا ، والرجل الفقير . وفى الأصل : « الجار المعصب » وتصحيحه من الحيوان (٢ : ٧٢) . وفى الأصل : « تحبوا » بباء موحدة وهى عن الصواب فى الجزء الذى

(٣) ط : « فيها والبعيرا » وصوابه فى س و ء .

(٤) انظر ما سيأتى من تعليق فى ٣ : ٧٥

Marfat.com

وقال الفرزدق[1] :

إذا احمرَّ آفاقُ السَّماءِ وهَتَّكَتْ
كُسُورَ بُيوتِ الحيِّ نَكْباءُ حرْجَفُ

وجَاءَ قريعُ الشَّولِ قبلَ إفالِها يَزِفُّ وجاءَتْ خَلْفَه وهي زُحَّفُ[2]

وهتَّكَتِ الأطنابَ كلُّ ذِفرَّةٍ ذا تاملكٌ من عاتق النَّيِّ أعرَفُ[3]

وباشرَ راعيها الصَّلَى بلبانه وكَفَّ لحرِّ النار ما يتحرَّفُ

وقاتلَ كلبُ الحيِّ عن نارِ أهلِه ليربِضَ فيها، ونصلا متكنَّفُ[4]

وأصبحَ مبيضُّ الصَّقيعِ كأنَّه على سَرَواتِ الثيابِ قُطْنٌ مُنَدَّفُ[5]

تمَّ الجزءُ الأول

ويليه الجزءُ الثاني[6]

وأوَّله : باب احتجاج صاحب المكتب بالأشعار المعروفة

---

(١) من قصيدته الدالية المشهورة التي مطلعها

(٢) في الأصول : قد ... والتصحيح من ... ١٥ ... ١٠ ... ١٠ ... ١٠

Marfat.com

معارضات على نسخة الأمبروزيانا

ص س

٢٠ ١٨ : « وإن كان شاطنا » ، وهو الوجه .

٢١ ١ ــ ٢ : « طابن ولا يعدم الإنسى والجن طابنا » . وهى توافق رواية ل ، وهى الصواب . والطابن : الخدّاع الخِبّ .

٨ : « شوك العضاه » .

١٣ : « قد ابتلى أيضا بأنّ أخته » .

٢٢ ٨ : « وعبّاس » .

٢٣ ٨ : « فأمر به فرمى به من فوق القصر » .

١٤ : « وظن سمار به كل خيرة » .

٢٤ ٥ : « بغير جرم » . (١٠) : « وأقلّ رَمادك » .

١٧ : « يمسى ويصبح سالما » .

٢٥ ٨ : « ومساءة الجسء » .

٢٦ ١١ــ١٢ : « ويجعلونها متخيّرة غير مسخرة .

٢٧ ٤ : « لاتضاف إلى الحمد والحسن .

٢٨ ٧ : « والبا ذنجان م كما قى ل . ... قى سائر ... ا

٢٥٦) : « لا ... من ... يقل ...

... له ... ق ... ن ... ...

٢٩ ١ : « ... ... ا ... ...

١ : « مايكون سلاحه سلاحه ... قى ل .

Marfat.com

ص	س	
٣٠	٢	: « واليعاسيب والذبان والعقارب والجراد »
	١١	: « مشهوران بالحبَل » .
	١٦	: « والبنبد » بدل « البينيب » .
٣١	١	: « والبلبل » ، وقد نبّهت على خطئه فى الحاشية .
	١٠	: « ويصرصر » بدل « ويصوصى » ، وهو الصواب .
	١٠	: « ويزئر » بدل « ويزأر » ، وهما لغتان .
	١١	: « وينبر » بدل « وينزب » ، كما فى ل .
	١١	: « ويفحّ » بدل « ويعجّ » كما اقترحت فى الحواشى .
٣٢	١ ، ٢	: « إذا وجد بعضها مع بعض سمّيت بأنبه النوعين ذكرا » .
	٨	: « خلاف دعائها [عند المائدة] لولدها » .
٣٤	٥ ــ ٦	: « والحكمة يلوحان لمن استخبرهما وينطقان لمن استنطقهما كما يخبر الغزال وكمود اللون عن سوء الحال ، وكما ينطق السمن والنضرة » .
٣٦	٦	: « المتقدم فى الأمور » .
	١٠	: « ثم لم يوجدهم » ، كما فى ط ، ل .
	١٢	: « وصاحب الحسد والمشانفة ، والمتفقّد لشأن العاقبة » .
٣٧	٥	: « وعلى الاتعاظ والانزجار » .
	٦	: « وجعل الفكر تذشىء » .
	١٢	: « مارأيت فى أثنائه من مزح » .
	١٦	: « لأن يكون علّةً للجدّ ، وأن البطالة وقار وزمانة » .

Marfat.com

ص	س	
٣٨	١	؛ « إلا بما لايحتاج إليه ، قال أبو ثمر : إذا كان لايصل » .
	٥ ــ ٦	: « إلا من قد تجرّد للعلم وفهم معناه على حسب مايورث .
		الطول من الكد » ، مع إسقاط مافى أثناء الكلام .
	١٤	: « ونعم الجليس والقعدة » .
٣٩	٢ ــ ٣	: « من غرائب فوائده ، وإن شئت أدلك بوادره .
	١٣	: « أو روضة تتقلّب » .
٤٠	١	: « ويترجم كلام الأحياء » .
	٦	: حين العناية تامة لم تنتقص ، والأذهان فارغة لم تقسم .
	٧	: « فهى أقبل ماتكون لطابع » ، وهو الوجه .
	٨ ــ ٩	: « حين هذه الخصال لم يُلبَس جليدها ، ولم يغل غرمه .
		ولبس ، فى معنى أخلقَ . وفى اللسان : وثوب لبس .
		إذا كثر لبسه . وقيل قد لُبِس فأخلق .
٤١	١	: بعد الذى أبصرتَ من يبسه .
	٥	: ذكرت عربى .
	٨	: فى ضمها ليلة .
	١٢	: ولا أحفل أخلاق . سقطت من النسخة
٤٢	٢	: حسن ...
	٨	: ...
	١٩	: ...
٤٣	١	: ...

Marfat.com

ص س

٣ : « معرفة مايحضرتهم ، والتوازر على مايحتاجون [إليه] من الارتفاق » .

٤ ــ ٦ : « واختلال الأدنى إلى معونة الأقصى ، معان متضمّنة ، وأسباب متصلة ، وحبال متقيدة » .

والتكملة التى فى س٧ لم ترد فى النسخة :

٤٤ ٤ : « مذالاً ميسرا » ، وهــذا يوجّه مافى ط . والمذال : المهان الممتهن .

١٠ـ١١ : « وبالتقليب والتنقيب ، وبالتوقيف وبالتثبت » .

١٥ : « ومعرفا لمواقع سد الخلة ودفع الشبهة » .

١٦ : « الأشباح المثول » .

٤٥ ٤ : « وأسكن إليه وأضبُّ به » ، بالضاد المعجمة .

١٤ : « تكمل بجنسه الذى » .

١٧ : « والساكنة الثابتة التى لاتنبس ولا تفهم ، ولا تحس ولا تتحرك » .

٤٦ ٤ : « والذائق [فى ذلك] نصيبا » .

١٠ : « هذه الآلة لكان » .

٤٧ ٢ : « مجرى البيان : [وألحق البيان] بالقرآن » .

١٠ـ١١ : « لعواجل حاجاتهم وأواجلها » ، وهو الوجه .

٤٨ ٥ : « فضل على انتهاء » .

٦ : « إلى الحاجة بالتفاهم بالخطوط » .

Marfat.com

ص. س

٤٩ ١ : « فالشأن الآن فى منافع اليد » ، فقط .

٩ : « لبطلَ الطَّرَب كلّه » .

١٢ : « لـكان [ذلك] من أعظم الحظوظ » .

٥٠ ٣ : « فصل » ، بالصاد المهملة كما نبهت فى الحاشية .

٦ : « والـكتاب هو الذى قيد على الناس » .

٧ : « خفة ثقله » .

٥١ ١ : « والمستميح الذى لايستزيدك » .

١١-١٢ : « إن افتقرت لم يَحقِرك » ، وبإسقاط « إليه » .

٥٢ ٧ : « وأصحاب الـكنايات » ، بدل « الفكاهات » .

٨ ــ ٩ : « ليلهم هو الشىء الذى لايرى له فيهم مع الليل أثر فى ازدياد ولا فى نجربة ولا فى عقل ولا فى مروءة » .

١٥ : « ذهبت المكارم » ، موضع « ذهب » .

٥٣ ١ : « ولا اتـكأت » ساقطة من النسخة .

٩ : « وانقطاع المادة من قبَله » ، وهو الوجه .

١٠ : « وكان الورق كثير العدد » ، ومع إسقاط « أقل السعر » .

١١ : « القيمى » بدل « العتبى » فى كل موضع ورد فيه ذلك الخبر . كما هو الشأن فى نسختنا .

٥٤ ١ : « إلا [الشىء] الذى [هناك فيه » .

١٠ : « به هذا الظن [كله] » .

١١ : « كذا [وكذا] » ، فى الموضعين .

Marfat.com

ص س

١٢ : « أنفق قليلا وأكسب كثيرا »

٥٥ ٢ : « ولابد من أن تصير كتبه » .

٣ : « ولا يعلم ولا يجمع ولا يختلف حتى يكون الإنفاق » .

١٣-١٤ : « وإنى غرمت مالا عظيما مع حبى للمال ، وبغضى للمغرم ؛ لأن سخاء النفس بالإنفاق على الكتب دليل على تعظيم العلم » .

٥٦ ٥ : « أو كتب أرفاق ورياضات » .

٨ : « فى التبيين » .

١٤ : « داعية إلى العبادات ، وباعثا على الخشوع » .

١٧ : « وقد رأيتم » . وبذلك يتغير المعنى التاريخى .

١٨ : « ملوكنا » .

٥٧ ٨ : « ولا حكمة غريزية أو فلسفية » .

١١-١٢ : « بعمود السيح ، والإخبار عن شَلَقون الهمّامة ، وكله هذروعى ، ودعوى خرافة ، وسخف وتكذب » .

٥٨ ١ : « على الناس الإطاعة » .

٢ : « الاستبصار والخنة » .

٥ ــ ٦ : « والدرهم الزائف الذى يغلط فيه الكثير » ، بإسقاط «لا» .

٧ ــ ٨ : « يكون أظهر فساداً يحتاج من الترفيه والتمويه ، ومن الاحتشاد والتغليط » .

٩ ــ ١٠ : « من اليهودية بعيداً ، فعلى حسب ذلك يكون تزيُّدهم فى توكيدها ، واحتفالهم فى إظهار تعظيمها » .

Marfat.com

ص،	س	
٥٩	٥	:، « هو العالم المقنع » .
	٨	: « وأحصر بالعى » . إلى نهاية البيت ساقط من النسخة .
٦٠	١	: « لشىء اعتراه » .
	٢٥	: « أو إلى ثلاثة أشياء فلا ينزع » .
	١٤	: « اشتملوا » بدل « اجتمعوا » .
	١٥	: « فدمرنا عليهم » كما توقّعت فى الحاشية .
٦١	١ — ٢	: « وإذا أصحابه حوله ، وإذا هم بيض اللحى ، وهو يقرأ عليهم دفتر شعر ، فقال الذى كان سعى به » .
	٣	: « عثرتم بها . [قال] : فقلت » .
	٧	: « ما أشد صبابته » .
	١١ — ١٢	: « لقد ضيّع درهمه من جوّد » .
	١٣ — ١٤	: « وأجعله محطوطاً على ناظرى » .
	١٧	: « الأسفاط والرفوف . وكلاهما صحيح . فإن الرفوف جمع الرَّق بالفتح . وهو الصحيفة البيضاء . وجمع الرَّق يكتب فيه .
	١٨	: قط أخن ولا أبى [illegible] فى خمس .
٦٢	٦	: « ولا بقية من كتاب [illegible] » .
	٧	: « [قال] فقيل له : فقد [illegible] فى نهاية السطر
٦٣	٣	: [illegible]

Marfat.com

ص س

٤ : « كما يعترى النادم من قرع السن » .

٦ : « إذا تذكرت منى » .

٧ : « الحزين فى الأرض » .

٦٤ ١ : « يخطّطن » .

٥ : هذا البيت الثانى ساقط من النسخة .

٦ : « وقال الحزين الكندى » .

١١ : « ماتنقضى عبراتى » .

١٤ : « فى نواح »، و « لم تَعَلَّلْ لهم» ،أى لم تتعلَّل بعلّة .

١٥ : « تتلقّط الحصى » .

٦٥ ٧ : « يمتدح فيها » .

١٠ : « إذا تشابَه آيُها » ، وهو الوجه .

٦٦ ١ : « من ترشامه» ، لعل صوابها « من ترسامه » تفعال من الرسم .

٢ : عجزه فى النسخة : « فهو الصواب به على استبهامه » .

٨ : لم يرد هذا البيت فى النسخة فى هـذا الموضع ، وإنما ورد بعد البيت التالى بالرواية المثبتة بعد ذلك البيت .

١١ : « حده لحسامه » .

١٣ : « فى الخط [والقلم] : » .

٦٧ ١ : « يرقل عامدا » .

٢ : « مخلولف السن » .

١١ : « بآثارد » بدل « بآثارها » ، وهى رواية الديوان٢٥٧.

Marfat.com

ص س

١٥ ، : « إذا استغزرت ذهن الجلى » ، وهو تحريف سمعى مخالف لما فى ل والديوان . انظر للتحريفات السمعية تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون ص ٦٢

٦٨ ٤ــ٦ : ساقط من النسخة . ويبدو أنه نص دخيل ، فإنه الموضع الوحيد ، الذى ذكر فيه الجاحظ البحترى فى كل من الحيوان والبيان ، وإن كان قد ورد ذكر البحترى فى رسائل الجاحظ ٢ : ٥٠ بتحقيق عبد السلام هارون .

٨ : « نقراً » بدل « حفراً » .

٩ : « هو الحفر » مكان « هو الثانى » .

١٠ : « هو الثانى » مكان « هو الحفر » .

١٢ : هذه التكملة ليست فى النسخة .

٦٩ ٣ ــ ٤ : « وأمنعها للدروس . وأجدر أن يرد من ... .

٧ : « وكل إيغار » بدل « وكل إنفاق » . « إيغار : أن يسير ... لتلك الرجال الأرض يجعلها له من غير حزن .

٩ : « ذكر [حق] خلف وذلك ... [له] من النسيان » .

٧٠ ٦ ــ ٧ : « ولا بين المعقود و [بين] ما قوله ... .

١٠ : « وبين الحروف الحمد لله و [الصلاة ... .

١٨ : « عرف معانى الحروف ... لا يستحق ... .

٧١ ٢ : « ورد الجنون الموكل ... .

Marfat.com

ص س

٨ : « أو بها مُسكة » .

١١ : « والمسند والسيمون كيف كان ، كذلك قال الهيثم » .

١٤ : « وقال أبو عبيدة : كل أمة تعتمد فى استبقاء مآثرها ، وحصر مناقبها » .

٤ ــ ٥ : « يقيد فضيلة اللسان ، على الشاعر الراغب ، والمادح ، وفضيلة السيد المرغوب إليه الممدوح به . قال : وذهبت العجم » .

٦ : « مثل كردينذاذ وبناء أردشير وبيضاء إصطخر » .

١٠ : « والأبلق الفرد ، وفى الأبلق الفرد ومارد » .

٧٣ ٢ : « من القرون السابقة ، والأمم البائدة » .

١٢ : « كل قصر وصنيع كان لابن عامر ، وكما هدم أصحابنا مدن » .

٧٤ ١٢ـ١٣ : « فإذا استظهرنا للشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، إذا استظهرنا له بغاية الاستظهار » مع سقوط « فمائتى عام » بعدها .

٧٥ ٢ ــ ٣ : « موضع التعجب [منه] ، وصار كالكلام المنثور » مع سقوط « والكلام المنثور » بعده .

٤ : « المنثور الذى حول عن موزون » مع سقوط كلمة « الشعر »

١٢ : « لبطل ذلك المفخر » ؛ وهو الوجه .

١٣ : « لمعايشهم » بدل « لمعاشهم » .

٧٦ ٦ ــ ٧ : « وابن بهريز ووهيلى » مع سقوط مابين ذلك من كلمات .

Marfat.com

ص	س	
٧٧	١	: « بلغة واحدة استفرغت تلك [اللغة] القوة ، [وإن تكلم بلغتين انقسمت القوة] عليهما » .
٧٨	٤ ــ ٥	: « أضر من الخطأ فى [بعض] الصناعة والرياضة والفلسفة ، وفى بعض المعيشة » ، مع سقوط سائر ألفاظ النص .
	١٦ــ١٧	: « لم يجد المعين والرافد [بدًّا من] التقصير » .
٧٩	١ ــ ٢	: « من الخطأ ، ولا ينقص منه ، ثم يعارض به غيره من يترك »
٨٢	١٢	: ساقط من النسخة .
٨٣	١ ــ ٢	: ساقطان كذلك من النسخة .
	٤	: « وجه الدهر » ، وهو الوجه .
	١٤	: « فى سير البُختية » ، كما فى ل .
	١٥	: « وضروبا من المرفوع » ، كما فى ل .
٨٤	٢٢	: « فأمرتهم أن يسيروها تلك المسيرة » .
	٤	: « حتى شاهدوا من معرفة ذلك شيئا »
	٥	: « وكذلك جميع أمرهما لا يخفى » .
	٩	: « على من أتى على جميع الكتب » .
	١١	: « فتوهموا فى تعريفهما » .
٨٥	٦	: « ويرجح قوله » .
	١١	: « ويفنى العقل ويبلى » .
	١٢	: « ولا ما بقيت الأرض »
	١٦	: « ... الخلق » .

Marfat.com

ص	س	
٨٦	١ ــ ٢	: « لقد قلت المعرفة ، وقصرت الهمة ، وانتقضت المُنّة » .
	٦	: « الله التى فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كل عبرة » .
	١٢	: « فينبغى أن يكون سبيلنا فيمن بعدنا » .
٨٧	٢	: « وليس يجد الإنسان فى كل حال إنسانا يدرِّسه » . صواب ضبطه « يَدْرسه » ، يقال درسَه الكتاب وأدرسه إياه ، كما فى اللسان (درس ٣٨٢) ، وانظر رسائل الجاحظ ١ : ٧٧ بتحقيقنا ففيه : « ويَدرُسهم مناقبهم » .
	٧	: « ونازعت إلى حب الأدب ، وأنفت من حالة الجهل » .
	١٥	: « فتظن أنه باب بعض العمال » ، كما فى ل .
٨٨	٤	: « يدع كتابه يغبّ ويختمر ، ولا يثق بالرأى بالفطير » .
	٦	: « وتوقّف عند فصوله » .
٩٣	٩	: « فرأيت » بدل « لرأيت » ، وقبله فى النسخة عبارة لايدرى صلتها ، وهى : « الفترة المانعة من البلوغ فى الفهم وتعرف مايحتاج إلى التعرف منه » .
٩٤	٣	: « وذربة العلماء »
	١٢	: « إلى النواويس فالماخور »
٩٥	٩	: « علما بأوضا » . وس ١٢ : « فى العلم همته » .
	١٣	: « خلاف قولك ماماتوا ولا ذهبوا » .
٩٦	١	: « يكون منه إذا مامات يُكتَسَب »
٩٧	١	: « فيعلمها أهل البصرة »

Marfat.com

ص	س	
	٣	: « التكملة التى تبدأ هنا من ل تشاركها فيها نسخة الأمبروزيانا إلى نهاية س ٧ عند « ولها عرش عظيم » ، ثم تنفرد نسخة ل بالتكملة إلى ص ٩٩ س ٣ عند « وليرى أنه » ، ثم يتفقان فى مقدار التكملة إلى كلمة « يسرى » فى ص ١٠١ س ٤ ، ثم يسقط الكلام من نسخة الأمبروزيانا إلى نهاية س ٦ من صفحة ١٢١
٩٩	٨	: « وصاحب المال بعرض فساد »
	١٦	: « تسكن النفس ويثلج الصدر »
	١٧	: « والأمل فسيحا » . وهو تصحيح لما أثبت من نسخة
١٠٠	١٠	: « وقالوا : ومتى ورثته كتابا »
١٠١	١	: « مابعد كلمة « حظًّا » إلى كلمة « خطأ » ساقط من النسخة
	٤	: « طريق قد نهج له »
١٢١	٧	: « لن يعدم البانون » . وهى رواية جيدة وإن كان فيها تحريف
	١١	: كلمة « المرى » ليست فى النسخة
١٢٢	١	: كلمة « اثنتين » ساقطة من النسخة .
	٢ — ٣	: « كأنها تمرة فقال البقطرى » . مع سقاط مابين هذا الكلام .
	٤ — ٥	: « إلا بالحصاء دون الإحصاء »
	١٣	: « وسمى بالسنوط » بدل « وثقب »
١٢٣	١	: « وقل يوما »
	٢ — ٣	: « لايحمل إلا الخمر » . وبعضه لايحمل إلا الخمر . وهذا لايحمل إلا الخلال

Marfat.com

ص س

٦ : « والخصى » بدل « والخصيتين » .

١١ : « وقد زعم لنا ناس »

١٢ : « إنما ولدوا له بعد أن نزعت بيضته اليسرى »، وهو الوجه .

١٨ : « محالسة الأعراب» بالحاء المهملة

١٢٤ ١ : « ونضاضته » ، بدل : « وخلاصته » ، وفى اللسان :

ونضاضة الرجـل : آخر ولده . وفى السطر نفسه « محزز » بالحاء المهملة ، و « ابن كرز » كما فى ل .

٧ : « فقد يزعمون أنهم » .

٨ : « كأنهم يذهبون إلى أنه يستقصى » .

٩ : « بفرط قوته » .

١٢ : « و [من] رقّة الكبد والقلب »

١٢٥ ٢ : « وإن كان الخصىّ أسوأ وأبلغ منهم ، وإن جمع » .

٣ : « بطرسوس وبادية » ، تحريف

١٢٦ ٦ : « قد أرميت على المائة » . وأربى وأرمى بمعنى .

٧ : « وهْى الكبرة »

٩ — ١٠ : « تركهن زهدا ، وتخلّى منهن سنين ودهرًا »

١٢ : « هجرانى لملابسة النساء »

١٥ : « ولم يرهن متكشفات عاريات أن يكون إذا تقدم » .

١٢٧ ١ : « موت الخاطر »

٢ : « وفيما تحويه من النساء »

Marfat.com

ص	س	
	٨	: « من الخطار »
	٩	: « والدواعى لاتطوره »
١٢٨	١	: « ولم تمتلئ عروقى »
	٥	: « ولربما نزا فؤادى عند ضحك إحداهن » .
	١٨	: « وقد كان عثمان بن مظعون »
١٢٩	٣	: « فأما خصاء الجلب على وجه التجارة » .
	٤	: « ويمتلخ البيضتين إلا أن تقلص إحداهما من إفراط الفزع » .
	٥	: « لايمكن ردها [إلى مكانها] إلا بعلاج طويل .
	٦	: « وظلم يربى [على الظلم الأول و] على كل ظلم .
	٧	: « فإذا برأ وهو مجبوب القضيب ذو بيضة واحدة .
	٩	: « موضع الخاص من بيوتهم .
	١٠	: « مقربا [ومن لذة الإنسان و]تمتع [وخصب] من ذلك .
	١١	: « ومن لذة الإنسان و تمتع بثمره .
	١٢—١٣	: « فلا يزال عند المحول مقر . [ومنه] خصى مقر [ومنه] مطرد
١٣٠	١	: [ومنه] خصى . [ومنه] فحل .
	٤	: [ومنه] خصى [ومنه] خصية
	٦	: [ومنه] خصى [ومنه] خصية
	٩ — ١٠	: [ومنه] خصى [ومنه] خصية
	١٥ — ١٦	: [ومنه] خصى [ومنه] خصية
		[ومنه] خصى [ومنه] خصية

Marfat.com

ص س

١٣١ ١ : « أما الخصاء فهوسل الخصيتين . والوجاء : أن توجأ العروق والخُصيانِ ». يقال خُصْىٌ كما يقال خُصية.

٢ ــ ٣ : «حتى تسقط الخصيتان والخُصْيان . الواحد خصية . ويقال ملست الخصيتين أملسهما » .

٨ : « وقَدِيًّا غَذِيًّا » . القَدِىُّ : الطيب الطعم والرائحة .

١١ــ١٢ : « وأكثر السفاد يورث الضعف والهزال » .

١٣٢ ٧ : « وخبرت عن جهله بإتيان النساء وعجزه » .

١٤ : « وإذا كمنوا الكمائن »

١٣٥ ٣ : « عادات » بدل « عادة »

٥ : « الهرَمى » موضع « الهرمين » .

١٣٦ ١ : « على طول الركوب » .

١٨ــ١٩ : « من أهل التجربة المميزين، أنهم اعتبرو أعمار ضروب الناس »

١٣٧ ٣ : « ولم يجدوا مع طول العمر فيهم » .

٦ ــ ٧ : « قالوا : ولذلك لم نجد فيما يعايش الناس فى دورهم [وضياعهم] من الخيل والحمير والإبل والبقر والغنم والدجاج والكلاب والحمام والديكة » .

١٣٨ ٥ : « إلا رديا قصير العنق » .

٧ ــ ٨ : « تكلف المأكل والمشرب ، ثم بلغ إلى أن يصير جملا [لم] يمكنه الضِّراب »

١١ : « وهُزْلا » بدل « وهزالا »

Marfat.com

ص٠ س

١٥ : « [وهى الصرصرانية] » بزيادة كلمة « هى » على مافى ل .

١٣٩ ٧ : « [أنها] أطول الحمير أعماراً »

٩ ــ ١٠ : « فجاءت أولاده منها أعظم من سائر الحمير وأحسن ، وخرجت أعمارها على أعمار الخيل وسائر الحمير » .

١٣٠ : « ولا يعرفون حمارا أهليا » . فلعلها « أهليا أو وحشيا » .

١٤٠ ٤ ــ ٦ : « وهم يزعمون أن فيروز بن قباذ طلب حماراً أخدريا فطاوله ، فلجّ به الاعتزام » مع سقوط مابين ذلك من ألفاظ ، وكلمة « الاعتزام » هى الوجه فى « الاغتزام » .

١٤١ ١ : سقطت كلمة « لدرست » .

٤ : « و [من] تركهم التشاغل » .

٥ : « حبب إلى هذا »

٦ ــ ٧ : صياد أفاعى يبيعها لمقربقات ، ويسخّر هذا لأن يكون من سوانس الأساد ، مع سقوط مابين ذلك من كلام وسقوط كلمة « و لمنهود » ، وإظهار (أن) بعد لام التعليل كثير فى استعماله الجاحظ [ج ١ ص ٣١٢]

١٣ : [illegible]

١٤٢ ٧ : [illegible]

[illegible]

١٠ : [illegible]

١٤٣ ٢ : [illegible]

Marfat.com

ص س

٩ : « اشتر مرك »

١٠ : « بشيئين متفاوتين » ، وهو الصواب .

١٣ : « للناقة من الحوش فيسفدها »

١٦ : « فمنهم من جحد البتة أن تكون الزُّرافة » . ومما لحظته أن « الزرافة » حيثما وردت فى النسخة ضبطت بضم الزاى ، وهى إحدى لغات فيها ، وفى اللسان : « وهى الزَّرافة والزَّرافَّة ، والفتح والتخفيف أفصحهما » . ثم قال : « وقيل هى بفتح الزاى وضمها مخففة الفاء »

١٤٤ ٣ : « من شأن الوردانى والراعبى »

٥ : « بسماع الغرائب »

٥ ـ ٦ : « ولو أعطوا مع هذا الاستهتار من التثبت نصيبا والتوحى حظا سلمت الكتب »

١٤٥ ٩ : « يحيى بن لجيم » ، و « فيخرج [من بينهما] ولد » .

١٤٦ ١ : « عبد الرحمن بن [أم] الحكم » . وهو خطأ انظر له حواشى ٢٣٢ وكذا ص ٤٢٤

٨ : « أراد هو التبعبد به » بدل « بعينه »

١٤ : « [هو] آدم السنانير وتلك السنورة [أن تكون] حواء السنانير . قال أبو عبيدة لكيسان [وضحك منه] : أو لم تعلم » .

Marfat.com

ص	س	
١٤٧	٧	: « ولا يقبض عليه بفكه » ، بدل « بكفه » ، وهو الصواب .
	٩	: « عظما كان أم غيره ، [و] مصمتا كان أم أجوف » .
	١١	: « في شدقه شفرته وناره » .
	١٤	: « وليس على ذلك [تأويل] قول أمير المؤمنين المأمون » .
		تحريف .
١٤٨	١	: « الخمار » بدل « الخمارين » .
	٢	: « نبعض من [نسكره] ذكره » .
	٤	: « يعنده في النسخة » يعني عبد الرحمن بن يزيد !
	٩	: « من خمرة النساء [من جميع الأجناس . قال] : قلت لا والله لا أعرفه . قال : بلى على أنه لا يكون » .
	١٥	: « زنها وسحقها » .
١٤٩	٢	: « بضروب موضع ضروبا » .
	٤	: « في تركيبه وا في [بنائه » .
	٧	: « خاضعيه » .
	١٣	: « خاشع [موضع] خاضع [في كل] » .
١٥٠	١	: « دفعت [بل] دفعت [و] [ ] » .
		[ ] [ ] [ ] .
	١٤ ١٥	: « [ ] [ ] [ ] » .
١٥١	١٢ ١٣	[ ] [ ] [ ] .
	١٦	[ ] [ ] [ ] .

Marfat.com

ص	س	
١٥٢	١	: « كاوماش ، كأنه قال : ضأن بقرى » .
	٢	: « فيه شبه الكبش وكثيراً من مشابه الثور ، ليس أنّ ».
	١١	: « من أعناق الشياطين ، فجهلوا المثل والمجاز ، [وحملوا الكلام] على غير » .
	١٣	: « تغنت شياطيني وجن جنونها » .
١٥٣	٤	: « إذا كانت داهية شيطانا » .
	٨	: « من أسطع جسر » . وانظر ٤ : ١٣٤ .
١٥٤	١٤	: « إلى تلك الجزيرة » بدل « الجيزة » .
١٥٥	١	: « فإن لجّ خبلته »
	٢	: « وأما الذين زعموا »
	٥	: « وعلم أنها [كانت] تمكون فى الأنهار ومناقع المياه ، من الذكر والأنثى » ، وكلمة « مناقع » ، هى الصواب فى « منابع »
	٧	: « إنما هو شيء يخلق تلك الساعة من طباع المطر والهواء والزمان » .
١٥٧	٢	: « وهو الذى يخلق » بدل « يتخلق »
	١٢	: « وجدوا طول أعمار الناس »
	١٣	: « وإن فى الأعراب لأعماراً » بإسقاط كلمة « أطول » بعدها .
١٥٨	٢ ، ٨	: « وبذال » بدل « ويزال » .
	٥	: « الموقوفين على النبيذ »

Marfat.com

ص س

٧ ــ ٨ : « من كان يشرب النبيذ حيا . وعامة من كان لايشرب النبيذ قد مات » ، وبإسقاط كلمة " عامتهم " .

٩ : « فقد كانا من المعمَّرين »

١٠ : « وتميّز الصدق فيه من الكذب »

١٦ : « إيثار المُخْفِس » ، مطابقاً لما أثبت من تصحيح .

١٥٩ ١ : « مابعد كلمة " للنساء " إلى نهاية السطر ساقط من النسخة .

٢ : « ويرون الماء غير الدافق ولا الغليظ . و الدافق : تصحيح " الرائق " .

٩ : « والحيي الشريف .

١٢ : « وإن كان يقيس هذا لأديب الكبير

١٦٠ ٢ : « وقد كانت إبل الصدقة موسومة

٨ : « والنقض مرائر القوى . وهو المصوب . و مرائر : جمع مريرة . وهي القوة من قوى الحبل . أمرّ وتمتل .

١٣ : « ومن جنس البط

١٦١ ٤ : « فتأدّى . وتصاب في هذه القرية

٦ : « أن نعمّها بخراق [illegible]

٧ ــ ٨ : « [illegible]

[illegible] إبل الشريفة [illegible]

١٥ ــ ١٦ : « في [illegible]

[illegible]

Marfat.com

ص س

١٦٢ ٣ : « لاتملك الشيء »، كما فى ل .

١١ــ١٢ : « فإن [كان] ذلك فى سبيل العلاج بعد أن يكون ذلك المتكلف يعرف وجه العلاج ، فالمذهب فى ذلك معروف ».

وهو الصواب

١٦٣ ٣ : « وليس كل مؤذ ولا كل أذى »

١٧ : « ثم زاده على قيمته »

١٦٤ ١ ــ٢ : « المعروفين بابتياع متاع اللصوص » .

٢ : « من شهد السعانين » . وهو تصحيح ماورد فى ل : « السعايين » . والسعانين : عيد من أعياد النصارى .

٣ : « وأصحاب المخارجات » كما فى ط .

٧ : « وخلطاء مترافدون » ؛ وهو الوجه .

٩ : « قد قبل من المقوقس [الحصى] كما قبل مارية ، و [أنه] استخدمه »

١٨ : « أجمل منه وأشف وأخدم لم يزده »

١٦٥ ٣ : « لايخل اطراده ونفيه » .

٦ ــ ٧ : « ولا يزيل عنه ملكه إلا مثل ماوجب به له ملكه » .

٩ : « تدبيراً أو حكمة »

١٦٦ ٦ : « مطردا » مكان « مطروداً » .

٧ ــ ٨ : فالفاجر لايكون المبغىّ عليه » ؛ وهو الوجه .

٢١ : بدل عبارة « وهو يباشر بمشقة » : « ولكن ذلك الماء لايخرج منه إلاّ بعد جهد شديد وعلاج طويل » .

Marfat.com

ص س

١٦٧ ١ : « شيء يكون منه إنسان » ، وهو الوجه .

٧ : « وتعظيم البعولة »

٩ : « مرة فوق ومرة أسفل . وأسمحت النفس بمكنونها ، وأظهرت النفس ماعندها »

١٦٨ ٥ : « الصاحب السوء »

١١ : « ومتى ألقى إلى الفتيات شيء من أمور النساء » ، وهو الوجه .

١٢ــ١٣ : « و [عند] قلة التشاغل ، وكذلك متى ألقى إلى الفتيان شيء من أمور الغلمان » .

١٥ ــ ١٦ : « التكملة المقتبسة من ل ليست فى النسخة »

١٦٩ ١ : « داعية إلى الميراثية » !!

٢ ــ ٤ : سقطت هذه التكملة . وجاء بدلها : « وقال الشاعر فى هذا المعنى :

لأحقرن من الأشر ذا صغر ... وثالث ليس يدفعنى على نعم

ولا عجوز على أهل فتفسدها ... ولا خصيا على مالى ولا حرم

٩ : « فصادف قلبى فارغا فتمكنا » .

١٧٠ ١ ــ ٢ : « لامرأة [و] قد تمكن من كلامها ومكنته من نفسها »

قال : قد والله يا مولاى وسيدى . [ثم] قال

١٤ : « أشد ذا إشغالا » .

١٥ : « منهى فى النساء » .

١٦ : « وقال سعيد بن سلم ... وهو لصد ... فى ٥ : ١٦١

Marfat.com

ص س

١٧١ ١ : « غير متكشّف »

٦ ـ ٧ : « لم يكن عليه من فقد مارآه فى النوم أو مثلته له الأمانى مؤونة » .

١٧٢ ٤ : « ولقد رأيت » ، مع سقوط التكملة التى بعد هذا الكلام ؛ وسقوط قوله « ويتمشى مع الشطار » .

١٠ - ١١ : « فلما أبصر ذلك بزق وثفل وسقط فى يده ، وهجم عليه أمرٌ لو كان رآه » .

١٣ : « ممن كان يخلفه »

١٤ : « قد حرق » بدل « [حزين] » ، مع سقوط التكملة الثانية فى هذا السطر .

١٧٣ ١ : سقطت التكملتان من النسخة

٦ : « الماشى المعْيى » .

٩ : « من الشنو والبغضة »

١٢ : « وتلقحه الجنايات » ، وهو الأوفق .

١٤ـ١٥ : « إذا بدا لأحدهم فى النزوع وفى ترك الطريقة الأولى » ، وهو الوجه

١٧٤ ١ : « فخرج لهم حب للتشفى شدة الاعتزام على قتالهم » .

٢ : « أن يحج [البيت] » .

٩ : « من تعظيمه للدين ، و [من] الاحتراق فيه » .

١١ : « ولرضى منهم بالمسالمة » .

١٧٥ ١ : « لآل جعفر » موضع « لآل سليمان » .

Marfat.com

ص	س	
	٣	: التكملة ساقطة من النسخة .
	٥	: « أليس زان خصيّ » .
	١٢	: « فلا سنان ينيك ولا يدعنى أنيك »
١٧٦	١	: « يهجو امرأته » ساقطة من النسخة .
	٧	: « ولا والله لا والله لا أقلع أو أخصَى
	١٠	: « بلّغنى رَكَبَ النساءِ » . وهو الوجه .
	١١	: « حين تلقى » .
	١٢	: « عجّل بالخصاء » .
١٧٧	٣	: « عثرة وجدودٌ » .
	١١	: « أترى أن المثلة تحل له ما حرم الله » .
١٧٨	٣	: الذى فى النسخة يوافق ما أثبت فى حاشية على النسخة .
	١٤	: « عن نافع [ابن عمر] . صوابه : [عبد الله بن عمر]
١٨٠	٧	: « ولا يخصى ويعجّ بالمقصود
	١٣٠١١	: « أبو حنزى بدل أبو جرير .
١٨١	٣٠١	: « أبو حنزى بدل أبو جرير
	٥	: « وغيره » يونس عن الحسن .
١٨٢	٢٠١	: « لا يعرض فيا . ويزعمون [ ] يونس عن [ ]

نسخة .

[ ] عن عرض [ ] [ ]

[ ] [ ] [ ] [ ]

[ ] [ ] [ ] [ ]

[ ] [ ]

ص س

٨ : « وقال ابن كنانة [وهو] يصف فرسا » .

١٥ : « التكملة كذلك فى النسخة ، مع إسقاط « خلف بن حيان الأحمر » .

١٨٣ ٦ : « كأن شبا طرفه » .

١١ : « فى ديسم الغيرى » ، تحريف . وانظر الأغانى ٣ : ٢٧ حيث روى البيت برواية « من نجل زارع » .

١٨٤ ٦ سقط الكلام من أول السطر إلا كلمة « وزعموا » فإن بدلها "وزعم" .

٧ : « لايَلقَن ولا يألف » ، وهو الوجه .

١٨٥ ٣ : « وسنداوة تصأى به وحضاجر » . تصأى : تصيح . ويقال أيضا صأى يَصئِى . وهذا يوجه رواية ط «تصبى به » . إذ صوابها «تَصئِى به » .

١٥ : « ذكروا [ذلك] عن عمرو بن يربوع ، وكما روى أبو زيد » .

١٨٦ ٤ : « وأنشد » فقط ، أى بإسقاط باقى العبارة .

٥ : « منوّن قالوا سراة الجن » .

١٤ : « ولم تقل جىء » .

١٥ : « أو ملك الأعجم » .

١٨٧ ٢ : « عمرا وقابوس » .

٤ : « جرهما من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، [قالوا] : وكان » .

Marfat.com

ص	س	
	١٢	: « ومن هذا النسل ومن هذا الضرب من النجل »
١٨٨	١	: « وأبوه غيرى » .
»	٣	: « ينادى [رجلاً ويقول]: ياذا القرنين ، فقال : فرغتم » .
	١٠	: « على جهة العشق » .
١٨٩	٥	: « تركّب من الناس والنسناس » .
	٦	: « والدوال » بإسقاط « باى » كما فى ط .
	١٦	: « يَهَنَّا » بدل « مهنا » .
١٩٠	١	: « من ولد مَهَنَّة ومُهَيْنَنَة » .
	٦	: « ذكرت [لك] كثيرا » .
	٨	: « وزعم ابن ميثم » .
١٩١	٢	: حتى « [إنه] ربما وثب على صاحبه » .
	٧	: « حاجب بن ذبيان » .
	٨	: « إذا أُسلِمَ الحبل » .
	١٠	: « حين فارقه فنزُل » . وهو الصواب . و فنزل بضم
		فنزال
١٩٢	٦	« فينزل أهل البيت » .
	٧	: « وذلك عند السوف » بإسقاط
	٨	: الشكاة التى فى
	١٠	: « كانه

Marfat.com

ص	س	
	١١	: « وتركوا طراده » .
١٩٣	٤	: « إلا وخطمه فى الأرض [أبداً] يتشمم » .
	١٣	: « وفى أموالهم » . وهذا تحريف قرآنى . انظر تحقيق النصوص ونشرها من تأليف عبدالسلام هارون ص٤٥ . وهى الآية ٢٤ من المعارج. وفى الآية ١٩ من الذاريات : « وفى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم » . فمن هنا وقع اللبس .
١٩٤	١	: « وليس من أحرارها [وكواسبها] ، ولا من عتاقها وجوارحها » .
	١٢	: « ثم كان مما لا يزاوج » .
	١٣	: « وحرم هذا النسب »
١٩٥	١٣	: « ولا ينازع إلى دجاجِهِ وطروقته »
١٩٦	١	: « ولو لم يُخلَق » .
	٧ــ٨	: « أو سقط على حائط الدار لم يعرف كيف الرجوع » .
	٩	: « يسيراً ، ولا يتذكر ولا يهتدى » .
	١٢	: « وذاهلة طامحة » ، موضع « طامحة وذاهلة » .
	١٤و١٥	: « لا يعرف التى سفد ، ولا يقصد إلى ولد ، ولا يحضن بيضه » .
١٩٧	٩ــ١٠	ساقط من النسخة .
١٩٨	٢	: « إذا اصطيدت أو قتلت » .

Marfat.com

ص	س	
	٣	: « وأنشدوا قول الكميت » .
	٤	: « لدَى الحبل » .
	١١	: « عام جاحد » .
١٩٩	٤	: « وقدحى بكفَّىَّ » .
	١٨	: « صغار ومن ديكٍ تنوسُ غبا غبه » كما فى ل .
٢٠٠	١	: « وقال ثماخ بن أبى شداد » كما فى ٧ : ٨٥ .
	٣	: « فتجعل فى حبالك » كما فى ل .
	٥	: « سقطت كلمة " فإن " » .
	١١	: « والأجناس » بدل « والخشاش » .
	١٧	: « وألسنتهم لا تنطق » .
	١٨	: « من الفتق بالأعظم [فالأعظم] » ، وهو الوجه
٢٠١	١	: « وقلتُ وهذا باب » .
	٢	: « من طرق المرء » .
	٦	: « ولكل طعام آكل » .
	٨	: « [و] قد زعم ناس أن كل إنسان فيه » .
	١١	: « فى البدن . وكما ينقى العرق » .
	١٢	: « من الحركة » .
	١٤و١٥	: « ولابد لكل ذى ذوى من أن تظهر قوته » .
	١٦	: « لا بد للمصدور من النفث » .
٢٠٢	٤	: « وشغف بعض الفرس بالشعير » .

Marfat.com

ص س

٦—٧ : « فنجد واحداً يلهج بشهوة القتال حتى يكتتب مع الجند ، وآخر يختار أن يكون خبازا أو مَرَّاقا ، وآخر يطلب الملك » .

٢٠٣ ٣ : « وأن يسخو على الطعام » . يقال سخِيَ يَسخَى ، وسَخُو يسخُو ، وسَخَا يَسخُو ، لغات ثلاث .

٢٠٤ ٤ : « والمكروه بالمحبوب » .

٦ « ومتى بطل التخيُّر ذهب التمييز » .

١٣ : « ومن جهل اليأس جهل الأمر » .

١٥ : « وإلى الغباوة والبلادة أو حال النجوم » .

٢٠٥ ١ : « الشمس أو القمر أو النار أو الثلج » .

٤ : « ولأهل التمييز والرويّة » .

٥ « والسبع من لطع الدُّم » .

١٠ : « والملمس اللين » .

٢٠٦ ٣ : « منافعها هنيئة » .

١١ : « بأحق من الثانى فى الحق الذى جوزت فيه » .

١٣ : « والأسباب المتقيدة » .

١٥ : « بأدل عليه من الخنزير » . « وإن اختلفا من جهة » .

١٦ : « لم يختلفا من جهة البرهان والدلالة » .

٢٠٧ ١ « أعز عليه من الحدأة ، وأن الغزال أحب إليه » .

٣—٤ : « فجعل بعضها إنسيا وبعضها وحشيا » .

١٠و١١ : « وإن أتى بالغيث » .

Marfat.com

ص	س	
	١٣	: « ولا اختلاف بين أصحابنا » ، وهو الصواب .
٢٠٨	٥	: « وما نعرِف »
	٧	: « وأنه صالح لصاحب السِّلّ »
	٩	: « شيء من الحلواء إلا وهو ضار بالأسنان غيره » .
	١١	: « وليسهل مخرج »
	١٢	: « ومن الزيتون على زيته والاصطباغ به » . أى الائتدام به . والصِّبغ والصِّباغ : مايصطبغ به من الإدام . وفى قوله تعالى « وصِبْغ للآكلين »
	١٣	: « والوقود : شجرتها ، وهى على ما أشبه ذلك » .
٢٢٢	٥	: « بقتلها وإطرادها »
	٧	: « وتقزز المسلمين من دنوها » . مع سقوط التاء التى بعدها
	١٤	: « وأخذنا فى ذكر أسمائها وأنسابها وأعراقها . وكنيتها للرجال ذا »
٢٢٣	٤	: « حفظها وإتقانها »
	٥	: « وإهانة النساء »
	٦	: « وذكر أطول أذنيها ، وهو [illegible]
	٦	: « وشدة ضنها ومعرفة الناس [illegible]
	٨ ٩	: « ذكورتها ، والذكورة من غير خلاف »
	١١	: « وفهمها وخدمتها » .

Marfat.com

ص س

١٤ : « وإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسبابها ومنتهى أعمارها وعدد أجزائها » ، و « أسبابها » تحريف ، و « أجزائها » صوابها « أجرائها » بالراء المهملة

٢٢٤ ١ : « وسياستها ، والتى لاتلقن منها »

٦ : « فمن يك عنه »

٧ : « تظل الكلاب العاويات »

٨ : « من ولد محارب بن خصفة » ساقط من النسخة .

١٢ــ١٣ : « وقال الخريمى ، وهو إسحاق بن قوهى فى قتلى حرب بغداد » .

٢٢٥ ٥ : « ويكنى أبا محمد [فى يوسف الشاعر] » .

٧ : « حلقى بلقى كاننى »

١١ : « فقال الحسن : أيا عجبى ممن يلغ » .

١٢ــ١٣ : « فقام وكيع فجعل يتخلج فى مشيته كما يتخلج المجنون ، فقال الحسن : لله فى كل عضو منه نعمة ، اللهم » .

٢٢٦ ٣ : « وكصنان عرقها »

٦ : « وضرب بالكلب فى ذلك مثلا فقال » .

٩ : « إنها امرأة حسناء »

١٠ : « بذى لسانها »

١٧ : « وقال [فى] مثل ذلك » .

٢٢٧ ١ : « بغبر البيد » .

٣ : « مثل الفرخ أعظمه »

Marfat.com

ص س

٦ : « فإذا اشتد بطنه ليسمن قيل : قد ضرب بطنه » .

٧ : « والعِقْى هو القَقَّة » مع إسقاط كلمة « الغيبة » بعدها ، وقد أورد الخبر فى اللسان (قق) وقال : « القَقَّة : العِقْى الذى يخرج من بطن الصبىِّ حين يولد »

٨ ــ ٩ : « إن أخى وضع يده فى قَقَّةٍ . إنى لأنزع يدى من جماعة وأضعها فى فرقة » ، مع إسقاط مابين ذلك من كلام

١٤ : « ويشغر ببوله فى جوف أنفه ، ويسدّده تلقاء خيشومه » .

٢٢٨ ٢ : « وتستقلونه بهذا وأشباهه » .

٣ ــ ٤ : « من الإجهاض الفويض »

١١ــ١٢ : « هو أشد من الأسد . وهو أجرى من الليث العادى » .

٢٢٩ ١ : « وبأن أنفه فى أسنوب »

٧ : « تماد مجد أب أصيل »

٨ : « لم يبعد من ضيائع كثير من »

١٠ : « وليس بين [مسموخ] المكسود من [illegible]

كبير فرق » ، وكلمة « مسموخ » [illegible]

معجم استينجاس ١٤٢١ أن المكسود هو مسموخ

٢٣٠ ٣ : « فسمّاك بالقحو »

٤ : « و يملئ فى لبان »

٧ : « ولو أنى أشاء قد [illegible]

الوجه . و قلت : سكنت

Marfat.com

ص	س	
	٨	: « فما نعلم صنيع العنز » .
	٩	: « وقال ابن أحمر » فقط .
٢٣١	١	: « ابن هرمة » مع إسقاط « الفهرى » .
٢٣٢	٦	: « وحشيها وإنسيّها » .
	٧	: « حيضا بيِّنا »، وهو الوجه .
	١٠	: « لأن الإبل والشاء » ، وهو الأولى مما اقترحته من تصحيح .
	١٢	: « ما قد قَبَّ ظاهُره » . وقبَّ بمعنى يبس .
	١٤	: « الاستمراء والقضم ، حتى تتلمس الديدان » .
	١٥	: « القذر » بدل « العذرة » .
	١٦	: « قال عبد الرحمن بن الحكم » مطابقا لما أثبته من ل على الصواب . وأنظر ص ٤٠٨ .
٢٣٣	١٣	: « والعُنق الحمر » ، والأعنُق والعُنُق كلاهما جمع للعَناق ، وهى الأنثى من المعز ، ومثلهما « العُنوق » .
	١٣ــ١٤	: « طبعها وشهوتها » ، مع إسقاط « قوتها » ، والمعنى شهوة الدجاج لخبث الأطعمات .
	١٧	: « سباطة » بدل «سبوطاً » .
٢٣٤	١	: « القريس النشوط والشبوط » .
	٨	: « لأذنابها [محسيا] » كما فى ل .
	١٠	: « قال أبو كلدة : أدم العميان » بإسقاط صدر الكلام وكلمة « هو » .

Marfat.com

ص س

١٣ : « لبعض البدع » .

٢٣٥ ١ : « هلك فيه فتيان منذ كانت الدنيا » .

٣ : « يلتقم العذرة ، وزهما لايستطاع أكله » ، وفيه تحريف ونقص .

٥ : « لايطيب مالحاً ولا ممقوراً » .

١١ : « وقد بلغ من شُهرة الرخمة بذلك ــ واسمها الأنوق ــ حتى سمّوا كل شيءٍ يعرض من الحيوان للعذرة بأنوق » . وهو الوجه ، فإن الرخمة إنما سميت بالأنوق لأنها تختار أوكارها في رءوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ، ولم تسمّ بالأنوق لشهومها للعذرة .

١٤ : « رزق الأنوقين قرنبا وجُعَل » .

وهذه نهاية المقابلة على ما وجد في مخطوطة الأمبروزيانة من الجزء الأول من كتاب الحيوان .

Marfat.com

صواب أخطاء الطبع

ص	س	الخطأ	الصواب
٤٥	١٠	من البنيان	من البيان
١٦٥	٦	لا يَعتقه	لا يعتقه
١٧٣	٢	من حمى كبته	من حمى ركبته
٢٣٤	١	ولا ذات	ولا ذاتُ
٢٥٤	١٣	أكلباً	أكلبَا
٢٧٧	٣	تَرَاحَ	تَرَاحْ
٣٣٥	٢	النبيِّ	لِلنبيِّ
٣٦٠	٩	ولا كرماً	ولا كرمَا
٣٦١	١	مُضر	مُضرٌ

Khalid M. Ishaq
A.J.V.U.
Dar Mamoun Sirsa Garden Lahore

Marfat.com

استدراك وتذييل

ص	س	
٧٤	١١	فى العبارة شىء من الغموض لوجازة ألفاظها ، فلتوضيحها يقال : إن امرأ القيس ، وهو من أقدم شعراء العرب ، قد ذكر « عدسا » ، و « عدس » هو والد « زرارة » ، وزرارة كان قريب العهد من مولد الرسول ؛ إذ أنه مات يوم أوارة الثانى ، وكان ذلك فى أيام عمرو بن هند اللخمى . الذى ولد الرسول فى أيامه . فنخلص مما تقدم إلى أن أقدم شعر عربى لايبعد عهده عن الإسلام كثيراً . (مجمع الأمثال ٢ : ٣٥٨ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٥ والعمدة ٢ : ١٦٨ ومعجم البلدان (أوارة) .
١٤٩	١١	(مطر الضفادع) . تصديقا لما أورده الجاحظ منذ أكثر من ألف سنة . عثرت فى صحيفة (الأخبار) العدد ٢١٨٩ بتاريخ الأربعاء ٩ من محرم سنة ١٣٧٩ و ١٥ من يونيه سنة ١٩٥٩ ما نصه

دهش السكان فى قرية [illegible] عندما سقطت عليهم الضفادع خلال نزول مطر . فسر بعضهم الظاهرة الجوية هذه الظاهرة بأنه جاءت فى بعض الأحيان [illegible] سحب إلى [illegible] فى الأماكن [illegible] نزل فيها [illegible] كتبه

Marfat.com